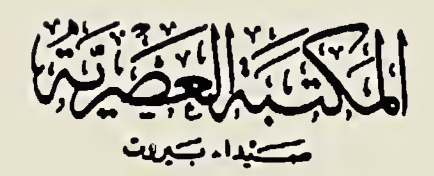
حدائق الأزاهر

لابن عاصم الغرناطي

حققه وقدم

أبو همّام
عبد اللطيف عبد الحليم



حدائق الأزاهر



شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

الدار النموذجية — المطبعة العصرية

بيروت - ص. ب ٨٣٥٥ - تلكس SCS ٢٠٤٢٧LE
صيدا - ص. ب ٢٢١ - تلكس LE ٢٩١٩٨

الإهداء

إلى صديقيّ المستشرقَيْن الجليلَيْن:
دون فرناندو دي لاجرانخا الشنتمري ودون فديريكو كورّينطي القرطبي تحية لعلمهما وإنصافهما، وذكرى أيام جميلة في الأندلس العزيز.

أبو همّام

مقدمة المحقق

لهذا المؤلَّف مكانة تجعل تحقيقه وإخراجه للناس أمراً لزاماً؛ ذلك أنه يمثل خلاصة للثقافة العربية في الأندلس، حين كانت في طريقها للإشاحة، ولم تكن المعركة مسألة جيوش تحارب فحسب، بل كانت الثقافة أيضاً معها في خندق واحد، يعتورها ما يعتور الناس من هزيمة وانتصار، أو على الأقل نهضة من هزيمة، ولا نقول انتصاراً؛ لأن كفة المعارك كانت تميل - أوانئذٍ - إلى جانب القشتاليين، الذين كانوا قد صمموا منذ أمد على سحق المسلمين نهائياً، في ذلك البلد العزيز النائي، وقد حدث هذا بالفعل حين سقطت غرناطة في الثاني من يناير ١٤٩٢، وإن لم يسقط معها كل أثر إسلامي بل ظل - حتى الآن - يشيمه الناس في سحنة الوجوه ولون العيون، وعبق الثقافة العربية الإسلامية.

وكان «حدائق الأزاهر» لابن عاصم يمثل قمة النهاية في عصره، احتقب من كل شيء بطرف، وهذا هو معنى الأدب بالمفهوم العام آنذاك، كما أنه يمثل الثقافة الشعبية، إذا فهمنا «الشعبية» على وجهها الصحيح، لا على أنها الأغنيات والمواويل الشعبية باللغة العامية كما يشيع لدى جمهرة غفيرة من الناس، وهو أمر خطأ، وإلا فإن العربية الفصحى لا تمثل الشعب، وهو كلام من الغرابة أن نجد من يعيره سمعه.

الشعبية هنا لا صلة لها باللغة، بل تعني الثقافة العامة التي ترضي نزعة الناس، وتشبع أميالهم وأذواقهم بلغة راقية، فيها التهذيب والتعليم، والترقيق والموعظة والنادرة المستملحة، بل فيها أيضاً ما تسقط معها الكلفة أحياناً، ولا

تثريب على هذا، ما كان الإنسان سويّ المنازع والأميال، يتخلل هذا كله آية كريمة، وحديث شريف، وبيت شعر رائق، وحكمة حسنة، ومثل سائر، وكل هذا كان يجد الإقبال الشديد من الناس، على اختلاف ثقافتهم؛ لأنهم يجدون فيها أنفسهم وصدى لما يختلج بها، ومن ثم شاعت هذه المصنفات في العربية مقروءة ومسموعة ممن يقرأ للأميين، ولولا ذلك الإقبال لما كان لها ذلك الشيوع، ولا حجة فيما يقال: إنها كتبت للملوك والأمراء، ورفعت إليهم، ليقال بعد ذلك إنها أدب غير شعبي؛ وهو كلام يحتاج إلى قدر من العته لتصديقه أو سماعه والمبالاة به؛ لأن الملوك والأمراء من الشعب أولاً وأخيراً، ولولا قيمة هذه المصنفات لدى الناس ـ قبلهم ـ لما أثابوا عليها؛ وربما يكون الأمير المرفوع إليه المصنف جاهلاً، أو غير عربي، لكنه يحكم أمة عربية للأدب فيها صوت مسموع، على الحاكم أن يستجيب له، وإن لم يعرفه، أو لم يرض ذوقه، ثم إن الحاكم ـ آنذاك ـ كان هو وزارة الثقافة الآن يقوم بدور الناشر ودفع المكافآت، وهذا يفسر إقبال المؤلفين على كتابة مصنفاتهم، وإقبال الناس عليها.

أدب من الشعبية في الصميم.

أما لغة هذا الأدب الشعبي فشيء يستحق التريث.

قيل كلام كثير عن واقعية اللغة، وكيف تقاس على قدّ الموقف، وهو كلام صحيح في إطاره المحدد، حين لا تعني الشعبية عامية اللغة في كل المواطن، وإلا فإن كلاماً كثيراً في مصادر الأدب العربي القديمة، ومنها «حدائق الأزاهر» وفيه نقول ـ شتى من تلك المصادر ـ لا نتخيله إلا مروياً كما ورد فيها، ولا نظن أن المؤلفين وصلت إليهم تلك الروايات الأدبية أو التاريخية أو تلك النوادر والأمثال بلغة عامية ثم حرروها بلغة فصحى راقية أو «بلغة نموذجية» كما يحب أن ينعتها المرحوم الدكتور إبراهيم أنيس [أنظر مقدمة كتابه: في اللهجات العربية].

إن ذلك التحرير ـ إن تم ـ على الأقل في بعض المواطن ـ وهي كثيرة ـ، أو في فترة معينة أو بيئة محددة، يفقد اللغة شيئاً هاماً، ومن ثم تفقد النادرة أو الحكاية كل شيء.

نعتقد أن اللغة العربية الفصحى ـ في فترة محددة وبيئة محددة أيضاً ـ على الأقل في قلب جزيرة العرب، ودعك من التخوم والثغور، وفي زمن كان يتحدث الناس فيه الفصحى سليقة ـ كانت لغة الناس حتى في حياتهم اليومية، فإذا أراد أحدهم أن يخاطب أخاه في أمر من أمور البيع أو الشراء أو الأمور الحياتية العادية خاطبه بلغة فصيحة سليمة كالتي وصلت إلينا في كتب الأغاني والكامل، والأمالي وغيرها من نظائرها، ربما يتأنق الناس في الخطب والرسائل ـ على ندرتها قديماً ـ وفي الشعر بالطبع، على غير ما يتأنقون في حديثهم اليومي، لكنه البون الذي بين السلامة والجمال، ونعتقد أن القول بغير ذلك يجعل لغتنا ميتة أشبه بالبرابي القديمة لا يقولها الناس إلا كتاباً أو خطباء أو مترسلين، وهو شيء يضيق عنه التخيل، ودعك من قوانين اللغات وتطورها، وإلا فالقرآن الكريم والحديث الشريف جاء كلاهما في ذروة البلاغة والفصاحة، وبلَّغه النبي ـ صلوات الله عليه ـ إلى الناس وفهموا عنه، وإلا فرسالته لم تؤد الغرض منها، وحديثه الشريف يؤكد ما نذهب إليه، لأن فيه حواراً وحديثاً في أمور الناس اليومية من عبادات ومعاملات بين النبي وبين قومه، ولم يأت بالعامية التي نحسبها ضربة لازب في تطور اللغات وتاريخها، والبلاغة النبوية مضرب المثل، وحياته ـ عليه السلام ـ مقيدة بكل دقائقها من قول أو فعل أو تقرير، ولو كان فيها كلام عامي.ـ ننزه عنه النبي ـ لورد إلينا كما هو بنصّه، وحوله حفظة، ذواكرهم أشبه بالمصورة اللاقطة أو بالصمغ لا تكاد تحزم شيئاً، وكان تحنثهم أيضاً مضرب المثل في الرواية بلفظها، ولا عبرة بما ورد من ألفاظ في مخاطبة قبائل معينة، أو نطق بعض الألفاظ بصورة خاصة، فإن هذه ظواهر نادرة، وهي لا تطعن في صحة ما ذهبنا إليه، لأنه كلام فصيح أيضاً، فإذا قال ﷺ ليس من أمبر أمصيام في أمسفر، وهو يعني ليس من البر الصيام في السفر، فهو كلام فصيح، خضع لبعض ظواهر صوتية نحن لا نعتد بها كثيراً، ولا نعتد بما يناظرها من ظواهر أخرى كالإمالة والقلب والترادف والمشترك اللفظي، فكلها لا تنفي فصاحة اللغة وسلامتها، ولعل العلّامة ابن جني ألمح إلى شيء من ذلك في بابه الذي عقده بعنوان «اختلاف اللغات، وكلها حجة» في كتابه الخصائص، وكلامه دقيق، يجب التلبث عنده كثيراً، لفهم مسألة اللهجات على وجهها، وعدم إعطائها فوق ما تستحقه كما هو الحاصل في عصرنا، يقول ابن جني عن تلك اللغات: «إلا أن

إنساناً لو استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب، لكنه يكون مخطئاً لأجود اللغتين، فأما إن احتاج إلى ذلك في شعر أو سجع فإنه مقبول منه، غير منعي عليه»[١]

فالمسألة هنا ـ من كلام ابن جني نفسه ـ هي عدم الخطأ، وفصاحة الكلام ثابتة، وإن كانت خلاف الشائع أو الأجود، وقد التفت إلى لغة الشعر والنثر الخاصة؛ لأنه يرى ـ كما نرى الآن ـ أنها لغة داخل اللغة، بخصائص جمال الفن، لا بخصائص السلامة وحدها، لأنها موجودة أصلاً.

ولعل في إيراد بعض النوادر أو الحكايات التي وردت في كتابنا هذا، وهي منقولة من مصادر أقدم، ما يدفع بما نعتقده إلى حيز الشاهد الواقعي، ويخرجه عن دائرة الاعتقاد الفرضي :

١ ـ وقال أمير لأعرابي : قل الحق، وإلا أوجعتك ضرباً، فقال: وأنت فاعمل به، فو الله، إن ما أوعدك الله به على تركه أعظم مما توعدني به.

٢ ـ وقدم رجل من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان، وكان زبيرياً، فقال له عبد الملك: أليس الله قد ردك على عقبيك؟ قال: ومن رد إليك يا أمير المؤمنين، فقد رد على عقبيه فسكت عبد الملك، وعلم أن قوله كان خطأ.

٣ ـ وأمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعقوبة رجل، فقال له رجاء بن حيوة: إن الله قد فعل ما تحب من الظفر، فافعل ما يحب من العفو، فعفا عنه.

٤ ـ وقعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له رجل: يا أمير المؤمنين، نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من موتاكم، فالتفت معاوية إلى المغيرة وقال: هذا رجل، فاستوصِ به خيراً.

٥ ـ وقيل لمعاوية: أي الناس أحب إليك؟ قال: من كانت له عندي يد صالحة، قيل: فإن لم تكن؟ قال: فمن كانت لي عنده يد صالحة.

٦ ـ وأتي عبد الملك بن مروان برجل يسرق، فأمر بقطع يده فأنشأ يقول:

---

(١) انظر هذا الباب في الخصائص، وانظر ص ٤٨ من كتاب الدكتور إبراهيم أنيس في اللهجات العربية. الطبعة الثالثة ١٩٦٥ ـ الأنجلو المصرية.

يـدي يا أميـر المؤمنين أعيذهـا　　بعفـوك أن تلقى مكـانـاً يشينهـا
ولا خير في الدنيا، وكانت حبيبة　　إذا مـا شمـالي فـارقتهـا يمينهـا

فأبى إلا قطعها، فقالت لـه أمه: يـا أمير المؤمنين، واحـدي، وكاسبي، فقـال: بئس الكـاسب كان لـك، وهذا حـد من حدود الله، قـالت: يـا أمير المؤمنين، اجعله من بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها، فعفا عنه.

٧ ـ وأتي الحجـاج بأسـرى من الخوارج فـأمر بضـرب أعناقهم، فقـدم فيهم شاب، فقال له: والله يا حجاج، لئن كنا أسأنـا في الذنب، فمـا أحسنت في العقوبـة، قال: أف لهذه الجيف أما كان فيهم من يقول مثل هذا، وأمسك عن القتل.

٨ ـ ونظر المأمون إلى جارية له، وبيدها سـواك، فقال لهـا: كيف تجمعين سواكـاً؟ قالت: محاسنك، يا أمير المؤمنين فاستحسن ذلك منها.

٩ ـ ورأى المنصـور بعض أولاد الأشتر، فهم بقتله، فقـال: يا أميـر المؤمنين، ذنبي أعـظم من نقمتك، وعفـوك أوسع من ذنبي، فـإن لم أكن للعفو لسـوء مـا أتيتـه أهلًا، فأنت له أهل فاستحسن قوله، وعفا عنه.

١٠ ـ وأتي الحجاج برجل من الخوارج، فأمر بضرب عنقه، فقال له: أخرني يومـاً، قال: ما تريد بذلك؟ قال: أؤمل فيه عفو الأميـر، مع مـا تجري بـه المقاديـر، فتركه.

تلك نقول لم نرد بهـا التقصي، وإلا خرج بنـا الكلام عن بـابه من التمثيـل، وتجزىء فيه الأمثلة قليلها، ولا نستطيـع إلا التيقن من أنه كـلام نبت هكذا، من فم قائله، جاء عفـو البدائـة في معظمـه، حيث لا مجال لإعمـال الذهن والتـروي، ولا يدفع هذا بأن المواقف تجعل من البكيء لسنـاً مفوهـاً، لأن هذا الكـلام جرى على ألسنتهم، كمـا ورد إلينا، ربمـا تتغير لفـظة، لكن جل أو كـل الكلام كمـا هو، ولـو كانت العامية سليقة لسبقت الفصحى، وحلت محلها، وهذا يـدل ـ قطعـاً ـ على أن الفصيحة سليقة، وكان يتحدثها الناس، كما نتحدث نحن العامية الآن، دون غـرابة من قـائلها أو متلقيهـا، وهذه الفصـاحـة النـابتـة عفـواً على أسلة ألسنـة هؤلاء ممن استشهدنا بكـلامهم، ومثله كم هائـل في المصنفات العـربية، هي التي حققت لهم

العفو أو الاستحسان، وقد استوى في النطق بهذه اللغة الفصحى البدو الحضر، حتى غشيت هذه الأمة غاشية اللحن والعجز، وأسوأ من ذلك كله «تسويغ العجز» بمنطق التطور، وجعله هو القاعدة التي يجب أن تفسر بها الأشياء، وابتعد الناس عن «حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأخذوا اللغة من أهل السواد، أكلة الكواميخ والشواريز»(١).

حين ذلك تخلت الفصحى ـ لغة الناس ـ عن مكانها، ومكانتها، وحلت محلها لغة أهل السواد، وإن بقيت الأولى في محرابها الأدبي والعلمي، اللغة الراقية، أو النموذجية إن أردت، وحين تخلت، تخلى عن الأمة هذه شيء كثير هو جوهرها، ونغبت دعوات العامية يسوغها العلماء بمنطق يستتر فيه العجز، واستبد العجز حتى صار عندنا ما يسمى بالأدب الشعبي العامي.

ولا يعني ورود أمثال هذه الشواهد ـ وهي كثيرة ـ أنه ليس ثمة نوادر محررة، ابتدعها الرواة، ونسبوها إلى غيرهم، فإن ذلك كثيراً أيضاً، وفي هذا الكتاب «الحدائق» نوادر من هذا الطراز، لا تخطئها عين القارىء، حين يطالع مثلاً حكاية حج أبي نواس وهي منسوبة لابن دريد في أحاديثه في الأمالي، ودعابات دعبل ومسلم بن الوليد فقد تدخل فيها المحرر بتوشيات يقتضيها السياق، أو ابتدعها أصلاً.

بيد أن في كتابنا إلى جانب ذلك طائفة صالحة من الألفاظ العامية، أو باباً كاملاً من كلام العوام من أهل الأندلس، قصد إليه أصحابه قصداً، ونبت هكذا على ألسنتهم، ونقله المؤلف ـ كما هو ـ، ولو حاول أن يحرره فصيحاً لنبا عن الذوق وعن الغرض الذي وضع من أجله، لكن هذا جاء متأخراً ـ زمناً ـ عن الفترة السابقة التي أتينا بنماذج منها في هذا المقام، والجاحظ علّل شيئاً شبيهاً بذلك في كتابه «البخلاء» حيث يعتذر عن ورود الكلام كما هو، عامياً أو «لحناً» كما يسميه، كما ينقل الفصيح أيضاً كما هو حيث ورد على ألسنة أصحابه فصيحاً أو معرباً، وتلك دقة في أمانة النقل حتى في الهزل، فما بالك في المقامات الجادة التي

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٩٢.

يتحنث فيها الرواة وخاصة رواة الحديث، وفي هذا درس لطائفة من النحاة لا يستشهدون بالحديث النبوي. مدعين أنه يجوز روايته بالمعنى، وإزاءهم طائفة كبيرة تجوز الاستشهاد به، ونحن معهم، معولين على أمانة الراوي وجودة حفظه وتحرجه أن يقول إلا بما يعلم، وحتى لو غير لفظة، فإنه لا يخرج عن حد الكلام النبوي الفصيح.

يقول أبو عثمان: «وإن وجدتم في هذا الكتاب ـ يقصد البخلاء ـ لحناً أو كلاماً غير معرب، أو لفظاً معدولاً عن جهته، فاعلموا أنّا إنما تركنا ذلك، لأن الإعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده، إلا أن أحكي كلاماً من كلام متعالمي البخلاء، وأشحاء العلماء كسهل بن هارون وأشباهه»[1]

والتخفف ـ حتى من الإعراب ـ في بعض الأحوال لا يخرج الكلام عن سواء الفصحى، ما كانت اللفظة في موضعها، وواضحة الإبانة عن مدلولها، والإعراب ليس كل النحو، ولا كل الفصاحة بل هو طرف منهما، وإن كان يبين في كثير من الحالات التي لا يستغني عنها المقام، فإذا قالت السيدة التي كانت تتشفع في ولدها هذه العبارة التي قالتها: «اجعله من بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها» ووقفت بالسكون على كثير من كلماتها فإن قولها لم يخرج عن حد الفصاحة اللغوية ولم يهبط إلى أن تقول ما نترجمه عامياً الآن: «يا ريت تخليه ذنب من ذنوبك يا سيدي، وبعدين استغفر الله منه». ومعلوم أن هذا كلام آخر غير الكلام الأول، وما نتخيل أن السيدة قالته هكذا، في مثل ذلك المقام ثم ترجمه الناقل أو الراوي، ثم إن للغة الفصحى ـ بالطبع ـ «كيمياء» تنفث السحر في هوامد الكلام، في المواقف العسيرة، فيستوي كائناً حياً، لم يخلق إلا هكذا.

ولعل فيما قدمنا عن الفصحى المستعملة ـ سليقة ـ على ألسنة الناس ـ دون مبالاة كبيرة بالخلافات ـ وهي ضرورة أيضاً ـ بين أقاليم أصحابها، لعل في هذا غنية لمن أراد أن يعتقد ما اعتقدنا، ولدينا كلام كثير في هذا الصدد نرجئه إلى بحث مستقل، وفي قليل ما قدمنا حَسْبُ لمن شاء.

---

(١) البخلاء جـ ١ ص ٧٨، وانظر مع بخلاء الجاحظ ص ١١٥، فاروق سعد دار الآفاق الجديد ـ بيروت الطبعة الثالثة.

ولهذا الكتاب حكاية تروى.

حين كنت في اسبانيا طالب بعثة عينت بالمخطوطات الأندلسية، استجابة للطبع أولاً، وزرت أماكن كثيرة تقبع فيها هذه المخطوطات وغيرها، وصورت بعضها، ونسخت بعضاً، واستجابة كذلك - بجانب الطبع - إلى مسألة من لا ترد مسألته من شيوخنا المحققين، وفي مقدمتهم صديقي وأستاذي أبي فهد محمود محمد شاكر؛ وكان كثيراً ما يحثني على إخراج ما لدي من المخطوطات، وينعي عليّ اهتمامي بالترجمة على حساب التحقيق، وصديقاي وأستاذاي د. الطاهر مكي، ود. محمود مكي، أو «المكيّان» كما يقول أصحاب الدراسات الأندلسية من العرب والإسبان، وهما يعرفان ما عندي من مخطوطات الأندلس واهتمامي بها، ولهما في هذا الحقل جهد ضخم أكبر من هذه الإشارة، فاستجبت مغتبطاً، مع علمي بوعثاء الطريق، وقلة الزاد.

لكن في سنة ١٩٨٠ كنت أترجم دراسات صديقي الأستاذ فرناندو دي لاجرانجا عن الحكايات العربية المهاجرة إلى الأندلس المنشورة في مجلة الأندلس وغيرها، والتي جمعها كتابي «تأثيرات عربية في حكايات إسبانية» فلفت نظري أنه يعود إلى مخطوط «حدائق الأزاهر» لابن عاصم، ومنه نسخة في مكتبة مجمع التاريخ الملكي بمدريد، وهي في حوزة الأستاذ غريثه غومث، ولم أمكن من الاطلاع عليها، أو تصويرها مع صلتي الوثيقة بالأستاذ لاجرانخا، ومجاملة الأستاذ غومث لي، وإهدائه لي بعض كتبه، حين زرته مع الأستاذ لاجرانخا في داره، وحين رأيت أنه لا أمل في حوزة مصورتها، لتحقيقها، تفضل - مشكوراً - صديقي لاجرانخا، فأهداني نسخته الخاصة - ولا يملك غيرها - من الطبعة الحجرية المغربية، وشرعت في قراءتها كلها، وفك إغماضاتها، لعدم الإلف بينها وبين الخط الأندلسي، ونسخت بعض صفحاتها، ثم حالت حوائل دون التمام، وعدت إلى مصر، وفي نفسي رغبة ملحة في إنجاز ما شرعت فيه، لكن نسخاً أخرى عرفتها، إحداها نسخة الأسكوريال، وهي من أهم النسخ، قرأت عنها في مقال للأب بداوليو خوسثيل، رغم أنني غربلت فهارس الأسكوريال مراراً، ولم أقف عندها، فرغبت إلى صديقي الدكتور محمد رشاد غنيم الأستاذ بكلية الطب بالمنصورة - وكان طالب

بعثة آنذاك في مدريد ـ فلم يتوان عن تصويرها على ميكرو فيلم وأرسلها إلي بمصر ـ جزاه الله خير الجزاء ـ وأثناء عملي في هاتين النسختين، وقعت بالصدفة على مخطوط آخر بدار الكتب المصرية، فرغبت في تصويره، ولم أجد عندهم مخطوط الأسكوريال، فطلب مدير الدار أن أهديهم الميكروفيلم الإسباني، نظير تصويره وتصوير نسخة دار الكتب، وكان ما أراد، وبذا اجتمع لدي ثلاث نسخ: ١ ـ نسخة الأسكوريال ورمزنا لها بالحرف (س)، ٢ ـ نسخة دار الكتب المصرية، ورمزنا لها بالحرف (د)، ٣ ـ نسخة فاس الحجرية ورمزنا لها بالحرف (ح).

وكل هذه النسخ بالخط الأندلسي، وهو خط فيه طرافة تدفع قارئه إلى مزيد من الحماسة حين يفك مغالقه، وفيه أيضاً تأنق، ربما تدفع إليه طريقة كتابته، وسوف يرى القارىء الصفحات الأولى والأخيرة من تلك النسخ، وإن كان التصوير سيجعل من وضوحها صعوبة.

أما نسخة فاس الحجرية فقد تدخل فيها ناسخها وبخاصة في الحديقة الخامسة «أمثال العامة وحكمها» بحيث اختصرها جداً، وأبقى على ثلثيها تقريباً، ولذا جعلنا معولنا في هذه الحديقة بالذات على الأخريين (س، د) وفيهما تمام هذه الحديقة، وليس على هذه النسخة تاريخ طبعها، وتقع في تسع عشرة صفحة وثلاثمئة، وفي الصفحة ثمانية عشر سطراً، وأخطاؤها قليلة إلى حد كبير، وفي هوامشها ـ وهي قليلة جداً ـ تدخل من الناسخ، أو المصحح إن شئت حيث يصحح خطأ، أو يضع كلمة نسيت في المتن.

ونسخة دار الكتب المصرية (د) تقع في ١٤٧ ورقة تحت رقم ١٨٣٣ أدب وعليها خاتم دار الكتب الخديوية المصرية، وفي الصفحة عشرون سطراً، وفيها خروم تخل بعدد من الصفحات أشرنا إليها في مواضعها، وفي بعض الأحيان عدم ترتيب في الأوراق، وفي آخرها شعر بعضه لابن عباد الأندلسي الإشبيلي، يبدو أن الناسخ وضعه في مجلد واحد مع حدائق الأزاهر، خاصة وأنه ختم كتابنا بما تختتم به الكتب عادة بالصلاة على النبي ﷺ، وفي هوامشه ـ وهي أكثر من النسخة السابقة ـ بعض الشروح أو التعليقات، لم نشأ أن نأتي بها لعدم ضرورتها.

أما النسخة الأخيرة (س) الأسكوريال فهي تحت رقم ١٨٧٥، ولها رقم آخر لعله أقدم وهو ٤٢، وتبدأ بكلام جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم عليه وعلى آله وصحبه وسلم. روى مالك عن أبي الزناد عن الأعرب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد. وبعدها بياض أو سواد، ثم جاءت هذه العبارة: ومن طريق آخر، ومن ثم محو، بعده: جمعة له، أنصتوا رحمكم الله، وواضح أن البياض فيه من قبل: فقد لغا، ومن لغا لا، كما في الحديث الشريف، وروي من طرق متعددة، وقد جاء في البخاري حـ ٢ ص ١٦، ولكني لا أرى وجهاً لذكر هذا الحديث بعد العنوان إلا إذا أراد الناسخ أن يشعر قارىء هذا الكتاب بأن يحسن الإنصات، وليس - بالطبع - من كلام ابن عاصم بل من زيادة الناسخ، الذي زاد أيضاً في آخره ما يلي:

«هذه مرشدة الخلان، ونصيحة الإخوان لسيدنا ومولانا الشيخ عمر بن الوردي نفعنا الله به وبأمثاله».

وهي قصيدة لامية من بحر الرمل، في رشد ونصيحة، وهي خارجة عن الكتاب أيضاً وهذه النسخة من أصح النسخ الثلاث، ومن أوفاها وتقع في الترقيم الأوربي الحديث في ٢٦٤ صفحة، وفي الصفحة عشرون سطراً.

لكن أي النسخ أقدم؟ ويمكن اعتبار الحجرية مخطوطة أيضاً، وإن طبعت حديثاً، لأن طبعها مثل التصوير للمخطوطة القديمة، لا يمكن الجزم بقدم واحدة على أخرى، ولذا جعلت الثلاث مرجعاً، وأخذت بالأوفى في أيها كان، وذلك لأقدم نسخة تامة فيما أتصور، مع عرفاني أن ثمة نسخاً أخرى في العالم منها نسخة لندن التي ترجم حديقتها الخامسة وقدم لها: دون إميليو غريثه غومث، في مجلة الأندلس عدد XXXV سنة ١٩٧٠، ولم أمكن من الاطلاع على النسخة، وبين يدي عدد الأندلس هذا ونسخة أخرى في الخزانة العامة بالرباط، ولم أطلع عليها أيضاً، وأنا أرى جمع كل مخطوطات كتاب شيء مثالي، ومطمح نرنو إليه، لكني أرى أيضاً أن الاجتزاء بالبعض صالح ما كانت النسخ واحدة، وليس في بعضها إضافات

تجعل من تحقيق الناقص شيئاً مجدياً، وليس الحال هكذا في النسخ التي بين أيدينا، لذا رأيت أن التلبث حتى العثور على تلك النسخ الأخرى التي أشرت إليها، وربما ثمة غيرها ـ هو تلبث لا يفضي إلا إلى إضاعة وقت، وحين نرى أن ما هو ناء عن أيدينا فيه إضافة، فنحن حريون أن ننظر في هذا الشأن مرة أخرى إن شاء الله.

وقد أردت أن أنهي هذا الكتاب في القاهرة بعد نسخة كاملة، لكن مشروعات علمية وفنية عاقت إنجازه، وإن كنت لم أترك العمل فيه بين الفينة والفينة، وكنت أسوّق الأمر مع نفسي ومع الأصدقاء الذين يستحثونني على الإنجاز، وحين خرجت تلك المشروعات إلى النور، رأيت أن الوقت قد آن لإخراج الحدائق، فحملته معي إلى مسقط حيث أعمل في جامعة السلطان قابوس، وأنجزته في مدة يسيرة نسبياً، وإن كنت لم أعثر على كل ما أريد من مصادر يقتضيها التحقيق، وكان الإخوة العمانيون أسخياء بما لديهم حين تشح المكتبات العامة، والمرء يعمل أفضل حين يكون بجوار مصادره الخاصة في داره، حيث تسعفه حين لا تسعف المصادر ولو كانت هي هي، ولذا يرى القارىء أنني عدت إلى طبعات مختلفة للكتاب الواحد، وكان هذا عسيراً، وعسيراً بالنسبة للقارىء، ونشير فقط إلى كتاب كالعقد الفريد والأغاني، فقد رجعنا إلى طبعات مختلفة.

ولم نشأ أن نقف عند اختلاف النسخ إلا إذا كان في الاختلاف فائدة نقدرها، وكان فيه إضافة، وأهملنا ما يمكن أن يكون اتخاماً للهوامش، كزيادة حرف أو خرمه، وصرفنا كل وكدنا إلى ما نظنه مفيداً، ودليلاً للقارىء، من ذلك مثلاً مصادر كثير من النوادر أو الأخبار أو الحكايات في الكتب السابقة على كتابنا، وارتأينا أن ثمة مصادر أساسية تواترت لدى المؤلف، وكان عليها جل توكئه.

أما طريقتنا في التحقيق بجانب مراجعة النص في النسخ الثلاث، فتنحصر في كلمة واحدة هي: إخراج النص قريباً من الدقة أو مما وضعه المؤلف، وكنا متحنثين غاية التحنث في هذه المسألة، وكانت الكلمة الواحدة أحياناً تدور في رأسي الليالي ذوات العدد لنرى لها وجهاً تقوم به، ولا نزعم أن كل المشكلات قد وجدت حلتها، بل نزعم أن دائرتها محدودة جداً، ولا تكاد تمثل شيئاً بجانب ما حل من معضلات.

وقد خرجنا الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية وتخريجها في غاية من العسر؛

لأن درسنا للحديث لا يزال يتسم بالنقص الشديد حتى بين المتخصصين، وقد استحد الموت ـ المجازي والحقيقي ـ بالحفظة لهذا الفن، ونادر جداً أن تعثر على طلبتك بين رجاله ـ وبعضهم ـ وهم كثير ـ لا يستطيع قراءة الحديث قراءة صحيحة، ولا أعلم هل صنع العلم الحديث ما يمكن معه «تخزين» الأحاديث في ذاكرة الحاسوب، لا أدري، وليته يفعل إن لم يكن فعل، وكانت هذه القضية عسيرة لولا أن يداً كريمة من زميلي الكريم الدكتور الطاهر الدرديري، السوداني المولد والدار، امتدت إلي، فكانت نعم المعين، فجزاه الله خير الجزاء.

ثم جاء تخريج الشعر، وهو وحده يمثل ديواناً وسطاً بين مادة الكتاب، ولم يذكر المؤلف نسبته لقائليه إلا في حالات شديدة الندرة، فكان علي أن أعود إلى فطانها، وبعضه كانت الذاكرة تسعف به، وبعضه كان يعتاص، ولذلك نسبت أكثره، وبقي أقله، ولعله يعرف فيما بعد.

أما النوادر أو النثر عموماً فقد حاولنا أن نردها إلى فطانها الأقدم كما قلنا، وكان التوفيق حليفنا في شيء كثير، وأشرنا إلى مواطن الاتفاق أو الاختلاف ما وجد.

وبعض هذه النوادر له مشابه في الأدب الإسباني، وانتقلت إليه من الأدب العربي، ومسالكه إليه في طي الفروض والاحتمالات، وبعضها واضح اليقين، وأشرنا إلى كثير من ذلك في الهوامش، لكنا سنزيد البحث فيه في هذه الكلمة فيما بعد.

وللأمثال العامية في الأندلس كلام يصعب أن نوفيه الآن، لأننا نتصور أن دراسة لغوية تدرس الأصوات والدلالة في هذه الأمثال، حقيقة أن تقفنا على لغة أهل الأندلس في تلك الفترة من تاريخ الإسلام الأندلسي، كما تحتاج إلى دراسة اجتماعية ربما يقوم بها أهل الاختصاص، وهي عسيّة أن توضح صورة هذا المجتمع ـ من أمثاله ـ وهو يصارع الموت والدمار، أو ينفخ في الذبالة الأخيرة من ناره آنذاك، وكانت نسخة فاس الحجرية شديدة الإخلال بهذه الحديقة فاعتمدنا على النسختين الأخريين، وراجعناها على نسخة لندن ـ في الإسبانية وفيها نقص ـ والتي نشرها دون إميلو غرسيه غومث وعلى نسخة نشرها في كتاب تكريم طه حسين،

المرحوم الدكتور عبد العزيز الأهواني خاصة وأنه رجع فيها إلى مخطوطات القاهرة وباريس والأسكوريال ومدريد والمتحف البريطاني، وقدم لها بدراسة جيدة مقارناً بين أمثالها وأمثال الماركيز دي سانتيانا، وألمح إلى أمثال أخرى سابقة، لذا نحيل عليها القارىء، إلا أن الدكتور الأهواني لم يخرج الشعر الفصيح فيها واكتفى بفروق النسخ التي عاد إليها، وهو جهد مشكور بكل المقاييس.

والدكتور الأهواني ـ رحمة الله عليه ـ حجة في عامية أهل الأندلس، ومجادلاته في أزجال ابن قزمان مع دون إميليو لها صفحات في مجلة الأندلس ومجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد.

وعنوان الكتاب «حدائق الأزاهر» بصيغة الجمع، وليس بصيغة الإفراد كما جاء في بعض الروايات «حديقة الأزاهر»[1] كما جاء أيضاً «حدائق الأزهار»[2]، مع «أو» التي للشك، ولا داعي له، لموافقة السجعة «النوادر» التي جاءت في ساقة العنوان، وقد اعتمدنا صيغة «الجمع» في المضاف «حدائق» لورودها في أكثر من مخطوطة، وعليها المعول.

والعنوان تقليد مساوق «للنوريات» الشعرية والنثرية في المشرق والأندلس، ولعل كتاب «الزهرة» لأبي داود الظاهري والحدائق لأبي فرج الجياني ـ ولم تصل إلينا غير فصول منه ـ، وكتاب «الروض المعطار» «والبديع في وصف الربيع» للحميري[3] وكتاب «ريحانة الكتاب، وروضة التعريف» لابن الخطيب[4] ثم جاء من بعده المقري في كتابيه «أزهار الرياض» و «نفح الطيب»، وغيره مما يعسر استقصاؤه، ثم جاءت الحدائق حاوية مادة الكتاب، وهي تعني «الفصول» أو «الأبواب»، حاشا المقدمة التي أبان فيها ـ منهجياً ـ عن خطته في رسم الكتاب، وجمع شتاته وإن كان العنوان ذاته يشي بمادة الكتاب «في مستحسن الأجوبة والمضحكات، والحكم والأمثال، والحكايات والنوادر»، وهي لا تخرج عن هذا

---

(١) انظر: تاريخ الفكر الأندلسي، أ.ج. بالنثيا، وترجمة الدكتور حسين مؤنس ص ٤٣٠.

(٢) انظر: تأثيرات عربية في حكايات إسبانية. ف. دي لاجرانخا، وبترجمتنا صفحات متعددة.

(٣) انظر: مع شعراء الأندلس والمتنبي ـ غ. غومث، ترجمة د. الطاهر مكي ص ١٥٤ وغيرها.

(٤) انظر: المرجع السابق ـ في أماكن متفرقة.

الإطار، أو عما يمكن تسميته بالأدب بالمعنى العام «الأخذ من كل شيء بطرف» أي شيء من المنظوم والمنثور، مع ما يشحذ رغبة القارىء في مواصلة القراءة وتلك خطة قديمة كان فارسها رجل مثل أبي عثمان الجاحظ وغيره من كبار كتاب العربية.

والحدائق لا تسير على نسق واحد طولاً وقصراً، بل إن بعضها يحتوي على أبواب أو فصول، ولعل القدماء عندنا كانوا «يرمزون» بهذه المادة المقدمة إلى الملوك والأمراء إلى الوسيلة المثلى للسلوك الإنساني، أو الآداب العملية، إلى جانب «الآداب» الفنية أو من خلالها، وما كان في ذرعهم أن يجابهوا الملوك والأمراء بما يريدون البث به إلا من خلال مادة كهذه، مبثوثة في رقائق المواعظ أو حكمة آبدة، أو نادرة لطيفة، أو نكتة مستحسنة أو حتى مستقبحة، وما كان الذوق العربي - وكان سليماً - يستهجن هذا الاستقباح، لأنه يراه الصورة المتممة لصورة الحياة من كل جوانبها، كما نحاول - مراءاةً وتصنعاً - هذه الأيام استهجان هذا الجانب، ونرتكب أفظع منه أعمالاً لا مجرد أقوال، وفي الحديث الشريف، وكلام الأئمة الكبار، والمؤلفات العربية «المحترمة» شيء كثير من هذا الذي تأنف من إساغته، ويطالب البعض بتنقية كتب التراث منه، وهي جريمة بشعة أن نقدم على هذا الصنيع الذي يهدر ثقافة أمة، وصورتها الاجتماعية في عيون الأجيال التالية، ثم إن هذه المسائل لا تفسد إلا أخلاق الفاسدين أصلاً، ولن تزيد الفاسدين واحداً.

وليس من اللازم أن أورد عناوين الحدائق والفصول التي تحتويها، لأنها في فهرس خاص آخر الكتاب، ثم إنها مذكورة في مقدمة المؤلف، وذكرها هنا تزيد لا معنى له.

بيد أن الحديقة الخامسة جاء عنوانها كما يلي: «في أمثال العامة وحكمها» والحديقة التي قبلها في «الوصايا والحكم»، وواضح أن الحكم الأولى في الرابعة حكم فصيحة تواترت على الألسنة، أما الثانية فضميرها «حكمها» يعود على «العامة»، وقد توقفنا عند العطف بين الأمثال والحكم العامية، وارتأينا أن المؤلف لم يأت بها عفواً، بل إنه ربما يريد أن يفرق بين المثل وبين الحكمة، ولعل الفرق الذي نحسبه هو أن المثل له مضرب ومورد، والحكمة لا تحظى بهذا، على الأقل في بداية النطق بالمثل، وربما شاع المثل فصار حكمة، وتنوسي مورده ومضربه،

وأغلب الأمثال ـ فيما نرى ـ فصيحة وعامية تعبيراتها «مصورة»، وكأنهـا تحتقب قصة أوحت بها حين نشأت.

أما الحديقة الثانية والثالثة وفيهما أبـواب تحوي أخبـار المغفلين، والمجان، والمجنونين وما هو من طرازها فما نظن ذلك إلا من قبيـل «الإحماض» الـذي عرف عن أهل الفقه والدراسات الإسلامية في العصر القديم، وكانوا صادقين مع أنفسهم، ففيهم هـذا الجانب المـرح العـابث في بعض الأحيـان، دون أن يصـابـوا «بعقـدة» الـ زمت والتحنث الكاذب في معـظمه ـ كمـا هو الحـال الآن ـ والقارىء يـرى ذلك كله ـ ليس في هذا الكتاب وحـده ـ بل في أغلب الكتـابات العـربية القـديمة، حين كانت السلائق العربية الإسلامية غير مشوهة، وتتمتع بحظ وافر من السلامـة النفسية والعقلية، ولم تكن حياتهم كلها لهواً محصناً، بل كانت تجمع بين كل مظاهر الحياة الطبيعية، ولعل ابن عبد ربه والفقيه العظيم ابن حزم القرطبي وأبا بكر البرزعي، وأبا البقاء الرندي وغيرهم من المشـارقة والمغـاربة كـانوا مصـدراً من مصادر فقيهنـا ابن عاصم.

ولعـل المؤلف أيضاً ـ مثله مثـل سابقيـه ـ يشعر في نهـاية كتـابه بـأن عليه أن يستغفر الله، مما يكون قد ند عن قلمه، فـأفرد البـاب الثالث من الحـديقة السـادسة لحكـايات الأوليـاء والعباد، والصلحـاء والزهـاد، وقال: «عسى الله أن ينفـع بهـذا الباب وأهله، ويجعله كفارة للأبواب المتقدمة من قبله»، وقد صنع ابن حزم الصنيع ذاته، في طوق الحمامة، ويبـدو أن ذلك تقليـد قديم أنـدلسي، حيث كان الشعـراء ـ أنفسهم ـ حتى المعـروفون بخلع العـذار أحيانـاً ـ يكتبون مـا سمـوه «ممحصـات» وجاءت على وزن قصائد قديمة لهم، كفضارة لتلك السابقة إذا كـانت تحوي مجـوناً أو لهواً يتحرجـون منه في أخـريات حيـاتهم، وجاء الـوشاحـون فصنعوا الصيـغ ذاته وسموا عملهم «مكفرات» على طـريقة مـوشحاتهم القـديمة وزنـاً وقوافي، ومـراجعة للعقد الفريد، وأزهار الرياض، ونفح الطيب تدعم ما نقوله.

ومادة الكتاب مشرقية

وهذا أمر مستغرب من مؤلف غرناطي في آخر عهد الإسلام بالأندلس.

غيـر أن الاستغراب يـزول إذا علمنا أن ثمـة سابقين عليـه في تلك الطريقـة،

ولعل ابن عبد ربه أبرز ممثل لهؤلاء في كتابه «العقد» والذي حمل إلى الصاحب بن عباد فقال قولته الزائفة «بضاعتنا ردت إلينا»، وهي قولة حق في جوهرها، وإن حمل «العقد» شيئاً من أخبار الأندلس، إلا أنه بالقياس إلى المشرق تعد قليلة، وكذلك الأمر في «الحدائق».

وفي تصورنا أن ثمة طريقتين في الأندلس للتأليف الأدبي طريقة تقتصر على الأندلس ورجاله وتاريخه وشعره وأدبه عامة، وكأنها تريد أن تقول إن لنا لحظاً لا يقل عن المشارقة ومن أبرز مصادر هذا الضرب «المغرب في حلى المغرب» لابن سعيد، وإن كان قد أتمه في المشرق، وله كتاب آخر غن المشرق، وكتاب «المقتبس» لابن حيان و «الإحاطة في أخبار غرناطة» لابن الخطيب وكتبه الأخرى، وطريقة ثانية تكتب عن المشرق ورجاله وتاريخه، وكأنها تريد أن تقول أيضاً: إن هنا معرفة بالجذور القديمة وإن شط المزار وليس حظنا من معرفتكم بأقل من حظكم بمعرفة أنفسكم، وهذا الضرب طبيعي، لأن البلدان النائية من جسم العالم العربي الإسلامي تميل إلى الاتصال بهذا الأصل البعيد، أو بذلك القلب، وليس من الغريب أن نجد في الأندلس مدرسة نحوية وتمسكاً بمذهب إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه، وحين أراد ابن حزم أن يبعد عنه تمسك «بالظاهر»، ومثل هذا الضرب ابن عبد ربه كما قلنا آنفاً ويمثله معنا ابن عاصم.

ويضاف إلى ابن عاصم سبب آخر لا يتمثل عند لاحقه ابن عبد ربه؛ لأن صاحبنا ألف كتابه ورياح الخطر تحدق بآخر حصن إسلامي في الأندلس، وعلى الغرناطيين أن يتمسكوا ـ ما أتيح لهم ذلك ـ بكل ما يربطهم بالقلب الإسلامي في المشرق وإن كان هذا التمسك لم يجد إلا يسيراً حتى أفلت شمسهم فضلاً عن أن مملكة غرناطة مرت بمراحل متعددة، كانت في بعضها تقترب من القشتاليين حتى في لباسهم وحروبهم وآلاتها، وأحياناً تقترب من المغاربة المسلمين، فتتخذ اللباس العربي، وآلات الحرب العربية أيضاً، وكان الغالب عليهم في أول مملكة بني نصر المتزيي بزي القشتاليين، وليس الزي وحده هو الشارة، بل إن شارتهم هي الخضوع التام لملك قشتالة، «ولقد أظهر Prieto Vives في دراسة ألقاها في مجمع التاريخ الملكي، إن المملكة النصرية جاءت إلى الوجود كإقطاعة أو محمية تابعة

لسان فرناندو ملك قشتالة، ويؤكد أن ملوك بني نصير المتبرجزين لم يكن لهم من مظاهر المسلمين إلا ما هو ضروري لكي يتسامح معهم رعاياهم»، ويتابع دون إميليو غريثه غومث فيقول: «كثير من الوثائق التاريخية المتصلة بالملك العالم الفونسو العاشر تحمل توقيع «دون أبو عبد الله بن نصر ملك غرناطة الخاضع للملك. . »[١]

ولعل ذلك القول له سند من مؤرخ عربي أندلسي هو ابن سعيد الذي يتحدث عن زي أهل الأندلس، وأن أغلبهم يترك العمائم، ويظهر حاسر الرأس، حتى القضاة والفقهاء فيقول في شهادة عيان: «ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسيه، حضرة السلطان في ذلك الألوان، وإليه الإشارة، وقد خطب له بالملك في تلك الجهة وهو حاسر الرأس، وشيبه قد غلب على سواد شعره، وأما الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمة في شرق منها أو غرب، وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأيته في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده، وكثيراً ما يتزيى سلاطينهم وأجنادهم بزي النصارى المجاورين لهم»[٢].

ويؤكد ابن الخطيب ما قاله ابن سعيد فيقول: «وزيهم في القديم ـ أي في بدء المملكة النصرية ـ شبه زي أقتالهم وأضدادهم من جيرانهم الفرنج»[٣].

أما في الفترة الأخيرة من تاريخ المملكة النصرية فتبدو غرناطة أمام أعيننا مشرقية على نحو لم تكنه يوماً، ولم يعد اسم الملك النصري يرد في الوثائق المسيحية بالصورة التي كان يرد عليها من قبل «دون أبو عبد الله بن نصر ملك غرناطة وتابع الملك» فقد أصبح يدعى ـ طبقاً للتقاليد الإسلامية «مولاي بو عبد الله، إن إفريقية المرينية كانت تؤثر بقوة في الأندلس الإسلامي، وتفرض عليه عاداتها وحتى نظمها، وطبقاً لابن الخطيب، كان الجنود يروحون ويغدون في ملابس وأسلحة غير التي كان الجند فيها عند بدء الدولة النصرية»[٤].

---

(١) انظر مع شعراء الأندلس والمتنبي ـ ترجمة د. الطاهر مكي ص ٢٢٤

(٢ ـ ٣) المرجع السابق ٢٢٥ ـ ٢٢٧. وانظر المصدرين اللذين أخذ منهما المؤلف هذه النصوص.

(٤) المرجع السابق ٢٢٧، ٢٢٨

وفي تلك المرحلة الثانية لم يتوقف الأمر عند الزي وشارة الملك، بل كان هذا ذاته صدى أو تعبيراً عن الزي العقلي والشعوري في تلك الأمة، ولم يكن أمامها إلا الاتجاه إلى الثقافة المشرقية (الأم)، والباعث هنا مختلف تماماً عن الباعث الذي كان وراء مشرقية كتاب كالعقد الفريد لابن عبد ربه، كان هنالك دالة بثقافة تتعدى حدود الأندلس، والآن انصدعت هذه الدالة لتبدل الأحوال التي ستئول إلى الموت، وكأن ابن خلدون ـ والذي وصفه أورتيجا إي جاسيت، Ortega Y Gasset بقوله: إن زهور عصر النهضة القادم دفعت بربيعها قبل أوانه في نخاع هذا البدوي الممتاز»[١]، كان يعني ذلك التحول بقوله: «وإذا تبدلت الأحوال جملة، فكأنما تبدل الخلق من أصله، وتحول العالم بأسره، وكأنه خلق جديد، ونشأة مستأنفة، وعالم محدث»[٢]

وآنذاك ألف ابن عاصم كتابه هذا، وكأنه كان يعتصر الليمونة على نحو أقوى لانتزاع آخر قطرة فيها، وأطعمها مذاقاً ـ كما يقول غرثيه غومث ـ في أسلوبه المصور، وفي ترجمة رائعة قدمها أستادنا الطاهر مكي ـ، وليس في الحدائق روعة ابن الخطيب ولا اتساع ثقافته، ولا شاعريته، ولا نثره المعقد، الرداح بالزينة، بل جاءت الحدائق صدى لثقافة مشرقية أو نقلاً لها، مع شيء يسير من التصرف في المواد الأولية.

وفي الكتاب مادة أندلسية!

وهي فقيرة، ما كان غرض المؤلف أن يحوي كتابه مادة مشرقية أولاً وأخيراً، تتراوح بين نوادر مع المعتمد ابن عباد، ووزيره ابن عمار، ونوادر النحوي الشلوبيني المستحمقة، والتي كأنها تؤكد الصورة التي رسمها ابن شهيد في روعة عظيمة في رسالته عن التوابع والزوابع، والتي صور فيها النحويين صوراً هزلية لكنها تخلو من السخرية المرة والحرد، بل تبعث على الابتسام فحسب، وكذلك نوادر اعتماد الرميكية، وبعض شعر ابن سهل اليهودي، ويتخلل ذلك كله نوادر حدثت مع المؤلف نفسه، «شاهد عيان»، ومن ذلك نادرة خاله ابن جزي، ويتحدث عنه الأستاذ محمد عبد الله عنان فيقول: الكاتب الشاعر ولد بغرناطة سنة ٧٢١، وانتظم

(١ ـ ٢) المرجع السابق ٢٣٢.

منذ فتوته بين كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف، وحظي لديه، ومدحه بطائفة من القصائد الرنانة، ثم غضب عليه ونكبه فغادر الأندلس إلى العدوة، ودخل في خدمة السلطان أبي عنان المريني ومدحه. وكان بارعاً في النثر والنظم، ذكره ابن الأحمر في نثير الجمال، وأشار بمقدرته، ووصفه بأنه أعظم شاعر في عصره، وكانت وفاته بمراكش ٧٥٧ ـ ١٣٥٦، وهو الذي أنشأ رحلة ابن بطوطة من مذكرات صاحبها حسبما ينوه بذلك في خاتمة الكتاب»(١).

والمادة الأندلسية الحقيقية هي الحديقة الخامسة في أمثال العامة وحكمها بالأندلس، وفيها يتقبل ابن عاصم خطى سلفه ابن عبد ربه في العقد الذي أفرد باباً خاصاً لها في موسوعته الضخمة هو الجوهرة في الأمثال، ووشح الأمثال ببعض الشعر كما صنع ابن عاصم أيضاً من بعده، ورتب ابن عبد ربه أمثاله حسب الموضوعات لا على حسب حروف الهجاء كما فعل ابن عاصم وجمع صاحب العقد إلى الأمثال العربية القديمة الأمثال العامية لكنه عربها وجعلها فصيحة، وكأنه كان يقصد بالعامة، ما هو شديد الذيوع منها على ألسنة الناس، وشبيه بهذا ما نسمعه من أفواه العامة الآن حين يستشهدون بحكمة للمتنبي أو قول مأثور يلحنون فيه بعض الشيء لكنه أقرب إلى النطق الفصيح، يقول ابن عبد ربه: «وضممنا إلى أمثلة العرب القديمة ما جرى على ألسنة العامة من الأمثال المستعملة»(٢) والأمثال المستعملة هنا كأنه يقصد ما جرت به أمثال ألسنة العامة دون أن يكونوا أصحابها كما أشرنا آنفاً.

أما ابن عاصم فبدأ الطريق الذي بدأه ابن عبد ربه ولكنه افترق عنه، إذ اقتصر على أمثال العامة في الأندلس، ورتب أمثاله أبجدياً، على طريقة الأندلسيين، وترتيبها كالتالي: أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز ط ظ ك ل م ن ص ض ع غ ف ق س ش هـ و لا ي. فضلاً عن الخط الأندلسي الذي يفترق عن المشرقي في الفاء والقاف فالأول يميز بنقطة أسفل الحرف، والثاني بنقطة واحدة فوقه ومجموعة هي

(١) نهاية الأندلس ص ٤٧٠، وانظر نفح الطيب وأزهار الرياض جـ٣ ص ٢٨٤، جـ٢ ص ١٨٩

(٢) العقد جـ ٣ ص ٨١.

أكبر مجموعة لدينا أو وصلت إلينا ـ على الأقل ـ من أمثال العامة في الأندلس، وكأنه أراد ألا يخلو كتابه من أثر أندلسي، ولعله آخر أثر للأمثال العامية في الأندلس، ولكنه إلى جانب هذا جعل الشعر ـ وأغلبه مشرقي ـ بمثابة الشاهد على المثل العامي الأندلسي الذي أورده، وكأنه يريد أن يقول إن لهذه الأمثال القاصية أصلاً تحور إليه في المشرق، وأمثاله غير معربة ـ بطبيعة الحال ـ وما هو ببدع في ذلك فالأمثال العامية يستهجن فيها الإعراب كما يستهجن في الأزجال، حسبما هو وارد عن ابن قزمان، وحسبما أثار الجاحظ من قبل في أول «البخلاء» وأوردنا النص سابقاً.

ونعتقد ـ وإن لم يكن لدينا دليل واقعي حتى الآن ـ إن ابن عاصم كان يعرف طرقاً من اللغة القشتالية، نظراً للاختلاطات بين المجتمعين العربي والقشتالي، واضطرار الطائفتين أن تعرف كل منهما ـ إلى حد ما ـ لغة الأخرى، على الأقل في حدود التعامل اليومي، ولعل هذا يشبه ما نراه الآن في المجتمعات الخليجية التي تكثر فيها العمالة الوافدة من آسيا كالهند والباكستان والبنغال، وغيرهم فإن هذه المجتمعات اصطلحت على لغة التفاهم فيما بينها بالقدر الذي يسمح بجريان الحياة، «والاصطلاح» الذي أومأنا إليه جاء عفواً ـ بطبيعة الحال ـ لا أن الناس اجتمعوا واتفقوا على تلك اللغة المستخدمة في التخاطب، وكانت الحياة في غرناطة على شيء شبيه بهذا، وإن كانت الحال تختلف هنالك حيث الاختلاط حربي أكثر منه سلمياً، وإن كان لم يتخلف هذا الاختلاط في الحالتين، وربما يؤيد ما ذهبنا إليه أن رجلاً في ثقافة ابن عاصم وفي عمله الرسمي ـ القضاء والوزارة ـ ما كان يجهل لغة عدوه أو جاره آنذاك، وإن ظهرت آثار هذه المعرفة في حدود شديدة التواضع في مؤلفاته، بل في حدود الندرة، ولعل الأمثال ـ ويشاركه في معرفتها غيره ـ وقليلاً من الكلمات القشتالية الواردة في غير الأمثال مما عرفناه ومما لم نعرفه ـ قراءة ـ تشي بشيء من ذلك الوقوف على القشتالية، وفي الطرف المقابل بالتأكيد كان كثيرون من الأقتال ـ حسب لفظ ابن الخطيب ـ يعرفون اللغة العربية لا تلفظاً فقط، بل كتابة أيضاً، لأنها لغة المجتمع الراقي والمتحضر ثقافياً، وإن كان أهله يرقصون رقصة الموت في ثياب ملطخة بالدماء على حد تعبير غريثه غومث.

ومصادر ابن عاصم في كتابه متعددة، لكننا نشير إلى أهمها بإيجاز:

بالطبع كان مصدره في الأمثال ابن عبد ربه، وابن هشام اللخمي، وأمثال ابن قزمان، وما تتلفظ به العامة طازجاً في الشارع والسوق على أيامه، إلى جانب المصادر الشرقية في الأمثال وإن لم تكن رئيسة بالنسبة له في هذا الباب، وهذا يفسر كثرة الأمثال لديه عن سابقيه لأنها تجاوزت ثمانمائة مثل.

أما مصادره في الحدائق الأخرى فيمكن أن تتركز في:

ـ العقد الفريد	لابن عبد ربه
ـ البيان والتبيين	للجاحظ
ـ البخلاء	للجاحظ
ـ الحيوان	للجاحظ
ـ أخبار الحمقى والمغفلين	لابن الجوزي
ـ الأمالي	لأبي علي القالي
ـ طبقات فحول الشعراء	لابن سلام
ـ الأغاني	للأصفهاني
ـ دواوين الشعراء	من أمثال بشار وأبي نواس، ودعبل والمتنبي وغيرهم.
ـ زهر الآداب	للحصري

إلى جانب كتب الحديث، وكتب أخرى مترجمة عن الفارسية والهندية، فثمة حكايات تنتسب إلى هاتين الأمتين، وكانت العرب واقفة على أخبارهما، ولعل القدح المعلي في هذه المصادر كلها كان للعقد الفريد لأنه كان ـ أي ابن عاصم ـ يأتم به في رواية الحكاية، رغم ورودها في مصادر أخرى، وكان يميل إلى الأخذ برواية ابن عبد ربه[١]، كما أن هناك طائفة وردت في كتب ما قبل الإسلام، وما كان ابن عاصم يرجع إليها بقدر ما يرجع إلى الكتب العربية الإسلامية التي أوردت هذه الأخبار عن الأمم السابقة.

---

(١) راجع ما كتبناه عن حكاية المرأة الحالمة وجرة العسل، أو قصة الناسك وجرة السمن الواردة في كليلة ودمنة والعقد الفريد، وكيف أن ابن عاصم اختار رواية العقد الموجزة.

وخطته في كتابه دقيقة إلا ما كان من تكرار لبعض النوادر المتشابهة في أبواب متعددة، وهذا أمر يسير، غير متواتر، لكن المتواتر لديه أنه واعٍ جيداً للنوادر والحكايات التي تتصل بسبب بعضها ببعض، فتأتي ـ مثلاً ـ أخبار المعلمين متعاقبة ـ إلا ما ندر ـ وكذلك أخبار عن الطفيليين والحمقى، والمجانين يعقب بعضها بعضاً، حتى الأخبار المتصلة بشخصيات تأتي متصلة أيضاً، وذلك يحور إلى ان المؤلف مدرك بخيوط منهجه تماماً، وإن كانت الخيوط تتشابك أحياناً، ونوادره في معظمها موجزة إلا ما كان من حكايات مطولة أورد لها باباً خاصاً، وهذا يحمد للمؤلف، حتى إنه في نقله لبعض الحكايات المطولة في مصادره التي عاد إليها، جعلها مختصرة تبعاً للباب الذي وردت فيه.

وللحدائق تأثير في الإسبانية.

أما هذا التأثير فلا يمكن عزوه إلى أن الكتاب قد ترجم إلى القشتالية، وأصاب ذلك الذيوع الذي يجعل تأثيره محدد المسالك، إذ لا نعرف له ترجمة إلى تلك اللغة، وربما تنكشف الأمور فيما بعد، فنرى ترجمة له ترجح هذا الاحتمال لكن نوادر كثيرة في هذا الكتاب لها مشابه في مصادر إسبانية قديمة وحديثة، وقد درس بعضها الأستاذ ف. لاجرانخا، وترجمنا أكثرها في كتابنا «تأثيرات عربية، في حكايات إسبانية»، وإن كان بعض هذه الحكايات انتقل إلى الإسبانية عن طريق مصادر أخرى سابقة لابن عاصم مثل كليلة ودمنة، والأغاني، والعقد، وسراج الملوك، والبتر المسبول وغيرها من المصادر شرقية وأندلسية، لكن بعضها وارد عند ابن عاصم وبطريقة تؤكد أنه كان مصدراً للمصدر الإسباني مباشرة، وإزاء غيبة الدليل الواقعي فليس أمامنا إلا أن يرجع هذا النقل إلى المصادر الشفوية التي تتمثل في انتشار الثقافة العربية في الأندلس عن طريق الاختلاط بين المجتمعين، وكان للموريسكيين القسط الأوفر في نقل تلك الثقافة شفوياً أو كتابياً إلى ذلك المجتمع الجديد الذي فرض عليهم، أو فرضوا عليه، وربما تجزىء بعض الأمثلة هنا، اكتفاء بما قدمناه في الهوامش من إشارات.

لعل أوضح الأمثلة هو تأثير الأمثال العامية في الحدائق على أمثال الماركيز دي سانتيانا ١٣٩٨ ـ ١٤٥٨، وهو معاصر في بعض فترات حياته لابن عاصم، وكان

الماركيز قائداً حربياً في المنطقة الحدودية بين الأندلس وقشتالة، كما كان مثقفاً، وكتب مجموعة أمثاله بناء على رغبة ملك قشتالة دون خوان كما كتب ابن عاصم كتابه ألى سلطان غرناطة في عصره، ونعتقد أن سانتيانا قرأ الحدائق أو الأمثال، أو قرئت له من عربي يعرف عامية أهل الأندلس أو من قشتالي يعرف تلك اللغة، ولا نتفق مع الدكتور الأهواني في التشكيك في أن ابن عاصم هو الذي أوحى إلى سانتيانا بجمع أمثاله[1]، بل نحن مطمئنون ـ دون إسراف في الشك ـ ان الماركيز تقبل ابن عاصم، وكان كتابه بين يديه حين جمع تلك الأمثال، حتى ولو لم يكن يعرف العربية، أو عامية أهل الأندلس، فإنه لن يعدم المسالك إلى تلك المعرفة، وقد أورد الدكتور الأهواني نماذج عددها واحد وعشرون مثلاً ليدلل على التشابه بين المجموعتين، واقتصر على ما اتفق لفظه ومعناه بينهما، تاركاً ما اختلف لفظه واتفق معناه، لمجرد التشابه في المجتمعين أو في المجتمعات الإنسانية عامة، لكن الاتفاق التوأمي بين هذه الأمثال الواردة في المجموعتين لفظاً ومعنى لا تفسير لها عندنا إلا النقل الحرفي، غير عابئين بتوارد الخواطر، أو اتفاق المجتمعات أو الاختلاط، بل نعبأ بشيء لا سبيل إلى الطعن فيه وهو النقل الحرفي، ومراجعة الواحد والعشرين مثلاً الواردة في المجموعتين والتي قارن بينها الدكتور الأهواني تؤكد ذلك ولا تجعلنا ننقل منها شيئاً هنا خشية الإطالة والتزيد، لكنها تنطق بنفسها أن أمثال ابن عاصم كانت بين يدي سانتيانا مخالفين بذلك الدكتور الأهواني، والمجاورة التي لم يرها دليلاً هي دليلنا، والوسيلة لهذه المعرفة حددناها آنفاً، ولا سبيل إلى دفعها، ولا تدفعنا إلى هذا الاعتقاد حماسة عربية بل رؤية ما ينبغي أن يرى، ولو كان الكاتب عربياً بدلاً من سانتيانا ووجدنا تشابهاً بينه وبين كاتب أوربي آخر، أي لو اختلفت جنسية الآخذ والمأخوذ منه، لمال بنا اللوم والإنحاء إلى جانب العربي، وتبرئة الأجنبي كما هو الحال في كثير من الدراسات العربية المقارنة هذه الأيام، وإن كان الدكتور الأهواني ـ عليه رحمة الله ـ بنجوة من هذا المزلق، وإن لم يحسم القضية حسماً واضحاً والإجهاز عليها لا يعوزه كبير عناء فيما نرى.

وفي كتاب Floresta Espanola لمؤلفه Melchor de Santa Cruz de Duenas

---

(١) راجع بحثه في كتاب تكريم طه حسين ص ٢٥٣

ويمكن ترجمته «الأيكة الإسبانية»، ومؤلفه كتبه في الثلث الأخير من القرن السادس عشر، وأثر هذا الكتاب في مؤلفات أخرى مناظرة ـ نستطيع العثور على طائفة من كتاب ابن عاصم وبالطبع من كتب عربية أخرى سابقة، وطريقته في التأليف هي طريقة ابن عاصم المعرفة في العربية، وكتاب الأيكة كله نوادر على طريقة النوادر العربية، ويحوي اثني عشر باباً كل باب يحوي جملة من الفصول. وإن كانت شخصيات النوادر تدور حول شخصيات قشتالية، وإن كان ثمة فصل يتحدث عن العرب المسلمين، وهو الفصل السادس من الباب الخامس «De Moros»، ويتناول الكتاب في مجمله طوائف من الناس تضم الكرادلة وطوائف رجال الدين على اختلاف فئاتهم، والقواد، والجنود، والأطباء والطلاب، والقضاة والكتاب، والحمقى، والمجانين، والعرجان، والعميان، والنسوان القباح، والأرامل، وغير ذلك من طوائف الناس ولعل هذه الطوائف نجدها تقريباً في حدائق الأزاهر، كما نص ابن عاصم في مقدمته فهو يتناول الولاة والأمراء والكتاب والشعراء، والأئمة والخطباء، والمؤذنين والفقهاء، والوعاظ والحكماء، والأعراب والغرباء، والمجان والظرفاء، والمجنونين والعقلاء، والطفيليين والبخلاء، وحذاق الجواري والنساء، وغير ذلك من طوائف الناس، ولا يقتصر الأمر على هذا التصنيف القريب من تصنيف الكتب العربية وخاصة الحدائق ـ ونرجح أن حكاياته كانت حديث الألسنة في المجتمع القشتالي أبان عصر المؤلف ـ بل تعداه إلى صلب النوادر نفسها، فضلاً عن أن عنوانه قريب من عنوان الحدائق والكتاب ـ كاملاً ـ يحتاج إلى ترجمة نقوم ببعضها الآن حتى يتيسر الانتهاء منه، ويقدم هو وغيره مثلاً حياً على الأثر العربي الأندلسي في التآليف القشتالية آنذاك.

ومنظر البيت الكئيب المظلم مشهد يتكرر في التصانيف العربية وكذلك في الإسبانية وخاصة في «حياة لاثاريو دي تورمس» وأول من أورده البيهقي في كتابه «المحاسن والمساوىء» حيث يقول: وقيل لابن رواح الطفيلي: كيف ابنك هذا؟ قال: ليس في الدنيا شيء مثله، رأيت نادبة خلف جنازة وهي تقول: واسيداه يذهب بك إلى بيت ليس فيه ماء ولا طعام، ولا فراش ولا وطاء ولا غطاء ولا سراج ولا ضياء، فقال: يا أبه، يذهبون به إلى بيتنا»[1].

(١) المحاسن والمساوىء ـ ط. أبو الفضل إبراهيم جـ ٢ ص ٤٤٠ القاهرة ١٩٦١

ثم ورد المشهد في الأغاني منسوباً ألى ابن دراج[١]، أما في الحدائق فقد ورد غير منسوب إلى أحد، وهو كذلك وارد في لاثاريو دي تورمس، بل إلى «سائل» في كليهما، ويرى لاجرانخا[٢] أن صيغة التجهيل هذه ترجح أن يكون ابن عاصم مصدراً مباشراً، لا المحاسن والمساوىء للبيهقي، ولا الأغاني، ولا المستطرف وهو تالٍ للحدائق.

وهذا المشهد في لاثاريو يقول: بينما أنا أصعد في الشارع مفكراً في كيفية استغلال هذا الريال على أحسن وجه وأنفعه شاكراً الله على ما وهب سيدي من مال، إذا بي أواجه فجأة بميت كان يحمله على محفة عند أسفل الشارع قسيسون وناس آخرون، فارتكنت إلى الجدار لأفسح لهم الطريق، وبعد مرور الجثمان وبالقرب منه جاءت امرأة، لا بد أنها كانت زوجته، وهي متشحة بثياب الحداد، وتصحبها نساء أخريات كثيرات، وكانت تبكي وتصرخ صرخات شديدة وتقول: زوجي، وسيدي، إلى أين يحملونك، إلى المنزل الكئيب البائس، إلى المنزل المظلم كالكهف، إلى المنزل الذي لا يؤكل فيه ولا يشرب» فلما سمعت هذه الكلمات، ظننت أن السماء أطبقت على الأرض، وقلت: أوه، يا لشقائي، إنهم يحملون هذا الميت إلى بيتنا، فتركت طريقي، وشققت لي طريقاً بين الحشد، وبأسرع ما أستطيع نزلت إلى حيث منزلنا وبعد أن دخلته أغلقت بابه بكل عجلة مستغيثاً بسيدي وفضله، ومعانقاً إياه لينجدني ويدافع عن المدخل، ويمنعه من دخول المنزل، فاضطرب واعتقد أن الأمر يتعلق بشيء آخر وقال لي: ماذا جرى يا غلام، لماذا تصيح؟ ما بك؟ ولماذا تغلق الباب بهذا العنف؟ فأجبته: أوه، يا سيدي، تعال هنا بسرعة، إنهم يحضرون ها هنا ميتاً، فقال: ميت كيف؟ فقلت: نعم، ميت، لقد التقيت به هناك في أعلى، وكانت زوجته تقول: زوجي وسيدي، إلى أين يحملونك، إلى المنزل الكئيب البائس إلى المنزل المظلم كالكهف، إلى المنزل الذي لا يؤكل فيه ولا يشرب، نعم يا سيدي إنهم قادمون إلى هنا»[٣].

---

(١) انظر الأغاني ـ جـ ١٥ ص ٣٦. وانظر دراسته في الأندلس ١٩٧١

(٢ ـ٣) حياة لاثاريو دي تورمس ـ ترجمة عبد الرحمن بدوي ـ ص ٨٥ وما بعدها ط. المعهد الإسباني العربي ـ مدريد.

والحكاية في الإسبانية أكثر ملحاً، وإن كان الفحوى واحدة وهي قريبة من حكاية ابن عاصم، ولا داعي لأن نقول إنها كانت هي ورصيفاتها من الأدب الشعبي الشفوي الشائع بين الناس آنئذ.

وحكاية أخرى لدى ثيرفانتس في مجموعة أقاصيصه القصيرة بعنوان «ربح الأصدقاء»، درسها الدكتور الطاهر مكي جيداً في كتابه «في الأدب المقارن - دراسات نظرية وتطبيقية»، وترجم حكاية ثيرفانتس، وأورد الأصل العربي مما قر في ذاكرته أيام الطلب، وكان بعيداً عن مصادر مكتبته حين كتب هذا الفصل، ولم يستطع أن يعثر على المصدر الذي استقى منه ثيرفانتس وقال: ولمن شاء بعد ذلك أن يراجع نصها فيما يتوهم من فطان الأدب العربي في العصر الوسيط»[١]

والحق أن روايته التي خزنتها ذاكرته قريبة من النص الإسباني الذي ترجمه، لكني - استجابة لرغبته - ارتأيت أن أصل حكاية ثيرفانتس موجود في الحدائق، وهي في الباب الأول «الحكايات المستطرفة والأخبار المستظرفة» من الحديقة السادسة، وتبدأ بقوله: وحكى الحسن بن خضر عن أبيه قال: لما أفضت الخلافة إلى بني العباس الخ». والمشاهد في الحكايتين واحدة، وإن اختلف المجير في كلتيهما ففي العربية رجل وفي الإسبانية امرأة، وثيرفانتس وصلت إليه بلا ريب ضمن حكايات عربية أخرى التقطها كما يقول الدكتور مكي من أفواه عامة الإسبان، أو التقطها من العرب إبان إقامته في الجزائر، وقد عاش فيها زمناً وكانت الجزائر واحدة من أولى الأقطار العربية التي اتخذها المطرودون من عرب الأندلس وجهة لهم[٢].

ومما يرشح أن ابن عاصم أصل لحكاية ثيرفانتس أن الحكاية التي قرت في ذاكرة الدكتور مكي تبدأ هكذا: يحكى أنه في إبان فتح الأندلس».

والحق أن عبارة «فتح الأندلس» هي الوليجة التي نطمئن إليها، لأن الحوادث التي تضمنتها حكاية ابن عاصم حدثت حين أفضت الخلافة إلى بني العباس،

---

(١) انظر: في الأدب المقارن - د. الطاهر مكي ص ٣١٩.

(٢) المرجع السابق - ٣١٨.

وذلك التاريخ هرب فيه عبد الرحمن الداخل الأموي، و «فتح الأندلس» من جديد مرة أخرى، وبدأ معه عصر جديد، وكان المختفي في الحكاية الغرناطية.إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك.

ونقف الآن لدى حكاية موجودة عند الكاتب الشاعر الأرجنتيني خورخي لويس بورخس ت ١٩٨٦، في كتابه «ألف ليلة وليلة» وقد نشرت في المغرب مترجمة إلى العربية في كتاب بعنوان «المرايا والمتاهات» وأعاد نشرها الأستاذ جمال الغيطاني في جريدة الأخبار في الملحق الأدبي تحت عنوان «حلم النائم بين التنوخي وبورخس»، وأورد الحكايتين بتاريخ ١٠/٨/١٩٨٨، وهي بالفعل منقولة من المصدر العربي، وعلقنا على ذلك في حينه بأن بورخس أخذ الحكاية كأنها ترجمة مغفلاً الأصل الذي أخذ منه، وقد صنع ذلك مراراً، مع أنه لا يحب العرب ولا جنسهم، ويعتصب عليهم، وارتأى البعض الآخر أن هذا من شأن «تلاقح الثقافات» إلى غير ذلك من «الكلمات الكبرى» التي لا نفهم معناها!.

وحكاية بورخس يمكن أن يكون مصدرها ابن عاصم أيضاً، مما نقل سماعاً أو دون في كتب الأدب الإسباني في العصور الوسطى، وراقت لبورخس فضمها إلى كتابه حين سمعها أو قرأها، أو أنه قرأها في كتاب «الفرج بعد الشدة» للتنوخي المتوفى في القرن الرابع الهجري، مترجمة إلى إحدى اللغات الأجنبية، وإن كنا نرجح أن ابن عاصم ربما يكون أقرب من ذلك المصدر المشرقي - ولا نعرف له ترجمة أوربية ويتفق التنوخي وابن عاصم في رواية الحكاية، مما يدل أن ابن عاصم آخذ من سلفه حاشا توشيات يسيرة لدى المتأخر، أما بورخس فقد «قلب الوضع» كما يقولون، فبدلاً من أن يذهب الحالم إلى مصر ذهب إلى أصبهان، والخاتمة واحدة في الحكايات الثلاث[1]

وتتبع الأثر في الأدب الإسباني في تلك المقدمة يخرجها عن إطارها، ويقتضي ذلك بسط كلام ربما نعود إليه في كتاب خاص، وبين يدينا مواد كثيرة من ابن عاصم وغيره في الآداب الإسبانية، ونقصد بها إسبانيا وأمريكا اللاتينية وكلها تثبت فضلاً يحاول أصحاب «تلاقح الثقافات» نفيه عنا، ولو كان الأخذ عربياً

(١) راجع الحكاية في الباب الأول من الحديقة السادسة في الحدائق.

لاشتجرت الأقلام والأسنة تجرده من كل أصالة، ولعلنا نذكر معركة «حمار الحكيم» وتأثره أو أخذه من الشاعر الإسباني خوان رامون خمينيث كتابه «أنا وحماري» ولم يكن الحكيم قد أخذ شيئاً من هذا الكتاب، وهي شنشنة معروفة، يستخذي أصحابها أمام كل ما هو أوربي حتى ولو كان وشم السرقة والأخذ على يده، ولا يحتاج إلا إلى عينين تبصران!!

ولم يقف تأثير هذا الكتاب ـ بنمطه هذا ـ في التصنيف العربي من بعده، بل امتد إلى مؤلفات كثيرة تحذو حذوه، وربما حتى العصر الحديث، حاشا ما يتصل بالأمثال العامية الأندلسية، وإن كان بعض المؤلفين ألف في أمثال العامة ببلده مثل أحمد تيمور باشا في الأمثال العامية المصرية، كما صنع أمثاله في بلاد أخرى.

وهذا يدل على أن الأخذ من كل شيء بطرف كان متداولاً بين المؤلفين، حتى انصرف الناس عنه تأليفاً، وإن لم ينصرفوا عنه سماعاً حكايات تروى، سواء أكانت تأليفاً، أو رواية عن حفظ.

غير أن العصر الحديث ـ للأسف الشديد ـ أغفل نوادره ـ في عصر المطبعة ـ فاقتصر على ترديدها سماعاً دون أن يعنى بالتدوين، ولو جمعت نوادر الظرفاء من عصرنا لكان لنا أدب يناظر أبرع الفصول في العقد، والإمتاع والمؤانسة، وعيون الأخبار، والكشكول، والمستطرق وغير ذلك مما هو من نظائرها، والذي يتذكر نوادر البابلي، وإمام العبد، والبشري، وحافظ، والعقاد، والمازني، وطاهر أبو فاشا، وأحمد مخيمر، ومحمود غنيم والعوضي الوكيل ليأس كل الأسى أن كل ما قالوه ـ شعراً ونثراً ـ لم يدون، ربما كان بعضه يخدش الذوق المعاصر ـ وهو يتحذلق بلا مسوغ في هذا الحرج ـ لأن هذا كله لا يشكل ما يحتويه شريط واحد من شرائط الصور المتحركة الهازلة، فضلاً عن أن هذا الأدب يجيء مصوراً بارع التصوير، وخاصة ما يتصل منه بالأهاجي المتبادلة بين بعض هؤلاء، إذ لا يقل عن تصوير ابن الرومي وتشخيصه، وبراعة النادرة، وسرعة البديهة التي عرف بها هذا النمط من الرجال، فأي ثروة خسرناها بسبب التنطس الذي لا معنى له حين لم ندون هذه النوادر عن هؤلاء الظرفاء، إنه عصر ظالم بكل المقاييس، وويل لمن يأتي بعدنا

حين لا يعرف كل ما كان يدور بيننا ليقف على صورة صادقة لهذا العصر الذي ننتسب إليه!!

وكانت مفاجأة أن ينشر هذا الكتاب في بيروت بتحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، في سنة ١٩٨٧، ووقعت لي منه نسخة في صيف ١٩٨٨ لكنها لم تعقد لي عن متابعة تحقيقه وإخراجه، إذ أنني نشرت خبراً مفصلاً في مجلة «أخبار التراث» التي تصدر عن الكويت سنة ١٩٨٥ تقريباً - وفيما أذكر - عن إخراجي لهذا الكتاب قبل أن أعرف أن الدكتور عفيف بصدد إخراجه، فضلاً عن أنني أعتقد أن الكتاب الواحد يمكن أن يخرجه أكثر من واحد، خاصة وأن المحقق الفاضل لم يرجع إلا إلى مخطوطة واحدة هي مخطوطة الخزانة العامة، ثم النسخة الحجرية، أما نحن فقد رجعنا إلى نسخة الأسكوريال، ونسخة دار الكتب المصرية، إضافة إلى النسخة الحجرية، وليس من غرض هذه الكلمة أن تقارن بين عملنا وعمل الدكتور عفيف، إلا أن من الواجب أن نقول إن عمله اتسم بالعجلة، فضلاً عن أن معرفته بالأدب الأندلسي متواضعة، ودعك من معرفته بالإسبانية فلا صلة له بها، وهذان الأمران ضروريان لأي عمل يتعلق بالأندلس شعراً أو نثراً، تاريخاً، وفكراً، وهما عون لمن يتصدى لهذا الحقل، ليرد الأشياء إلى أصولها، وليقدم دليلاً للتأثير والتأثر حين يكون من الضروري معرفة ذلك، وهذا ما قمنا به دون تواضع كاذب.

كما اتسم التحقيق بعدم تخريج الشعر والأحاديث النبوية، ولم يحاول أن يرجع النوادر إلى مصادرها وهذا ما قمنا به أيضاً، وقد سوغ المحقق الفاضل عدم عمله هذا بخشيته من تضخم الكتاب.

وليس من غرض هذه الكلمة أيضاً أن تقارن بين العملين، ولا أن تقف عند طائفة من الملاحظات التي يمكن أن نلاحظها على المحقق، ولكننا سنقف على شيء طريف يدركه القارىء لأول وهلة، وهو أن الهوامش التي طرز بها المحقق الكتاب فيها كثير من المفارقات حتى ما هو بعيد عن الأندلس وتاريخه.

- جاء في ص ٥٦ ط د. عفيف، يعرف بالجماز: يقول: هو جماز بن هبة بن منصور الحسيني، ولي المدينة في عهد السلطان برقوق (ت ٨١٢ - ١٤٠٩).

ـ وجاء في ص ٩٤، خبر في متن الكتاب عن الجماز أيضاً ـ وفيه مجون في الخبرين ـ يتعلق بمحمد بن يزيد المهلبي ـ ويعلق المحقق معرفاً بالمهلبي ـ توفي ١٩٦ هـ ـ ٨١١ م وبعده مباشرة خبر للجماز مع الفتح بن خاقان وعرف به المحقق أنه توفي ٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م).

فأي التاريخين نصدق؟ جماز السلطان برقوق، أم جماز المهلبي والفتح بن خاقان.

ـ كثير من العبارات في متن الكتاب تحتاج إلى مراجعة لأن السياق يأباها. ففي ص ١٥٠ جاء من يوم فارقتكم ما رأيت ضراً، والصواب «خيراً» وفي الصفحة نفسها «وهو يعرج فمه» وصوابها «وهو يعوج»، وفي ص ١٨٧ «هذرة قومه» وصوابها «مدره قومه»، أما الشعر ففيه خلل عروضي كثير ويكفي مراجعة يسيرة ليرى القارىء ما نؤمه، يقول في ص ١٩٠

خل على أخوا الأحزان إذ ظعنا من بطن مكة بالتسهيد والحزنا

والبيت من البسيط، وهو كذا مكسور، وينكسر النحو معه أيضاً وصوابه:

خلّى عليّ أخو الأحزان إذ ظعنا من بطن مكة التسهيد والحزنا

بتحقيق همزة التسهيد، أو بصرف «مكة» منونة، وضم التسهيد إليها، وبذا يصح أن يعطف عليها الحزن المنصوب.

وفي ص ١٩٢ «هذه أُمْنَك من عمرو بن معدي كرب» ولا وجه لها وصوابها «أفتك» من عمرو.

وفي ص ١٩٩ جاء هذا البيت:

فلا تعين يوماً محياً مبرقعاً فربما أشجاك ما أنت عائب

وهو مكسور هكذا، صحته «فربتما»، أو «ربمتا»، وحتى فهارس الشعر خلط بين القوافي في بعض المواطن.

وجاء ذكر علي بن بسام النحوي المشرقي، فخلط بينه في التعريف وبين ابن بسام الشنتريني، وجعل المشرقي أندلسياً راجع ص ٢١٦

كما جعل شريح القاضي أندلسياً أيضاً لتشابه الأسماء، والمقصود المشرقي راجع ص ٢١٤

والتقصي غير وارد وغير مطلوب وبين يدي ملاحظات تناهز المئتين، لأن الطبعتين مختلفتان، فضلاً عن هذه المقدمة التي تلمسنا فيها بعض الأشياء المتعلقة بالأندلس وإسبانيا عموماً،والتأثير والتأثر، وضبط الكلمات الأندلسية الواردة في متن الكتاب لأنها وردت خطأً في التحقيق الأول.

والفضل في أن أخرج هذا الكتاب بعد أن خرج من قبل يعود إلى أستاذنا الطاهر مكي ـ أجزل الله مثوبته ـ فهو الذي أشار علي بكثير مما قمت به في التحقيق من ضبط الشعر وتخريجه والأحاديث، والتعليقات التي كثرت في كل حديقة على حدة حتى بلغت في جملة الكتاب فوق الألف هامش.

وليس فضل الأستاذ الجليل بقاصر فقط على عملي هذا، بل هو وراء كثير من أعمالي الفنية والعلمية، بسعة أفقه، ووده المنخول لأصدقائه وتلاميذه، ويسره أن يعمل الناس، ويحتفي بعملنا كاحتفائه بشيء عزيز لديه كأنه عمله هو، فإذا أزجيت له الشكر خالصاً هنا، فهو شكر يمتد إلى أعمالي كلها، جزاه عني الله بأفضل ما يجزي به الصادقين المخلصين.

ومن هنا أكملت تحقيق الكتاب، وكان منسوخاً قبل أن يخرج تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن، فراجعت المخطوطات موازناً بينها، وصنعت ما بوسعي أن أصنعه ليخرج النص دقيقاً، وقريباً مما توخاه مؤلفه.

أما المؤلف فتبقى له كلمة موجزة أيضاً.

وقد أجمع الناس على خطر مكانته علماً ورياسة وأدباً وبيتاً، فخاله ابن جزي كما قلنا آنفاً، وكان من المعدودين، ولكن إجماع الناس هذا لم يجعل المادة التي بين أيدينا وافرة عنه، خاصة وأنه ولي قضاء الجماعة بغرناطة وكان وزيراً، ومن شأن هذين المنصبين أن يجعلا ترجمته وافية في المصادر الأندلسية أو المشرقية، لكن يبدو أن مصادر ضاعت، وفيها ترجمة وافية له، كما ضاعت بعض كتبه، ولم يبق منها إلا اثنان.

ولد أبو بكر محمد بن عاصم القيسي الغرناطي في غرناطة ٧٦٠ ـ ١٣٥٨ وتوفي ٨٢٩ ـ ١٤٢٦، وبرع في النحو والمنطق والبيان والفقه، وتولى الوزارة للسلطان يوسف الثاني ١٣٩١ وفي رواية ١٣٩٢ ولعل ذلك لتداخل التاريخين الهجري والميلادي، ثم ولي قضاء الجماعة بغرناطة، وبرز في النثر والنظم، ووضع عدة قصائد وأراجيز، تناول فيها بعض مسائل من علم الأصول والقراءات والفرائض والنحو وغيرها، وله كتاب «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام» وهو مختصر في الفقه، وقد طبع بمصر وترجم إلى الفرنسية ويقع في أرجوزة عدتها ١٦٩٨ بيتاً نشرها مترجمة للفرنسية تحت عنوان:

Traité de droit musulman, La Tohfat d'Ibn Acem. Texte arabe avec Traduction Commentaire Juridique et notes philologïques. Por: O. Houdos et Fr Martel - (Alger - Paris) 1883 - 1893.

ولا زال الطلاب يدرسونها في مسجد فاس إلى اليوم(١)

وله ابن يلقب بابن الخطيب الثاني ـ على عادة أهل العصر في المبالغات ـ يكنى بأبي يحيى، وله ترجمة مطولة في أزهار الرياض للمقري، وقد شرح تحفة أبيه، وتولى كأبيه منصب الكتابة والوزارة، وكتب رسالة عن أحوال غرناطة وعصره وما دهاها من آثار التفرق والفتنة، ووصف فيها أساليب السياسة القشتالية في الكيد والتفريق بين المسلمين أسماها «جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى» ونقل المقري منها نبذاً عديدة في أزهار الرياض(٢). ولم أر لها تحقيقاً حتى الآن لعل بعض المهتمين بتاريخ الأندلس يخرجونها للناس، فربما تكون آخر تاريخ لغرناطة الإسلامية، وهي بقلم رجل يلقب كما قلنا ـ ولو مبالغة ـ بابن الخطيب الثاني.

وأبو يحيى له كلام عن أبيه يجمل بنا أن ننقل طرفاً يسيراً منه يقول: مولاي الوالد يكنى أبا بكر إن بسطت القول، وعددت الطول، وأحكمت الأوصاف، وتوخيت الإنصاف، أنفدت الطروس، وكنت كما يقول الناس في المثل «من مدح

---

(١) راجع نهاية الأندلس ص ٢٨٨ ـ محمد عبد الله عنان، وراجع تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة د. حسين مونس ص ٤٣٠.

(٢) راجع نهاية الأندلس ص ٤٨٩، وأزهار الرياض جـ ١ ص ٥٠، ١٦٧

العروس، وإن أحزبت عن ذلك صفحاً وآثرت غصناً من البنوة وسفحاً فلبئسما ما صنعت، ولشد ما أمسكت المعروف ومنعت، ولكم من حقوق الأبوة أضعت، ومن ثدي المعقة رضعت، ومن شيطان لغمصة الحق أطعت، ولم أرد إلا الإصلاح ما استطعت، وإن توسطت واقتصرت، وأوجزت واختصرت، فلا الحق نصرت، ولا أفنان البلاغة هصرت، ولا سبيل الرشد أبصرت، ولا عن هوى الحسدة أقصرت. فقد كان رحمه الله عَلم الكمال، ورجل الحقيقة، وقاراً لا يخف راسيه، ولا يعري كاسيه، وسكوناً لا يطرق جانبه، ولا يرهب غالبه، وحلما لا تزل حصاته، ولا تهمل وصاته، وانقباضاً لا يتعدى رسمه، ولا يتجاوز حكمه، ونزاهة لا ترخص قيمتها، ولا تلين عزيمتها، وديانة لا تحسر أذيالها، ولا يشف سربالها، وإدراكاً لا يفل نصله، ولا يدرك خصله، وذهناً لا يخبو نوره، ولا ينبو مطروره، وفهماً لا يخفي فلقه، ولا يلحق طلقه»(١)

وكلام الابن عن أبيه مطول يراجعه من يشاء في أزهار الرياض، لكن فيه إلى جانب كلام الأبناء إدراكاً لقيمة علم الأب، وديانته، ورئاسته، وفيه أيضاً رسم دقيق لصورة النثر في تلك الفترة التي تهتم بالمحسنات البديعية على أوفاها حتى تلتزم ما لا يلزم في السجعة، منقول، وليس أمامنا نثره إلا تلك المقدمة وفيها طريقة احتذاها الابن، وهو سر أبيه، حذا حذوه.

وبعد عزل الوزير الأول ابن زمرك شاعر الحمراء تولى الأب الوزارة لمحمد السابع ولد يوسف الثاني(٢) في سنة ١٣٩٢، ويبدو أنه ـ أي ابن عاصم ـ كان قد وزر ليوسف الثاني من قبل إن صح ما يقوله أنخل جو نثالث بالنثيا، وربما كان ابن عاصم لا يستطيع البقاء طويلاً في منصبه لأن العصر كان عصر فتن وقلاقل، ومؤامرات، ويكفي أن ابن الخطيب دبر قتله ابن زمرك تلميذه وقتل التلميذ كما قتل أستاذه من قبل أشنع قتله، وربما كان ابن عاصم على كثير من الطيبة والصراحة لا يستطيع معها أن يتنفس في هذا الجو المشحون بالفتن ودسائس القصور، فكان قضاؤه للجماعة افتكاكاً له من قيود الوزارة الثقيلة.

---

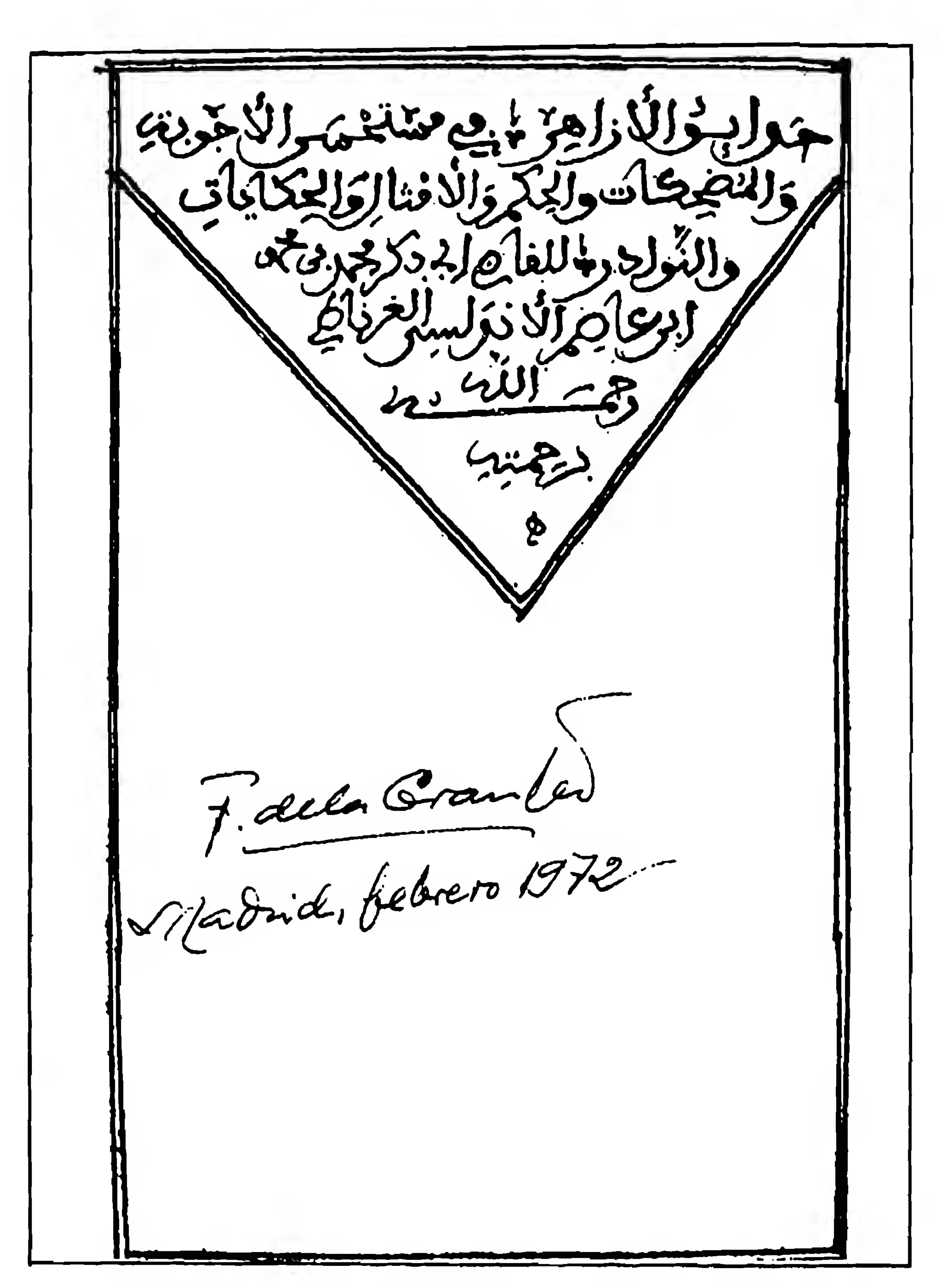
(١) أزهار الرياض جـ ٣ ـ ص ٦٢٥ ـ نشرة المغرب والإمارات العربية.

(٢) راجع ـ مع شعراء الأندلس والمتنبي ـ غريته غومث ـ وترجمة الدكتور الطاهر مكي ص ٢٥٩

وكتابه الذي بين أيدينا رفعه إلى يوسف الثاني، وأهداه إليه، أما كتبه وعددها عشرة فلم يبق لنا إلا اثنان الأرجوزة، وحدائق الأزاهر، وبقيت عناوين كتبه الأخرى، فربما يعثر عليها الناس فيما بعد، فتتضح صورة ابن عاصم كما يجب وكما يستحق.

ونحن بنشرنا هذا الكتاب إنما نفي ببعض دين في أعناقنا للأندلس، ولم ندخر وسعاً في البحث والتقصي، نائين عن مصادرنا الخاصة في القاهرة، وفي النية - إن شاء الله - أن نقفو هذا الكتاب بكتب أندلسية مخطوطة أخرى بين أيدينا، وبعضها نسخ مفردة، ما بين رسالة صغيرة، وكتاب ضخم، ونشكر - بصدق - كل من أعان في إخراج هذا الكتاب سواء كان بالفعل أم بالقول، وفي انتظار من يصحح لنا أي خطأ وقعنا فيه، فلله وحده العصمة، ومنه القبول ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

أبو همام



حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة
والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات
والنوادر للقاضي أبي بكر محمد بن محمد
ابن عاصم الأندلسي الغرناطي
رحمه الله آمين

F. de la Granja
Madrid, febrero 1972

عنوان الطبعة الحجرية في فاس عليها تملك الاستاذ فرناندو دي لاجرانخا.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي نطقت بحمده مراهج الألسنة في رياض البلاغة مكان على أفنان الأقلام، ورمت بجواهر توحيده وتنزيهه وتمجيده بحار العقول والنفوس الى سواحل الفهوم وتجلت بدرر الكلام، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي رفع الله به منار الإسلام، وبعثه رحمة للأنام، واختصه بمنزلة الاصطفاء والإكرام، فشهد له أهل السموات والأرض بالتفضيل ونطقت برسالته وتحقيق جلالته التوراة والإنجيل مهدي الخلق الى منهج السبيل ودعا على بصيرة من ربه الى دار السلام، ورضي الله عن آله الكرام، وأصحابه البررة الأعلام، أولي المناقب الواضحة الآثار والمآثر الصادقة الأعلام الذين جاهدوا في الله حق جهاده وقاموا بنصرة الحق وعباده خير قيام، ففازوا في الدنيا بصحبته وفي الآخرة بجواره في دار المقام، ونستوهب من الله سبحانه لهذا المقام العلي المؤيد بالحمد والنصر الذي شعرنا تأييدا وتمكينا ومجدا دائما وعزا متمكنا ونصرا عزيزا وفتحا مبينا وملكا مخلدا أبدا على الدوام، ويدوم مدى الأيام، مقام مولانا وعصمة ديننا ودنيانا المعروف بالحكم والعدل الجامع بين أصناف الفضائل والنوال والمكارم

أول صفحة من طبعة فاس الحجرية.

التي تقضي بها الامثال جارية بها من ان يبادر بنفسه الكريمة في رضى
الرحمن الحاكم في رعيته بما امر الله به من العدل والاحسان غير ملوم زمانه
وسائر الازمان فذلل الكفار ومهد البلاد وانار اقطار المجد بحسن سيرته
وخلوص سريرته وعاش حميدا الى ان نقله الله من المقاعد الملوكية والمنا
الى ما فيه ما يحق للمليك بما لا امتنان زانه الدنيا والدين فخر الملوك والسلا
طين امير المسلمين الغني بالله ابي عبد الله ابن مولانا امير المسلمين ابي
الحجاج ابن مولانا امير المسلمين ابي الوليد ابن نصر وصل الله تعالى سعوده
وحرس وجوده ونصر الويته السعيدة وبنوده حتى نصر الله به السنة
والكتاب ووارى الاسلام وامثاله منه الى امنع حمى واعز جناب واختصه
في هذه الحضرة الجزيرية الاندلسية بالقيام بفريضة الجهاد وتكتيب
الكتائب وتجنيد الاجناد وصد ممالك العداة واوعد ليه الشامل الاقطار
والبلاد وائتلاف على محبته ولزوم طاعته قلوب العباد ومد يده الخلق
الى ان سارت النفوس على حبه مفطورة والقلوب بجلالة هيبته وهيبة
سيبه معمورة والالسنة على جميل ذكره ولزوم حمده وشكره مقصورة زاده
الله بسطة في ملكه وجعل جميع البلاد تحت حكمه وملكه وادام للاسلام
والمسلمين دولته السعيدة المنصورة وعمرها بالسعد الدائم والعز القائم
منازلها الرفيعة وقصورها **ألفا بعد ألف** وانه جمعت في هذا الكتاب من طرف
الاخبار ونوادر الاشعار ومستحسن الجواب ومضحكات المولدين والاعراب

فب

البنانيّ رحمه الله فنظرت الى البنانيّ بعينيه من بيتنا الفضة فرأيت الشعلة
والنظر وانقال بعينيه وانشقت قبل ولده فقال لي فعلت امشي بالسير
تعالى فقال لي يا سهل قد اقطعك الله اماما عمه كل شيء يا سهل الطلبة فيرد
فنفعني عينا من الدموع فلما اصبحت فلذلك العشرة الفضة فبقيت
فنيت على فا فلا شيء فبقيت ما سبقنا فاخبرت عند ذلك في المغربة واستعش
بالله تعالى فا عاتبني وقيل ان سهلنا هذا هلك ابن يوم خروجه من بطن امه
اتى فقولها الى العشر لم يعلم به عمه الا ايام العيد فرد ذلك الا ان اقمت كانت نعم
عليه ترونه في النهار فلا يأكله فاذا كان الليل اكله فلم يزل كذلك الى ان
بلغ سبع سنين فاخذ في الصيام والعبادة لا يشتغل الا بالله عز وجل وقيل
لما كان يوم وفاته خرج الناس ينعشه في يوم حر وشمس فاذا يهودي يصيح
معشر الناس مثل ترون ما ارى فنظروا فاذا بنسور قد نشرت لها قرون نشرت
اجنحتها تستر الناس من الشمس فقال اليهودي وعند ذلك اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله حقا حقا ثم فنى فجيء من ساعته
فاخذوا في غسله وتكفينه وصلى عليهما جميعا ودفنا في مكان ثم شهد له
وقال ابن شيخ في هذه النزهة ثم في بيته رايت البنا ربعة في المنام كان قائلا
يقول هذا رجل تعلا كتبنا فسمعت وادا الجنة ابن سليمان ووقع في قلبي انه
من ادنى زيادة لا في الثواب بلا فيما والتقصير غير انا قد اقبلنا من منزله
الترتيب فقال لي الملائكة ساعتها لك وكان رجل شهير جمع فيها من ندما يع

عنهما

ض

ودبع

فدفع الى الغلام له اربعة دراهم يشتري بها فواكه للمجلس فمر الغلام بمجلس
منصور بن عمار الواعظ وهو يسأل لفقير شيئا ويقول من دفع له اربعة دراهم
دعوت له اربع دعوات فدفع له الغلام الدراهم فقال له منصور ما الذي
تريد ان ادعو لك به فقال ان يعتقني الله من رق العبودية فدعا منصور
وأمن الناس على دعائه فقال والثانية يا غلام فقال ان يخلف الله على
الدراهم فدعا له وأمن الناس ثم قال والثالثة يا غلام فقال
ان يتوب الله على مولاي فدعا وأمن الناس ثم قال والرابعة يا غلام فقال
ان يغفر الله لي ولمولاي ولك يا منصور وللحاضرين فدعا منصور وأمن الناس
على دعائه فرجع الغلام فقال له مولاه لم ابطأت فقص عليه القصة
فقال وبم دعا فقال سألت لنفسي العتق فقال اذهب فانت حر فقال والثانية
فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف درهم فقال والثالثة
فقال ان يتوب الله عليك فقال قد تبت الى الله عز وجل فقال والرابعة فقال ان
يغفر الله لي ولك وللمنصور وللحاضرين فقال هذا ليس لي فلما بات
رأى في المنام كأن قائلا يقول له انت فعلت ما كان اليك أفترى انا لا افعل ما
كان الي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللحاضرين اجمعين وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا ان
الحمد لله رب العالمين

اخر صفحة من طبعة فاس الحجرية.

Foto:
Jose de Prado Herranz
C/. Santa Clara, 23-
San Lorenzo de El Escorial
(Madrid)
España.

Nº 1875

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم

روى مالك عن ابي الزناد عن عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم اذا اقبلت [illegible]

[illegible] لتستوا رحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الحمد لله الذي نطقت بحمده صوادح الألسنة في رياض الإمكان على أفنان الأفلاك

ورقصت بمواهب توحيده ولذائذ تمجيده وتمهيد [illegible] العقول والنفوس التي هي أوائل

[illegible] فحملنا به صدور [illegible] وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي رفع الله

به منار الإسلام وابتعثه رحمة للأنام واختصه بما منحه من الاصطفاء والإكرام

فشهدت له أهل السماوات والأرض بالتفضيل ونطقت بنبوته [illegible] حكم [illegible]

التوراة والإنجيل [illegible] الخلق إلى صدق الرسل ودعا على بصيرة من ربه

إلى دار السلام ورضي الله عن آله الكرام وأصحابه البررة الأعلام أولي

المناقب الواضحة البرهان والمآثر [illegible] الأعلام الذين جاهدوا [illegible]

حق جهاده [illegible] [illegible] عباده [illegible]

[illegible] في دار [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الناصري اليوسفي [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] على [illegible]

[illegible] الأيام [illegible] مولانا وعصمة ديننا ودنيانا المعروف [illegible]

[illegible] [illegible] اللباس والنوال والمكارم [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] الله به من العدل والإحسان [illegible] [illegible]

[illegible]

الصفحة الاولى من مخطوطة الاسكورال

في ذلك دعا [illegible] ويبكي ويبكينا الى ان جاء ابو الجميل [illegible] ثم انني فعلت وقال

[illegible] طمعته ايمانك ما عبدته خوفا من النار ولا رجاء الجنة

فأكون [illegible] بل عبدته حبا فيه وشوقا اليه قال [illegible] معنى ذلك احبك حبين حبا

[illegible] وحبا لانك [illegible] الذي [illegible] فشغلني بذكرك عمن سواكا

واما الذي انت [illegible] فكشفك لي الحجب حتى اراكا فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك

الحمد في ذا وذاكا [illegible] وقيل لها [illegible] وقالت [illegible]

[illegible] بذكر الانبياء [illegible]

على [illegible] ثم ذكر [illegible] وقال

عبد الواحد بن زيد [illegible] ليلة [illegible] الحسن [illegible] في النجوم [illegible] السماء كانها [illegible]

وكان [illegible] فقلنا ان هذا [illegible] فقال ان [illegible] الحسن [illegible]

[illegible] على [illegible] وكان للمأمون غلام [illegible] على يديه

اذ [illegible] المأمون فقال له [illegible] يا امير المومنين [illegible]

فعما

[illegible] فقال [illegible] عن الناس فقال قد عفوت عنك

[illegible] قال ابو بكر بن سليمان [illegible] دخلنا على

مالك بن دينار [illegible] العشية التي [illegible] فقلنا يا ابا عبد الله كيف [illegible] فقال [illegible]

[illegible] عمر رحمه الله تعالى [illegible] ثم [illegible] حتى غمض عينيه

فائدة

وقيل [illegible] ثلاثة [illegible] حتى [illegible]

على [illegible] وبعض [illegible]

[illegible]

[illegible]

ادينتها

إذ نشتهي ونقدم الثمن معجلا [illegible] فنطلب [illegible] ولم يأت من [illegible]
فقال حيلتي بإعلام الغير ضرورة [illegible] لم أقنع بنفسي [illegible]
بلغنا وقد عرفت لكم نفسي أو قدم الثلاثة [illegible]
يدار معها الكد بل أرجع حتى [illegible]
وذلك [illegible] وهذا الكلام أهل الصوفية فمن جاء [illegible]
[illegible] الجوع [illegible]
العبد التستري عن أجل عبادته فقال [illegible] رحمه الله إنه كنت قد رأينا [illegible] الجامع
أحيانا فيه وإنما كان في بعض الأيام وكان يوم جمعة توضأت وأسرعت إلى المسجد فوجدته
قد شحن بالناس [illegible] وتخطيت رقاب الناس حتى وصلت إلى ذلك
الموضع [illegible] وجلست فإذا عن يميني شاب حسن الصورة وعليه ثياب صوف [illegible]
[illegible] إلى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الطبيب [illegible] فلم يبق [illegible] إلا [illegible] وأنا
وكذا [illegible] الصلاة [illegible] أبو بكر [illegible] غير [illegible]
[illegible] وأنا [illegible]
[illegible] بحمد الله [illegible] إلى البلاد بعينه [illegible]
الفقه [illegible] الأمثلة [illegible] والأمثال بعينه [illegible] منقولة [illegible] فقلنا [illegible]
بالله [illegible] الطاعة [illegible]
[illegible] بالدموع [illegible]
[illegible] عند ذلك [illegible] بالله تعالى على [illegible]
[illegible] يوم دخل [illegible] الأرض ثم [illegible]
[illegible] ذلك [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible] بالصيام [illegible] حتى [illegible] الله [illegible]
[illegible] يوم [illegible] وشمس [illegible]
[illegible]
الناس [illegible] الشمس [illegible] عند ذلك [illegible] لا إله إلا الله [illegible]
الله [illegible] عنه [illegible] عليه [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أربعة

الصفحة الاخيرة من نسخة الاسكورال

[illegible]

قصيدة للشيخ عمر بن الوردي مضافة الى المخطوطة وليس لها صلة بالكتاب

الزمن ما أرى فيكم غير الحمق [illegible]
[illegible] كسرى تنبغ همته كسرة وعن [illegible]
ثلاثة حفظا وبالحق [illegible] ليس لمن [illegible]
[illegible] في الدنيا من عادته [illegible] من مثل عيشة [illegible]
عيشة الجاهل إلى حد زاد كم جهول [illegible] وعليم [illegible] العاقل
كم [illegible] ثم ينال منها المنى وحجاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] أحمد الله على [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] السلطان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

آخر صفحة من ألاسكورال وفيها آخر قصيدة الشيخ عمر بن الوردي.



ميكروفيلم رقم

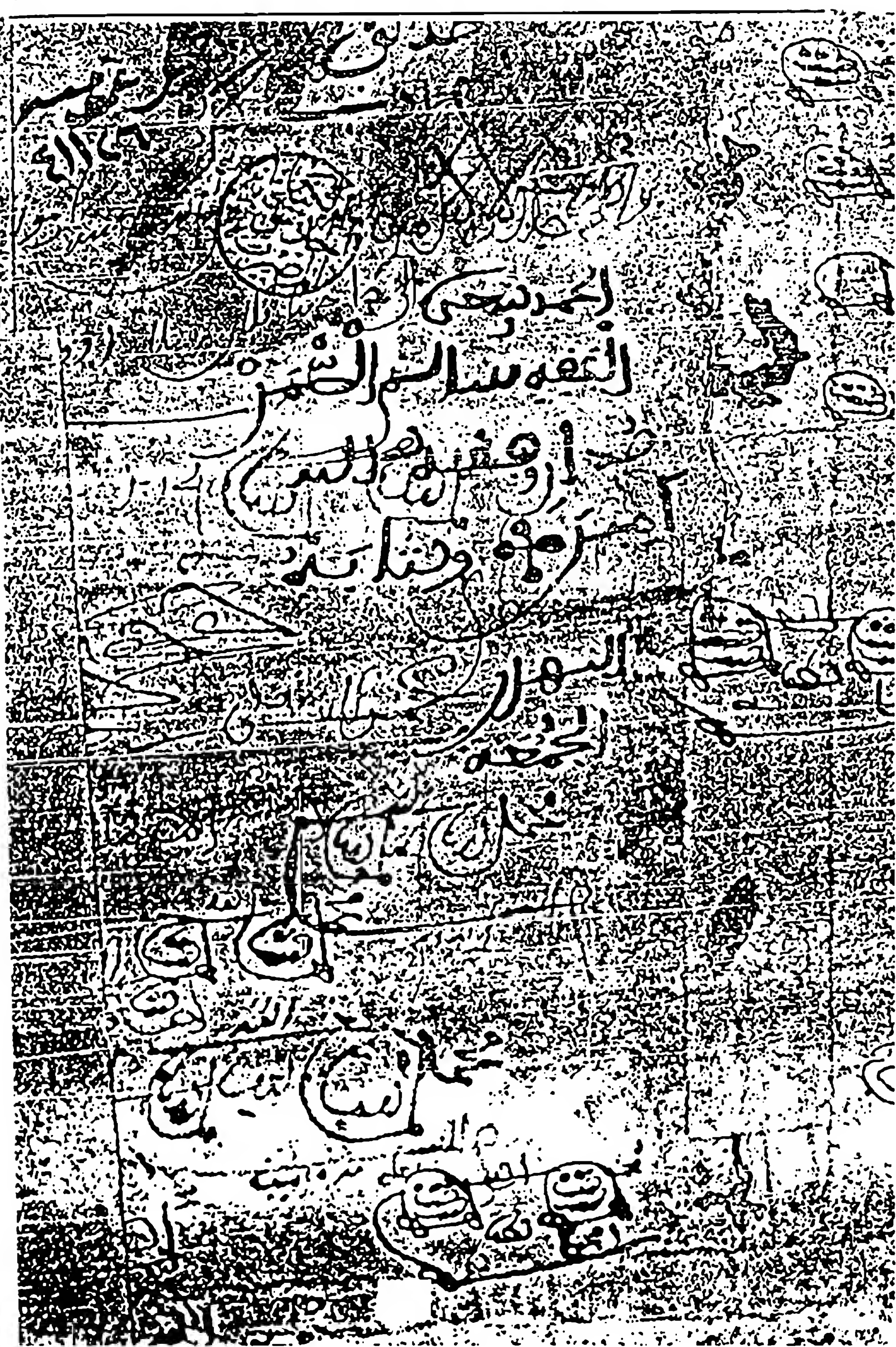
عنوان المصنف : جنى الثمر الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمحاكمات

اسـم المؤلف : محمد بن سعيد بن عاصم

١٤٧ ورقة

مصور عن النسخة [illegible] المحفوظة بدار الكتب القومية

تحت رقم ١٨٢٣ أدب



فالتفت إلي فقال لي يا سهل من أصحابي [illegible] حدثني شيخه يا سهل الحلبة [illegible]
عيناي بالدموع فلما سمعتها تحيرت فلم أر الشيخ القصد فبقيت متحيرا على حالي
لا أدري منه منا زمنا فلما جئت عنده [illegible] الخرقة واستغفرت الله تعالى [illegible]
وقيل إن سهلا [illegible] من خروجه [illegible] إلى يوم دخل [illegible]
لم يفطر في عمره [illegible] الطعام [illegible] كانت تعرض عليه [illegible]
في النهار بل [illegible] في الليل [illegible] كانت تعرض عليه الجنة
في النهار [illegible] إلى أن بلغ سبع سنين وأخذ في
الصيام [illegible] حتى لقي الله عز وجل وقيل إنه كان في يوم [illegible] خرج
الناس [illegible] معشر [illegible]
[illegible] الناس [illegible]
فقال [illegible] أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله [illegible]
[illegible] عليه [illegible]
[illegible] وقال الرمس [illegible] رأيت [illegible]
[illegible] فسمعت [illegible] المرسلين [illegible]
في قلبي [illegible] الجواب فقلنا [illegible]
[illegible] وكان [illegible]
[illegible] الغلام [illegible] الغلام
[illegible]
[illegible] فرجع الغلام [illegible]
[illegible] الله [illegible]

[illegible] علي [illegible]

بالغلام قال إن شاء الله تعالى [illegible] ومن [illegible] غلام

قال الشيخ [illegible] ولمولاي [illegible] بالمنصور [illegible] ومن [illegible]

يفرح الغلام فقال له مولاي [illegible] كان [illegible] عليه [illegible]

فقال [illegible] قال سألتها النفس [illegible] وأنت [illegible]

قال [illegible] الشيخ [illegible]

قال إن شاء الله [illegible] إلى [illegible]

[illegible] بالخاصر [illegible]

[illegible] للغلام

للمنصور والخاصر وصلى الله على مولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

تسليما والحمد لله رب العالمين

تم والحمد لله حق حمده وكما ينبغي [illegible] وصلى الله على

سيدنا ومولانا محمد نبيه المصطفى ورسوله [illegible] وعلى [illegible]

[illegible] صلاة [illegible] على [illegible]

وأصحابه الخلفاء [illegible] على [illegible]

[illegible] الكاتب

[illegible] والكاتب والقارئ والمستمع [illegible]

العالمين [illegible]

ولكاتبه [illegible]

غيره [illegible]

عسى فرج بتسليته تجاهله على الشفة اللمياء فجاء عنها

ورضها فقلت اجاذبها [illegible] ونار [illegible] العيس [illegible]

مجنت [illegible] من غير سكر [illegible] منى [illegible] الحوادث [illegible]

غيره يا ارض الغربة [illegible] بالدمع [illegible] بعوى [illegible] الدهر [illegible]

وقال ابن [illegible] رحمه الله وعفى عنه [illegible]

يا سائلي عن [illegible] عين [illegible]

هل [illegible] فيك [illegible]

ومال [illegible] يوم [illegible] احمرة [illegible]

ومن [illegible] الكتب [illegible] العباد [illegible]

[illegible] وقطرا

ومما مدح به [illegible] الحول [illegible]

[illegible] الجد [illegible] عينا له [illegible]

وليس [illegible] الحمد [illegible]

[illegible] المريد [illegible] الملوك [illegible]

ومدح علي بن عبد الغني الحصري [illegible]

[illegible] الدهر [illegible] بعد المدح [illegible]

[illegible] الملك [illegible] الذي [illegible]

[illegible]

ميكروفيلم رقم

عنوان المصنف : جيد القريحة الأزاهر في تجنيس الأبواب والمنعكسات

اسم المؤلف : محمد بن سعيد بن عاصم

١٤٧ ورقة

مصور عن النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب القومية

تحت رقم ١٨٢٢ أدب



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الحمد لله الذي نطقت بحمده صوادح الألسنة في رياض الأفكار، على أفنان الأقلام، ورمت بجواهر توحيده وتنزيهه[١] وتمجيده بحار العقول والنفوس، إلى سواحل الطروس، فتحلت به صدور الكلام، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الذي رفع الله به منار الإسلام، وبعثه[٢] رحمة للأنام، واختصه بمنزلة الاصطفاء والإكرام، فشهد له أهل السماوات والأرض بالتبجيل[٣]، ونطقت برسالته وتحقيق جلالته التوراة والإنجيل، فهدى الخلق إلى قصد[٤] السبيل، ودعا على بصيرة من ربه إلى دار السلام، ورضي الله عنه آله الكرام، وأصحابه البررة الأعلام، الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وقاموا بنصرة أكرم[٥] عباده خير قيام، ففازوا في الدنيا بصحبته، وفي الآخرة بجواره في دار المقام، ونستوهب من الله

---

(١) في [د] ولعالي تنزيهه.

(٢) في [د، س] وابتعثه.

(٣) في [د] بالتفضيل، ولعل «بالتبجيل» أولى لسياق السجعة التالية: الإنجيل، وفيها لزوم ما لا يلزم.

(٤) في [س] صدق السبيل، ولعل ما في [ح] أولى أخذاً من الآية الكريمة: ﴿وعلى الله قصد السبيل﴾.

(٥) في [د] بنصرة الحقيقة، و[ح] أدق لاقتران الجهاد في الله بنصرة النبي الكريم، وللسجعة القائمة بين: جهاده، وعباده.

سبحانه لهذا المقام العلي المؤيدي الجهادي النصري اليوسفي تأييداً وتمكيناً، ومجداً دائماً وعزاً مكيناً، ونصراً عزيزاً وفتحاً مبيناً، وملكاً مخلداً أبداً على الدوام، ويدوم مدى الأيام، مقام مولانا، وعصمة ديننا ودنيانا، المعروف بالحكم والعدل، الجامع لأوصاف الفضل، ذي البأس والنوال والمكارم التي تضرب بها الأمثال، حامي حمى الإيمان، الباذل نفسه الكريمة في رضى الرحمن، الحاكم في رعيته بما أمر الله به من العدل والإحسان، عين ملوك زمانه وسائر الأزمان، مذل الكفار، وممهد(١) البلاد والأقطار، المحيي بحسن سيرته، وخلوص سريرته، مآثر جدوده الأنصار، المحرز من المفاخر الملوكية، والمناقب الإمامية ما يحق للملة بها الافتخار، ناصر(٢) الدنيا والدين، فخر الملوك والسلاطين، الغني(٣) بالله أبي عبد الله بن مولانا أمير المسلمين أبي الحجاج بن مولانا أمير المسلمين أبي الوليد بن نصر، وصل الله تعالى سعوده، وحرس وجوده، ونصر ألويته السعيدة وبنوده، فهو الذي نصر الله به السنة والكتاب، وآوى الإسلام وأهله منه إلى أمنع حمى وأعز جناب، واختصه(٤) في هذه الحضرة الجزيرية الأندلسية بفريضة الجهاد، وتكتيب الكتائب وتجنيد الأجناد، ومهد بملكه العادل، وعدله الشامل الأقطار والبلاد، وألف على محبته، ولزوم طاعته قلوب العباد، وهدى به الخلق إلى طريق الرشاد، فالنفوس على حبه مفطورة، والقلوب برجاء سيبه وهيبة سيفه معمورة، والألسنة على جميل ذكره، ولزوم حمده وشكره مقصورة(٥)، زاده الله بسطة في ملكه، وجعل جميع البلاد تحت حكمه وملكه، وأدام للإسلام والمسلمين دولته السعيدة المنصورة، وعمر بالسعد الدائم، والعز القائم منازله الرفيعة وقصوره.

---

(١) في [د] ومنقذ البلاد.

(٢) في [س] منار الدنيا.

(٣) أخلت [ح] بقوله: أمير المسلمين قبل: الغني بالله، وهي في [د] المستعن بالله.

(٤) أخلت [د، س] بهذه العبارة: واختصه في هذه الحضرة الجزيرية الأندلسية بفريضة الجهاد، وهي ضرورية لفهم السياق، ولأن الأمير ـ آنذاك ـ كان هو المختص في تلك الحضرة بالجهاد وحده.

(٥) هذه اللفظة من [د، س] وفي [ح] مقهورة، وربما كانت ـ كما أثبتناها أدق.

أما بعد فإني جمعت في هذا الكتاب من طرف الأخبار، ورائق[١] الأشعار، ومستحسن الجواب، ومضحكات المولدين والأعراب ونوادر الحكم والأمثال والآداب ما يستحسن ويستطرف، ويستملح ويستظرف[٢] من كل نادرة غريبة، أو نكتة عجيبة، أو حكاية بارعة، أو حكمة نافعة، أو قطعة شعر رائعة، أو مخاطبة فائقة، مع ما يستفاد في ذلك من الوقوف[٣] على مناقب الملوك ومآثرها، ومحامدها ومفاخرها، ومكارم أخلاقها وشيمها، وشرف أنفسها[٤] وهممها، وجميل أفعالها وكريم محلها واحتمالها، وعدلها ووفائها، وبأسها وسخائها، وخوفها ورجائها، وحزمها واتقائها، وعزمها وإمضائها، وصفحها وإغضائها، وجدها واعتنائها، وسطوتها وحنانها، واستقباحها واستحسانها، وسيرها[٥] وعوائدها، وجوائزها وفوائدها، إلى غير ذلك من معرفة سنن من تقدم من الولاة والأمراء، والكتاب والشعراء، والأئمة والخطباء، والمؤذنين والفقهاء، والوعاظ والحكماء، والأعراب والغرباء، والمجان والظرفاء، والمجنونين والعقلاء، والطفيليين والبخلاء، وحذاق الجواري والنساء، وأهل التصنع والرياء، والزهاد والأولياء، فأخذت في تبويبه وترتيبه، واجتهدت في تهذيبه وتقريبه، واعتنيت بتأليفه وجمعه، ورددت كل جنس إلى جنسه، وكل نوع إلى نوعه، وجعلت الشكل فيه مع شكله، وضممت المثل إلى مثله، ليسهل النظر فيه على مطالعه، وتحصل الفائدة لقارئه وسامعه، فجاء بحمد[٦] الله سبحانه حسن الترتيب، بديع التهذيب، فهو روضة آداب، ومتعة أحداق وأسماع وألباب، فيه تسلية للنفوس، وترويح للأرواح، واستجلاب للمسرات والأفراح، وراحة الخاطر، وأنس المجالس والمسامر، وتحفة القادم، وزاد المسافر، وسميته حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، وجعلته ست حدائق: الحديقة الأولى: في المجاوبة البديهية

---

(١) في [س] روائق.
(٢) أخلت [س] بهذه الكلمة، وهي ضرورية للسياق النغمي.
(٣) في [د، س] من الوقوع.
(٤) اللفظة ـ جمعاً ـ من [س].
(٥) اللفظة ـ جمعاً ـ من [د] والسياق يقتضيها.
(٦) في [س] بحول الله.

والمخاطبة المرضية، وفيهـا ثلاثـة أبواب: البـاب الأول في مسكت الجواب ومفحم الخـطاب، الباب الثـاني في مستحسن الأجوبـة التي هي عن ذكاء قـائلها معـربـة، الباب الثالث في أبيات شعر وقعت جواباً، واستعملت خطاباً، الحديقة الثـانية: في مـداعبـة يستجلب بهـا السـرور، ومضحكـات تميـل إليهـا النفـوس، وتنشـرح بهـا الصدور، وفيها خمسة أبواب: البـاب الأول في ترويـح الأرواح بمستحسن المزاح، الباب الثاني في المضحكات المستحسنة، الخفيفة على الألسنة، البـاب الثالث في المضحكـات المستملحـة، وإن كـانت ألفـاظهـا مستقبحـة، البـاب الـرابـع في المضحكات الشعرية، الباب الخامس في المضحكات المطولات. الحديقة الثالثة في نـوادر أولي العقول والألبـاب، وحكـايـات المستخفين والمغفلين من المـولـدين والأعـراب، وفيهـا ثـلاثـة أبـواب: البـاب الأول في النـوادر المستغـربـة، والنكت المستعذبة، الباب الثاني في أخبار الأعراب والمتنبئين ونوادر المجان والمستخفين، البـاب الثالث في أخبـار المغفلين وأهل البله، ومـا يحكى عن المجنـونين، ومن لا عقـل له. الحـديقة الـرابعة: في الـوصـايـا والحكم وفيهـا بـاب واحـد. الحـديقـة الخـامسة: في أمثـال العامـة وحكمها، وفيهـا باب واحـد. الحديقـة السادسـة: في الحكايات الغريبة، والأخبار العجيبة، وفيها ثلاثة أبواب: الباب الأول في الحكايات المستطرفة والأخبار المستظرفة، الباب الثـاني في مختار الحكـايات والأخبـار ذوات الأشعار، الباب الثالث في حكايات الأولياء والعباد، والصلحاء والـزهاد، وعسى الله أن ينفـع بهذا البـاب وأهله، ويجعله كفارة لـلأبـواب المتقـدمـة من قبله، إنـه ولي التوفيق، والهادي إلى سواء الطريق.

الحديقة الأولى

في المجاوبة البديهية والمخاطبة المرضية
وفيها ثلاثة أبواب :

الباب الأول

في مسكت الجواب، ومفحم الخطاب

قال عقبة بن أبي معيط لرسول الله ﷺ حين أمر بضرب عنقه يوم بدر: من للصبية[١]؟ قال: النار.

وقال معاوية[٢] بن أبي سفيان لرجل من سبأ من أهل اليمن: ما كان أحمق قومك حين قالوا: ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾[٣] أما كان اجتماع الشمل خيراً لهم؟ فقال اليماني: قومك أحمق منهم حيث قالوا: ﴿ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[٤] أفلا قالوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له.

وقال معاوية[٥] أيضاً لابن عباس رضي الله عنه: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم، فقال له ابن عباس: وأنتم يا بني أمية تصابون في بصائركم.

ودخل زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب على هشام بن عبد الملك بن مروان فلم يوسع له أحد في المجلس، ولم ير لنفسه موضعاً يجلس فيه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه ليس أحد إلا وله من مجلسك موضع فقال له

---

(١) في [د، س] يا محمد بعد السؤال.

(٢) هذه الحكاية واردة في البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص ٧١، وكذلك في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٠٠، ولعلها هنا أجمل وربما أدق، وإن كانت متأخرة، لرد كل واحد منهما بآية من القرآن، أما الرواية الأخرى فتقول: ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة.

(٣) سورة سبأ. الآية ١٩

(٤) سورة الأنفال ـ الآية ٣٢.

(٥) أخلت [د، س] بهذه النادرة، وهي موجودة في العقد الفريد ـ جـ ٢ ـ ص ٩٣.

هشـام: اجلس حيث انتهى بك المجلس لا أم لـك أنت الـذي نـازعتـك نفسـك الخـلافة، وأنت ابن أمـة. فقال[1] لـه زيد يـا أمير المؤمنين إن الأمهـات لا يقعـدن بالرجال عن الغايات، وقد كانت أم إسماعيل عليه السلام أمة فلم يمنعه ذلك من أن يبعثه الله نبياً، وأخـرج من صلبه محمـداً ﷺ، وكان إسحـاق أمه سـارة حرة، وقـد مسخ الله بعض ولده قردة وخنازير.

وقال معاوية[2] لعقيل بن أبي طالب: أنا خير لك من أخيـك، فقال: إن أخي آثـر دينه على دنيـاه، وأنت آثرت دنيـاك على دينك فـأنت خير لي من أخي، وأخي خير لنفسه منك.

وقال له يوماً آخر: أين ترى عمـك أبا لهب؟ فقـال: في النار مفتـرشاً عمتـك حمالة الحطب، وكانت أم جميل امرأة أبي لهب بنت حرب بن أمية بن عبد شمس.

وقال ابن حازم يوماً لكاتبه يضحك منه[3]: أين تريد يا هامان؟ قال: أبني لك صرحاً.

وقـال الأحوص للفـرزدق: متى عهدك بـالزنى يـا أبا فـراس؟ قال: مـذ ماتت العجوز أمك.

وقال يهودي حين قتل عثمان رحمـه الله، ووقعت الفتنة: إنمـا عهدكم بنبيكم منـذ كذا، وقـد فتنتم، فقال لـه رجل من المهـاجـرين: يـا عـدو[4] الله، مـا جفت أقـدامكم من جـرار البحـر حتى قلتم لمـوسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[5].

ورمى الحجاج حجراً بين يدي أعرابي، وقال له: أخبـرني أذَكَر هـو أم أنثى؟ فقال له الأعرابي: ارفع لي ذنبه وأخبرك.

---

(١) «له» من [س].

(٢) وردت هذه النادرة في: العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٩٣.

(٣) «يضحك منه» من [د، س].

(٤) «يا عدو الله» أخلت بها [د].

(٥) سورة الأعراف ـ الآية ١٣٨

وقال رجل لامرأته: وكان قبيحاً: إني أتمنى أن أرى إبليس، قالت له: أنا أريكه، قال: وكيف ذلك، فأخرجت له مرآة، وقالت له: انظر إلى وجهك.

وقال محمد بن داود يوماً لابن سريج، وقد أكثر عليه في السؤال: أبلعني ريقي، فقال له ابن سريج: قد أبلعتك دجلة والفرات.

وقال أمير لأعرابي: قل الحق وإلا أوجعتك ضرباً، فقال وأنت فاعمل به، فوالله إن ما أوعدك الله به على تركه أعظم مما توعدتني به.

وقال مولى لبني هاشم: رأيت ذا الرمة، وقد عارضه رجل فقال له، يهزأ به: يا أعرابي، أتشهد بما لم تره؟ قال: نعم، قال: بماذا؟ قال: أشهد أن أباك نكح أمك.

وكان للفضل بن سهل وصيفة ظريفة، كثيرة الملح والنوادر وكانت ساقية، وكان أبو نواس يولع بها ويمازحها، فقال لها يوماً: إني أحبك وتبغضينني فلمَ ذلك؟ فقالت له: لأن وجهك والحرام لا يجتمعان.

ويروى أن بثينة دخلت على عبد الملك بن مروان، فحدد النظر إليها، وقال يا بثينة: ما رأى فيك جميل حين قال فيك ما قال؟ قالت: يا أمير المؤمنين، ما رأى فيك الناس حين ولوك الخلافة، فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء، كان يخفيها، وما ترك لها من حاجة إلا قضاها يومئذٍ.

وحكى حماد الراوية قال: أخبرني خالد بن كلثوم، قال: أخبرني رجل من بني أسد أنه أدرك مياً، وكان أعور، قال: رأيتها في نسوة من قومها، فقلت: أيتكن ميّ؟ فقال النسوة: ما كنا نرى أنها تخفى على أحد، هذه هي، قلت: والله ما أدري ما كان لعجب ذا الرمة منك؟ وما أراك كما كان يصفك، فتنفست، وقالت: يرحم الله غيلان، إنه كان ينظر إلي بعينين، وأنت تنظر إلي بعين واحدة.

وكان بسجستان رجل يقال له بدر بن المناقر، وكان أبوه طلب في سرقة الإبل، فجلس إلى أبي الهندي الشاعر، وجعل يعرض له بالشراب، فقال أبو الهندي: إن أحدكم يرى القذاة في عين أخيه، ولا يرى الجذع في است أبيه.

ومر نصر بن سيار بأبي الهندي، وهو يتمايل سكراً، فقال له نصر: أفسدت

شرفك بإدمانك الخمر، فقال أبو الهندي: لو لم أفسد شرفي لم تكن والي خراسان.

ومر الفرزدق[١] بماء، وبه نسوة يغسلن ثيابهن، قال: فضرطت بغلته فضحكن منه، فقال لهن الفرزدق: ولم تضحكن؟ والله ما حملتني قط أنثى إلا فعلت كفعلها، فقالت له امرأة منهن: أترى التي حملتك تسعة أشهر كيف كان ضراطها؟ فخجل وانصرف.

ونازع بشاراً رجل في اليمانية والمضرية، وأذن المؤذن فقال له بشار: من الذي يؤذن باسمه مع اسم الله تعالى أمن مضر هو أو من سبأ؟ فسكت الرجل.

وقدم رجل[٢] من بني مخزوم على عبد الملك بن مروان، وكان زبيرياً، فقال له عبد الملك: أليس الله قد ردك على عقبيك؟ قال: ومن رد إليك يا أمير المؤمنين فقد رد على عقبيه، فسكت عبد الملك، وعلم أن قوله كان خطأ.

ودخل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبد الملك، فقال له سليمان: على امرىء أجرك رسنك وسلطك على الأمة لعنة الله، أتظن الحجاج استقر في قعر جهنم، أو هو يهوي فيها؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الحجاج يأتي يوم القيامة بين أبيك وأخيك، فضعه في النار حيث شئت.

ودخل شريك القاضي على المهدي، فقال له الربيع: خنت مال الله، ومال أمير المؤمنين، فقال له شريك: لو كان ذلك لأتاك سهمك.

وقال العبثي، لما أتي بابن هبيرة إلى خالد بن عبد الله القسري[٣]، وهو والي العراق، وأتي به مغلولاً مقيداً، فقال له أيها الأمير[٤]: إن القوم الذين أنعموا عليك بهذه النعمة قد أنعموا بها على قبلك، فأنشدك الله أن تستن في سنة يستن بها فيك من بعدك، فأمر به إلى السجن، فأمر ابن هبيرة غلمانه فحفروا تحت الأرض حتى

---

(١) الحكاية واردة في: العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٩٠

(٢) وردت هذه الحكاية ـ في البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص ٧٥.

(٣) «القسري» من [د].

(٤) «أيها الأمير» من [د] وهي أدق، بدلاً من «أمير المؤمنين» والمخاطب ليس به.

خرج الحفر تحت سريره، ثم خرج منه ليلاً، وقد أعدت له أفراس يداولها حتى أتى مسلمة بن عبد الملك، فاستجار به فأجاره، واستوهبه من هشام بن عبد الملك فوهبه له، فلما قدم خالد بن عبد الله القسري على هشام وجد عنده إبراهيم[١]، فقال له خالد: أبقت إباق العبد[٢]، فقال له: حين نمت نومة الأمة.

وتكلم[٣] ربيعة يوماً فأكثر، وإلى جانبه أعرابي، فالتفت إليه وقال: ما تعدون البلاغة يا أعرابي؟ قال: قلة الكلام، وإيجاز الصواب، قال: بما تعدون العي؟ قال: ما كنت فيه منذ اليوم فكأنه ألقمه حجراً.

وقال رجل للأحنف بن قيس: بم سودك قومك، وما أنت بأشرفهم[٤] بيتاً، ولا أصبحهم وجهاً، ولا أحسنهم خلقاً؟ قال: بخلاف ما فيك يا ابن أخي، قال وما ذاك؟ قال: بتركي من أمرك ما لا يعنيني، كما عناك من أمري ما لا يعنيك، فخجل الرجل.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ لرجل: من سيد قومك؟ قال: أنا، قال: كذبت، لو كنت كذلك لم تقله.

وقال أبو حنيفة للأعمش ـ وأتاه عائداً في مرضه ـ: لولا أن أثقل عليك يا أبا محمد لعدتك في كل يوم مرتين، فقال له الأعمش: والله يا ابن أخي، إنك لتثقل علي وأنت في بيتك، فكيف لو جئتني في كل يوم مرتين؟

ووقف عيينة[٥] بن حصين بباب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فقال: استأذنوا لي على أمير المؤمنين، وقولوا له: هذا ابن الأخيار بالباب، فأذن له، فلما دخل عليه قال له: أنت ابن الأخيار؟ قال: نعم، قال: بل أنت ابن الأشرار. وأما ابن الأخيار فهو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.

---

(١) «وجد عنده ابن هبيرة» في [س].
(٢) الكلمة ـ مفردة ـ من [د، س] وهي أولى من الجمع، مساوقة للأمة ـ مفردة ـ بعدها. وبعد الأمة «يا محمد» من [س] وبالخمة من [د].
(٣) الحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٢.
(٤) بأشرفهم: من [د، س] وفي [ح] بأشرف منهم. ونحن أميل إلى الصيغة الأولى مساوقة للعبارات بعدها.
(٥) الحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٧٢

وقال أبو[١] ضمرة: قدم غيلان بكلمة قد صاغها حتى وقف على ربيعة، فقال: أنت الذي تزعم أن الله أحب أن يعصى؟ قال ربيعة: أنت الذي تزعم أن الله يعصى كرهاً، فكأنما ألقمه حجراً.

وتكلم إياس بن معاوية مع بعض القدرية فقال: دخولك فيما ليس لك ظلم منك، قال: نعم، قال: فإن الأمر كله لله فلا تدّع أن لك شيئاً منه.

وقال رجل لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: ما تقول في القدر؟ فقال له علي: أما أني أسألك عن ثلاث، فإن قلت في واحدة منهن: لأكفرت، وإن قلت: نعم، فأنت أنت[٢]، فمدَّ القوم أعناقهم ليسمعوا ما يقول، فقال له علي: أخبرني عنك أخلقك الله كما شاء، أو كما شئت؟ قال: بل كما شاء، قال: أفخلقك الله لما شاء أو لما شئت؟ قال: لما شاء، قال: فيوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء؟ قال بما شاء، قال: قم فلا مشيئة لك، فسكت الرجل، ولم يجد جواباً.

ودخل رجل من الحسبانية على المأمون، فقال لثمامة بن أشرس: كلّمه، فقال له ما مذهبك؟ قال: أقول إن الأشياء كلها على التوهم والحسبان، وإنما يدرك الناس منها على قدر عقولهم، ولا حق في الحقيقة، فقام إليه ثمامة فلطمه لطمة سوء في وجهه، فقال: يا أمير المؤمنين، يفعل بي هذا في مجلسك؟ قال له ثمامة: وما فعلت بك، قال: لطمتني، قال: ولعلي إنما دهنتك بالبان، ثم أنشأ يقول:

فعساك حين قعدت قمت ، وحين جئت إلى الذهاب
وعساك تأكل من قفاك ، وأنت تحسبه كباب[٣]

---

(١) وردت هذه الحكاية في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٧٨

(٢) «فأنت أنت» من [س]. وكانت: فإنك أنت.

(٣) الحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٩٠، وصححنا البيت الأول من العقد، وكان مختلاً في النسخ كلها وزناً. وهما من الكامل المجزوء والمذيل. ولهما سوابق:

ولعل آدم أمنا ، والأب حوا في الحساب
ولعل ما أبصرت من ، بيض الطيور هو الغراب
وعساك حين قعدت قمت ، وحين جئت إلى الذهاب
وعسى البنفسج زنبق ، وعسى البهار هو السذاب

وربما كان صواب البيت الأول: وحين جئت هو الذهاب.

فسكت الرجل، وضحك من حضر[١]

ولقي أبو[٢] العيناء رجلاً من إخوانه في السحر، فجعل يعجب من بكوره، فقال له: أراك تشاركني في الفعل، وتنفرد دوني بالتعجب.

ودخل[٣] رجل بجاية، فقال: ما أكثر هذه البلاد بكلاب، فأخرجت امرأة رأسها من طاق، وقالت: أكثرهم برانيون.

وشهد[٤] عند ابن شبرمة قوم على براح فيه نخل، فقال لهم: كم من نخلة فيه؟ فقالوا: لا نعلم، فرد شهادتهم، فقال له بعضهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فهل تعلم كم من سارية فيه؟ فانقطع، وأجاز شهادتهم.

ودخل رجل من الهاشميين على المنصور، فقال له المنصور: متى مات أبوك، وما كان سبب موته؟ فجعل يقول: اعتل رحمه الله في وقت كذا، وخلف رحمه الله كذا، فقال له الربيع: كم تترحم على أبيك بين يدي أمير المؤمنين، فقال له الهاشمي: لا ألومك فأنت لا تعرف حلاوة الآباء، وكان الربيع يرمي بأنه لا يعرف له أب.

وقال المنصور لأهل الشام: ألا تحمدون الله الذي رفع عنكم الطاعون منذ ولينا أمركم؟ فقال له رجل: الله أعدل من أن يجمعك والطاعون علينا، فسكت، ولم يزل يطلب عليه العلل حتى قتله.

وكان بسجستان صاحب نعمة، فأخذه يعقوب بن الليث وأفقره، فلما كان بعد مدة أدخل عليه، فقال له يعقوب: كيف أنت الساعة؟ قال له: كيف كنت أنت قديماً، فقال له يعقوب: وكيف كنت أنا قديماً؟ قال: كما أنا الساعة، فأطرق يعقوب برأسه، وأمر له بألف درهم.

(١) «فسكت الرجل، وضحك من حضر» من [د، س].

(٢) جاءت هذه الحكاية بعد تاليتها في [س].

(٣) أخلت [س] بهذه الحكاية، وعبارة: ما أكثر هذه البلاد بكلاب؟ عبارة ركيكة، كأنها مترجمة ترجمة ضعيفة، أو تكاد تكون عامية.

(٤) «وشهد» من [د، ح] وفي [س] وسهر، وما أثبتناه أدق. ووردت في وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٤٨ مع بعض تغيير.

وقال معاوية في مجلسه ذات يوم: إن الله عز وجل يقول: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(١) فلم تلومونني؟ فقال الأحنف بن قيس: ما نطالب بما في خزائن الله، ولكن المقدار المعلوم الذي أنزله الله من خزائنه قد جعله في خزائنك، فانقطع معاوية، ولم يجب.

ودخل رجل على كسرى يتظلم من بعض عماله في ضيعة غصبها له، فقال كسرى: قد أكلت ضيعتك منذ أربعين سنة، فما عليك أن تتركها لعاملي هذه السنة؟ فقال: أيها الملك، وما عليك أن تسلم موضعك إلى بهرام عدوك؟ فأمر برد ضيعته.

ودخل ابن يزيد على هشام بن عبد الملك، وعلى رأس يزيد قلنسوة حسنة، فقال هشام: بكم أخذت قلنسوتك هذه؟ قال: بألف درهم، قال: سبحان الله، قلنسوة بألف درهم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، أخذتها لأكرم أطرافي، وأنت قد اشتريت جارية بألف درهم لأخس أطرافك، فأفحم هشاماً بالجواب.

وجلس محمد بن الزيات للمظالم، فجاءه رجل يتظلم، فقال له: غصبني وكيلك ضيعتي، وحازها إلى أرضك، قال: تحتاج إلى بينة وشهود، وأشياء كثيرة، قال: الشهود هم البينة وأشياء كثيرة تجيء من عندك، فبقي ابن الزيات باهتاً، ثم رد عليه ضيعته.

وقال رجل لجارية أبيه: يا زانية، فقالت: لو كنت كذلك لجئت بآخر مثلك.

وقال رجل من العباسيين لأبي العيناء: تبغضني وقد أمرت بالصلاة علي؟ تقول: اللهم صل على محمد وعلى آله، فقال أبو العيناء: فإني أقول: الطيبين الصالحين(٢)، فتخرج أنت منهم.

وقال أبو العيناء: ما أخجلني أحد مثل ما أخجلني ابن ظريف لعبد الرحمن بن

---

(١) سورة الحجر ـ الآية ٢١

(٢) «الطاهرين» في [د، س].

خاقان، كنت يوماً عندهم، فقلت لأبيه: وددت أن لي ابناً مثل ابنك، فقال الابن: هذا أمر هين، عليك بأم عيالك؛ فإنها تأتيك بابن مثلي.

وكان زياد الأعجم يوماً يتكلم وهو قائم، والناس حوله، فمر به الفرزدق، فقال له: صرت يا أغلف تتكلم بين الناس، فقال زياد: أو أخبرتك أمك بالخبر.

وقال رجل لبعض الشعراء: أنت تقذف المحصنات في شعرك، فقال: إذن لا يصيبك في أمك من شعري شيء.

وقال نصر بن سيار لأعرابي: هل أصابتك تخمة؟ قال: أما من طعامك، وطعام أبيك، فلا.

وقال المدائني: كان عند روح بن زنباع هند ابنة النعمان بن بشير، وكان شديد الغيرة، فأشرفت تنظر إلى وفد[1] من جذام كانوا عنده، فزجرها، فقلت: إني والله لأبغض الحلال من جذام، فكيف بالحرام منهم؟.

---

(١) «وفد» من [س] وهي أدق لضمير الجمع بعدها، لأنها في [د، ح] رجل، وأخلت [س] بما يلي: كانوا عنده فزجرها، فقالت: إني والله لأبغض الحلال من جذام، وهو سهو من الناسخ، إذ سبقت عينه إلى «جذام» الثانية قبل الأولى أو مكانها.

الباب الثاني

في مستحسن الأجوبة التي هي عن ذكاء قائلها معربة

قيل لأبي الأسود الدؤلي: أشهد[١] معاوية بدراً؟ قال: نعم، من تلك الناحية[٢].

ولقي الحسين[٣] بن علي رضي الله عنهما في حين خروجه إلى العراق فسأله: ما وراءك؟ فقال له: تركت القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر من عند الله.

وقدم[٤] معن بن زائدة أسرى كانوا عنده للقتل، فلما مثلوا بين يديه، قال أصغرهم: أتقتل الأسرى عطاشاً؟ فأمر لهم بالماء فلما شربوا، أمر بقتلهم، فقال له: أتقتل أضيافك يا معن فعفا عنهم، وخلى سبيلهم.

وقيل للحسن البصري: أينام إبليس؟ قال: لو نام لوجدنا الراحة.

وسأل رجل من الشعراء رجلاً من المتكلمين بين يدي المأمون: ما سنك؟ قال: عظم، قال: لم أرد[٥] هذا، ولكن كم تعد؟ قال من واحد إلى ألف وأزيد، قال: لم أرد هذا، ولكن كم أتى عليك؟ قال: لو أتى على شيء لأهلكني، فضحك

(١) في [ح] أشهد ان معاوية شهد بدراً، وليس بصواب.

(٢) في [د، س] من ذلك الجانب.

(٣) «الحسين» في [د]. والحسن في الأخريين، والحكاية واردة في البيان والتبيين - جـ ٢ ص ١٨٩، «والنصر من الله» في [د].

(٤) الحكاية واردة في العقد الفريد - جـ ١ ص ١٣٠، وفي [د] يا معن. كما في المتن.

(٥) أخلت [د، س] بهذه العبارة: ولكن كم تعد، قال: من واحد إلى الف وأزيد، قال: لم أرد هذا.

المأمون، وقال له: كيف السؤال عن هذا؟ فقال: أن تقول: كم مضى من عمركْ؟

وقال مؤدب يزيد بن عبد الملك بن مروان يوماً له: لحنت، قال: الجواد يعثر، فقال المؤدب: إي والله ويضرب حتى يستقيم، فقال يزيد: نعم، وربما كسر أنف سائسه(١).

ولقي رجل رجلاً فقال: ما اسمك؟ قال: بحر، قال: ابن من؟ قال: ابن الفرات، قال: أبو من؟ قال: أبو الفيض، قال: ما ينبغي أن تلقى إلا في زورق.

وسمع أشعث امرأة تقول: اللهم لا تمتني حتى تغفر لي ذنوبي، فقال: يا فاسقة، لم تسألي الله المغفرة، وأنت سألته عمر الأبد، يريد أنها لا يغفر لها.

وكان أسقف نجران يوماً جالساً في حانوت بعض الناس، فجاء مخبر لصاحب الحانوت بأن زوجته ولدت، فقال: الحمد لله، هذا ولد سعيد، فمكث ساعة، وإذا بآخر قال له: مات الولد، فقال: لا إله إلا الله، ما قضى الله تعالى أن حضرنا على ولادته، ولا على موته، فقال له الأسقف: ولا على عمله.

وجاء رجل إلى حاكم برجل؛ وقال: هذا احتلم بأمي في النوم، فقال الحاكم: يقام للشمس ويضرب ظله الحد.

وكان رجل يهوى امرأة، فرآها في النوم، وأمكنته من نفسها فأخبرها بذلك، فرفعته إلى الحاكم، وقالت له: إنه نال مني في المنام ما أراد، فليدفع إلي حقي، فقال له الحاكم: ادفع لها ديناراً، فقال الرجل: وكيف أدفع لها ديناراً، ولم أنل منها شيئاً إلا في المنام؟ فقال الحاكم: لا بد من ذلك، فدفع لها ديناراً فلما جاوزت المرأة الباب، قال الحاكم: ارجعي إلي، فلما رجعت أخذ منها الدينار، ودفعه إلى صاحبه، وقال للمرأة: اذهبي فقد نلت منه بمقدار ما نال منك(٢).

---

(١) بعد هذه الحكاية حدث عدم ترتيب للأوراق في [س] وعددها ثماني ورقات، وجاءت بعد ذلك.

(٢) هذه الحكاية وسابقتها واردتان في الأدب الإسباني، وقد درسهما ـ هما وغيرهما ـ مقارناً بين الروايات صديقي العالم الجليل فرناندو دي لاجرانخا، الأستاذ بجامعة مدريد، وقد ترجمناها في كتاب «تأثيرات عربية في حكايات إسبانية دراسات في الأدب المقارن» النهضة المصرية ١٩٨٦، وانظر لهاتين الحكايتين: ص ٧٠ ـ ٧٥. و: اذهبي فقد نلت منه بمقدار ما نال منك رواية [س].

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً بالبادية قد بسط كساءه للشمس وهو يفتلي، فجعلت أنظر، فكان يأخذ البراغيث، ويدع القمل، فقلت له في ذلك، فقال: ابدأ بالفرسان، وأرجع للرجالة.

ووضع ثريد بين يدي قوم، وعليه دجاج، فسرق واحد منهم واحدة منها. فرآه آخر، فلما تم الطعام، قال له: يا فلان، اخرج الدجاجة تلتقط الحب والفتات، فقال: إنها على البيض.

ورأى رجل أحدب قد طلع[١] في بستانه في خوخة، فقال له: يا أبا هشام ما أطلعك هناك؟ قال: سمعت فاض الماء، وجرى على الخوخ، فطلعت أتوضأ.

وخرج خطيب أشبيلية يوماً يتوضأ تحت برج الذهب، وكان أصلع، دون شيء في رأسه، فأخرجت الرميكية رأسها وقالت: بكم تلك القرعة؟ قال لها: بدرهم، قالت: إنما أعطيك فيها مقرعاً، فقال لها: إن كانت غالية رجحتها لك بهذا البربر[٢].

وضع المأمون طعاماً، وكان عنده أعرابي، فقال: يا أعرابي، هلم، قال: إني صائم، فاختلفت الألوان، فرأى جدياً مشوياً فغسل يده، فقال له المأمون: ألم تقل إنك صائم، قال: أقدر على صيام يوم واحد، ولا أقدر على إعادة جديٍ مثل هذا.

وكان بالبصرة مجنون يأكل التمر بنواه، فقيل له: بنواه تأكل التمر؟ فقال: كذا وزنوه علي.

ونظر رجل إلى طاقٍ عالية، فوجد فيه امرأة جميلة، وهي تستاك، فقالت له: أتحب سواكاً؟ قال لها: لا أحب سواك، قالت له: ما ساقك إلى هنا؟ قال: إلهنا، قالت: فما أوقفك للهوى، قال: الهوى، قالت له: ما اسمك؟ قال: وجهك، قالت: ادخل إذن علي[٣].

---

(١) «قد طلع» من [د].
(٢) هكذا في النسخ الثلاث، وقد رسمناها كما هي، ولم نتبين المراد بها، ولا كتابتها إلا ظناً.
(٣) في [د] ادخل أبا علي. وفي الهامش: وكان اسمها جميلة.

وقالت امرأة للحصين بن منذر: كيف سدت وأنت بخيل قبيح؟ فقال: لأني سديد الرأي، شديد الإقدام.

وقال مسلمة بن عبد الملك لأخيه هشام: كيف تطمع في الخلافة وأنت بخيل جبان؟ فقال: لأني حليم عفيف.

وشكى أبو العيناء حاله إلى عبد الله بن سليمان، فقال له: أليس قد كتبنا لك إلى إبراهيم بن المدبر؟ قال: قد كتبت إلى رجل قد قصر من همته طول الفقر، وذل الأسر، ومعاناة محن الدهر، فأخفقت في طلبي، قال: أنت قد اخترته، قال: وما علي - أعز الله الأمير - في ذلك، قد اختار موسى سبعين رجلاً[1] فما كان منهم رشيد، واختار النبي ﷺ ابن أبي سرح كاتباً، فرجع إلى المشركين مرتداً، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى حاكماً فحكم عليه.

وسأل عبد الملك بن مروان مسلمة بن اليزيد، وكان من المعمرين، فقال: أي الملوك رأيت أكمل، وأي الزمان رأيت أفضل؟ فقال: أما الملوك فلم أر إلا حامداً أو ذاماً، وأما الزمان فيضع أقواماً، ويرفع أقواماً، وكلهم يذم زمانه، لأنه يبلي جديدهم، ويفرق عديدهم، ويهرم صغيرهم، ويهلك كبيرهم.

ودخل على القاضي إياس، وهو في مجلس القضاء - عدي بن أرطاة فقال له: أين أنت؟ فقال إياس: بينك وبين الحائط، فاسمع[2] مني قال: للاستماع جلست، قال: أين رجل من الشام، قال: نائي المحل، سحيق الدار، قال: وتزوجت امرأة، قال: بالرفاء والبنين، قال: وولد لي غلام، قال: ليهنك الفارس، قال: وأريد الرجوع إلى وطني، قال: في حفظ الله، قال: وشرطت لأهلها ألا أخرجها من بينهم، قال: أوف لهم بالشرط، قال: فاقضي بيننا، قال: قد فعلت، قال: فعلى من قضيت؟ قال: على ابن أمك، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالتك[3].

(١) يشير إلى الآية الكريمة: ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ سورة الأعراف الآية: ١٥٥ ووردت النادرة في وفيات الأعيان جـ ٤ ص ٣٤٤ - وفي زهر الآداب المجلد الأول ص ٣٢٨.

(٢) «فاسمع مني» من [د].

(٣) وردت في: البيان والتبيين، والقاضي هناك شريح - جـ ٤ - ص ٩٨.

وهذا إياس الذي يضرب به المثل في الذكاء والفطنة، وأول[1] ما ظهر من ذكائه، أنه دخل دمشق، وهو غلام، فتحاكم عند قاضيها، مع شيخ. فصال إياس بحديثه على الشيخ، فقال القاضي: إنه شيخ كبير، فاخفض من كلامك. فقال له إياس: الحق أكبر منه: فقال له القاضي: اسكت، قال: ومن ينطق بحجتي؟ قال القاضي: ما أراك تقول إلا حقاً، قال له إياس: لا إله إلا الله[2] أحق هذا أم باطل؟ فحكم القاضي بينهما، وانصرف.

ولما دخل عبد الملك البصرة، رأى إياساً وهو صبي، وخلفه أربعة من القراء، أصحاب الطيالسة والعمائم، وإياس يقدمهم فقال عبد الملك: أما فيكم شيخ يقدمكم غير هذا الحدث؟ ثم التفت إليه وقال: كم سنك؟ قال: سني ـ أطال الله بقاء الأمير ـ سن أسامة بن زيد حين ولاه رسول الله ﷺ جيشاً فيه أبو بكر وعمر، فقال: تقدم، بارك الله فيك، وكان سنه سبع عشرة سنة.

وقال المتوكل لأبي العيناء: ما أشد ما عليك في ذهاب بصرك؟ قال: ما حرمته يا أمير المؤمنين من رؤيتك مع إجماع الناس على جمالك.

وقيل لأحد المكدين: أتبيع مرقعتك؟ قال: أرأيت صائداً يبيع شبكته؟

وقال رجل لأعرابي: ما يسرني لو بت ضيفاً لك، قال: لو بت ضيفاً لي لأصبحت أبطن من أمك قبل أن تلدك بساعة[3].

ودخل أعرابي على معاوية في عباءة فاحتقره. فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباءة لا تكلمك، إنما يكلمك من فيها، ثم تكلم، فملأ سمعه بياناً، ثم خرج، ولم يسله شيئاً، فقال معاوية: ما رأيت رجلاً أحقر أولاً، ولا أجل آخراً منه.

وتكلم رجل عند عبد الملك بكلام ذهب فيه كل مذهب، فقال له، وقد أعجبه، ابن من أنت؟ قال: أنا ابن نفسي التي نلت بها هذا المقعد منك، قال: صدقت.

---

(١) وردت في المصدر السابق ـ جـ ١ ـ ص ١٠١، مع زيادات وحكايات أخرى، كما وردت في زهر الآداب المجلد الأول ص ٢٠٠

(٢) في حاشية [د] وهل يعلم الغيب إلا الله.

(٣) وردت هذه النادرة في: العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٨.

وعرض بعض الأدباء على صاحب له شعراً، بمحضر جماعة فجعل يعرض عن محاسن الشعر، ويتتبع مواضع النقد حسداً، فقال له صاحب الشعر: أراك كالذباب تعرض عن المواضع السليمة، وتتبع جروح الجسد.

وروي عن عمر بن الخطاب، أنه حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: لا تغالوا صدقات النساء؛ فإنه لا يبلغني عن أحد، أنه ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ، أو سيق إليه، إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، فقامت امرأة طويلة فقالت: ليس لك ذلك يا أمير المؤمنين، قال: ولم؟ قالت: كتاب الله أحق أن يتبع أم قولك؟ قال: كتاب الله، قالت: فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾[1] فقال عمر رضي الله عنه: امرأة أصابت، ورجل أخطأ، ثم قال: كنت نهيتكم عن أن تغالوا صدقات النساء، فليفعل كل واحد في ماله ما أحب.

وأخرج الحجاج رجلاً من سجنه ليعاقبه، فقال له: سمنت يا غضبان قال[2]: الرفد والرفعة، والخفض والدعة، ومن يكن ضيف أمير المؤمنين يسمن، قال: لأحملنك على الأدهم، قال: مثل الأمير أعزه الله يحمل على الأدهم والورد والكميت، قال: إنه حديد قال: لأن يكون حديداً خير من أن يكون بليداً. قال: اضربوا به الأرض، قال: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾[3] قال: جروه قال: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ﴾[4] قال: احملوه على الأيدي فلما حمل، قال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾[5] فضحك الحجاج، وقال: غلبنا هذا الخبيث، خلوه إلى صفحي عنه، قال: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾[6].

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٢٠.

(٢) أخلت [س] بقوله: قال: الرد والرفعة والخفض والدعة ومن يكن ضيف أمير المؤمنين يسمن.

(٣) سورة طه ـ الآية ٥٥.

(٤) سورة هود ـ الآية ٤١.

(٥) سورة الزخرف ـ الآية ١٣

(٦) سورة الزخرف ـ الآية ٨٩.

وقال خالد بن الوليد لعبد المسيح بن عمرو الغساني وهو ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، من أين أفضي أمرك؟ قال: من صلب أبي، قال: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: فعلام أنت؟ قال: على الأرض، قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل؟ قال: إي والله وأقيد، قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: فما سنك؟ قال عظم، قال: ما تزيد في مسألتك إلا عناء، قال: ما أجبتك إلا عن مسألتك.

وقال الربيع بن عبد الرحمن: قلت لأعرابي: أتهمز إسرائيل؟ قال: إني إذن لرجل سوء، أراد قوله تعالى: ﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾[1]،قلت: أتجر فلسطين؟ قال: إني إذن لقوي[2].

وقيل لأعرابي: أتهمز الفأرة؟ قال: الهر يهمزها.

ومما يستظرف في هذا الباب أن رجلاً من محارب وفد على عبد الله بن زيد الهلالي عامل أرمينية، وقد بات على قرب من غدير فيه ضفادع، فقال عبد الله: ما تركتنا شيوخ محارب ننام لشدة أصواتها، فقال المحاربي: أصلح الله الأمير، إنها ضلت برقعاً، فهن في طلبه، أراد الهلالي قول الأخطل:

تَنِقُّ بلا شيءٍ شيوخُ محاربٍ ... وما خلتُها كانتْ تَريشُ ولا تَبْري
ضفادعُ في ظلْماءِ ليلٍ تجاوبتْ ... فدَلَّ عليها صوتُها حيَّةَ البحرِ[3]

وأراد المحاربي قول الآخر:

لكلِّ هلاليٍّ من اللؤم بُرقُعٌ ... ولابْنِ هلالٍ برقعٌ وقميصُ[4]

وأذن بشار لأصحابه في الدخول عليه، والطعام بين يديه، فلم يدعهم، ثم دعا بطست، وكشف عن سوأته فبال، ثم حضر الظهر والعصر، فلم يصل، فقالوا له: أنت أستاذنا، وقد رأينا منك أشياء أنكرناها عليك، قال: وما هي؟ قالوا: دخلنا

---

(١) سورة القلم ـ الآية ١١

(٢) في [س] زيادة: أمين بعد: لقوي. وقد وردت الحكاية في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٤.

(٣) البيتان من الطويل ـ الأخطل ـ البيان والتبيين جـ ٢ ص ١٨٢، والحكاية بتمامها فيه.

(٤) البيت من الطويل، وهو منسوب للمحاربي ـ هكذا ـ دون تحديد، ولم أره منسوباً.

والطعام بين يديك فلم تدعنا إليه، قال: إنما أذنت لكم بالدخول[١] لتأكلوا، ولو لم أرد هذا لما أذنت لكم، ثم ماذا؟ قالوا: دعوت بالطست، ونحن حضور، فبلت، ونحن نراك فقال: أنا مكفوف وأنتم بصراء، وأنتم المأمورون بغض البصر دوني، ثم ماذا؟ قالوا: حضرت الصلاة ولم تصل قال: إن الذي يقبلها تفاريق[٢] يقبلها جملة. أحسن في الثنتين، ولم يحسن في الثالثة.

وترك رجل النبيذ، فقيل له: لم تركته، وهو رسول السرور إلى القلب؟ فقال: ولكنه بئس الرسول يبعث إلى الجوف فيذهب إلى الرأس.

وسمع رجل أبا العتاهية ينشد:

فانظرْ بطرفكَ حيثُ شئتَ، فلا ترى إلاَّ بخيلا[٣]

فقال: لقد بخّلت الناس كلهم، فقال: اكذبني أنت بواحد منهم سخي.

وقال المأمون لمحمد بن عباد: أنت متلاف، فقال: منع الجود سوء الظن بالمعبود، يقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[٤]

وخوف بخيل سخياً الإملاق والفقر، فرد عليه السخي[٥]: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾[٦]

وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، فقال: بأبي أنتما وأمي، إن الله عودني أن يتفضل علي، وعودته أن أتفضل على عبيده، وأخاف أن أقطع العادة، فيقطع عني عادته.

---

(١) «بالدخول لتأكلوا» أخلت بها [س]، ووردت النادرة في وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٤٢٥.

(٢) «يقبلها تفاريق» أخلت بها [س].

(٣) البيت من مجزوء الكامل المرفل، وهو لأبي العتاهية. الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة ـ ص ٤٩٩، والخبر وارد به.

(٤) سورة سبأ ـ الآية ٣٩.

(٥) «فرد عليه السخي» من [د، س]، وكانت خطأ في (ح).

(٦) سورة البقرة ـ الآية ٢٦٨

ودخل رجل(١) على الشعبي ـ وهو مع امرأته ـ فقال: أيكما الشعبي؟ فقال: هذه، فقال: ما تقول ـ أصلحك الله ـ في رجل شتمني في أول يوم من رمضان؟ هل يؤجر؟ فقال له الشعبي: إن كان قال لك: أحمق فأرجو له الأجر.

وسأله آخر، فقال له: ما تقول في رجل أدخل أصبعه في أنفه في الصلاة، فخرج عليه دم، أترى له أن يحتجم؟ فقال: الحمد لله الذي نقلنا من الفقه إلى الحجامة.

وسأله(٢) فقال: كيف كانت تسمى امرأة إبليس؟ فقال: ذلك نكاح ما شهدناه.

ودخل الشعبي الحمام فرأى داود الأزدي بلا مئزر فغمض عينيه، فقال له داود: متى عميت يا أبا عمرو؟ قال: مذ هتك الله سترك.

وقال الأصمعي: قلت لامرأة ظريفة: يا جارية، هل في يديك عمل؟ قالت: لا، ولكن في رجلي.

وقال معاوية(٣) لعمرو بن سعيد: إلى من أوصى بك أبوك؟ وكان صغيراً، قال: إن أبي أوصى إلي، ولم يوص بي.

وكان للفرزدق نديم يسمى زياد الأقطع، فأتى بابه يوماً، فخرجت له بنية للفرزدق صغيرة، فقال: ابنة من أنت؟ قالت: ابنة الفرزدق، قال: فما بالك حبشية؟ قالت: فما بال يدك مقطوعة؟ قال: قطعت في حرب الحرورية، قالت: بل قطعت في اللصوصية. فقال: عليك وعلى أبيك لعنة الله، ثم أخبر الفرزدق، فقال: أشهد أنها ابنتي حقاً.

وأنشد الفرزدق شعراً وهو(٤) صغير، بمحضر الحطيئة فقال: هذا والله الشعر يا غلام، هل أنجدت(٥) أمك؟ قال: لا بل أنجد أبي.

ونظر خالد بن صفوان إلى جماعة في مسجد البصرة، فقال: ما هذه الجماعة؟ قالوا: على امرأة تدل على النساء، فأتاها، فقال لها: ابغني امرأة، قالت: صفها، قال:

---

(١) وردت هذه النادرة في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٠٥، وورد نظير لها منسوب إلى الأعمش في وفيات الأعيان ـ جـ ٢ ص ٤٠١.

(٢) وردت في العقد الفريد. الجزء والصفحة نفسهما.

(٣) وردت في البيان والتبيين ـ مع زيادات ـ جـ ٢ ص ١١٢

(٤) في [س] وهو غلام.

(٥) [في د، س] هل أنشدت أمك قال: لا، بل أنشد أبي.

أريدها بكراً كثيب، أو ثيباً كبكر، حلوة من قريب، ضخمة من بعيد، كانت في نعمة فأصابتها فاقة، فيها أدب النعمة، وذل الحاجة، إذا اجتمعنا كنا أهل دنيا، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة، قالت قد أصبتها لك، قال: وأين هي؟ قالت: في الرفيق الأعلى من الجنة فاعمل لها.

وأتى الحطيئة(١) رجل، وهو في غنمه، فقال: يا صاحب الغنم سلام عليكم، فرفع(٢) العصا، وقال: هذه لمن سلم، فقال الرجل: إني ضيف، فقال: للضيفان أعددتها، فأعاد السلام، فقال: إن شئت قمت بها إليك.

ومر به ابن حمامة، وهو جالس في فناء بيته، فقال: السلام عليكم، فقال: قد قلت ما لا ينكر، قال: خرجت من أهلي بغير زاد قال: ضمنت لأهلك قراك، قال: أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك؟ قال: دونك الجبل يقيك ظله، قال: أنا ابن الحمامة، قال: انصرف، وكن ابن أي طائر شئت.

ونزل الغضبان(٣) القبعثري خارج كرمان، وهي كثيرة الرمضاء فضرب قبته، فورد عليه أعرابي، فقال: السلام عليكم، فقال: هي كلمة معقولة، قال الأعرابي: ما اسمك؟ قال: آخذ، قال: أو تعطي؟ قال: ما أحب أن يكون لي اسمان، قال: ومن أين جئت؟ قال: من الدلول، قال: وأين تريد؟ قال: أرضاً أمشي في مناكبها، قال: ومن عرض؟ قال: آل فرعون على النار، قال: ومن بشر؟ قال: الصابرون، قال: فمن غلب؟ قال: حزب الله، قال: أفتسمع؟ قال: إنما تسمع القينة، قال: أفتقول؟ قال: إنما يقول الأمير قال: أفتسجع؟ قال: إنما تسجع الحمامة، قال: أفتنطق؟ قال: كتاب الله ينطق، قال: إنك لمنكر، قال: إني لمعروف، قال: ذلك أريد، قال: وما إرادتك؟ قال: الدخول إليك، قال: وراءك أوسع لك، قال: قد ضرتني الشمس، قال: الساعة يأتيك الفيء، قال: الرمضاء أحرقت قدمي، قال: بل عليهما يبردان، قال: أوجعني الحر،

---

(١) الحكاية هذه وما بعدها في: ديوان الحطيئة.

(٢) «فرفع الحطيئة العصا» في [س] وسقوطها هنا لا يخل بالمراد.

(٣) وردت في البيان والتبيين - جـ ١ ص ٣٧٦، ولها نظائر منسوبة إلى غير الحطيئة والغضبان - انظر الأغاني جـ ١٢ ص ٣٠٤ - حكاية الدؤلي مثلاً.

قال: ليس لي عليه من سلطان قال: إني لا أريد طعامك ولا شرابك، قال: لا تعرض بهما فوالله ما تذوقهما، قال: سبحان الله، قال: قبل كونك، قال: ما عندك؟ قال: هراوة أدق بها رأسك.

وأمر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بعقوبة رجل، فقال له رجاء بن حيوة: إن الله قد فعل ما تحب من الظفر، فافعل ما يحب من العفو، فعفا عنه.

وقال العتبي: وقعت دماء بين حيين من قريش، فأقبل أبو سفيان، فما بقي أحد واضع رأسه إلا رفعه، فقال: يا معشر قريش، هل لكم في الحق أو فيما هو أفضل من الحق؟ قالوا: وهل شيء أفضل من الحق[١]؟ قال: نعم، العفو، فتبادر القوم واصطلحوا.

ويروى أن[٢] نصيباً وفد على عبد الملك بن مروان، وأنشده، فاستحسن شعره، ووصله، فجاء بالطعام فأكل معه، فقال له عبد الملك: هل لك فيما يتنادم عليه، فقال: يا أمير المؤمنين تأملني قال: فإني أراك، قال: يا أمير المؤمنين الجلد أسود، والوجه قبيح، ولست في منصب كريم، وإنما بلغ بي مجالستك ومواكلتك عقلي، وأنا أكره أن أدخل عليه ما يحول بيني وبينه، فأعجب عبد الملك كلامه وأعفاه.

وأنشد[٣] يوماً هشاماً قصيدة مدحه بها، فقال له هشام: يا أسود، قد بلغت المدح فسلني أعطك، فقال: يداك يا أمير المؤمنين بالعطية أطول من لساني بالمسألة، قال هشام: هذا والله أجزل من الشعر وأجازه جائزة عظيمة.

وقال دعبل لمخنث: والله لأهجونك، فقال: إن هجوتني لأخرجن أمك من اللعبة.

---

(١) «قالوا: وهل شيء أفضل من الحق» أخلت بها [س].
(٢) وردت في الأغاني ـ جـ ١ ص ٣٤١، مع ألفاظ مغايرة وإن كان المراد واحداً.
(٣) الحكاية واردة في الأغاني جـ ١ ـ ص ٣٣٩.

ورفع إلى الأمير أن أبا نواس زنديق، وأنشد من شعره ما يستدل به على ذلك، فأمر بإحضاره، ولما حضر أمر بقتله، فقال: ما ذنبي يا أمير المؤمنين؟ قال: عرفت أنك زنديق قال: وما قلت؟ وما ظهر عليّ من ذلك؟ قال: قولك:

ألا فاسْقني خمراً، وقُلْ لي هيَ الخمرُ ... ولا تسْقني سرّاً إذا أمْكن الجهْرُ[١]

قال: يا أمير المؤمنين أفسقاني؟ قال: كذلك أظن، قال: أتقتلني على ظن؟ وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[٢] قال: فأنت الذي تقول:

ما جاءنا أحدٌ يخبِّرُ أنَّهُ ... في جنَّةٍ مُذْ مَاتَ أوْ في نارِ[٣]

قال: أفجاء أحد يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: أفتقتلني على الصدق؟ قال: أنت الذي تقول:

يا أحمدُ الْمُرْتجى في كلِّ نائبةٍ ... قُمْ سيِّدي نَعْص جبَّارَ السماواتِ[٤]

قال: أفقام يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أدري، قال: أفتقتلني على أن لا تدري؟ قال: أطلقوه، ولو وجب عليه القتل.

وكان الفرزدق[٥] يوماً ينشد، فنظر إلى الكميت بن زيد يستمع، وهو غلام يومئذ، فأعجبه ما رأى من إصغائه وتفهمه، فقال: يا غلام كيف ما تسمع؟ قال: حسن، قال: أفيسرك أني أبوك؟ قال: ما أحب بأبي بدلاً، ولكن وددت أنك أمي، قال: يا ابن أخي، استرها علي، فما لقيت مثلها.

وقام بشار بين يدي المهدي ينشده شعراً، ودخل خال المهدي يزيد بن منصور الحميري، وكانت فيه غفلة، فقال لبشار: ما صناعتك أيها الشيخ؟ قال:

---

(١) البيت من الطويل، وهو مطلع قصيدة ذائعة لأبي نواس: زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٤٦٤.

(٢) سورة الحجرات ـ الآية ١٢

(٣) البيت من الكامل ـ وهو لأبي نواس:

(٤) البيت من البسيط ـ وفيه خروج ومبالغة ممقوتة ـ وهو لأبي نواس. الشعر والشعراء ـ ص ٥١١.

(٥) وردت الحكاية في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٠٩

أثقب اللؤلؤ، فضحك المهدي وقال [أتهزأ[1]] بخالي، فقال: يا أمير المؤمنين، وما أصنع به يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً، فيسأله عن صناعته؟

وكتب إلى عبد الرحمن بن الحكم بعض مواليه يسأله عملاً رفيعاً لم يكن من شاكلته فوقع في كتابه: من لم يصب وجه مطلبه كان الحرمان أولى به.

وكان أصاب عبد الله بن[2] عمر زج رمح بقدمه في أيام الحج، فدخل عليه الحجاج يعوده، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، لو علمت من أصابك لفعلت وفعلت، فقال له ابن عمر: أنت أصبتني، فقال: غفر الله لك، لم تقول هذا؟ قال: حملت السلاح في يوم لا يحمل فيه السلاح، وفي بلد لا يحمل فيه السلاح.

وحلف رجل[3] بطلاق امرأته أن الحجاج في النار، فسأل الحسن البصري فقال: لا عليك يا ابن أخي، فإنه إن لم يكن الحجاج في النار، فما يضرك أن تكون مع امرأتك على زنى.

وقال جرير بن منصور: قلت لإبراهيم النخعي: ما تقول في أمر الحجاج؟ قال: ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4] فأشهد أن الحجاج كان منهم.

وقال عبد الملك[5] للحجاج: ما من أحد إلا وهو يعلم عيب نفسه، فصف لي عيوبك، قال: اعفني يا أمير المؤمنين، قال: لا بد أن تقول، قال: أنا لجوج حقود وحسود، قال عبد الملك: ما في إبليس أشر من هذا.

---

(١) في المتن كلمة هكذا «أتظنني»، في جميع النسخ ولعلها «أتظن بخالي هذا؟ أو أتهزأ بخالي. وما جرى هذا المجرى، وقد أثبتنا في المتن [أتهزأ] نقلاً عن زهر الآداب - المجلد الأول ص ٤٧٥، وفي وفيات الأعيان: أتتنادر على خالي؟ جـ ١ ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) «عبد الله بن محمد» في [س] وهي «بن عمر» في [ح، د] ولعلها الأصوب، لتكرار الكلمة فيما بعد.

(٣) الحكاية واردة في العقد الفريد - جـ ٣ - ص ١٦

(٤) سورة هود - الآية ١٨

(٥) وردت في العقد الفريد - جـ ٣ - ص ١٧

وقيل للشعبي[١]: إن الناس يزعمون أن الحجاج مؤمن، قال: مؤمن بالجبت والطاغوت، كافر بالله.

وسئل عمر[٢] بن عبد العزيز رضي الله عنه عن الحجاج، فقال: لو جاءت كل أمة بمنافقيها، وجئنا بالحجاج لفضلناهم.

ولما قدم أبو ليلى النابغة الجعدي على النبي ﷺ وأنشده الشعر الذي يقول فيه:

بلغنا السماءَ مجدُنا وسناؤُنا وإنَّا لَنَبْغِي فوق ذلك مَظْهَرا[٣]

فقال له النبي ﷺ إلى أين يا أبا ليلى؟ قال: إلى الجنة يا رسول الله، قال النبي ﷺ إن شاء الله.

ولقي أبو العتاهية أبا نواس فقال له: أنت الذي لا[٤] تقول الشعر حتى تؤتى بالرياحين والأزهار فتوضع بين يديك؟ قال: وكيف ينبغي للشعر أن يقال إلا هكذا، قال[٥]: إني لأقوله على الكنيف، قال أبو نواس: ولذلك توجد فيه الرائحة.

ولما قدم رجال الكوفة يشكون لسعد بن أبي وقاص، قال: من يعذرني من أهل الكوفة؟ إن وليتهم التقى ضعفوه، وإن وليتهم القوي فجروه، فقال له المغيرة بن شعبة: يا أمير المؤمنين[٦] إن التقيّ الضعيف له تقاه، وعليك ضعفه،

---

(١) المصدر السابق ـ المجلد والصفحة.

(٢) المصدر السابق ـ المجلد ٣ ـ ص ١٦

(٣) البيت من الطويل، للنابغة الجعدي، والحكاية كلها واردة في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٨٥، ٨٦. وهي في الشعر والشعراء ص ١٥٨، ١٥٩ وكانت الرواية «وثناؤنا»، وهي في الشعر والشعراء «وجدودنا» وبعدها:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الماء أصدرا

(٤) أخلت «ح» بكلمة «لا» وهي من [س]، واجبة للمعنى.

(٥) «قال أبو العتاهية» من [س] وسقوط الفاعل الظاهر لا يخل بالمراد.

(٦) واضح أنه لا يخاطب أمير المؤمنين، ولعلها: أيها الأمير.

والقوي الفاجر لك قواه وعليه فجوره، قال: صدقت فأنت القوي الفاجر، فاخرج إليهم.

وقال المنصور لبعض قواده: صدق الذي قال: أجع كلبك يتبعك، وسمنه يأكلك، فقال له العباس[1] الطوسي: أما تخشى يا أمير المؤمنين إن أجعته أن يلوح له غيرك برغيف فيتبعه ويدعك؟

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينة فكتب إليه عمر: حصنها بالعدل، ونق طرقها من الظلم والسلام.

ولما أتي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتاج كسرى وسواريه[2] قال: إن الذي أدى هذا لأمين، قال رجل: يا أمير المؤمنين أنت أمين الله يؤدون إليك ما أديت إلى الله فإذا رتعت رتعوا.

واطلع مروان بن الحكم على صنيعة له فأنكر شيئاً، فقال لوكيله: ويحك، أظنك تخونني، قال: تظن، ولا تستيقنه، قال: نفعل قال: نعم، والله إني لأخونك، وإنك لتخون أمير المؤمنين، وإن أمير المؤمنين ليخون[3] ربه، فلعن الله شر الثلاثة.

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببنيان بني بآجر وجص، فقال: لمن هذا؟ فقيل: لعاملك على البحرين، فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها، وأرسل إليه فشاطره ماله.

ودخل حزيم الناعم على معاوية بن أبي سفيان، فنظر معاوية إلى ساقيه، فقال: أي ساقين؟ لو أنهما على جارية، فقال حزيم: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين. فقال: واحدة بأخرى، والبادي أظلم.

---

(١) «فقال له أبو العباس الطوسي» من [س].

(٢) في [س] وسواريه كما أثبتناها في المتن.

(٣) «وإن أمير المؤمنين ليخون ربه» أخلت بها [س].

ودخل أبو النصر سالم مولى عمر بن عبد الله على عامل للخليفة فقال له: يا أبا النصر، إنه تأتينا كتب من عند الخليفة فيها وفيها ولا نجد بداً من إنفاذها، فقال له أبو النصر: قد أتاك كتاب من عند الله قبل كتاب الخليفة، فأيهما اتبعت كنت من أهله.

ودخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال: ما حديث يحدثني به أهل الشام قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتبت له الحسنات، ولم تكتب عليه السيئات، قال: باطل يا أمير المؤمنين، أبني خليفة أكرم على الله أم خليفة غير بني؟ قال: بل بني خليفة، قال: فإن الله يقول لنبيه داود عليه السلام: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾(١). فهذا يا أمير المؤمنين وعده لبني خليفة، فما ظنك بخليفة غير بني؟ قال: إن الناس ليغروننا عن ديننا.

وقعد معاوية بالكوفة يبايع الناس على البراءة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين نطيع أحياءكم، ولا نبرأ من موتاكم، فالتفت معاوية إلى المغيرة، وقال: هذا رجل فاستوحي به خيراً.

وقال الأصمعي: لما مات يزيد بن معاوية، وصارت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك خر أصحابه سجوداً إلا الأبرش الكلبي، قال: ما منعك أن تسجد كما سجدوا؟ قال: لماذا يا أمير المؤمنين لأنك ذهبت عنا؟ قال: فإن ذهبت بك معي، قال: وتفعل يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، قال: الآن طاب السجود.

وكان سعيد بن عتبة بن حصين، إذا حضر باب السلاطين جلس جانباً، فقيل له: إنك لتباعد الإذن جهدك، قال: لأن أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب(٢)، ثم قال:

رأيتُ أُناساً يُسرعون تَبادُراً ... إذا فتَحَ البَوَّابُ بابَك إصْبعا

---

(١) سورة ص ـ الآية ٢٦

(٢) وردت هذه العبارة منسوبة للأحنف، بدون حكاية كما هي هنا في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٠٠

ونحنُ سكـوتٌ جـالسـونَ رزانـةً وحِلْماً إلى أن يُفتح البـابُ أجمعا[١]

ونظر رجل إلى روح بن حاتم واقفاً في الشمس عند باب المنصور فقال: لقد طال من وقوفك في الشمس، فقال: ليطول جلوسي في الظل.

ووقف أبـو سفيان ببـاب عثمان بن عفـان رضي الله عنه، وقـد اشتغـل ببعض مصلحة المسلمين، فحجبه، فقـال له رجـل وأراد أن يغريـه يا أبـا سفيان، مـا كنت أرى أن تقف بباب مضري فيحجبك، فقال أبـو سفيان: لاعـدمت من قومي من أقف ببابه فيحجبني.

وقال الشعبي: كنت جالساً عند القاضي شريح، إذ دخلت عليه امرأة تشتكي زوجها، وهو غائب، وتبكي بكاء شديداً، فقلت: أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة، فقال: وما علمك؟ قال: لبكـائها، قـال: لا تفعل فـإن إخوة يـوسف ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾[٢]، وهم ظالمون.

وكـان الحسن بن أبي الحسن لا يـرى أن تـرد شهـادة مسلم إلا أن يجـرحـه المشهود عليه، فأقبل إليه رجل، فقال: يا أبا سعيد إن إياساً رد شهـادتي، فقام معـه الحسن إليـه، فقال: أبـا واثلة: لم رددت شهادة هـذا المسلم، وقد قـال رسول الله ﷺ: من صلى قبلتنا فهو مسلم، له ما لنا وعليه ما علينا، قـال: يا أبـا سعيد إن الله يقول: ﴿ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[٣]وهذا ممن[٤]لا نرضاه.

وأقبل وكيع صاحب خراسان يشهد عند إياس بشهادة، فقال له: مرحباً وأهلاً بأبي المطرف، وأجلسه معه، ثم قال له: مـا جاء بـك؟ قال: جئت لأشهـد لفلان،

---

(١) ورد البيتـان ـ وهما من الـطويل ـ في العقـد الفريـد جـ ١ ص ٢٠، بدون نسبة، وفي البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ١٩٠، مفردان إلى الحضين بن المنذر:

كـل خفيف الشـأن يـسعى مشمـرا إذا فـتـح البـواب بـابـك إصبـعـا
ونحن الـجلوس الـمـاكـثـون تـوقـرا حيـاء إلى أن يفتـح البـاب أجمـعـا

وفي البيت الأول من البيان خرم، وهو حذف الفاء من فعولن في أول الطويل.

(٢) سورة يوسف ـ الآية ١٦ والحكاية كلها واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢٥

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٢

(٤) «ممن» زيادة من [د، س].

قال: مالك وللشهادة؟ إنما يشهد الموالي والتجار والسوقة، قال: صدقت، وانصرف من عنده، فقيل له: خدعك، إنه لا يقبل شهادتك، قال: لو علمت ذلك لعلوته بالقضيب.

وقيل للقاضي[1] شريح: أيهما أطيب الجوزنيق أو اللوزنيق؟ قال: لا أحكم على غائب.

ولما أتي بالهرمزان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال له عمر: أعرض عليك الإسلام نصحاً لك في عاجلتك وآجلتك، فقال: يا أمير المؤمنين إنما أعتقد ما أنا عليه ولا أرغب في الإسلام رهبة، فدعا عمر بالسيف، فلما هم بقتله، قال: يا أمير المؤمنين، شربة ماء، هو أفضل من قتلي على ظمأ، فأمر له عمر بشربة ماء، فلما أخذها قال: أنا آمن حتى أشرب؟ قال: نعم، فرمى بها، وقال الوفاء يا أمير المؤمنين نور أبلج، قال: صدقت، لك التوقف عنك والنظر فيك، ارفعا عنه السيف، فلما رفع قال: الآن يا أمير المؤمنين[2]، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وما جاء به حق من عنده، قال عمر: أسلمت خير إسلام وما أخرك؟ قال: كرهت أن تظن أني إنما أسلمت فزعاً من السيف، قال عمر: إن لأهل فارس عقولاً بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك، ثم أمر به أن ينزل ويكرم، فكان عمر يشاوره في توجيه الجيوش إلى أرض فارس.

ويشبه هذا في التلطف والتحيل في النجاة ما حكي أن الكلبي قال: لما فتح عمرو بن العاص قيسارية سار حتى نزل على موضع، فبعث إليه علجه أن ابعث إلي رجلاً من أصحابك أكلمه، ففكر عمرو، وقال: ما لهذا غيري، فخرج حتى دخل على العلج، فكلمه فسمع ما لم يسمع قط كلاماً مثله، فقال العلج: حدثني عن أصحابك، هل فيهم أحد مثلك؟ قال: لا تسأل عن هواني عليهم، إذ بعثوا بي إليك، وعرضوا لي إليك، ولا يدرون ما تصنع بي، فأمر له بكسوة وجائزة، وبعث إلى بوابه: إذا مر بك فاضرب عنقه، وخذ ما عنده، فخرج من عنده، فمر برجل نصراني من غسان، فعرفه، فقال له: يا عمرو قد أحسنت الدخول، فأحسن

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٠٥

(٢) أخلت [س] بقوله: نور أبلج إلى قوله: الآن يا أمير المؤمنين.

الخروج. ففطن عمرو لما أراد، ورجع فقال له العلج: ما ردك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم مثل هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد، قال: صدقت، عجل بهم، وبعث إلى البواب. خل سبيله، فخرج عمرو وهو يلتفت حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبداً، فلما صالحه عمرو دخل إليه العلج، قال له: أنت هو؟ قال: نعم على ما كان من غدرك.

وقال العتبي[١]: بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمرو بن معدي كرب أن يبعث إليه بسيفه المعروف بالصمصامة، فبعث به إليه، فلما ضرب به وجده دون ما بلغه عنه، فكتب إليه في ذلك فرد عليه: إني إنما بعثت إلى أمير المؤمنين بالسيف، ولم أبعث له بالساعد الذي يضرب.

وسأله عمر يوماً عن السلاح، فقال: يسأل أمير المؤمنين عما بدا له، فقال له: ما تقول في الرمح؟ قال: أخوك، وربما خانك فانقصف، قال: فما تقول في الترس؟ قال: هو المجن وعليه تدور الدوائر، قال: والنبل؟ قال: منايا تخطىء وتصيب، قال: فالدرع؟ قال: مفشلة[٢] للراجل، مشغلة للراكب، وإنها لحصن حصين، قال: فما تقول في السيف؟ قال: هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة، وقال: لا، بل لا أم لك.

وقيل لمعاوية: أي الناس أحب إليك؟ قال: من كانت له عندي يد صالحة، قيل: فإن لم تكن؟ قال: فمن كانت لي عنده يد صالحة[٣].

وقيل لأبي عقيل العراقي: كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيته عند طلب الحاجة، رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة[٤] صاحب الحاجة.

(١) لهذه الرواية نظائر متعددة في الأدب الإسباني، وقد درسها فرناندو دي لاجرانخا بعنوان «صدى شاعر عربي قديم في الأدب الإسباني» ونشرناها مترجمة في «تأثيرات عربية في حكايات إسبانية» ص ١٢٢ ـ ١٣٢
(٢) «مفشلة للراجل» أخلت بها [س].
(٣) أخلت [س] بداية من قوله، قيل فإن لم تكن، إلى قوله: صالحة.
(٤) أخلت [س] بقوله: من حاجة.

وقال الأصمعي: نظر زياد إلى رجل من ضبة يأكل أكلاً قبيحاً. وهو من أقبح الناس وجهاً، فقال: يا أخا ضبة كم عيالك؟ قال: سبع بنات، أنا أجمل منهن، وهن آكل مني، فضحك زياد، وقال: لله دره ما ألطف جوابه[١]، افرضوا لكل واحدة منهن مائة وخادماً وعجلوا له ولهن أرزاقهن.

وقال رجل[٢] لإبراهيم بن أدهم: كنت أريد أن تقبل مني هذه الجبة، فقال: إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن لم تكن غنياً لم أقبلها منك، قال: فإني غني، قال: وكم مالك؟ قال: ألف دينار، قال: أفكنت تود أنه أربعة آلاف؟ قال: نعم، قال: فأنت فقير لا أقبلها منك.

وسألت امرأة عبد الله بن جعفر، فأعطاها مالاً عظيماً، فقيل له: إنها لا تعرفك، وكان يرضيها اليسير، قال: إن كان يرضيها اليسير فإني لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

وقال الأصمعي: مدح نصيب عبد الله بن جعفر، فأمر له بمال كثير وكسوة شريفة، ورواحل موقرة براً وتمراً، فقيل له: أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ فقال: أما والله إن كان عبداً إن شعره لحر، وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإنما أخذ مالاً يفنى وثياباً تبلى، ورواحل تنضى، وأعطى مديحاً يروى، وثناء يبقى.

وقال العتبي: وفد حاجب بن زرارة على كسرى، فاستأذن عليه. فقيل له: أسيد الغرب أنت؟ قال لا، قيل: فسيد مضر؟ قال: لا، قيل: فسيد قومك؟ قال: لا، قيل: فسيد بني أبيك؟، قال: لا، ولكني رجل من العرب، فأذن له، فلما دخل عليه، قال له: من أنت؟ قال: سيد العرب، قال: أليس قد قيل لك: أسيد العرب أنت؟ فقلت: لا، حتى اقتصرت بك على بني أبيك، فقلت: لا، قال: أيها الملك لم أكن كذلك حتى دخلت عليك، فلما[٣] دخلت عليك صرت سيد العرب، قال: كسرى: املأوا فاه دراً.

(١) في [د] ما ألطف سؤاله. والرواية واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٧٢.
(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٧٣.
(٣) «فلما دخلت عليك صرت» زيادة ضرورية في [د، س]. والحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٩٢.

وقال المنصور لمسلم بن قتيبة: ما ترى في قتل أبي مسلم فقال: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1]، قال: حسبك.

وقال المأمون ليزيد بن مزيد: ما أكثر الخلفاء في بني ربيعة، قال: بلى، ولكن منابرهم في الجذوع.

ودخل المأمون يوماً بيت الديوان، فرأى غلاماً جميلاً، على أذنه قلم، فقال: من أنت يا غلام؟ قال: الناشىء في دولتك، المتقلب في نعمتك، المؤمل لخدمتك الحسن بن رجاء.

وأتي عبد الملك بن مروان برجل يسرق، فأمر بقطع يده، فأنشأ يقول:

يدي يا أميرَ المؤمنين أعيذُها ... بعفوِكَ أن تَلْقَى مكاناً يَشِينُها
ولا خيْرَ في الدنيا، وكانت حبيبةً ... إذا ما شِمالي فارقَتْها يمينُها[2]

فأبى إلا قطعها، فقالت له أمه: يا أمير المؤمنين واحدي[3] وكاسبي، فقال: بئس الكاسب كان لك، وهذا حد من حدود الله، قالت: يا أمير المؤمنين اجعله من بعض ذنوبك التي تستغفر الله منها، فعفا عنه.

ولما أتي الحجاج بالأسرى الذين خرجوا مع ابن الأشعث أمر بقتلهم، فقال رجل منهم: أصلح الله الأمير، لي حرمة، قال: وما هي؟ قال: ذكرت في عسكر ابن الأشعث، فشتم في أبويك، فعرضت دونهما، وقلت: لا والله ما في نسبه مطعن، فقولوا فيه، ودعوا نسبه، قال: ومن يعلم ما ذكرت؟ فالتفت إلى أقرب الأسرى إليه، وقال: هذا يعلمه، فقال له الحجاج: ما تقول فيما قال هذا؟ قال: صدق، وبر الأمير، فقال: خليا عن هذا لنصرته، وعن هذا لحفظ شهادته.

وأتي الحجاج[4] بأسرى من الخوارج، فأمر بضرب أعناقهم، فقدم فيهم

---

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ٢٢
(٢) البيتان من الطويل.
(٣) «واحدي وكاسبي» من [د]، وكانت حاسبي وكاسبي، ولا معنها لها.
(٤) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ٢٥٩، مع تغيير طفيف. والتي قبلها وردت في وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٨.

شاب، فقال له: والله يا حجاج لئن كنا أسأنا في الذنب، فما أحسنت في العقوبة، قال: أف لهذه الجيف، أما كان فيهم من يقول مثل هذا، وأمسك عن القتل.

وأتي الحجاج بأسرى، فأمر بقتلهم، فقال له رجل منهم: لاجزاك الله يا حجاج عن السنة خيراً، فإن الله يقول: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾(١) فهذا قول الله تعالى في كتابه، وقول شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق:

وما نقتلُ الأسْرى ولكنْ نَفكُّهم ... إذا أُثْقِلَ الأعناقَ حَمْلُ القلائدِ(٢)

فقال الحجاج: ويحكم أعجزتم أن تخبروني ما أخبرني هذا المنافق، وأمسك عمن بقي.

وقال الهيثم بن عدي: أتي الحجاج بحرورية، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذه؟ قالوا: اقتلها أصلح الله الأمير، ونكل بها غيرها، فتبسمت الحرورية فقال لها: لم تبسمت؟ فقالت: لقد كان وزراء أخيك فرعون خيراً من وزرائك يا حجاج، استشارهم في قتل موسى، فقالوا: ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾(٣) وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي، فضحك الحجاج وأطلقها.

وقال الأصمعي: بعث الحجاج(٤) في يحيى بن يعمر، فقال له: أنت الذي تقول: إن الحسين بن علي ابن رسول الله ﷺ والله لتأتين بالمخرج مما قلت، أو لأضربن عنقك، قال له ابن يعمر: إن جئت بالمخرج فأنا آمن؟ قال: نعم، قال: اقرأ

---

(١) سورة محمد الآية ٤.

(٢) البيت من الطويل، والحكاية واردة في العقد الفريد جـ ١ ص ١٣١ وهو للفرزدق يرد على جرير، وبعده بيت يقول:

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم ... أباً عن كليب أو أخاً مثل دارم

الشعر والشعراء ص ٢٩٩، والبيت الأول: حمل المغارم.

(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١١١، وحرورية نسبة إلى حروراء الموضع الذي نزل به الخوارج، وحدثت فيه موقعة النهروان سنة ٣٧ هـ ـ تاريخ الرسل والملوك ـ الطبري جـ ٥ ص ٥٧ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف ١٩٧٩ ومواضع أخرى.

(٤) «بعث الحجاج» زيادة من [د].

قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١) فمن أبعد عيسى من إبراهيم أو الحسين؟ وإنما هو ابن ابنة محمد ﷺ؛ قال الحجاج: والله لكأني ما قرأت هذه الآية قط، وولاه قضاء بلده حتى مات.

وقال رجل(٢) لابنه: لو أوصيت بك إلى فلان؟ فقال: يا أبت إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت، فالحي هو الميت.

ودخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك، فقال له: من أنت؟ كأنه لا يعرفه، فقال له الفرزدق: أو ما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا قال: أنا من قوم منهم أوفى العرب، وأسود العرب، وأجود العرب، وأحلم العرب، وأفرس العرب، وأشعر العرب، قال سليمان: والله لتبينن ما قلت، أو لأوجعن ظهرك ضرباً، قال: نعم يا أمير المؤمنين، أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذي رهن قومه عن جميع العرب، فوفى بها، وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذي وفد على النبي ﷺ، فبسط له رداءه، وقال: هذا سيد الوبر، وأما أحلم العرب فالأحنف بن قيس الذي ضرب به المثل، وأما أجود العرب فعتاب بن ورقاء الرياحي، وأما أفرس العرب فالحريش بن عبد الله السعدي، وأما أشعر العرب فها أنا بين يديك، فاغتم سليمان مما سمع من فخره، ولم ينكره، وقال: ارجع على عقبيك؛ فما لك عندنا من ناشىء خير.

وقال أبو عبيد: اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر، فأخرج لهم بردين، وقال: ليقم أعز العرب قبيلة فليلبسهما، فقام عامر بن الحمير السعدي، فاتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر، فقال له النعمان: بم أنت أعز العرب؟ قال: العز والعدد في العرب في معد ثم في نزار، ثم في تميم، ثم في سعد، ثم في كعب،

(١) سورة الأنعام ـ الآية ٨٣ ـ ٨٥. وأتينا بالآيات كاملة، ولم تكن في النص كذلك.

(٢) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ١١٢، منسوبة إلى زياد بن ظبيان التيمي، يتحدث إلى ابنه عبيد الله وهو يكيد بنفسه ـ عبارة الجاحظ ـ أي يجود بنفسه.

ثم في عوف، ثم في بهدلة، فمن أنكر هذا من العرب، فلينافرني، فسكت الناس، فقال النعمان: هذه حالتك في قومك، فكيف أنت في نفسك وأهل بيتك؟ قال: أنا أبو عشرة وعم عشرة وخال عشرة. فأما أنا في نفسي فهذا شاهدي، ثم وضع قدميه في الأرض، وقال: من أزالها من مكانها فله مائة من الإبل فلم يقم إليه أحد، فذهب بالبردين.

وروي لما هدم الوليد كنيسة دمشق، كتب إليه ملك الروم: أنت هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها. فإن كان صواباً فقد أخطأ أبوك، وإن كان خطأ، فما عذرك؟ فكتب إليه ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ ﴾[١]

وقال العتبي: كتب قيصر إلى معاوية: أخبرني عمن لا قبلة له، وعمن لا أب له، وعمن لا عشيرة له، وعمن سار به قبره، وعن ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم، وعن شيء ونصف شيء ولا شيء، وابعث لي ببذر كل شيء، فبعث معاوية بالكتاب والقارورة إلى ابن عباس، فقال: أما ما لا قبلة له فالكعبة، ومن لا أب له فعيسى عليه السلام، ومن لا عشيرة له فآدم عليه السلام، ومن سار به قبره فيونس عليه السلام، وأما ثلاثة أشياء لم تخلق في رحم فكبش إبراهيم وناقة صالح وحية موسى عليه السلام، وأما شيء فالرجل له عقل يعمل به، وأما نصف الشيء فالذي ليس له عقل ويعمل برأي ذي العقل، وأما لا شيء فالذي ليس له عقل يعمل به، ولا يستعين بعقل غيره، وملأ القارورة ماء، وقال: هذا بذر كل شيء، فبعث معاوية إلى قيصر، فلما وصل إليه الكتاب والقارورة قال: ما خرج هذا إلا من بيت النبوة.

وكتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان: أكلت لحم الجمال التي هرب عليها أبوك من المدينة إن لم أغزك جنوداً مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف[٢] فبعث عبد الملك إلى الحجاج فقال: ابعث إلي علي بن الحسين وتواعده، واكتب لي بما

(١) سورة الأنبياء ـ الآية ٧٨، ٧٩.

(٢) «مائة ألف» ثلاث مرات من [د] وفي غيرها مرتين فقط.

يقول لك، ففعل الحجاج فقال له علي بن الحسين: إن لله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة، ليس فيها لحظة إلا ويحيي فيها ويميت، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء، وإني لأرجو أن يكفيك منها بلحظة واحدة، فكتب به الحجاج إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه ملك الروم قال: ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة.

وقال رجل لإبراهيم النخعي: إني أختم القرآن كل ثلاث، قال: ليتك تختمه كل ثلاثين، وتدري أي شيء تقرأ.

وسار إبراهيم النخعي في طريق، فلقيه الأعمش، فانصرف معه، فقال إبراهيم: الناس إذا رأونا قالوا: الأعمش والأعور، فقال: وما عليك أن يأثموا، ونؤجر، قال: وما عليك أن يسلموا ونسلم.

وسأل رجل ابن سيرين عن مسألة فيها أغلوطة[1]، فقال له: أمسك حتى تسأل عنها أخاك إبليس.

وقيل لابن عباس: ما تقول في رجل طلق زوجته عدد نجوم السماء قال: يكفيه منها كواكب الجوزاء.

وقال الفضل بن عياض: اجتمع محمد بن واسع، ومالك بن دينار فقال مالك بن دينار: ما هو إلا طاعة الله أو النار، قال محمد بن واسع: ليس كما تقول، ما هو إلا عفو الله أو النار، ثم قال مالك بن دينار: إنه ليعجبني أن تكون للإنسان معيشة قدر ما تقوته، قال محمد بن واسع: ولا هو كما تقول، ولكن يعجبني أن يصبح الرجل، وليس له غداء، ويمسي وليس له عشاء، وهو مع ذلك راضٍ عن الله، قال مالك بن دينار: ما أحوجني إلى من يعلمني مثلك.

وكان يجلس إلى سفيان الثوري فتى كثير الفكرة، حسن الاستماع، طويل الإطراق، فأراد سفيان أن يحركه ليسمع كلامه، فقال: يا فتى إن من كانوا قبلنا مروا على خيل عتاق، وبقينا على حمير دبرة، فقال: أبا عبد الله إن كنا على الطريق فما أسرع لحوقنا بالقوم.

---

(١) في [ح] غلوطة.

وقيل لرجل ولي في الحرب: لا تهرب؛ فإن الأمير يغضب عليك، فقال: غضبه علي وأنا حي خير من رضاه عني وأنا ميت.

وعرض الاسكندر جنده، فتقدم إليه رجل على فرس أعرج، فأمر بإسقاطه، فضحك الرجل وولى، فأنكر الإسكندر ذلك وأمر برده فقال له: ما حملك على ما رأيت منك وقد أسقطتك؟ قال: تعجبت من فعلك، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن تحتك آلة الهروب، وتحتي آلة الوقوف والثبات فأسقطتني، فعجب الإسكندر من قوله، وزاد في عطائه.

وقيل لرجل[١]: لم لا تخرج تقاتل العدو؟ قال: والله لا أعرف أحداً منهم ولا يعرفني فمن أين وقعت هذه العداوة بيني وبينهم؟

ومدح بعض الشعراء محمد بن عبدوس صاحب الشرطة، فقال له: أما أن أعطيك من مالي شيئاً فلا، ولكن اذهب فاجن جناية، لا آخذك بها.

وجاء رجل إلى ابن أبي يعقوب فقال له: إذا نزعت ثيابي، ودخلت إلى النهر لأغتسل، إلى أين أتوجه؟ قال: أفضل ذلك أن يكون توجهك إلى ثيابك.

وسأله آخر، فقال له: إذا شيعت الجنازة أقدامها أفضل أم خلفها؟ قال: اجهد ألا تكون فوقها، وكن حيث شئت من نواحيها.

وجاء رجل إلى سوار القاضي، فقال: ما تقول أبقاك الله في القبلة في نهار رمضان؟ قال: مكروهة، قال: فإنها من صديقي، قال: تلك عافاك الله تقبل في شوال.

ودخل حارثة بن زيد على زياد، وبوجهه أثر، فقال له: ما هذا يا حارثة؟ قال: أصلح الله الأمير، ركبت فرس الأشقر فجمح بي فقال له زياد: أما أنك لو ركبت الأشهب لم يصبك منه شيء أراد حارثة بالأشقر النبيذ، وأراد زياد بالأشهب اللبن.

---

(١) وردت هذه الحكاية في البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص ١٩، وهي منسوبة إلى أبي الأصبغ بن ربعي، مع تغيير يسير.

ووقف[١] معاوية بن مروان بباب طحان، فنظر إلى حمار له يـدور الرحـا، في عنقـه جلجل، فقال للطحان: لم جعلت الجلجل في عنق حمارك؟ قال: ربما تدركه سآمة أو نعاس، فإذا لم أسمع صوت الجلجـل علمت أنه واقف، فصحت بـه قال: أرأيت إن وقف وحـرك رأسه بـالجلجل؟ قـال: ومن لي بحمار يكـون له مثـل عقـل الامير.

وباع رجل[٢] ضيعتـه، فلما قبض ثمنهـا، قال للمشتري: لقد أخـذتها كثيـرة المئونة، قليلة المعونة، فقال له المشتري: وأنت والله لقد أخذتها بطيئة الاجتمـاع، سريعة الافتراق.

وقيـل لعلي[٣] رضي الله عنه: كم بين المشـرق والمغرب؟ قـال: مسيرة يـوم للشمس، قيل: فكم بين السماء والأرض؟ قال: مسيرة ساعة لدعوة مستجابة.

وقال أبو جعفر لعمرو بن عبيد: أعني بأصحابك أبـا عثمان، قـال: ارفع علم الحق يتبعك أهله.

وشكى قوم إلى المسيح عليه السلام ذنوبهم، فقال: اتركوها تغفر لكم.

وقيـل لعقيل: مـالك لا تـطيل الهجـاء؟ قال: يكفيـك من القـلادة مـا أحـاط بالعنق.

وأقبل حاكم، فرأى سكران بالأرض، فأمر به إلى السجن، فقال له الخـدمة: قم إلى السجن. فقال: لو كنت أستطيع المشي إلى السجن لمشيت إلى داري.

وكـان رجل غـائباً عن أهله، فسـألوا عن حـاله: فقـال لهم: هو أنـدلسي من رأسه، وغزي من أكتافه، ومحرم من بدنه، وتوزي من رجليـه، ومتعبد من جسـده، فقالوا: قل لنا: إنه عريان بالجوع.

وكـان رجل لـه زوجة جميلة، فقـال له أحـد أصحابـه: إنها تخـونه، فـطلقها

---

(١) وردت في البيـان والتبيين ـ جـ ٢ ـ ص ٢٦١ وفي معـاويـة هـذا غفلة، بـدت في روايـات أخرى في الحدائق، والبيان.

(٢) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٣ ـ ص ١٦١، وفي العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٠٥

(٣) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٤، ٢٧٥، مع تقديم وتأخير، وإضافة يسيرة.

وتزوج امرأة أخرى. فقال له صاحبه ذلك: كيف أنت مع هذه؟ قال: كنت آكل شهداً مع غيري، صرت آكل قطراناً وحدي، يريد أنها قبيحة.

وقيل لشبيب بن شيبة عند باب الرشيد: كيف رأيت الناس؟ قال: رأيت الداخل راجياً، والخارج راضياً.

وتكلم ابن السماك يوماً، وجارية له تسمع، فلما دخل قال: كيف سمعت؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تردده، قال: أردده حتى يفهمه من لم يفهمه، قالت له: إن كنت تردده حتى يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه[١]

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض ما يكره، فقال: لا عليك، إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف إن شئت.

وقيل لقيس بن عاصم: بم سودك قومك، قال: بكف الأذى عنهم، وبذل الندى، ونصر المولى.

ونظر رجل إلى معاوية بن أبي سفيان، وهو غلام صغير ـ فقال: إني أظن هذا الغلام يسود قومه، فسمعته أمه هند، فقالت: ثكلته إن لم يسد غير قومه.

ودخل[٢] ضمرة بن ضمرة على النعمان بن المنذر، وكان قبيح المنظر، فالتفت الناس إلى أصحابه، وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، فقال: أيها الملك؛ إنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، إن قال قال ببيان، وإن صال صال بجنان، قال: صدقت، وبحق سودك قومك.

وقيل لعرابة الأوسي: بم سودك قومك؟ قال: بأربع خصال: أنخدع لهم في مالي، وأذل لهم في عرضي، ولا أحقر صغيرهم، ولا أحسد كبيرهم.

---

(١) «قالت له إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه» من [د، س]، والحكاية في البيان والتبيين ـ جـ١ ص ١٠٤، مع وضع لفظة مكان لفظة.

(٢) وردت ـ مع إضافة ـ في البيان والتبيين ـ جـ ١ ـ ص ٢٣٧. والمثل الوارد عند الجاحظ هو: «تسمع بالمعيدي لا أن تراه» وعلق عليه بقوله: هكذا تقوله العرب، ووردت الحكاية أيضاً في المصدر نفسه ص ١٧١

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له: ما اسمك؟ قال: شهاب بن حرقة. قال: ممن؟ قال: من أهل حرة النار، قال: وأين مسكنك منها؟ قال: بذات لظى، قال: أدرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال عمر رضي الله عنه.

وكان[١] أشعب الطماع يختلف إلى قينة بالمدينة، فلما أراد الخروج سألها أن تعطيه خاتم ذهب في يدها ليذكرها به، فقالت له: إنه ذهب وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود، لعلك أن تعود، وناولته عوداً من الأرض.

وقال رجل لخالد بن صفوان: إني أحبك، قال: وما يمنعك من ذلك؟ ولست بجار لك ولا أخ ولا ابن عم، يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى.

ومر محمد بن سيرين بقوم، فقام إليه رجل منهم، فقال: أبا بكر، إنا قد نلنا منك فحللنا، فقال: إني لا أحل ما حرم الله.

وكان رقبة بن مصقلة جالساً مع أصحابه، فذكروا رجلاً بشيء، فطلع ذلك الرجل، فقال له بعض أصحابه: الا أخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة؟ قال: أخبره، حتى يكون غيمة.

وقيل لبعض الحكماء: فلان يعيبك، فقال: إنما يقرض الدرهم الوازن.

وصلى الأعمش[٢] في مسجد قوم فأطال بهم الإمام. فقال له الأعمش: يا هذا لا تطل صلاتنا، فإنه يكون ذو الحاجة والكبير والضعيف، قال الإمام: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[٣] قال الأعمش: أنا رسول رأس الخاشعين إليك، إنهم لا يحتاجون إلى هذا منك.

ولقي جهم رجلاً من اليونانيين، فقال له: هل لك أن تكلمني وأكلمك فمن أسرته الحجة رجع إلى قول صاحبه، قال: نعم، قال اليوناني: أخبرني عن معبودك، أرأيته؟ قال: لا، قال: أسمعته؟ قال: لا قال: أفلمسته؟ قال: لا، قال:

---

(١) انظر: العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٣٢٩ وما بعدها، ففيه حكايات كثيرة عن أشعب، ووردت في مواضع في كتابنا هذا.

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٧٧، وفي أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٠٦ ـ ١٠٧

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٤٥.

أفشممته[١]؟ قال: لا، قال: فمن أين عرفته وأنت لم تدركه بحاسة من حواسك الخمس؟ وإنما عقلك دائر عليها، فلا يدرك إلا ما أدت إليه من جميع المعلومات، فتلجلج جهم ساعة ثم استدرك فعكس عليه مسألته، فقال له: أتقر أن لك روحاً؟ قال: نعم، قال: هل رأيت روحك أو سمعته أو لمسته أو شممته أو دنته؟ قال: لا، قال: وكيف علمت روحك؟ فأقر له اليوناني.

ورفع سارق إلى حاكم، فأمر بضربه، فقال: كم تضربني؟ فقال له: بالحضرة تكون، وعد لنفسك.

وقيل لأعرابي: ما لك من الولد؟ قال: قليل خبيث، يريد لا أقل من واحد، ولا أخبث من أنثى.

واشترى[٢] رجل غلاماً، فقال له البائع: فيه عيب، قال: وما هو؟ قال: يبول في الفراش، قال: ليس هذا عندي عيباً، إن وجد فراشاً، دعه يبول ويسلح.

وقال رجل لطفل: ابن كم أنت؟ قال: ابن رجل واحد، قال: إنما سألتك عن عمرك، فقال: فقل كم عمرك؟ فقال له كذلك، قال: ثمانية أعوام، قال: أحية أمك؟ قال: ما هي بحية ولا بعقرب، ولكنها امرأة، فقال: فكيف أقول؟ فقال له: قل: أفي الأحياء أمك؟ فقال له كذلك، فقال له: نعم.

ودخل رجل ببنت بكر، فوجدها مسنة، فعابها بكبر[٣] سنها، فقالت له: لا تلم إلا نفسك؛ إنك تركتني حتى كبر سني.

واشتكى طفل بآخر إلى مؤدب، فقال له: إنه يشتمني في قلبه، قال له المؤدب: حكه أنت تحتك.

---

(١) أخلت [د] بقوله: أفلمسته؟ قال: لا، قال: أفشممته؟ قال: لا وأخلت [س] بلفظة: أفشممته.

(٢) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٤ ـ ص ٩. واللفظة الأخيرة من النادرة أخلت بها [د، س]، كما وردت في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦.

(٣) «فعابها بكبر سنها» أخلت بها [س].

ووقف[1] رجل على طباخ، فأكل خبزه برائحة القدر، فدعاه إلى الحاكم وعرفه بفعله، فقال له الحاكم: اضرب بدرهم على رخامته، يأخذ طنينه ورد إليك درهمك.

وخطر حاكم بالليل، وهو يطوف بالمدينة على سارق ينقب داراً فقال له: ما هذا؟ قال: مات لنا ميت، وأنا أحفر له من أين يخرج، فقال له الحاكم: وأين أمارة الموت؟ البكاء والصراخ؟ قال: آخر الليل تسمع النياح.

وقال رجل لأحمد بن أبي خالد، وكان فظاً غليظاً، لقد أعطيت ما لم يعطه رسول الله ﷺ، فقال: لئن لم تخرج مما قلته لأعاقبك، فقال: قال الله تعالى لرسول الله ﷺ ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾[2] وأنت فظ غليظ القلب[3]، ولا يبرحون من حولك.

وقال أعمى: ارحموا ذا زمانتين، قيل: وما زمانتاك؟ قال: أعمى، قبيح الصوت.

وسأل رجل رجلاً فرده وشتمه، فقال له السائل: تردني وتشتمني؟ قال: كرهت أن أردك غير مأجور.

وقال المتوكل لأبي العيناء: كنت أشتهي منادمتك، لولا أنك ضرير البصر، قال: إن إعفاني أمير المؤمنين من قراءة نفش النصوص، ورؤية الأهلة، فأنا أصلح للمنادمة.

وقيل لأبي العيناء: ما بقي في زماننا هذا أحد ينبغي أن يلقى[4] قال: إلا في بئر.

وتزوج مغن نائحة، فسمعها تقول: اللهم وسع علينا في الزرق، فقال: يا

(١) هذه الحكاية وتاليتها لهما نظائر في الأدب الإسباني: انظر: «تأثيرات عربية في حكايات إسبانية» ص ٧٠ ـ ٧٤ للحكاية الأولى، وص ٤٤ ـ ٤٨، للحكاية الثانية.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٩

(٣) «وأنت فظ غليظ القلب» أخلت بها [س].

(٤) اختل ترتيب الأوراق في [د]، وتكرر لهذا نظائر، ووردت الحكاية السابقة في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٢٨.

فاعلة، إنما الدنيا فرح وحزن، وقد أخذنا بطرفي ذلك، إن كان فرح دعوني، وإن كان حزن دعوك، فهل ثم ثالث؟

واعتل ضرس لرجل، ففتح فاه للطبيب، فشم رائحة قبيحة، فقال: ليس هذا من عملي[١]، ولكن من شغل الكنافين.

وقال رجل لطبيب؛ خرج لي خراج في أقبح موضع، قال: كذبت، هذا وجهك لست[٢] أرى فيه شيئاً.

وقال يونس بن محمد: مر بنا سكران، فسلم علينا، فلم نرد عليه سلاماً، وكنا جماعة، فقعد يبول وسطنا، فقلنا له: ما تصنع؟ فقال: ما ظننت أن هنا أحداً.

ولما قتل الحسين بن علي جعل رجل يسلب بنته حليها ويبكي، فقالت له: ما يبكيك؟ قال: إني أسلبك، قالت: فدعه، قال: يأخذه غيري.

وقال أبو[٣] علقمة لحجام دعاه يحجمه: اتق غسل المحاجم، وشد قصب الملازم، وليكن شرطك وخزاً، ومصك نهزاً، ولا تكره آيباً، ولا تدعن آتياً، فوضع الحجام محاجمه في منديله، وقال: ابعث إلى الأصمعي يحجمك.

ودخل أبو[٤] علقمة على طبيب، فقال: إني أجد في بطني غمغمة وقرقرة، فقال له: أما الغمغمة فلا أعرفها، وأما القرقرة فضراط لم ينضج.

وقال رجل لآخر، إن لطمتك لطمة بلغتك المدينة، فقال: أحب أن تردفها بأخرى، عسى الله أن يرزقني حجة على يديك.

وقيل لأبي عبيد: أيما أفضل البصرة أم الكوفة؟ فقال: لو دلني رجل على البصرة لوهبت له الكوفة مكافأة على فعله.

---

(١) أخلت [د] بقوله: «ليس هذا من عملي».
(٢) في النسخ «ليس أرى فيه شيئاً» وعدلناها في المتن.
(٣) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ٣٨٠، مع تغيير طفيف.
(٤) وردت في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢١١

وكـان بعض الملوك قد أمـر أهل مملكتـه أن يجعلوا السعي والانتشار بـالليـل والسكون بالنهار، فأخذ رجل بعـد العصر، فـأتي به للملك، فقـال له: أمـا سمعت نـدائي؟ قال: بلى، ولكن كـانت لي حاجـة مؤكدة، فـأردت أن أبكر لهـا، فضحك الملك، وخلى سبيله.

وقيل لرجل صلى صلاة خفيفة: ما هذه الصلاة؟ فقال: صلاة ما فيها رياء ولا تصنع.

وقيـل لبعضهم: هـل يـولـد لابن تسعين؟ قـال: نعم، إذا كـان لـه جـار ابن ثلاثين.

وسمع رجل من الـظرفاء رجـلاً يقول: كـان أبي لا يدخـل الزقـاق إلا قام لـه الناس، فقال: صدقت، لأنه كان على ظهره حمل شوك.

وساق رجل قمحاً إلى طحان، فامتنع من طحنه، فقال له: اطحنه وإلا دعوت عليك، وعلى دوابك، فإني مستجاب الدعوة، فقال، فادع الله على قمحك، يرجع لك دقيقاً، فهو أنفع لك، وأسلم لدينك.

ودخـل أبو العينـاء على أبي الصقر، فقـال له: مـا أخرك عنـا؟ فقـال: سـرق حمـاري، قال: وكيف سـرق؟ قال: لم أكن مـع اللصوص فـأخبرك، قـال: فلم لم تأتني على غيره؟ قال: قعد بي عن الشراء قلة يساري، وكرهت ذل المكاري، ومنة العواري.

ووقف أبـو العيناء يـوماً إلى صـاعد بن مخلد، فقيـل له: هو مشغول يصلي، فقال: لكل جديد لذة، وكان صاعد قبل أن يلي الوزارة نصرانياً.

وقيـل لأبي العيناء: مـا تقول في ابن مكـرم والعباس بن رستم، فقـال: همـا الخمر والميسر، إثمهما أكبر من نفعهما.

وقال أبو[١] العينـاء: ذكرت لبعض القيـان فأحبتني على السمـاع، فلما رأتني

(١) أخلت [د] بورقتين. ولم يثبتا بعد ذلك كما هو الحال في مواضع أخرى.

استقبحتني، فقلت:

وشــاطــرةٍ لـمَّــا رأتنـي تـنـكــرتْ وقـالتْ: قبيحٌ أحـولٌ، مـا لَـهُ جِسْمُ
فـإن تُنكـري مني احْــوِلالاً، فـإنني أديبٌ أريبٌ، لا عَـيِيٌّ، ولا فَــدْمُ(١)

فقالت: إني لم أردك أن أوليك على دير العراق.

وقال محمد بن يزيد المهلبي: كنت يوماً عند المنتصر، والجماز حاضر، فقال لي المنتصر: سله، هل بقي فيه للنساء شيء؟ فسألته قال: نعم، أقود عليهن.

وقـال الفتح للجمـاز: قد كلمت أميـر المؤمنين يوليـك على الكلاب والقـرود قال: أفلست سامعاً مطيعاً، فضحك المتوكل، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وقـال زكريـا النيسابـوري: قلت لأبي نواس: لم لا أرى في بيتـك مصحفـاً؟ فقال: النور والظلام لا يجتمعان.

وجاء شاعر إلى بشار بن برد، فأنشده شعراً ضعيفاً، وقال له: كيف تراه؟ فقال له: أحسنت، إذ أخرجته من صدرك، لو تركته لأورثك الفالج.

وتوعد بشار رجلاً بالهجاء، وكـان ذلك الـرجل زَوْلَقـاً، فقال لـه: إن هجوتني صورتك على باب حمام، وجعلت خلفك قرداً يداعبك، فقال بشـار: اللهم اخزه؛ أنا أمازحه، وهو يأبى إلا الجد.

ودخل أبو دلامة مصر، ثم انصرف منها إلى بغداد، فلقي أبا نواس، فقال له: كيف أريت مصر؟ قال: رأيتها مقسمة على ثلاثة أقسام، قال: ومـا هي؟ قال: ثلث كلاب، وثلث دواب، وثلث تراب، قال: فأين الناس؟ قال: في الثلث الأول منها.

وكـان ابن شآنـة شاعـراً ماجنـاً ظريفـاً، فجاءه يـومـاً غـلام، فقال لـه: علمني الـزندقـة، فقال لـه: نعم، ففعل بـه، فقال لـه: ما هـذا؟ فقال: هـذا أول باب من الزندقة.

---

(١) البيتان من الطويل. والحكاية واردة في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٢٠٠

ومرت امرأة بقوم وفي رجلها خف مقطع، فقال بعضهم، ما بال خفك يضحك؟ فقالت له: كذا يفعل إذا يرى القرّانين.

ومرت امرأة بقوم، وفي يدها طبق مغطى، فقال لها بعضهم: أي شيء في الطبق؟ فقالت: فعلى أي شيء غطيناه؟

وقيل لأعرابي: أيسرك أن تكون أحمق ولك مائة ألف درهم؟ قال: لا، قيل: ولم؟ قال: لأن حمقة واحدة تأتي على المائة ألف درهم، وأبقى أحمق معدماً.

وتزوج عبادة امرأة، فأقامت عنده شهراً وولدت، فقال لها: ما هذا؟ فقالت: أنت عجنت على خميرة غيرك.

وسألت أشعب صديقة له خاتماً، فقال لها: وما تصنعين به؟ قالت: أذكرك به، قال: اذكريني بأنك سألتني، فمنعتك.

وجلس صبي مع قوم يأكلون طعاماً حاراً، فجعل الصبي يبكي، فقالوا: ما يبكيك؟ قال: الطعام حار، قالوا له: فاصبر حتى يبرد، قال: أنتم لا تصبرون.

وخرج غلام من منزله في يوم مطر شديد، فقالت له أمه: يا بني، هذا المطر كله على رأسك، قال: لا، يا أمي، أكثره على الأرض، ولو كان أكثره على رأسي ما عشت.

ونظر بعض الحكماء إلى غلام ومعه سراج، فقال له: من أين يجيء ضوء السراج؟ فقال له الغلام: إن أخبرتني أين يذهب إذا طفىء، أخبرتك من أين يجيء.

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بصبيان يلعبون، وفيهم عبد الله بن الزبير، فهرب الصبيان، وبقي عبد الله واقفاً، فقال له عمر: لم لا تفر مع أصحابك؟ قال: لم يكن عليّ جرم فأفر، ولا الطريق ضيق فأوسعه لك.

وأقبل المعتصم إلى خاقان يعوده من علة أصابته، والفتح يومئذ صبي، فقال

له المعتصم: أيما أملح دار أمير المؤمنين أو دار أبيك؟ قال: دار أبي إذا كان فيها أمير المؤمنين.

وكان في يد المعتصم خاتم بفص، فقال له: رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، اليد التي الخاتم فيها.

وحكى محمد بن العباس قال: حدثني الفضل قال: عاتبت أم جعفر بحضرتها، وقال له: وجه إلى محمد وعبد الله خادمين خصيين يقولان لكل واحد منهما: ما يفعل معه، إذا أفضت الخلافة إليه؟ ففعلا، فأما محمد فإنه قال: أعطيك أموالاً، وأما عبد الله فإنه رمى الخادم بدواة، كانت بين يديه، وقال: يا ابن اللخناء، أتسألني ما أفعل معك يوم موت أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين؟ إني لأرجو أن أكون أنا وأنت فداء له، فرجعا بالخبر، فقال الرشيد لأم جعفر: ما أرى تقديم ابنك إلا ظلماً.

وقال بعضهم: رأيت أعرابياً في طريق مكة يسأل، ولم يعط شيئاً ومعه صبي صغير، فلما طال عليه الأمر قال: ما أراك إلا محروماً، قال الصبي: يا أبت، المحروم من سألته فبخل، ولم يعط، فعجب الناس منه، ووهب له شيء كثير.

وجاء[1] رجل إلى حمزة بن نصير فقال: أصلحك الله، إن أخي مات، وما عندي ما نكفنه، قال: والله ما حضر لي اليوم شيء، ولكن تفتقدني بعد هذا اليوم، فقال: فعسى أن تأمر لي بدرهم آخذ به ملحاً، قال: وما تصنع به؟ قال: أملحه لئلا ينتن حتى يتيسر الكفن إن شاء الله.

وتكلم عبد الله بن الزبير مع امرأة، فقال لها في بعض كلامه، أخرجي المال تحت استك، فقالت لمن حضر: سألتكم بالله، هذا كلام الخلفاء؟ قالوا: لا، فقالت لابن الزبير: كيف ترى هذا الخلع الخفي؟

ومر شبيب بن زيد رئيس الخوارج، بغلام في الفرات، فقال له: اخرج يا

---

(١) وردت في البيان والتبيين - جـ ٤ - ص ١١، وحكاية الحدائق أكثر ملحاً.

(٢) ورد شبيه لهذه الحكاية من قبل، مع عمر بن الخطاب والرجل الفارسي.

غلام أسائلك، وكان أراد قتله، فقال له الغلام: أمِّني حتى ألبس ثيابي، فأمنه، فقال: والله، لا ألبسها اليوم، قال شبيب: خدعتني، وانصرف عنه.

وحكى بعض البصريين أن عمر بن أسد صاحب السند قال: غزوت بعض بلاد السند، فوجدت شيخاً كبيراً، ومعه غلام، فسألته عن الناس، فقال: إن أردت أن أدلك عليهم، فاقتل هذا الغلام؛ لئلا يخبر بأمري، فأمرت بضرب عنقه، ثم سألت الشيخ فقال: لو كانوا تحت قدمي ما رفعتها عنهم، وإنما خفت أن تسأل الغلام فيدلك عليهم، قال: فقتل الشيخ ولم يخبر.

وقال بعضهم: ورد الخبر على المنصور بخروج محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم، وهو يريد المدينة، فنظر إلى شجرة صغيرة يقال لها الخلاف، فقال للربيع: ما اسم هذه الشجرة؟ فقال: اجتماع يا أمير المؤمنين، فعلم أنها خلاف، وأعجبه قول الربيع.

ونظر المأمون إلى جارية له، وبيدها سواك، فقال لها: كيف تجمعين مسواكاً؟ قالت: محاسنك يا أمير المؤمنين، فاستحسن ذلك منها.

وأتي الحجاج بالغضبان بن القبعثري، وبيد الحجاج لقمة، فقال: والله لا أكلتها حتى أقتلك، قال الغضبان: وخير من ذلك - أصلحك الله أيها[1] الأمير، تطعمنيها، ولا تقتلني، فتكون قد بررت في يمينك، ومننت علي، فقال الحجاج: ادن مني، فدنا منه، فأطعمه إياها، وخلى سبيله.

ويروى أن الحجاج مرّ في طريق المدينة بأعرابي، فقال له الأعرابي: ما وراءك أيها الركب؟ قال: خير قوم الحجاج، فقال الأعرابي ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[2] دمره الله وأهلكه، قال: ولم؟ قال: يخربها كما أخرب مكة عليه لعنة الله، فنزع الحجاج عمامته عن رأسه، وقال: أنا الحجاج، فقال الأعرابي: وأنا ميمون غلام كرعان، أصرع في اليوم ثلاث مرات، فضحك الحجاج ومضى وتركه.

---

(١) في النسخ: يا أمير المؤمنين، وعدلناها في المتن.

(٢) سورة البقرة - الآية ١٥٦، ووردت النادرة في وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٣٩.

وكان مزيد يداخل بعض ولاة المدينة، وكان لطيف المحل عنده، فأبطأ عنه يوماً، فلما جاء، قال له: ما الذي أبطاك عني؟ قال: جارة لي كنت أهواها منذ زمان، فظفرت بها البارحة، وتمكنت منها، فهذا الذي حبسني، فغضب الوالي وقال: والله لأخذنك بإقرارك فلما عزم عليه قال: فاسمع مني تمام حديثي. قال: وما هو: قال: فلما أصبح خرجت لطلب معبر، يعبر لي رؤياي، فلم أجده، فهذا الذي أبطأني عنك، قال: في المنام ـ ويلك ـ رأيت هذا؟ قال: نعم، فسكن غضبه.

وحكى رجل غن شريك قال: رأيت أبا حنيفة وعنده حجام، يأخذ من شعره، فقال أبو حنيفة[1]: خذ البياض من شعري، فقال له الحجام: إذن يكثر، فقال أبو حنيفة: فخذ السواد لعله يكثر، فضحك شريك، وقال: لو ترك أبو حنيفة قياسه في موضع، لتركه مع الحجام.

وجاء قوم إلى أبي حنيفة، فقالوا: ما تقول في رجل وجد معه طنبور، هل يجب عليه تأديب؟ قال: لا، قالوا: ولم وقد وجد معه آلة الفسوق، قال: فكل واحد منكم معه آلة الزنا، فهل يجب عليكم حد؟ فانقطعوا.

وجاء رجل فوضع بين يديه عسل فيه نبيذ، على باب المسجد بالكوفة، وجعل ينادي: من يشتري مني كذا وكذا رطلاً بدرهم، وكان أبو حنيفة قد أحل النبيذ، فلما سمع أبو حنيفة قوله، قال: يا هذا، إنك فعلت قبيحاً، قال: أنت أحللته. قال: صدقت، ومن الحلال أن ينكح أبوك أمك في وسط السوق، ولكن يكون قبيحاً.

ودخل معن بن زائدة على المنصور، فقارب في خطوه، فقال له المنصور: كبرت يا معن، قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال[2]: وإن فيك لجلداً قال:

---

(١) «فقال أبو حنيفة: خذ البياض من شعري، فقال له الحجام: إذن يكثر» زيادة ضرورية من [س]، ووردت في وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٤٠٩.

(٢) «وإن فيك لجلداً، قال على أعدائك يا أمير المؤمنين» زيادة من [س] ووردت في زهر الآداب ـ المجلد الثاني ص ٩١١.

على أعـدائك يـا أمير المؤمنين، قـال: وإن فيـك لبقيـة، قـال: هي لـك يـا أمير المؤمنين.

ورأى المنصور بعض أولاد الأشتر، فهم بقتله، فقـال: يا أميـر المؤمنين ذنبي أعظم من نقمتك، وعفوك أوسع من ذنبي، فـإن لم أكن للعفو لسـوء ما أتيتـه أهلاً، فأنت له أهل، فاستحسن قوله، وعفا عنه.

وأسر يوم الجمل رجل، فأتي به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: ويلك، وأنت ممن ألب علينا، فقال الأشتر: دعني أضرب عنقـه، فقال الـرجل: يـا أميـر المؤمنين، لأن تلقى الله، وقـد عفـوت عني خيـر من أن تلقـاه، وقـد شفيت غيظك، قال: اذهب حيث شئت.

وأتي الحجاج برجل من الخوارج، فأمر بضرب عنقه، فقال له: أخرني يوماً، قال: ما تريد بذلك؟ قال: أؤمل فيه عفو الأمير، مع ما تجري به المقادير فتركه.

وأتي عبـد[١] الملك بن مروان بـأسير، فـدعا بـالسيف والنطع، فـوافق ذلـك دخـول صغـار بني عبـد الملك بـاكيـاً، قـد ضـربـه المؤدب، فـانـزعـج[٢] لـذلـك عبد الملك، وأرادوا تسكينه، فقال الأسير: دعوا الغلام يبكي؛ فهو أوضح لحجتـه، وأصح لبصره ما لم يطل، فقال عبد الملك: أما شغلك ما أنت فيه عن هذا القـول؟ قال: ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن النصيحة شيء إلا أن يعـوق عائق، قـال: خلوا سبيله.

وجاز[٣] المنصور يـوماً، والفـرج بن فضالـة جالس على بـاب الذهب، فقـام الناس جميعاً، ولم يقم الفرج، فاستشاط المنصور غضباً، ودعا به، وقال: ما منعك من القيـام؟ قال: خفت أن يسـألني الله تعالى: لم فعلت؟، ويسـألك: لم رضيت؟ وقد كره رسول الله ﷺ ذلك، فسكن غضبه، وقربه، وقضى حاجته.

---

(١) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ٢٥٩

(٢) «فتوجع لذلك عبد الملك» رواية [س].

(٣) وردت في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٢٣، ومنسوبة إلى المأمون.

وبلغ هشام بن عبد الملك عن رجل فيه شيء قبيح، فأحضره، فتكلم بحجته، فقال له هشام: وتتكلم أيضاً؟ فقال يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾[١]، فنجادل الله جدالاً، ولا نتكلم إليك كلاماً؟ فقال هشام: تكلم بما شئت.

وعربد غلام هاشمي، فشكوه إلى عمه، فأراد عمه أن يوقع به الحد، فقال: يا عم: إني أسأت، وليس معي عقلي، فلا تسيء إلي ومعك عقلك، فصفح عنه.

وجلس موسى بن عبد الملك للمظالم، فدخل عليه أهل شهرين، وفيهم سهل بن عاصم، فتظلموا إليه من عاملهم، وسهل ساكت، فقال لهم موسى: إن قال سهل كما قلتم صرفته عنكم، ثم قال: ما تقول يا سهل؟ قال: أقول: أعزك الله، إنه لم يظلمنا، ولكن الله أمر فينا وفي أمثالنا بالعدل والإحسان، فعدل فينا، ولم يحسن، ولن تصلح أحوالنا إلا بالإحسان، فقال موسى: قد صرفته عنكم، ووليتك عليهم فاعدل وأحسن.

وأقبل بعض السلاطين، فقام إليه رجل، فقال له: لم قمت؟ فقال: لأقعد، فولاه عملاً، واتخذه لنفسه.

وقيل لأعرابي: ما فعل بنوك؟ قال: أكلهم دهر لا يشبع، يعني ماتوا.

وقيل لأحد الزهاد: لم تحب الدراهم، وهي تدنيك من الدنيا؟ قال: هي وإن أدنتني من الدنيا، فقد صانتني عنها.

وكان في بني الجراح فتى خليع ماجن، فأراد العبث بأبي العيناء فنهاه نصاحه، فأبى، فقالوا له: شأنك به، فقال له: يا أبا العيناء، متى أسلمت؟ قال: حين كفر أهلوك، وأبوك الذين لم يؤدبوك، قال له الفتى: إذن علمت أنك ما أسلمت، فقال أبو العيناء: شهادتك لأهلك دعوى، وشهادتي عليهم بلوى، وستعلم أي السلاطين أقوى، وأي الشياطين أغوى، وسيعلم أهلك ما خبأ عليهم جهلك.

---

(١) سورة النحل - الآية ١١١

وأقبل رجل إلى الأعمش، فقال: يا أبا محمد، إني اكتريت حماراً بنصف درهم، وجئتك لتحدثني، قال: اكتره بالنصف الثاني، وارجع: فما أريد أن أحدثك.

وكان عقال بن سليمان يروي الحديث، فقال له بعض من حضر: إن رأيت أن ترفع صوتك؛ فإن بسمعي ثقلاً، فقال له: الثقل في كل شيء منك، ليس في سمعك.

وقال رجل لابن عمران المختار بن عبيد الله يزعم أنه يوحى إليه قال: صدق، يقول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾[١].

وقال رجل ليونس بن حبيب: ما بالي إذا تذاكرتم الحديث نعست قال: لأنك حمار في مسلخ إنسان.

وكان[٢] للمغيرة بن عبد الله الثقفي، وهو والي الكوفة جدي كل يوم يوضع على مائدته، فحضر يوماً أعرابي، فمد يده إلى الجدي، وأسرع فيه، فقال له المغيرة: إنك تأكله أكل حنق عليه كأن أباه نطحك، فقال له الأعرابي: وأنت تشفق عليه كأن أمه أرضعتك.

وقال معاوية لعبد الله بن عباس: لي عندك حاجة يا أمير المؤمنين أفتقضيها لي؟ فقال له: نعم، فقال له ابن عباس: سل حاجتك يا أمير المؤمنين، قال: أريد أن تهب لي دورك وضياعك التي بالطائف، قال: قد فعلت، فقال له معاوية: قد وصلت الرحم، فسل حاجتك، قال: حاجتي إليك أن تردها إلي، قال معاوية: قد فعلت.

وقال رجل[٣] لثمامة بن أشرس: لي إليك حاجة، قال: وأنا لي إليك حاجة أفتقضيها؟ قال: نعم، قال: فإن حاجتي إليك ألا تسألني حاجة.

---

(١) الأنعام ـ الآية ١٢١

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٢ ـ ص ١٠٤

(٣) وردت في المصدر السابق ـ جـ ٢ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ والنادرة التي قبلها قريب من قريب.

وكان(١) أشعب يختلف إلى قينة يعلمها، فطلبت منه درهماً، فانقطع عنها، فعملت له دواء، ولقيته به، فقال لها: ما هذا؟ فقالت له: دواء عملته لك تشربه لهذا الفزع الذي بك، قال: اشربيه أنت للطمع، فلو انقطع طمعك، لانقطع فزعي.

ورمى المتوكل عصفوراً بالبندق، فلم يصبه، فقال ابن حمدون: أحسنت يا أمير المؤمنين، فقال المتوكل: أتهزأ بي؟ كيف أحسنت؟ قال: إلى العصفور الذي تركته.

ونظر أعرابي إلى درهم في يد رجل، فأدام النظر إليه، فقال له الرجل: لو كان لك ما كنت تصنع؟ قال: كنت أنظر إليه نظرة، ثم يكون آخر عهده بالشمس.

وحكى بعضهم قال: وقف خالد بن صفوان بباب سليمان بن علي، فاتقى بغلة كانت بالموضع واقفة، فقيل له: إنها ما ركضت أحداً قط، فقال: أخاف أن أكون أنا المستثنى، فيقال: غير خالد.

وجاء رجل إلى أبي ضمضم القاضي، يستعدي على رجل في دابة، اشتراها منه، وبها عيب، فقال أبو ضمضم: وما عيبها؟ قال: في أصل أذنها شيء مثل الرمانة، وفي ظهرها شيء مثل التفاحة، وفي عجيزتها شيء مثل الجوزة، وفي بطنها شيء مثل اللوزة، فقال القاضي: مرَّ عنا يا بارد؛ هذا من صفات بستان، لا عيب دابة.

وهبت ريح شديدة، فقال الناس: قد قامت القيامة، فقال زائدة المخنث: قيامة بلا خروج دابة، ولا خروج دجال، هذا مما لا يكون.

وكتب سليمان بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة، أن احصي المخنثين، واخصهم، فخصاهم، وكان فيهم دلال المخنث، فمر بهم رجل، فقال له: ما هذا؟ فقال: الختان الثاني، فالآن تم التخنيث.

---

(١) وردت في العقد الفريد - جـ ٣ - ص ١٨٣

ولما صلب ابن برحان اللص، جاز عليه خبيب بن ثابت فنظر إليه ودعا له، فقيل له: لم تدعو له، وهو برحان اللص؟ قال: فلمن أدعو، أللحسن وابن سيرين؟

وأتت امرأة إلى بلال بن بردة من ولد أبي موسى الأشعري في أمر اتفق بينها وبين زوجها، فأوجب الحاكم أن يفرق بينهما، فقالت له المرأة: يا بني موسى، ما خلقكم الله إلا للتفريق بين الناس.

وحج سليمان بن الأعمش، ومعه جماعة، فطالبهم الجمال بشيء، فأخذوا في ضربه، فقيل لسليمان بن الأعمش، وكان في يده عصاً: يا أبا محمد، ألست حاجاً؟ قال: بلى، ولكن من تمام مناسك الحج ضرب الجمال.

وقال الهيثم بن عدي: قعدت عند ابن عباس رضي الله عنه، فجاءت هدية من مكة فيها ثياب من عمل أهل اليمن، وأخر من مصر فقلت: ألست تروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: من جاءته هدية، وعنده قوم جلوس، فهم شركاؤه فيها، قال: يا ابن أخي، إنما ذلك في التمر والسويق، وما أشبههما، وأما في الثياب العدنية، فلا.

ولما حج المأمون اعترضه رجل في الطريق، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل أريد الحج، قال له: الطريق أمامك، قال: وليس لي نفقة، قال: قد سقط عنك الغرض، قال: إني جئت مستمخاً لا مستفتياً، فأمر له بجائزة، وضحك.

وقال أبو علي البصري لأبي العيناء: إني ولدت قبل طلوع الشمس بيسير، قال: فلذلك كنت سائلاً؛ لأنه وقت انتشار الشمس.

ووقع حرب في بعض الثغور، فخرج رجل بقوس بلا نشاب، فقيل له في ذلك، فقال: نأخذ النشاب مما يجيئنا من العدو، قيل له: فإن لم يجيء، قال: لا يكون بيننا وبينهم قتال.

وتغدى أبو الحارث عند رجل، فقدمت دجاجة، فقال لغلامه: إنما كان ينبغي

أن تقدمها في أول الطعام، ارفعها، فلما كان في اليوم الثاني أتى بها في وسط الطعام، فقال: ألم أقل لك: إنما يبدأ بها في أول الطعام[١]، فقال له أبو الحارث: دجاجتك هذه ميتة أطول عمراً منها حية.

وكان بعضهم يقدم على مائدته خبز درمك مقدار ما يأكله وحده، ويطعم جليسه خبزاً أحمر، وكانت هذه عادته مع من يواكله، فحضر مائدته يوماً إنسان لم يحضرها قبل ذلك، فلما وضع الدرمك بين يديه، مد الرجل يده، وأخذ منه، فقال له صاحب الموضع: ما هذا؟ قال: اشتهيت أن آكل خبزي بهذا الخبز، فخجل رب الدار، وعلم قبح فعله.

وسرق لرجل بخيل عشرة آلاف درهم، فأظهر الجزع عليها، فقال بعض الناس: من أين كنت[٢] اكتسبتها؟ قال: كنت أجمع الدرهم إلى الدرهم منذ ثلاثين سنة، قال: فهل كنت تحدث نفسك أن تفعل بها شيئاً من أبواب البر؟ قال: لا، قال: فهل كنت تؤمل أن تمتع بها نفسك؟ قال: لا، وإنما كنت أجعلها في جراب تحت راسي، أستلذ بها، قال: فاجعل تحت رأسك حجراً عوضاً منها.

وكان بعضهم يتعاهد وقت طعام رياح الجوهري، ولا يخطىء وقته عند الزوال، وربما دخل وهم يأكلون، أو حين تجعل المائدة، فيقول: لعن الله القدرية، من كان يستطيع أن يصرفني عن هذا الطعام وقد كان في اللوح المحفوظ أني لا بد أن[٣] آكله؟ فلما أكثر من ذلك قال له رياح: تعال أنت في غير هذا الوقت، فإن وجدت ما تأكله، فالعن القدرية وآباءهم.

وكان الواثق شديد المحبة للباذنجان، وكان يعمل له كل يوم ألوان كثيرة، فيأكل منها كل يوم ثلاثمائة باذنجانة، فوجه إليه المعتصم يقول له: يا بني: هل أريت خليفة أعمى قط؟ قال للرسول: أبلغ أمير المؤمنين، إني قد تصدقت ببصري على الباذنجان.

---

(١) أخلت [س] بقوله: فلما كان في اليوم الثاني - إلى قوله: أول الطعام.
(٢) «كنت» زيادة من [د].
(٣) «أن» زيادة من [د].

وجاء(١) بعض الثقلاء إلى بعض الظرفاء، فقال له: بلغنا عنك أن لك أربعة آلاف كلمة من الجواب المسكت، وأحب أن تعلمني بعضها، قال: سل عما بدا لك حتى أعلمك، قال: إن قال لك أحد: اسكت يا ثقيل. قال: قل له: صدقت، فخجل الرجل وانصرف.

وجلس ثقيل إلى جانب ظريف ثم قال: لعلك استثقلتني؟ قال: يعلم الله أني استثقلتك وأنت في بيتك، فكيف وأنت بجانبي؟

ورفع رجل إلى الفضل بن يحيى رقعة بيضاء، ليس فيها شيء، فقال له الفضل: يا هذا، ليس في رقعتك شيء مكتوب، فقال له: يا سيدي اكتب فيها أنت ما يليق بفضلك، فكتب فيها أن يعطى مالاً جزيلاً.

وسأل أبو العيناء أحمد بن صالح حاجة، فواعده بها، فلما طالبه بالاقتضاء(٢)، قال أحمد: ما ترى هذا الطين والمطر؟ قال أبو العيناء: فحاجتي إذن صيفية، فضحك، وقضى حاجته.

وعوتب بعضهم على ما يتعاطاه من الحمق، فقال: حمق يعولني خير من عقل أعوله.

ونظر الحسن يوماً إلى رجل عليه بردة حسنة، وحالة جميلة، فقال: من هذا؟ فقيل له: ضراط، فقال الحسن: ما طلب أحد الدنيا بما تستحق إلا هذا.

واشترى رجل ثلاثة أرطال لحماً، وقال لامرأته: اطبخيه، وخرج إلى شغله، فطبخته المرأة، وأكلته، فلما جاء زوجها، قال: هات ما طبخت، فقالت له: أكله السنور، فأخذ الرجل السنور ووزنه، فإذا فيه ثلاثة أرطال. فقال لها: هذا وزن السنور، فأين اللحم؟ أو هذا وزن اللحم، فأين السنور؟

وكان السمك في زمن كسرى عزيزاً، فجاء صياد بسمكة فيها ثمانية أرطال، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فقالت له جارية: تعطي في ثمانية أرطال من سمك

---

(١) حكايات كثيرة عن الثقلاء في العقد الفريد ـ جـ١ ـ ص ١٥٨ وما بعدها. والحكاية التالية لهذه منسوبة للأعمش مع أبي حنيفة ـ وفيات الأعيان جـ٢ ص ٤٠٢.

(٢) في [د، س] هكذا، وفي [ح] بالاستقضاء.

أربعة آلاف درهم؟ قال: فرديه، فأمرت برده ثم قالت له: سمكتك هـذه ذكر هي أم أنثى؛ طمعاً في أن يقول: ذكر فتقول: أنثى نـريد، أو يقـول: أنثى، فتقول: ذكـراً نريد؛ ففطن الصياد، فقال لها: هي خنثى، لا ذكـر ولا أنثى، فقال كسـرى: زيدوه أربعة آلاف درهم أخرى، فقبض الصيـاد المال وانصـرف، فسقط له درهم، فـأكب عليه وأخذه، فقالت له الجـارية: انـظر خساستـه وسوء أدبـه، أعطيتـه ثمانيـة آلاف درهم، وآكب بحضرتك لأخذ درهم، فأمـر كسرى بـرده، فقال: لم أسـأت الأدب؟ قال: كان على الدرهم صورة الملك، فأجللته أن يقع على الأرض، فقال كسـرى: أعطوه أربعة آلاف درهم، ثم قال: هذا ما يجري من النساء.

وكان رجل قاعداً في مجلس وليمة، فكل من دخل وسعوا له، فضاق الرجل، فقام يخرج، فقيل له: ألى أين؟ قال: أخرج وأدخل عساكم أن توسعوا لي.

وقيل لأعرابي: لمن هذه الإبل؟ قال: لله وهي في يدي.

وخاطب أعرابي عبد الله بن جعفر، فقال في مخاطبتـه: يا أبـا الفضل، فقيـل له: ليس هذا كنيته، فقال: إن لم تكن كنيته فهي صفته.

وقعد أبو الحـارث إلى قينة بـالمدينـة صدر نهـاره، فجعلت تحدثـه ولا تذكـر الطعام، فلما طال ذلك به، قال: ما لي لا أسمع للغداء ذكراً؟ قالت: سبحـان الله، مـا تستحي، أما في وجهي مـا يشغلك عن هـذا؟ قـال لهـا: جعلت فـداك، لـو أن جميلاً وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان فيها لبصق كل واحد منهمـا في وجه صـاحبه، ثم افترقا.

وحضر أبو نواس مجلساً فيه قيان، فقلن لـه: أبا نـواس، ليتنا بنـاتك، قـال: نعم، ونحن على دين المجوسية؛ وذلك لأن المجوس ينكحون بناتهم.

ونظر عمران بن حـطان إلى امرأتـه، وكانت من أحسن النسـاء، وكان هـو من أقبح الرجال، فقال: إني وإيـاك في الجنة إن شـاء الله، قالت: وكيف ذلـك؟ قال: لأنني أعطيت مثلك فشكرت، وابتليت بمثلي فصبرت.

وجاء أعرابي إلى ابن الزبير، فقال: أعطني وأقـاتل عنـك أهل الشـام، قال:

اذهب فقاتل، فإن أغنيت أعطيتك، قال: أراك جعلت روحي نقداً، ودراهمك نسيئة.

وقيل لأشعب: ما أحسن الفناء؟ قال: نشيش المقلاة، قيل: فما أطيب الزمان؟ قال: إذا كان عندك ما تنفق.

وكتب عامل عمان إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، إنا أتينا بساحرة، فألقيناها في الماء فطفت على الماء، فكتب له عمر: لسنا من الماء في شيء، إن قامت عليها بينة، وإلا خل عنها.

وقال الأصمعي: سأل علي بن أبي طالب ابنه الحسين رضي الله عنهما: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع، قال: وكيف ذلك؟ قال: الإيمان كل ما سمعته أذناك، وصدقه قلبك، واليقين ما رأته عيناك فصدق به قلبك، وليس بين الأذن والعين إلا أربع أصابع.

وقال[١] الحسن لفرقد السبخي: بلغني أنك لا تأكل الفالوذج، قال: يا أبا سعيد، أخاف ألا أؤدي شكره، قال: يا لكع، هل يؤدي شكر الماء البارد في الصيف والحار في الشاء أحد؟ أما سمعت الله يقول: ﴿ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[٢] و ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾[٣]

وسمع الحسن[٤] رجلاً يعيب الفالوذج، فقال: لعاب النحل، بلباب البر، بخالص السمن، ما عاب هذا مسلم.

وقيل لبقراط: مالك تقل الأكل جداً؟ قال: إني إنما آكل لأحيا، وغيري يحيا ليأكل.

ودعا عبد الملك بن مروان رجلاً إلى الغداء، فقال: ما بي فضل يا أمير المؤمنين، قال: لا خير في رجل يأكل حتى لا يكون فيه فضل.

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٣.

(٢) سورة المؤمنون ـ الآية ٥١.

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٥٧، ١٧٢. والأعراف ـ الآية ١٦٠

(٤) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٧٣، وفي البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ١٨.

وقيل للأحنف بن قيس: أي الشراب أطيب؟ قال: الخمر، قيل له: وكيف عرفت ذلك وأنت لم تشربها؟ قال: إني رأيت من حل له لا يتعداها[١] ومن حرمت عليه إنما يدور حولها.

وقال قيصر لقس بن ساعدة: أي الأشربة أفضل عاقبة[٢] في البدن فقال: ما صفا في العين، واشتد على اللسان، وطابت رائحته في الأنف من شراب الكرم، قال: فما تقول في مطبوخه؟ قال: مرعي ولا كالسعدان، قال: فما تقول في نبيذ الزبيب؟ قال: ميت أحيي فيه بعض المتعة ولا يكاد يحيي من مات مرة.

وقيل لأعرابي :ما لك لا تشرب الخمر؟ قال: لا أشرب ما يشرب عقلي.

وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ما منعك من شرب الخمر في الجاهلية ولا حرج عليك فيها؟ قال: إني رأيتها تذهب العقل جملة، وما رأيت شيئاً يذهب جملة ويعود جملة.

ودخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم، وهم يشربون ويوقدون في الأخصاص، فقال: نهيتكم عن معاقرة الشراب، وعن الوقد في الأخصاص فأوقدتم، وهم بتأديبهم، فقالوا: مهلاً يا أمير المؤمنين، نهاك الله عن التجسس فتجسست، ونهاك عن الدخول بغير إذن، فدخلت، فقال: هاتان بهاتين وانصرف، وهو يقول: كل الناس أفقه منك يا عمر.

وكان بالمدينة أعمى، فأتى يوماً عيناً يغتسل بها، فدخل بثيابه، فقيل له: بللت ثيابك، فقال: لأن تبتل عليّ خير من أن تجف على غيري.

وحكى الهيثم بن عدي قال: بينما أنا بكناسة الكوفة، إذا برجل مكفوف، قد وقف إلى نخاس الدواب، فقال له: بعني حماراً، ليس بالقصير، ولا بالكبير، إذا خلا الطريق تدفق، وإذا كثر الزحام ترفق، إن أقللت علفه صبر، وإن أكثرته شكر، إن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام، فقال له النخاس: يا أبا عبد الله، اصبر، فإن مسخ الله القاضي حماراً، أصبت حاجتك إن شاء الله تعالى.

(١) «لا يتعداها» رواية [س].
(٢) في المتن «عاقبته» وعدلناها.

الباب الثالث

في أبيات شعر وقعت جوابا، واستعملت خطابا

اجتمع ناس من الشعراء، وأتوا منزل عدي بن الرقاع، وصاحوا به. فخرجت بنت له صغيرة، فقالت: ما تريدون؟ قالوا: نريد أباك، نهجوه، ونفضحه، فقالت:

تَجَمَّعْتُمُ مِنْ كلِّ أوْبٍ، ووجهةٍ   على واحدٍ، لازِلتمْ قِرْنَ واحدِ[١]

فاستحيوا، وانصرفوا خجْلين.

ولقي كثير الفرزدق، فقال له الفرزدق، يعرض له بسرقته للشعر: يا أبا ضمرة، أنت أنسب العرب حين تقول:

أريدُ لأنسى ذكرَها، فكأنَّما   تُمثَّلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ[٢]

فقال له كثير يعرض بسرقته، وأنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناسَ ما سِرْنا، يسيرون خلْفَنا
وإن نحنُ أومأْنا إلى الناس وقَّفُوا[٣]

---

(١) البيت من الطويل، والبيت لعدي بن الرقاع، تمثلت به ابنته، وهو والحكاية في الأغاني ـ جـ ٩ ـ ص ٣١٠، «وبلدة» بدلاً من «ووجهة». وهو في الشعر والشعراء ص ٣٩٢، مع حكاية مطولة.

(٢) البيت من الطويل، وهو لكثير عزة ـ طبقات فحول الشعراء ـ السفر الثاني ص ٥٤٥، وورد مرة أخرى في ٥٤٦، وهو مأخوذ من قول جميل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما   تمثلُ لي ليلى على كل مَرْقب

والحكاية واردة في الأغاني جـ ٩ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢، وفي جـ ٨ ص ٩٦ الشعر.

(٣) البيت من الطويل، للفرزدق من قصيدة مشهورة فيها منافرات بينه وبين الحضرمي، طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ـ ص ٣٦٣، والسفر الثاني ص ٦٧٢، وينسب لجميل، وانظر الأغاني أيضاً.

وهذان البيتان لجميل، سرق الفرزدق واحداً، وكثير واحداً، فقال له الفرزدق: هل كانت أمك ترد البصرة؟ قال: لا، ولكن كان أبي كثيراً ما يردها، فعرض كل واحد منهما بصاحبه.

ومر الأقيشر الأسدي بقوم من بني عبس، فقال بعضهم: يا أقيشر، وكان يغضب إذا دعي بذلك، فنظر إليه وأنشأ يقول:

أتدعوني الأُقَيْشِرَ، ذلكَ آسْمِي وأدعوك ابْنَ مُطفِئَةِ السِّراج
تُناجي خِدْعَها بالليل سِرّاً وربُّ العرْشِ يعلمُ ما تُناجي[١]

فسمي الرجل ابن مطفئة السراج.

ونظر رجل إلى الحسن بن عبد الحميد يزاحم الناس على باب محمد بن سليمان فقال: أمثلك يرضى بهذا؟ فقال:

أُهينُ لهمْ نَفْسي؛ لاكرِمَها بهمْ ولا يُكرمُ النفْسَ الذي لا يُهينُها[٢]

وقال أبو مسهر: أتيت أبا جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان، فحجبني، فكتبت إليه:

إنّي أتيتُك للتسليم أمْسِ، فلمْ تَأذَنْ عليكَ لِيَ الأستارُ والحُجُبُ
وقد علمتُ بأني لم أردَّ، ولا والله، ما رُدَّ إلا العلمُ والأدب[٣]

فأجابني ابن عبد كان:

لو كنْتَ عافيتَ بالحُسنى لقلتَ كما
قال ابن أوْسٍ، وفيما قالَه أدَبُ

---

(١) البيتان من الوافر، وهما للأقيشر، واسمه المغيرة بن الأسود بن وهب أحد بني أسد، وكان يغضب إذا قيل له: الأقيشر. والحكاية مذكورة في الشعر والشعراء ص ٣٥٢ ـ ٣٥٣، وفيها «درب الناس» بدلاً من «درب العرش»، وصار ذلك الرجل يدعى من ذلك الحين: ابن مطفئة السراج.

(٢) البيت من الطويل. والحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢٠، وروايته:

أهين لهم نفسي لأكرمهم بها ومن يكرم النفس التي لا يهينها

(٣) البيتان من البسيط، والحكاية مع الشعر واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢١

لـيس الـحـجـابُ بـمُـقْصٍ عـنـك لي أملاً
إن الـسـمـاء تُـرَجّى حـيـن تُـحـتَـجَـب[١]

وقيل لجبان في موقف حرب: تقدم فقاتل، فأنشأ يقول:

وقالوا: تقدَّمْ، قلتُ: لستُ بفاعلٍ أخـافُ على فَخَّارَتي أنْ تُحَطَّما
فلو كـان لي رأسانِ، أتْلفتُ واحداً ولـكـنـه رأسٌ إذا مـاتَ أعْـقَـمـا
وأيْـتَـمَ أولاداً، وأرْمَـلَ نِـسْـوةً فكيفَ على هـذا ترَوْنَ التقدُّما[٢]؟

ووقف بعض الشعراء بباب أمير الرقة، فلما مثل بين يديه أنشده:

مـاذا أقـولُ إذا أتيتُ معـاشـراً صِفـراً يـدي من جُـودِ أروعَ مُجْزِل
إن قلتُ: أعطاني كذبتُ، وإن أقُلْ بَخِـلَ الأميرُ بمـا لـه لم يَجْمُـل
ولأنـت أعلمُ بـالمكـارم والعُـلا من أن أقـولَ: فعلت ما لمْ تَفْعَلِ
فـاخْتَرْ لنفسـكَ ما أقـولُ؛ فـإنني لا بُـدَّ مُخْبِرُهمْ وإنْ لم أُسـألِ[٣]

فأعطاه عشرة آلاف درهم وكتب معها:

أعْجَلْتَنـا، فـأتـاكَ عـاجـلُ بِرِّنـا قُـلًّا، ولـو أمهـلْتَنـا لـم نُـقْلِلِ

---

(١) البيتان من البسيط، والإشارة إلى حبيب بن أوس الطائي (أبي تمام) والبيت الثاني له، انظر الأغاني - جـ ١٤ ص ٣٩٦. وقد أخلت [س] من قوله: فأجابني - إلى آخر الشعر.

(٢) الأبيات من الطويل، وهي لأبي دلامة، وهو الجبان هنا. والأبيات وحكايتها في الأغاني جـ ١٠ ص ٢٦٨، وتقول:

الا لا تَـلُمـنـي إن فـررتُ فـإنـنـي أخـافُ عـلى فـخـارتـي أن تُحَطَّما
فـلو انني في الـسـوق أبتـاعُ مثـلَهـا وجَـدِّكَ مـا بـالـيـتُ أنْ أتـقـدما

والمعنى هذا يلح على الشاعر، إذ يقول في موضع آخر، جـ ١٠ ص ٢٤٥ من الأغاني:

لـو أنَّ لي مهجـةً أخـرى لجُـدتُ بهـا لـكـنـهـا خُـلقـتْ فَـرْداً فـلم أجُـدِ

ورواية [س] «إذا زال» بدلاً من «إذا مات». وللحكاية نظير في الأدب الإسباني، وكلمة «الفخارة» - بالذات - نقلت بلفظها إلى الحكاية الإسبانية. والأبيات واردة أيضاً في العقد الفريد - جـ ١ ص ٤١.

(٣) الأبيات من الكامل. وهي وحكايتها واردة في العقد الفريد - جـ ١ ص ٧٣، وليس ردها بموجود في هذا المصدر، وهي لدعبل الخزاعي.

فَخُذِ القليلَ، وكُنْ كأنك لم تَسَلْ ونكونُ نحنُ كأننا لم نفعل (١)

وقدم الحطيئة المدينة فوقف على عيينة، فقال له: أعطني، فقال: ما لك عندي حق فأعطيكه، وما في مالي فضل عن عيالي، فخرج مغضباً، وعرفه جلساؤه، فأمر برده، ثم قال له: يا هذا، إنك وقفت إلينا، فلم تستأنس ولم تسلم، وكتمتنا نفسك، كأنك كنت مجتنباً، قال: هو ذاك، قال: فاجلس؛ فلك عندنا ما تحب، فجلس، فقال له: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه يَفِرْهُ، ومنْ لا يتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتم (٢)

وأتى الشعبي مسجداً، فصادف فيه قوماً يغتابونه، فوقف عليهم، ثم قال:

هنيئاً مريئاً، غيرَ داءٍ مُخَامِرٍ لِعَزَّةَ مِنْ أعراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ (٣)

وقال الهيثم بن عدي: لما انفرد سفيان بن عيينة، ومات نظراؤه من العلماء، تكاثر الناس عليه يسألونه، فأنشأ يقول:

خلَتِ الديارُ، فسُدْتَ غيرَ مُسَوَّدِ ومن الشقاءِ تفرُّدي بالسُّؤددِ (٤)

وقال بعض الرؤساء لأبي العيناء: أبا العيناء، لو مت لرقص الناس طرباً وسروراً، فقال بديهاً:

أردْتَ مَذَمَّتي، فأجَدْتَ مَدْحي بحمدِ الله ذلكَ، لا بحمدكْ
فلا تَكُ واثقاً أبداً بعَمْدٍ فقد يأتي القضاءُ بضدِّ عَمْدك (٥)

---

(١) البيتان من الكامل ـ ورواية [س] «عاجل رفدنا»، وهما منسوبان لأبي تمام يستنجر الحسن بن وهب، مع تغيير ـ يسير ـ انظر العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٦٥

(٢) البيت من الطويل، من معلقة زهير ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ ص ٢٨٧

(٣) البيت لكثير عزة من تائيته المعروفة، وهو من الطويل ـ الشعر والشعراء ـ ص ٢٦٣، والأغاني جـ ٩ ص ٣٠.

(٤) البيت من الكامل ـ وهو لأبي نخيلة ـ البيان والتبيين ـ جـ ٣ ـ ص ٢١٩ والحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٥٧ وقريب منه في المعنى:

وإن بقوم سودوك لفاقة إلى سيد لو يظفرون بسيد

وهو لأبي نجيلة الراجز ـ الشعر والشعراء ص ٣٨١.

(٥) البيتان من الوافر.

أجل، الناس قد ذهبوا، فلو رآني الموتى لطربوا، فما زالوا يغبطونكم بي ويرحموني بكم.

وقيل لأبي العيناء: إن جماعة الكتاب يلومونك، فأنشد:

إذا رضيَتْ عني كرامُ عشيرتي فلا زالَ غَضباناً عليَّ لئامُها[١]

وقال له يوماً عبد الله بن سليمان: اعذرني؛ فإني مشغول، فقال له: إذا فرغت لم نحتج إليك:

فلا تعتذرْ بالشغلِ عنَّا؛ فإنما تُناطُ بك الآمالُ، ما اتَّصلَ الشُّغْل[٢]

وقيل له: الناس مع أبي علي البصير عليك، وهم إليه أميل، فقال:

سقيتُهمُ الرَّدَى، لمَّا رَمَوْني فقالوا: أبغضوكَ، فقلتُ: أدري

كبُغضِ بني قريشٍ في عليٍّ ولا ذنبٌ سوى أُحُدٍ، وبَدْرِ[٣]

وأتي العريان بن الهيثم بغلام سكران. فقال له: ابن من أنت؟ فقال:

أنا ابنُ الذي لا تَنْزلُ ـ الدَّهرَ ـ قِدْرُه

وإن نزلتْ يوماً فسوف تعودُ[٤]

فظن أنه ابن أحد الأشراف، فخلى سبيله، فكشف الغيب أنه ابن فوَّال.

وسئل ابن شبرمة عن إنشاد الشعر، هل ينقض الوضوء أم لا؟ فأنشد:

يا صاحِ إن فتاةً كنتُ أعشقُها

عُرقوبُها مثلُ شهرِ الصوم في الطولِ[٥]

---

(١) البيت من الطويل.

(٢) البيت من الطويل. والبيت حكايته في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٢٨.

(٣) البيتان من الوافر.

(٤) البيت من الطويل، وهو وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢٠٥ وبدلاً من «ابن فوال» «ابن باقلاني» في العقد.

(٥) البيت من البسيط. ونسبت النادرة لابن سيرين، وإنشاده بيتاً للفرزدق في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٢٠٧

ثم قام فصلى.

ووجد المنصور على كاتب له، فأمر بإحضاره، ودعا بالسياط، فقال: يا أمير المؤمنين:

ونحنُ الكاتبون، وقدْ أسأْنا فهبْنا للكرامِ الكاتبينا[٢]

فضحك منه وعفا عنه.

وأبطأ عبد الله بن يحيى عن الديوان، فأرسل إليه المتوكل يستفهمه عن حاله، فكتب إليه:

عليلٌ مِنْ مكانَيْن مِنَ الإفلاسِ والدَّيْنِ
ففي هذيْنِ لي شُغلٌ وحسبي شُغْلُ هذيْن[٣]

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً يضاجر أخاه، فقال له أخوه: والله لأهجونك، فقال: فكيف تهجوني وأبي أبوك، وأمي أمك؟ قال: اسمع ما أقول:

لئيمٌ أتاه اللؤمُ من ذاتِ نفسِهِ
ولم يأتِهِ من إرْثِ أمٍّ ولا أبِ[٤]

وكان الفرزدق جالساً عند الحسن البصري، فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد، إنا نكون في هذه البعوث والسرايا، فنصيب المرأة من العدو، وهي ذات زوج، فتحل لنا من غير أن يطلقها زوجها، فقال الفرزدق، وقد قلت أنا مثل هذا في شعري فقال له الحسن: وما قلت؟ قال: قلت:

---

(١) البيت من الوافر. وهو وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ١٤٩

(٢) البيتان من الهزج بتسكين «الغين» في «شغل» الأولى، وإلا فهما من مجزوء الوافر. ووردت الحكاية في العقد جـ ١ ص ٧٢.

(٣) البيت من الطويل، وثمة بيتان لهما لحمة به وهما لحسان بن ثابت، وزوجته:

غلام أتاه اللؤم من شطر خاله له جانب وافٍ وآخر أكشم

وتجيبه زوجته:

غلام أتاه اللؤم من نحو عمه ومن خير أعراق ابن حسان أسلم

ديوان حسان ـ ص ٤٥٦.

وذات خليـلٍ أنكحتْنـا رمـاحُنـا   حَلالاً، لمن يَبْني بها، لم تُطَلَّقِ[١]

قال الحسن: صدقت، ثم أقبل رجل آخر، فقال: يا أبا سعيد، ما تقول في الرجل يشك في الشخص يبدو له فيقول: هذا والله فلان، ثم لا يكون هو، ما ترى في يمينه؟ فقال الفرزدق: وقد قلت أنا مثل هذا، قال له الحسن: وما قلت؟، قال: قلت:

ولستَ بمأخوذٍ بقولٍ تقولُهُ   إذا لم تُعَمِّدْ عاقداتُ العزائِمِ[٢]

قال الحسن: صدقت.

واستعدت امرأة على زوجها عباد من منصور، وزعمت أنه لا ينفق عليها فقال لرؤبة بن العجاج: احكم بينهما، فقال:

فطلِّقْ إذَنْ إن كنتَ لستَ بمُنْفِقٍ   فما الناسُ إلا مُنفِقٌ أوْ مُطَلِّقُ[٣]

وقال[٤] علي بن الجهم: قلت لقينة:

هل تعلمينَ وراءَ الحبِّ مَنْزِلَةً   تُدني إليك؛ فإنَّ الحبَّ أقْصَاني[٥]

قالت: تأتي من باب الذهب، وأنشدت:

اجْعَلْ شفيعَكَ منقوشاً تُقَدِّمُه   فلم يَزَلْ مُدْنِياً، مَنْ ليس بالدّاني[٦]

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان بالمدينة رجل جعفري، من ولد جعفر بن أبي طالب، وكان يحب الغناء، وكان يتعشق قينة بالمدينة، فقال يوماً

---

(١) البيت من الطويل، للفرزدق، وهو وحكايته من: طبقات فحول الشعراء - السفر الأول ص ٣٣٦، وهي في العقد الفريد - جـ ٣ ص ١١٩

(٢) البيت من الطويل - للفرزدق - طبقات فحول الشعراء، وروايتها «بشيء» بدلاً من «بقول»، ص ٣٣٥ وما بعدها، كما أنها موجودة أيضاً في العقد الفريد - جـ ٣ - ص ١١٩

(٣) البيت من الطويل، وهو وحكايته في العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢١٩.

(٤) أخلت [س] ببداية الخبر وبالبيت الأول.

(٥) البيت من البسيط وله ثانٍ، وهما ليعقوب بن إسحاق الربعي المخزومي، وغنى فيهما الواثق - الأغاني - جـ ٩ ص ٢٧٧، والبيت الثاني يقول:

هذا كتاب فتى طالت بليته   يقول: يا مشتكى بثي وأحزاني

(٦) البيت من البسيط. وهو وما قبله والحكاية واردة في العقد الفريد - جـ ٣ ص ١٨٣، وينسب البيت الأول في العقد إلى بشار العقيلي. جـ ١ ص ١٦٣

لإخوانه: قوموا معي إلى هذه الجارية حتى نكاشفها؛ فقد والله أيتمت أولادي، وأرملت نسائي، وأخربت[١] ضيعتي، فقاموا معه حتى وقفوا ببابها، فدقه، فخرجت إليه، فإذا هي أملح الناس دلالاً[٢] وشكلاً، فقال لها: يا جارية، أتغني؟:

وكنتُ أحبُّكُمْ، فسلوتُ عنكمْ   عليكم في دياركمُ السلامُ[٣]

فاستحيت وخجلت وبكت، وقالت: يا جارية، هات عودي، والله ما أحسن هذا، ولكن غيره:

تحمَّلَ أهلُها منها فبانوا   على آثارِ منْ ذهبَ الْعَفاءُ[٤]

قال: فاستحيا والله صاحبنا. ثم تصبب عرقاً، ثم قال لها: يا سيدتي هل تحسنين أن تغني:

وأخضعُ للعُتْبى إذا كنتُ ظالماً   وإن ظَلَموا كنتُ الذي أتنَصَّلُ[٥]

قالت: والله ما أحسن هذا، ولكن غيره، ثم غنت:

فإن تُقْبلوا بالودِّ أقبلْ بمثْلِهِ   وَنُنْزِلْكُمْ مِنَّا بأفْضَلِ مَنْزِل[٦]

قال: فدفع الباب ودخل، وأرسل غلامه يحمل إليه حوائجه. وقال: لعن الله الأهل والولد والضيعة.

وكتب البعث على رجل من الكوفة، فخرج، وأفاد جارية وفرساً، وكان متزوجاً بابنة عم له، فكتب إليها:

ألا أَبلغوا أمَّ البنينَ بأنَّنا   غَنِينا، وأغنتْنا الغَطارِفَةُ المُجْدُ
بعيدُ مَناط المنكبينِ، إذا جرى   وبيضاءُ كالتمثال، زيَّنها العِقْدُ

(١) «وأخربت ضيعتي» رواية [س].
(٢) «أملح الناس ذلالاً» رواية [س].
(٣) البيت من الوافر.
(٤) البيت من الوافر، وورد شطره الثاني غير منسوب في الأغاني - جـ ٩ ص ١٩٣
(٥) البيت من الطويل.
(٦) البيت من الطويل، ورواية [س، د] بمثله كما هو في المتن، وكانت «بغيره» في [ح]: وهو عكس المراد.

فهذا لأيام العدوّ، وهذهِ لحاجةِ نَفْسي، حين ينصرفُ الجُنْد[١]

فلما وردها كتابه، قرأته، وقالت: يا غلام، هات الدواة، ثم كتبت:

ألا أقْرِهِ منّا السلامَ، وقلْ لَهُ: غَنينا، وأغنتْنا غطارفةُ المجدِ
إذا شئتُ غنّاني غلامٌ مُرَجَّلٌ ونازعْتُه منْ ماءِ مُعْتَصَرِ الوَرْدِ
وإن شاءَ منهم ناشيءٌ مَدَّ كَفَّهُ إلى كبِدِ ملْساءَ أو كَفَلٍ نَهْدِ
فما كُنتمُ تقضونَ حاجةَ أهلكمْ حضوراً، فتَقْضُوها على النأيِ والبُعد
فعجِّلْ علينا بالسَّراح؛ فإنهُ مُنَانا، ولا ندعو لك الله بالردِّ
فلا قَفَلَ الجندُ الذي أنت فيهمُ وزادك ربُّ الناسِ بُعداً على بُعد[٢]

فلما ورد كتابها لم يزد على أن ركب، وأردف الجارية ولحق بها، فكان أول شيء بدأها بعد السلام أن قال لها: بالله هل كنت فاعلة؟ قالت: الله في قلبي أجل وأعظم، وأنت في عيني أحقر وأذل من أن أعصي الله فيك، فكيف ذقت طعم الغيرة؟ فوهب لها الجارية، وانصرف إلى بعثه.

ونظر ابن أبي ذيب إلى عائشة بنت طلحة تطوف بالكعبة، فقال لها: من أنت؟ فقالت:

مِنَ اللاَّءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِين حِسْبَةً ولكنْ لِيَقتُلْنَ التَّقِيَّ المُغَفَّلا[٣]

مثلك أبا عبد الله، قال: صان الله ذلك الوجه عن النار، قيل: أفتنتك أبا عبد الله؟ قال: لا، ولكن الحسن مرحوم.

وقال الشافعي رضي الله عنه؛ تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة قديمة، فكانت جارية الحديثة تمر بباب القديمة فتقول:

وما يستوي الرجلانِ: رِجلٌ صحيحةٌ ورِجلٌ رمى فيها الزمان فَشَلَّتِ[٤]

---

(١) الأبيات من الطويل، وهي وحكايتها في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٠٠

(٢) الأبيات من الطويل، وفي [س، د]: «أو كفل نهد» كما في المتن، وفي [ح] «أو كافل نهد» وهي في المصدر السابق أيضاً.

(٣) البيت من الطويل، وهو وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ٣، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٤) البيت من الطويل، والبيت وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٣ وله شبيه يقول: وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل بها ريب من الحدثان وللبيت تال، للنجاشي الحارثي ـ وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٣٥٨.

ثم تعود فتقول:

وما يستوي الثوبان: ثوبٌ به البِلَى ... وثوبٌ بأيدي البائعين جديدُ[١]

فمرت جارية القديمة بباب الحديثة، وأنشدت:

نَقِّلْ فؤادَك حيثُ شئتَ من الهوى ... ما الحبُّ إلا للحبيب الأوَّلِ

كم منزلٍ في الأرض يألَفُه الفتى ... وحنينُه أبداً لأوَّلِ منزلِ[٢]

وقال الهيثم بن عدي: كان تحت العريان بن الأسود بنت عم له فطلقها، فتبعتها نفسه، فكتب إليها يعرض لها بالرجوع، فكتبت إليه:

إن كنت ذا حاجةٍ فاطلبْ لها بَدَلا ... إن الغزالَ الذي ضيَّعْتَ مشغولُ[٣]

فكتب إليها:

إن كنت ذا شَغَلٍ فاللهُ يكلؤُهُ ... فقدْ لهَوْنا به، والحبلُ موصولُ

وقد قضينا من استِطْرافِهِ وَطَراً ... وفي الليالي، وفي أيامها طُولُ[٤]

وطلق الوليد بن يزيد زوجته سعدى، فلما تزوجت اشتد ذلك عليه، وندم، فدخل عليه أشعب، فقال له: أبلغ سعدى عني رسالة، ولك عندي خمسة آلاف درهم، قال: عجلها، فأمر له بها، فلما قبضها قال: هات رسالتك، قال: ائتها وأنشدها:

أَسُعْدى، هلْ إليك لنا سبيلٌ ... ولا حتَّى القيامةِ منْ تَلاقِ

بلى، ولعلَّ دهْراً أن يُواتِي ... بموتٍ من خليلكِ، أو فِراق[٥]

فأتاها، فاستأذن عليها، فأذنت له، وقالت: ما بدا لك في زيارتنا؟ قال: يا سيدتي، أرسلني إليك الوليد برسالة، وأنشدها الشعر فقالت لجواريها: خذن هذا الخبيث، فقال: يا سيدتي، جعل لي على ذلك خمسة آلاف درهم، قالت: والله لأعاقبنك، أو تبلغ إليه ما أقول، قال: يا سيدتي اجعلي لي شيئاً، قالت له: لك بساطي هذا،

---

(١) البيت من الطويل.

(٢) البيتان من الكامل، وهما لأبي تمام، البيان والتبيين ـ جـ ٣ ـ ص ٣١٣.

(٣) البيت من البسيط، وهو وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٠٧

(٤) البيتان من البسيط، انظر المصدر السابق.

(٥) البيتان من الوافر، وهما وحكايتهما في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٠٧، ولعل الرواية «حليلك» بالحاء المهملة، والاثنان صحيحان.

قال: قومي من عليه، فقامت فألقاه على ظهره، وقال: هات رسالتك، قالت له: قل له:

أتبكي على سُعدى، وأنتَ تركْتها؟ لقد ذهبتْ سُعدى، فما أنتَ صانعُ[١]؟

فلما بلغه ذلك، سقط في يده، وقال: اختر مني إحدى ثلاث خصال: إما أن نقتلك، وإما أن نطرحك من هذا القصر، وإما أن نلقيك إلى ذلك السباع، فتحير اشعب، وأطرق طويلاً، ثم رفع رأسه، وقال: يا سيدي: ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سعدى، فتبسم، وخلى سبيله.

ودخل أمية بن عبد الله على عبد الملك بن مروان، وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال: قمت بالليل، فأصاب الباب وجهي، فقال عبد الملك:

رأتْني صريعَ الخمرِ يوماً فَسُؤْتُها وللشّاربيها المُدْمنين مَصارعُ[٢]

فقال: لا، وأخذك الله يا أمير المؤمنين بسوء ظنك، قال: بلى، وأخذك الله لسوء مصرعك.

وشهد عند سوار القاضي رجل، فرد شهادته؛ لأنه كان يشرب النبيذ، فقال:

أما النبيذُ، فإنّي غيرُ تاركِهِ ولا شهادةَ لي ما دام سوَّارُ[٣]

وكان بعض المشارقة يسمى كمال الدين، يهوى غلاماً اسمه بدر الدين فكتب إليه:

يا بدْرَ دينِ الله، صِلْ مُدْنَفاً صيَّرَهُ حبُّكَ مِثْلَ الخَيالْ
لا تَخْشَ من عيبٍ إذا زُرْتَهُ فما يُعابُ البدرُ عند الكمالْ[٤]

فسمع بذلك عاشق آخر، فكتب إليه:

يا بدْرُ، لا تسمعْ مقالَ الكمالْ فكلُّ ما نَمَّقَ زُورٌ مُحالْ
البدرُ يُوفَى الْخَسْفَ في نِصْفِهِ وإنما يُخْسَفُ عند الكَمالْ[٥]

---

(١) البيت من الطويل، وهو وحكايته وأشعب في العقد الفريد جـ٢ ص٢٥٣، وقد تكرر مرة أخرى في الجزء الثالث.
(٢) البيت من الطويل.
(٣) البيت من البسيط، ورواية [د، س] ما عاش سوار.
(٤) البيتان من السريع.
(٥) البيتان من السريع.

وقال الأصمعي: كنت عند الرشيد، فجاءه نخاس بجارية للبيع، فنظر إليها الرشيد، ثم قال للنخاس: اذهب بجاريتك، فلولا كلف بوجهها، وخنس بأنفها لاشتريتها، فخرج بها، فلما بلغ الستر قالت: ردني يا أمير المؤمنين، أنشدك بيتين، فأمر بردها، فردت، فأنشدت:

مـا سَلِمَ الظَّبْيُ على حُسْنِهِ كلا، ولا البدْرُ الذي يُوصفُ
فالظبيُ فيهِ خَنَسٌ بَيِّنٌ والبدرُ فيه كَلَفٌ يُعْرَفُ[1]

فاشتراها الرشيد، وكانت من أحظى جواريه عنده.

(١) البيتان من السريع.

الحديقة الثانية

في مداعبات يستجلب بها السرور،
ومضحكات تميل اليها النفوس،
وتنشرح بها الصدور
وفيها خمسة أبواب:

الباب الأول

في ترويح الأرواح بمستحسن المزاح

كان النبي ﷺ يمزح، ولا يقول إلا حقاً(١).

فمن ذلك قوله لإحدى عماته: إن الجنة لا تدخلها عجوز، فلما جزعت من ذلك قال لها: إن الله يخلقهن يوم القيامة شواب أبكاراً(٢).

وقال ﷺ لامرأة: ما فعل زوجك الذي في عينيه بياض، فلما جزعت من ذلك، قال لها: أوليس في كل عين بياض(٣)؟

وقال لرسول الله ﷺ رجل: احملني، قال: ما عندي إلا ولد الناقة، قال: ما أصنع بولد الناقة؟ فقال ﷺ وهل الإبل إلا من النوق(٤).

وقال ﷺ دخل نعيمان الجنة ضاحكاً؛ لأنه كان يُضحكني(٥).

وروي أن نعيمان رضي الله عنه أصابه رمد في عينه، فعاده رسول الله ﷺ فوجده يأكل تمراً، فقال له: أتأكل التمر وأنت أرمد؟ فقال له نعيمان: إنما أنا آكل من الجهة الأخرى، فضحك رسول الله ﷺ(٦)

وقيل لسفيان الثوري: المزاح هجنة، قال: بل سنة.

---

(١) إتحاف السادة المتقين - جـ ٧ ص ٤٩٦.

(٢) تفسير الطبري جـ ١٧ ص ٨٠، وتفسير ابن كثير جـ ٨ ص ٩.

(٣) لم أقف عليه. وقد أخلت [س] من بداية «فلما» إلى آخرها.

(٤) إتحاف السادة المتقين - جـ ٧ ص ٥٠٠.

(٥) الحكاية في العقد الفريد - جـ ٣ ص ٣٠٧، وراويته: عثمان بدلاً من نعيمان. وقد أخلت [س] بقوله: الجنة.

(٦) انظر العقد الفريد - جـ ٣ - ص ٣٠٧.

وقال عبد الله بن عمر لجاريته: خلقني خالق الخير، وخلقك خالق الشر، فبكت، فقال: لا عليك؛ فإن الله هو خالق الخير والشر جميعاً.

وكانت سويداء لبعض الأنصار، تختلف إلى عائشة رضي الله عنها، تلعب بين يديها وتضحكها، وربما كان النبي ﷺ يدخل على عائشة فيجدها عندها، فيضحكان جميعاً، ثم إن النبي ﷺ فقدها، فقال: يا عائشة ما فعلت سويداء؟ قالت: إنها مريضة، فجاء النبي ﷺ يعودها فوجدها في الموت، فقال لأهلها: إذا توفيت فأذنوني، فلما توفيت أعلموه، فشهدها، وصلى عليها وقال: اللهم إنها كانت حريصة على أن تضحكني، فأضحكها فرحاً[1].

وفي بعض الكتب[2] المترجمة أن يحيى وشمعون كانا من الحواريين، فكان يحيى لا يجلس مجلساً إلا ضحك وأضحك من حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلساً إلا بكى وأبكى من حوله، فقال شمعون ليحيى: ما أكثر ضحكك، كأنك قد فرغت من عملك، فقال له يحيى: ما أكثر بكاءك كأنك قد يئست من ربك، فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: أن أحب السيرتين إلي سيرة يحيى.

وفي بعض الكتب[3] المنزلة أيضاً أن عيسى بن مريم لقي يحيى بن زكرياء فقال له عيسى: إنك لتبتسم تبسم آمن، فقال له يحيى: إنك لتعبس تعبس قانط، فأوحى الله إلى عيسى عليه السلام أن الذي يفعل يحيى أحب إلي.

وكان عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيه مزاح، فدخل على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وهي عمة والده يعودها في مرضها الذي ماتت فيه، فقال لها: كيف تجدينك يا أمي، فدتك نفسي، فقالت: في الموت، قال: فلا أفديك إذن، فتبسمت وقالت له: ما تدع مزاحك على حال.

ولقي[4] نعيمان، وهو من قدماء الصحابة، وكان رجلاً صالحاً مع ما كان فيه

---

(١) الحكاية في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٣٠٧.

(٢ ـ ٣) الحكايتان في المصدر السابق، مع تغيير طفيف لا يؤثر في المراد، وكلمة «المنزلة» زيادة من [ح] ولعله يقصد بالمنزلة هنا: المترجمة.

(٤) انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ـ جـ ٦ ص ٢٥١

من المزاح، أعرابياً معه عكة عسل، فاشتراها منه، وجاء بها إلى عائشة والنبي ﷺ عندها، فقرع الباب، وقال: خذوا هذه، فظن رسول الله ﷺ أنه أهداها له، ومر نعيمان، وترك الأعرابي جالساً، فلما طال جلوسه، صاح: يا هؤلاء، ردوا عليَّ عسلي إن لم يحضر الثمن، فسمع النبي ﷺ كلامه، فأعطاه ثمنه، فلما جاء نعيمان، قال له رسول الله ﷺ ما حملك على ما فعلت يا نعيمان؟ قال: رأيت النبي ﷺ يحب العسل، ولم يكن عندي ثمنه، فضحك النبي ﷺ

ومر نعيمان(١) بابن نوفل البصير، وهو في المسجد، فقال له: أريد أن أبول فأخذه بيده، وحمله إلى موضع في المسجد، وقال له: اجلس، ومضى وتركه، فبال، فصاح الناس به: يا أبا المغيرة، إنك لفي المسجد، فقال: نعيمان أجلسني ها هنا، لله علي أن أضربه بعصاي هذه إن وجدته، فبلغه الخبر، فجاءه بعد ذلك، وهو لا يعرفه، فقال له: هل أدلك على نعيمان؟ قال: نعم، قال: هو ذا يصلي، وجاء به إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: هذا نعيمان، فعلاه بالعصا، فصاح الناس به: ويحك، هو عثمان، فقال: من قادني إليه؟ قالوا: نعيمان، قال: والله لا تعرضت له بسوء أبداً.

وخرج نعيمان(٢) وسويبط بن عبد العزيز، في تجارة مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكان سويبط على الزاد، فجاءه نعيمان في بعض منازلهم، فاستعطفه أن يعطيه من الطعام، فقال له: حتى يجيء أبو بكر، فذهب نعيمان إلى قوم من رؤساء الحي الذي هم فيه، فقال لهم: إن لي عبداً، فهل فيكم من يشتريه مني؟ فقالوا: نعم، فقال: إنه ذو لسان، وربما يقول: أنا حر، فتسمعون منه، فلا تغروني وتفسدوا علي غلامي، فقالوا: لا عليك، نحن لا نسمع قوله، فاشتروه، منه بعشرة من الإبل، فقبضها منهم، وجاء بهم إلى سويبط، فقال لهم: هذا هو، فقالوا: قم معنا، قال: وما الخبر؟ قالوا: قد اشتريناك من مولاك، قال: ومن مولاي؟ قالوا: نعيمان، قال: كذب وفجر، فتلكأ، فوضعوا عمامته في عنقه، وذهبوا

---

(١) الإصابة جـ ٦ ص ٢٥١

(٢) أخلت [س] من قوله: بن عبد العزيز ـ إلى ـ رضي الله عنه. ووردت في سنن ابن ماجة جـ ٢ ص ٢٢٥ وما بعدها. وفي الإصابة جـ ٢ ص ٣، ٤.

بـه، وجاء أبـو بكر وطلب سـويبطاً، فلم يجـده، فأخبـر بفعل نعيمـان، فذهب هـو وأصحابه إلى القـوم وخلصوه منهم، وردوا إليهم إبلهم، فلمـا قدمـوا أخبروا رسـول الله ﷺ، فضحك هو وأصحابه من ذلك.

وأتى رجل ابن سيرين، فقال: ما تقول في رؤيا رأيتها، كأن لي غنماً، وكنت أعطى فيها ثمانية دراهم في كل رأس، فأبيت أن أبيع، ففتحت عيني، فلم أر شيئاً، فغلقتهما ومددت يدي وقلت: هاتوا أربعة أربعة، فلم أعط شيئاً، فقال ابن سيرين: لعلهم اطلعوا على عيب في الغنم فكرهوها، فقال: يمكن ما ذكرت.

وقيل للقاضي[1] شريح: أيمـا أطيب الجوزنيق أو اللوزنيق؟ فقـال: لا أحكم على غائب.

وقيل لابن سيرين: من أكل سبع رطب على الريق، سبحت في بطنه، فقال: إن كان هذا فينبغي للوزينج إذا أكل أن يصلي التراويح.

وسئل ابن سيرين عن رجل، فقال: توفي البارحة، فلما رأى وجه الرجل السائل، قـال لـه: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾[2]

وقـال رجل لـلأعمش: كيف بت البارحـة؟ فـدخـل البيت، فـأخـرج فـراشـه ومخدته، وفرشهما واضطجع، وقال: هكذا بت البارحة.

وسـأل رجـل الشعبي عن المسح على اللحيـة، فقـال: خللهـا، فقـال: إني أخاف ألا ينالها الماء، قال: إن خفت ذلك فانقعها من أول الليل.

وكـان الشعبي جالسـاً مع أصحـابه، وإذا بجمـال على عاتقـه دن، فلمـا رأى الشعبي وضـع الدن عن عـاتقه، وقـال: رحمـك الله، مـا اسم امـرأة إبليس؟ فقـال الشعبي: ذلك نكاح ما شهدته.

وجاءه رجل فقـال: كيف كان طـالع إبليس؟ فقـال: إن المنجمين لا يعرفـون طالع مولود حتى يعـرف وقت ولادته، فسـل عن الوقت الـذي ولد فيـه وتجيء حتى أعرفك بطالعه.

---

(١) تكررت نظائر لهذه البادرة في الكتاب هذا.

(٢) سورة الزمر ـ الآية ٤٢.

وجاءه رجل فقال: تزوجت امرأة وهي عرجاء، أفلي أن أردها بـالعيب؟ قال: إن كنت تريد أن تسابق عليها فلك ردها.

وجاءه رجل فقال: أصاب ثـوبي البلل، قال: اغسله، قـال: بماذا أعـزك الله؟ قال: بالخل.

واختصم الطفاوة مع بني راسب، في ابن يدعيه الفريقان، إلى زياد، وأقـاموا جميعاً البينة، فأشكل على زياد أمره، فقـال سعد من بني عمـرو بن يربـوع: أصلح الله الأميـر ولني الحكم بينهم، قال: ومـا عندك في ذلـك؟ قـال: أرى أن يلقى في النهـر، فإن رسب فهـو من بني راسب، وإن طفا فهـو من بني الطفـاوة، فأخـذ زياد نعله وقام، وغلبه الضحك، ثم أرسل إليه، ألم أنهك عن المزاح في مجلسي، قال: أصلح الله الأمير حضرني أمر خفت أن أنساه، فضحك زياد، وقال: لا تعودن.

وجـاء رجل[١] إلى ثمـامة بن أشـرس، أن يسلفـه ويؤخـره. فقـال لـه: هـذه حاجتان، فأنا أقضي لك إحداهما، قال: قد رضيت، قال: فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك.

وسـأل رجل عمـرو بن قيس عن حصاة المسجـد يجدهـا الإنسان في ثـوبه أو خفه أو جبهته، فقـال له: ارم بهـا، فقال الـرجل، زعمـوا أنها تصيـح حتى ترد إلى المسجـد، قال: دعهـا تصيح حتى ينشق حلقهـا، قال الـرجل: أو لهـا حلق؟ قال: فمن أين تصيح إذن؟

---

(١) ورد شبيه لهذه الحكاية في البيان والتبيين - جـ ٤ ص ٦

الباب الثاني

في المضحكات الحسنة، الخفيفة على الألسنة

صرخ ديك في شجرة، فسمعه ثعلب، فأتى إليه، فقال: أبا المنذر، أذنت؟ قال: نعم، قال: انزل نصلي جماعة، قال الديك: أيقظ الإمام، فتخيل للثعلب أنه ديك آخر، فرأى كلباً له ذنب أكبر من كلحته، فهرب، ولم يرد رأسه، فقال له الديك: يفوت الوقت، قال: انتقض الوضوء، أجدده، وأرجع إن شاء الله.

وأخرج راعٍ غنماً للرعي، فجاء مع الليل، والعصا على عنقه من دون غنم، فقيل له: وأين الغنم؟ قال: لا إله إلا الله، وأنا أقول: أي شيء نسيت في الجبل؟

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً في زمن الصيف، ينغمس في ماء، ويقوم ومعه خيط كبير فيه عقد كثيرة، فقلت له: ما هذا، قال: جنابات اكتسبناها في الشتاء، نقضي طهارتها في الصيف.

وأحرق فران طاجناً لفقيه، فجاء ووقف على باب الفرن، وقال: أيها الفرين المسكين، أضرمت اليوم السعير، وأحرقت الطجير، فورب العالمين، لولا أنك عندنا أمين، لضربتك بهذا الإطربزين، وأكلت من السياط مائة وتسعين، ولبثت في السجن بضع سنين، فقال له الفران: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وقال الأصمعي: دخلت المدينة، فوجدت بها بقالاً، يوقد سراجاً في الظهر، ويشعله، فسألته عن ذلك فقال: أرى الناس يبيعون عندي غيري، ويشترون من عند غيري، فأظن أنهم لا يرونني، فأشعل السراج.

---

(١) سورة الصافات: الآية ١٨١، ١٨٢

وغضبت أم حصى يوماً عليه، فقالت له: يا بني، حملتك في بطني تسعة أشهر، وأرضعتك وربيتك، ولا تكافئني على ذلك، فقال لها: أنت تمنين علي بدخولي في بطنك تسعة أشهر، ادخلي أنت في سوأتي تسع سنين.

ودخل أصم الحمام، فجعل رجل يخرج ريحاً، فلما كان بعد ساعة، قال له في أذنه: أولا تسمع شيئاً؟ قال: لا والله يا حبيبي، إلا خروج الريح أسمعه خيالاً

وقيل لرجل: ما ورثت أختك من زوجها؟ قال: «أربعة أشهر وعشراً»[١].

وحكى مطرف قال: أتيت مالك بن أنس يوماً وهو يضحك، وكان ضحكه غريباً فسألته عن ذلك فقال: قام هنا إنسان يصلي، فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فأرتج عليه، فجعل يرددها مراراً، فقال له رجل: ما أعرف هنا للشيطان ذنباً، إلا أنك لا تحسن أن تقرأ.

وبعث الرشيد إلى أبي نواس براءة مختومة، فلما فتحها، لم يجد فيها شيئاً، ففكر طويلاً، ثم رأى الرجل الذي جاء بها أصلع، وهو يطلب منه الجواب، فقال له: إن أردت الجواب، فإنما أكتبه في رأسك، وإلا انصرف دون جواب، فقال له: اكتب، فكتب فيه شعراً، وكتب في آخره: وبالله إلا مزقتم الرقعة إذا قرأتموها، فلما قرأ الرشيد ذلك أمر بصفع الرجل، فصفع حتى امتحى ذلك الكتاب بالصفع، والرشيد يضحك.

وقال أشعب الطماع: رأيت رؤيا، نصفها حق، ونصفها باطل، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت أرى أحمل بدرة دراهم، فمن ثقلها كنت أسلح في ثيابي، فانتبهت فإذا السلح، ولا بدرة.

وقال لأمه: رأيتك في النوم مطلية بعسل، وأنا مطلي بسلح قالت له: هذا عملك الخبيث، ألبسه الله لك، قال: بقي في الرؤيا شيء، قالت: وما هو؟ قال: رأيتك تلعقينني وألعقك، قالت: لعنك الله يا فاسق.

وأراد رجل أن يتزوج في قوم، فجاء بخطيب، فاستفتح خطبة النكاح بحمد

---

(١) إشارة إلى الآية الكريمة ـ ٢٣٤ من سورة البقرة.

الله، فأطال، ثم ذكر خلق السماوات والأرض، ثم ذكر القرون الماضية حتى ضجر من حضر، ثم التفت إلى الخاطب، فقال: ما اسمك أعزك الله؟ قال: قد والله نسيت اسمي من طول خطبتك، وهي طالق، إن تزوجتها، فضحك القوم، وقعدوا في مجلس آخر.

وزوج[١] خالد بن صفوان عبده أمته، فقال له: لو دعوت الناس فخطبت فقال: ادعهم أنت، فدعاهم، فلما اجتمعوا تكلم خالد، فقال: إن الله أجل وأعظم من أن يذكر في نكاح الكلبين، وأنا أشهدكم أني قد زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية، فضحك القوم من ذلك.

وخطب مصعب بن حيان خطبة نكاح، فأرتج عليه، فقال: لقنوا موتاكم لا إله إلا الله، فقالت أم الجارية: عجل الله موتك، ألهذا دعوناك، فضحك القوم وانصرفوا.

ووجد رجل[٢] في شجرة تين باكورتين في غير إبان الباكور، فجعلهما في طيفور على رأس غلام ليهديهما للملك، فأحس الغلام بخفة الطيفور، وأراد أن يعلم ما فيه، فرفع الغطاء وأدخل يده، فلم يجد في الطيفور غير الباكورتين. فأخذ واحدة، فأكلها، فلما وضع الطيفور بين يدي الملك بمحضر صاحب الهدية، أمره أن يرفع الغطاء عن الطيفور، فلما رفع لم يجد في الطيفور غير باكورة واحدة، فقال للغلام: ما فعلت بالأخرى؟ فقال: هكذا، وأخذ الباكورة التي بقيت، ورمى بها في فمه وأكلها، فضحك الملك من فعله.

وقال الأصمعي: دخل أبو بكر الهجري على المنصور، فقال: يا أمير المؤمنين أصيب فمي، وأنتم أهل بيت بركة، فلو أذنت لي، فقبلت رأسك لرجوت الراحة، فقال: اختر بينها وبين الجائزة، فقال: يا أمير المؤمنين أهون علي من ذهاب درهم من الجائزة ألا يبقى في فمي سن، فضحك المنصور وأمر له بجائزة.

ودخل رجل بجاية، فبينما هو يمشي، وإذا برجل يقول له: أتشتري حشيشاً

(١) وردت هذه النادرة مع تغيير يسير في البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٥٠

(٢) وردت نظائر لهذه الحكاية في الأدب الإسباني، انظر: تأثيرات عربية في حكايات إسبانية - ص ٢٥ - ٣٠.

طيباً؟ فقال له: إش قلت؟ قال: قلت لك هذا الجامع بناه يعقوب المنصور، وأنفق فيه اثني عشر ألف درهم، اش تقول في هذا؟

وقال رجل لآخر: يا حاج الحرامين: الشراب والحشيش.

ـ وتزوج رجل، فأعطى الفقيه أجرة المهر، فقال له: هذا قليل على المهر، فقال له: يا سيدي في الطلاق أخلف عليك إن شاء الله.

ودخل[١] رجل المسجد فعثر في رجل آخر، فقال له: أعمى أنت؟ قال: أنا هو أعمى لو شاء الله كل ما نرى في هذا المسجد يكون أسيراً في ميورقة.

وجاء رجل إلى معبر فقال له: رأيت نفسي وأنا أطليها بالنخال، فقال له المعبر: يلزمك كلب، أما تسمع من اختلط مع النخال أكلته الكلاب.

ووجد أسقوا يوماً وزير السلطان يخرج للصيد، وهو يلبس السباط فقال: الآن يفتح الله علي، قيل له: ولم ذلك؟ قال: كانت أمي تقول لي: لا يفتح الله عليك ما دام الكلب يمشي حافياً، فترى سيدي الوزير يلبس السباط.

وكانت امرأة تمشي في الطين، وهي تزلق، وكانت جميلة، فقال لها رجل: حبيبتي واحبسي بلحية عمك سعد، فقالت له: الطين أنقى من السلح.

وقال جحا لأبيه: تزوجت أمي على خمسمائة درهم[٢]، فولدت لك أختي، فزوجتها على خمسمائة، وبقيت أنا لك فضلاً.

وضرب بعض النحويين، فكان المطوف يقول: هيذا جزا، فقال: والله لو خيرت بين طريحة أخرى وبين ألا أسمع صوت هذا الفاحش اللحن لاخترت ذلك، ثم التفت للمطوف وقال له: يا محروم بيِّن الإعراب، وقل: هذا جزاء؛ لأنه مبتدأ وخبر، فقال له المطوف: اسكت واتخل رأسك، فقال له: بالدال قلها واقطع الهمزة؛ لأنه فعل أمر، فقال له: والله ما ضربت أبرد منك فلما دخل داره، وكانت له قطة، فجاءت تلعق الدم وتصيح: ميو، فقال لها: قولي: مئو بالهمز، ثم أخذها ورمى بها، فقيل له في ذلك فقال: لئلا يقال: قطة أبي عبد الله لحانة.

---

(١) أخلت [س، د] بهذه النادرة.

(٢) «فولدت لك أختي، فزوجتها على خمسمائة» زيادة ضرورية من [س، د].

- وجلس قوم للرماية، فقام أحدهم، وقعد في وسط الإشارة، فقيل له في ذلك، فقال: ما رأيت موضعاً أسلم منه؛ لأنه لم يحصل فيه سهم.

وأرسلت امرأة ولدها إلى خضار، فقال له: تقول لك أمي: أعطها بصلة تطيب بها فمها، فقال لها: تغدت غولاً بسلح.

وجاء جحا يكسر لوزة، فخرجت له[1] من تحت الحجر حين ضرب عليها، فقال: سبحان الله، تراها بهيمة ولا تريد تموت.

وأتت امرأة إلى عطار، فقالت له: أعندك شعر إبليس؟ قال: نعم، فدخل قاعة الحانوت، فنفخ شدقه وأخرج ريحاً، وزنبط ونتف من إبطه شعرات، وأعطاها، قالت: هذا هو؟ قال: نعم، أو ما سمعت توزوزه حين كنت أنتفه؟ فقالت له[2]: صدقت، لعن الله رب الشعرات.

ووقف محتسب على لبان، فنظر عليه اللبن، فوجد فيه قليقاً، فقال: ما هذا؟ فقال: جعلته يأكل الدويدات.

ونظر رجل إلى تيس يأكل، ولحيته تضطرب، فقال: هكذا أنا إذا آكل؟ فحلف ألا يأكل طعاماً، فلم يأكل حتى مات جوعاً.

وجاء رجل إلى معبر، فقال: رأيت في النوم أني آكل مجبنة، فقال له المعبر: تحمل أسيراً إن شاء الله إلى قيجاطة؛ لقول الناس: قيجط نجبن لك.

ورأى رجل سكران يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال: طالوت قتل جالوت، ولم نحضر لنصرته.

وقدم لقوم لون من لحم البقر، فجعل واحد منهم يخربش بإصبعه، فقيل له: ما تريد؟ فقال: أفتش القانصة.

وأجرى قوم خيلاً، فطلع منها فرس في أول الحلبة، فجعل رجل يكبر

---

(١) فخرجت له من تحت الحجر حين ضرب عليها من [س]. وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ص ٤٦.

(٢) أخلت [س] بقوله: فقالت له، إلى آخر النادرة.

ويقول: عصمك الله، سلمك الله، فقيل له: هذا الفرس فرسك؟ فقال: لا والله إلا اللجام لجامي.

وشهد رجل عند قاض، فقال له المشهود عليه: أتجوز شهادته، وهو لم يحج؟ فقال: قد حججت، فقال سله عن بئر زمزم أين هو؟، فسأله القاضي[١] عنه فقال: لا أدري أين هو؛ لأني حججت قبل أن يحفر.

وقيل لبعض الفقراء: ما تتمنى؟ قال: أتمنى أن أقعد يوم القيامة بين الجنة والنار، فكل من ينطلق إلى الجنة أطلب شكرانه، وكل من ينطلق إلى النار أطلب منه أن ينصف الطريق.

وماتت امرأة، فخرج ابنها يشتري لها كفناً، فجعل ينظر ثوباً بعد ثوب، ولا يعجبه شيء، فقال له التاجر: كيف تريده؟ مدنساً؛ لأنها رحمها الله كانت مقذورة.

وكان رجل يهوى امرأته، فقيل له: هل قلت فيها شعراً رقيقاً؟ قال: نعم قولي حبي فيك[٢] يا ابنة أبي البطرون محل سلح دبان في خبيزة، وارفقي بي يا ابنة عار بن عار.

وحج رجل، فلما كان عند الطواف هموا بحلق رأسه، فأبى، فقالوا: لا يتم الحج إلا بهذا، فحلقوه، فلما ودع الكعبة قال لهم: إن جئت مرة أخرى احلقوا لحيتي.

وسمع أعرابي قيام الليل، وما فيه من الأجر، قال: وأنا أقوم في الليل مراراً، قيل: وما تصنع؟ قال: أبول وأرجع.

وأرادت امرأة أن تتزوج، فقال لها القاضي: سوقي مهرك، قالت: المهور كثيرة، قال: لا بد أن تسوقيها، فساقت مهورها، فكان في جملتها عشرة رجال اسم كل واحد منهم لب.

---

(١) أخلت [س] بقوله: فسأله القاضي.

(٢) هذه العبارة: فيك يا ابنة أبي البطرون محل خرا دبان في خبيزة من [س، د]. وفي [ح]. فحل خرا دفق في جائرة.

وكان رجل يحلق عانته في الحمام فأخرج ريحاً، فضحك رجل كان بجانبه، فقال: إنها تولول على قصيصة أخيها.

ورأى[1] رجل مؤذن في صومعته امرأة فأعجبته، فجعل يكلمها من الصومعة ويشير إليها، فشكت ذلك لزوجها، وكان حجاماً، فقال لها: إذا طلع الصومعة وأشار عليك وكلمك فأشيري عليه، ففعلت، فنزل من الصومعة وجاء إلى بابها، فلما دخل إليها جاء زوجها، وقد كان ينظر إليه على بعد، فدخل عليها، فبادرته المرأة، وقالت له: إن سيدي المؤذن له مطحنة موجعة، فانظرها له، فنظرها وقال: لا بد من خلعها، وأخرج ماعونه، وقلع له مطحنة، ثم قالت: كانت صحيحة وإنما المؤلمة غيرها، ثم قلع له أخرى، والمؤذن ساكت، ثم خرج وهو يظن أن المرأة حاولت عليه لئلا يفتضح مع زوجها، فلما كان بعد ذلك رآها وكلمها، وأشارت إليه. وهبط إليها وزوجها ناظر إليه، فلما دخل فعل معه مثل ما فعل أولاً ثم خرج، وجعل يكلمها، وتشير عليه فيدخل إليها، ويفعل به زوجها مثل ما فعل، وهو يظن أن ذلك حيلة من المرأة في ستره، حتى لم يبق في فمه سن؛ ثم شعر أن ذلك كان حيلة عليه، فطلع يوماً للصومعة، فرأته المرأة، فأشارت إليه فأشار إلى فمه، وقال لها: والله ما بقي فيه أبيض، فأي شيء تريدين مني؟

ورأى مؤذن امرأة في صومعة فتعشق بها وهي به، فإذا تم الأذان رفعت صوتها، وقالت: حاضر ناظر، فيعلم المؤذن أن زوجها في الدار، وإذا لم يكن في الدار تقول: وحدك حبيبي، لا شريك لك، فينزل إليها.

وخرج جحا يوماً على الصبيان، وقال: من يخبرني بما في كمي، وأعطيه أكبر خوخة؟ فقال له صبي: خوخ، فقال: ومن هذا الولد، زنى الذي قالها لك.

وجاء رجل إلى سليمان الورشدي، فقال له: يا سيدي ألك في أرض الجزيرة غنيمات؟ قال: لا، قال: ومن أي شيء تقول ذلك؟ قال: رأيت بها راعياً يسوق غنماً، وهو يقول: امش يا متاع ولد قحبة، فظننت أنها متاعك.

---

(١) لهذه الحكاية نظائر في الأدب الإسباني، انظر تأثيرات عربية ـ فصل: عقوبة المتغزل ـ ص ٥٣ ـ ٦٦، والرواية العربية أكثر ملحاً وظرفاً.

وقال الحاج الطنجي: رأيت بالديار المصرية رجلاً يبيع الحشيش وهو يقول: حشيش مركب على قشيش، ينسيك ذكر الله خمسة أيام، فقال له رجل: هذا درهم كبير أعطني منه بقيراط، قال: هذا الصرف لا يجوز.

وقال بعض الظرفاء: الاثنان أنس، والثلاثة عرس، والأربعة دردبة، والخمسة قرقبة، والستة كتف واحمل إلى الحبس.

ودخل رجل يصلي الظهر، وعنده خمسة دراهم، فجعلها أمامه، فرآها الذي بجانبه، فلما سجد أخذها له، فلما تمت الصلاة لم يجدها، فانصرف ولقيه رجل في باب المسجد، فقال: أصليتم؟ قال: نعم، درهم وربع للركعة، فادخل إن شئت.

وجاء رجل للصلاة، فوجد الناس يصلون، فقال: ترى كم معهم من ركعة؟ فقال له رجل وهو في الصلاة: دش[١].

ومثل ذلك ما حكي لي أن رجلاً دخل مسجد القيسارية ليصلي، والناس في الجلسة الأخيرة، فقال له إبراهيم النجار، وكان يصلي عند الباب: ما بقي شيء، فلم يلتفت الرجل إليه، ودخل، وقال: عار بن عار، نصحناهم فما قبلوا.

وقيل لولد مات والده: ما ترك لك أبوك؟ قال: اللعنة، ما نسمع إلا من يلعنه، رحمه الله.

وكان[٢] لبعض الوزراء بغلة ينقل عليها الزبل، ويركب عليها أحياناً بالسرج، فقال له رجل: يا سيدي، ما ثم أصبر من هذه الدابة، تنقل الزبل مرة بالبرصون، ومرة بالسرج.

وكان[٣] أعرابي يقول في دعائه: اللهم إني أسألك موتة كموتة أبي خارجة،

---

(١) هذه الكلمة إسبانية: Dos، وتعني: اثنان. وتنطق السين شيناً منذ القديم مثل بشكوال pascual وحتى الآن في بعض المناطق، ويبدو أن الكلمة كانت تستعمل في العامية الأندلسية آنذاك.

(٢) أخلت [س] بهذه الحكاية.

(٣) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٩.

قيل له: وما موتة أبي خارجة؟ قال: أكـل لحم جمل، وشـرب شراب عسـل، ونام في الشمس، فمات شبعان ريان دفآن.

وكان واعظ يقول: من صلى كذا وكذا ركعة بكذا وكذا سورة يعطى في الجنة ما لا ندري.

وساق رجل لامـرأتـه فـدوشـاً، فقـالت لـه: يـا رجـل، أي شيء يـراد بهـذا الفروض؟ والله ما في الدار صعتر ولا والله حبة من ثوم لعمله.

ورفعت امرأة ولدها للقاضي، واشتكت له بكثرة عقوقه لهـا، فقال لـه: يا ابن أخي، أمـا سمعت الله يقول: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾[١] فلطمهـا، وقال لها: متى قلت أنا لك أف؟

وكان لرجل قط،لا تزال شواربـه تنقط دماً، فسئـل عن ذلك، فقـال: إذا أكل الطعام، جاءت الفيران تشم ذلك وتلعقه فتدميه.

وجاء شيخ إلى قنديل يطفئه ،فاخرج ريحاً، فضحكت امرأته، فقال لها :أتضحكين والله لولا ما تقسم الريح، ما تكسر إلا القنديل.

وقيـل لرجـل: أين القبلة في دارك؟ فقال: والله مـا اهتديت إليهـا؛ لأني إنما دخلتها منذ أربعة أشهر.

وقـال مزبلح لآخـر: في غرستكم هـذا العام بـاكور، قـال له: عين أعين في باكورة.

وكان فقيه في داره يسمع سائلاً، يسأل ويقرع الباب، فقال له: يا هذا، النقـر ثلاث: طاق، طرطاق، طرطلاق، فقال له السائل: فران أنت، ودعني بلا عشاء.

وأعطى ابن قزمان مؤدبه يطبخ له الخبز، وكان الطين. فـوقع ووقـع الخبز في الطين، فرجع إلى المؤدب، فقال لـه: يا سيـدي، ما تقـول في العثرات؟ قـال: يا ولدي، إنها مكتوبة، فقال: يا سيدي، وصلتك في الطين مقلوبة.

---

(١) سورة الإسراء ـ الآية ٢٣

وكان لرجل من أهل بلفيق بغل، فالتقى مع بغل آخر للقاضي، فضرب بغله بغل القاضي ركضة فكسره، فترك بغله لابنه، وذهب قبل أن يصل الخبر للقاضي، فدخل عليه فوجده مع جماعة من الناس، فقال له: يا سيدي، احكم على بغلك، كسر بغلي بركضة، فقال له القاضي: لا يحكم على بهيمة إذا فعلت شيئاً، فقال للناس: اسمعوا ما يقول سيدي القاضي، قالوا: الحق ما يقول الله، قال: فإن بغلي هو الذي كسر بغله.

ومر رجل بأبي العيناء، فقال: من هذا؟ فقال: رجل من بني آدم، قال: مرحباً بك، والله ما ظننت هذا النسل إلا قد انقطع.

وصلى رجل، فلما سجد سمعه رجل يقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولأمي ولأختي، فقال له آخر: ولختنك، وهما في الصلاة، فقال له: قران أنت؟

وحمل رجل قدراً إلى فرن بحمامتين، فلما طبخت أكلهما الفران، وجعل عوضاً من ذلك حمامتين حيتين، فلما جاء صاحبها ورفع الغطاء طارتا، ولم يجد في القدر شيئاً، فقال: يا رب، أشهد أنك تحيي وتميت، ولكن المرق إش طرا فيه؟

وخرج جحا من الحمام، فضربته الريح، فقصرت بيضته، فرجع إلى الحمام، يفتش الناس، فقالوا: مالك؟ قال: سرقت بيضتي، ثم إنه تدفأ، وافتقدها، فقال: كل شيء لا تأخذه اليد يوجد.

وتبخر يوماً، فاحترقت ثيابه، فغضب وحلف ألا يتبخر إلا عريان.

وكان يمشي حافياً، فإذا وصل إلى ساقية أو وادٍ، لبس السباط، فقيل له في ذلك فقال: الطريق أرى ما فيه، وأتحفظ منه، والوادي لا أدري ما فيه.

واختصم رجلان إلى بعض الولاة، فلم يحسن الحكم بينهما، فضربهما، وقال: الحمد لله؛ إنه لم يفتني الظالم منهما.

ومر جحا بصبيان يلعبون بباز ميت، فاشتراه منهم بدرهم، وحمله إلى أمه، فقالت له: ويحك، ما تصنع به وهو ميت؟ فقال لها: اسكتي، فوالله لو كان حياً ما بيع إلا بمائة درهم.

وقال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه: من يسبني ولا يفحش، أعطيه هذا

الثوب، وكان فيهم أعرابي، فقال: ألقه يا أحول، فقال: خذ، قاتلك الله، وكان هشام أحول.

وضربت امرأة زوجها فقعد يبكي، قالت له: وتبكي؟ قال لها: إي والله على رغم أنفك.

وتشاتم رجلان، فقال أحدهما للآخر: حلق الله لحيتك بمكة إن شاء الله.

وسرق حمار أبي الجهم، فشكر الله تعالى، فقيل له: ما فائدة هذا ومولانا يقول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[١] فقال: لكوني لم أكن عليه فأسرق معه.

وقيل لأعرابي: من أشر أنت أو أخوك؟ قال: إذ جاء رمضان استوينا.

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً يضرب أمه، فقلت له: أتضرب أمك؟ قال: إنها قليلة الأدب.

وكان لرجل ابن مزبلح، فجاءه يوماً ضيف، فلما رآه الابن لم يسلم عليه، فقال له والده: سلم على عمك عنق السياط، فقام وسلم عليه وقال له: كيف حالك يا عمي عنق السياط، فخجل الرجل، وضحك والده.

وكان لرجل[٢] ابن يسرق كل يوم حاجة، ويبيعها بأبخس ثمن، وينفقه في الفساد، فعاتبه يوماً وقال له: ليتك إذا سرقت الحاجة كنت تبيعها مني، فقال له: فاشتر مني إذن تلك المنارة؛ فإني إنما جئت لأسرقها، وأشار له إلى منارة أمامه.

وبات رجل عند نحوي، فأكل عنده طعاماً وفاكهة كثيرة، فلما كان في نصف الليل تحركت عليه بطنه، فصاح على النحوي: يا سيدي، إني أريد أن أتروح، قال: فتنحنح النحوي مراراً، ثم صاح: يا ميمونة مرار كثيرة، حتى استجابت له بعد حين، فقال: أزيلي الكرى عن مقلتيك، وافتحي عينيك، والبسي ثوبيك، وقومي على قدميك، واضربي الزند، وأشعلي ناراً، وأوقدي سراجاً، وانهضي إلى البئر،

(١) سورة إبراهيم ـ الآية ٧.

(٢) لهذه النادرة نظائر في الأدب الإسباني، انظر: تأثيرات عربية ـ ص ٧٤ ـ ٧٩. وأخلت [س] بقوله: وقال له: ليتك إذا سرقت الحاجة كنت تبيعها مني، فقال له.

فأدلي فيه الدلو، وأخرجي منه ماء، واجعليه في قدح، وألقيه في المستراح؛ فإن ضيفنا يريد أن يتروح، فلم يتم النحوي كلامه، إلا والرجل قد سلح في السرير، فقال: يا سيدي إن هذا الشغل الذي كلفت به خادمك إن يسر الله فيه، ربما يتهيأ في سنة كاملة، وأنا لا أكلف خادمك أكثر من شغل ساعة، يا ميمونة: اقبلي واغسلي السرير؛ فقد سلحت فيه.

وقال الأصمعي: دخلت مسجداً لأصلي فيه، فوجدت رجلاً وهو يصلي وقد رفع رجله، ومدها إلى خلفه، وجعل يده في السارية يمسك بها، فوقفت حتى فرغ من صلاته، وقلت له: لم رفعت رجلك، ومددتها إلى خلفك؟ قال: كنت أتهم بها نجاسة، فأردت ألا أصلي بها.

وكان بقرطبة رجل يعبر المنامات، وكان لا حسن فيها شيئاً، فأتته امرأة وقالت له: يا سيدي، كنت أرى في المنام، أني جالسة وفي يدي قيدوم، قال لها، زوجك[1] يقدم، قالت له: يا سيدي، كيف يقدم زوجي وهو ميت؟ قال: يا حمقاء القيدوم يسوقه، ولو كان ميتاً منذ ألف سنة.

وجاءت امرأة إلى لب كاتب الشمس، فقالت له: يا سيدي، أين يوجد ابن دحنين الذي يفسر المنام؟ فنظر إليها، وفي يدها دجاجة وسلة بيض، فقال لها: أنا أفسر المنام أحسن منه، وأقول لك خيراً، فقصي عليّ ما رأيت، فقالت له: رأيت كذا وكذا، فقال لها: هذه منامة مليحة ينال بها كذا وكذا، ويفعل بك زوجك كذا وكذا، فدفعت إليه الدجاجة والبيض وانصرفت، فأخبر ابن دحنين بذلك، فجاء إليه ولعنه، وأراد أن يشتكي به للقاضي.

وجاء رجلان إلى قاضٍ يختصمان، فكان أحدهما يدعي على الآخر حقاً يزعم أنه من ميراث أبيه، فقال له الآخر: أعز الله القاضي، أنا رجل من بعض قرابته قال القاضي: فمن أي وجه قرابتك به حتى أعرف أمركما وأحكم بينكما؟ قال: كانت أم أبيه، جدها لأمها أخو بنت عمة خالي أخي بنت ابن ربيبتي، قال القاضي :يا سفلة،هذه أخلاط شربة،ارفعوها إلى العشاب؛حتى يميزها خلطاً خلطاً.

---

(١) زوجك يقدم من [س].

وقال رجل لآخر: ما فعل أبوك بحماره؟ قال: باعه، قال: لم قلت باعه؟ قال له: ولم قلت أنت بحماره؟ فقال: للباء الجارة، قال: ولم تكون بناؤك تخفض، وبائي لا تخفض؟.

ومثل هذا مايحكى أن رجلاً لقي آخر. فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من عند أهلونا، فتعجب السائل من فصاحته، ثم قال له: قد علمت من أين أخذتَ هذا، من قوله تعالى: ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾[1]

وقال رجل لبياع الخوخ: كيف تبيع الخوخ يا أقرع؟ قال: من كلامك الحسن، أختار لك بنوجاً.

وقال فقيه لعبيد بن طرس: من أين تأكل؟ قال: من الكون يا كبة، ولا من برزون.

وقال الأصمعي: كان بين رجلين عبد، فقام أحدهما يضربه، فقال له شريكه: ما تصنع؟ قال: اضرب حصتي منه، فقال له: وأنا أضرب حصتي، فقاما يضربانه فسلح عليهما، وقال: اقتسما هذا على قدر حصتكما.

وقال المتوكل يوماً لجلسائه: أتعلمون عنت المسلمين على عثمان بن عفان؟ فقال أحدهم: نعم يا أمير المؤمنين، لما توفي رسول الله ﷺ قام أبو بكر على المنبر دون مقام رسول الله ﷺ، فلما ولي عمر قام دون مقام أبي بكر بمرقاة، فلما ولي عثمان صعد ذروة المنبر فقعد مقعد النبي ﷺ، فأنكرَ ذلك المسلمون عليه، فقال عبادة: يا أمير المؤمنين، ما أحد أعظم منة عليك من عثمان، قال: وكيف ذلك؟ قال: صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما ولي خليفة نزل عن مقام من تقدم لكنت تخطب علينا من بيتك، فضحك المتوكل حتى استلقى، وضحك من حضر.

ولما حمل أبو إسحاق إلى المتوكل وأدخل عليه، قال المتوكل لابن حمدون: اعبث به، فقال له ابن حمدون: متى تعلمت العبارة؟ قال: أنا معبر قبل أن تكون أنت ملهياً، قال: ما تقول في رؤيا رأيتها؟ قال: وما هي؟ قال: رأيت كأن أمير المؤمنين حملني على فرس أشهب كله، إلا ذنبه، فإنه كان أخضر، قال: صدقت رؤياك، فإن أمير المؤمنين يأمر أن تدخل في قفاك فجلة، يغيب أصلها الأبيض، ويبقى الأخضر منها، فضحك المتوكل، وقال: صدقت رؤياك، هاتوا فجلة، فقال: أنت يا أمير المؤمنين

---

(١) سورة الفتح ـ الآية ١١

أمرتني، قال: وأنت رأيت الرؤيا، قبل أن آمرك، فلم يبرح حتى فعل به ذلك.

وقعد[١] المتوكل يوماً يشرب، فطرب عبادة من صوت لبعض المغنين، فقام ورقص، أحسن رقص، فسر المتوكل برقصه، وقرب عبادة من مقعده، فلما جلس ضرب المتوكل بيده على قفا عبادة فأخرج ريحاً، فقال: ويلك ما هذا؟ فقال: يا سيدي أيجوز لمثلك أن ينقر على قوم فلا يكلمونه؟

وأتي علي بن موسى الوزير ببعض العمال، وقد خرج عليه مال كثير، فطلب به وحبس، ثم أخرج يوماً ليطلب له ذلك، فإذا هو بامرأة قد أخذت مع قوم وهي تذكر أنهم استكرهوها في نفسها، فقال لها: طوبى لك، أنت طلبت بما تقدرين عليه، وأنا أطلب بما لا أقدر عليه، فبلغ ذلك علي بن عيسى، فضحك عليه، وحط عنه نصف ما عليه.

وكان رجل من العمال يطلب بمال، فأحضر بين يدي بعض الولاة، وأقيم على رأسه عونان، وقيل لهما: انتفا لحيته، فقال الرجل للوالي: ولم تفعل هذا بي؟ قال: حتى تؤدي ما عليك، قال: نعم، قال: وخراج أهل بيتك، قال: نعم، قال: وخراج سكان موضعك، فرفع رأسه إلى العونين، وقال: انتفا على بركة الله، فضحك وخلى سبيله.

ومات بواسط رجل من المياسير في أيام اليزيد، فأحضر ابن الميت، وقال له: ما ترك أبوك من المال؟ قال: كذا وكذا، وخلف من الورثة الوزير أعزه الله، وأنا، فضحك المتوكل، وأمره ألا يتعرض له.

وكان بعضهم[٢] في سفر، فوصل إليه كتاب من داره بموت أحد أولاده، فقال: لا إله إلا الله، ولد ونحن غائبون، ومات ونحن غائبون، فقال له مضحك: نعم، وعمل وأنتم غائبون.

وكان بعض الملوك فيه ضر وشدة، فلا يقدر أحد أن يبتدأه بكلام، فبينما هو جالس يوماً مع ندمائه في براح، إذا بعارض مطر شديد، فلم يقم، ولم يتجسر أحد أن يقول له شيئاً، والمطر في زيادة، وكان بينهم طيفور فيه فاكهة، فأخذه رجل من الجمع،

---

(١) وردت نظائر لهذه الحكاية في الأدب الإسباني، انظر: تأثيرات عربية ص ٦٨ ـ ٧٠. وفي [ح] فسر الملك برقصه، والمتن هنا أدق.

(٢) وردت من قبل نظائر لهذه.

وفرغ ما فيه، وألقاه على رأسه، وقال للملك: اجلس ما شئت، فضحك من فعله، وقام من فوره.

ولقي بعض الأمراء أسود في بعض طرق نزهته، فأمر بقتله، فقال الأسود: ما ذنبي؟ فقال: إني تشاءمت برؤيتك، فقال له الأسود: فمن تشاءم منا بصاحبه أكثر أنا أو أنت؟ فضحك من قوله، وخلى سبيله.

وعرض عمرو بن الليث عساكره، فرأى فارساً، تحته دابة مهزولة، فقال: لعن الله هؤلاء، يأخذون الدراهم، فينتفعون بها، ويستمتعون بفقاح نسائهم، فقال الفارس: أيها الأمير، لو رأيت امرأتي لعلمت أنها أهزل من كفل دابتي، فضحك عمرو، وأمر له بطعام وقال له: سمن امرأتك، وكفل دابتك.

وخرج المعتصم إلى بعض متنزهاته، فظهر له أسد، فقال لرجل من فرسانه أعجبه قوامه وسلاحه، وتمام خلقته: يا رجل، أفيك خير؟ فقال بعجلة: لا يا أمير المؤمنين، فضحك المعتصم، وقال: قبحك الله، وقبح طلعتك.

وأراد أعمى أن يتزوج امرأة، فحضرا مجلس القاضي، ليشهد لهما، فقال لها القاضي: اكشفي عن وجهك، فكشفت، فأعجبته، فقال للأعمى: كم أمهرتها؟ قال: أربعمائة درهم، فقال القاضي: زدها؛ فإنها تستحق أكثر، فقال الأعمى: هذا ما عندي، فإن كان عند القاضي زيادة، فهو أولى بها.

ورأت طفلة عروساً يلعب مع عروسه، فمضت لأبيها، وقالت له: اشتر لي عروساً ألعب معه.

وتعشى أبو سالم القاص طفيشلاً وشرب عليه نبيذاً حاراً، وبكر ليقص، فدخل المسجد، وأقيمت الصلاة، وكان الإمام شيخاً كبيراً، فلما فرغ من الصلاة جلس في المحراب، فقام أبو سالم إلى جانبه يعظ الناس، فبينما هو في قصصه إذ تحركت بطنه، فقال: قولوا: لا إله إلا الله، فارتفعت الأصوات التهليل، وخرجت منه ريح علم بها الإمام، وقال: يا قوم، لا تقولوا شيئاً، فإنه يريد أن يسلح علي، فضحك الناس، وانصرف أبو سالم.

وحضر أبو عقيل مجلس بعض العلماء، وهم يتجادلون في الفقه، فقال أبو عقيل: دعونا من الخوض فيما لا ينفعنا، أي شيء كان اسم حمار العزيز، وأي شيء كان اسم هدهد سليمان عليه السلام؟

ورفع رجل في دين عليه إلى قاضٍ، فأمر به إلى السجن لقلة ما بيده، فمر بصبيان يلعبون، فنظر إليهم، وقال لهم: والله لقد كنتم نعم الأصحاب، من يوم ما فارقتكم ما رأيت خيراً، فضحك غريمه وأطلقه.

وانكسر رجل، فجاء أصحابه إليه يزورونه، فقالوا: كيف حالك؟ فقال لهم: فيكم من انكسر؟ قالوا: لا، فقال: ما أقول لكم شيئاً.

وكان[١] سائل يمشي ومعه ابن له صغير، فسمع امرأة تقول، وهي خلف جنازة: يذهبون بك والله إلى بيت ليس فيه غطاء ولا وطاء ولا غداء ولا عشاء، فقال ابن السائل: لبيتنا والله يذهبون به.

ومر رجل[٢] ومعه ابن له صغير برجل يقطع بمقص، وهو يعوج فمه، فقال له ابنه: يا أبت، هذا مقصنا الذي تلف لنا، فقال له أبوه: ومن أين علمت ذلك؟ قال: لأنه يعوج فمه، كما كنت تفعل.

وكان ابن شبانة يوماً ينشد، فأخرج ريحاً، فقال لقفاه: أما أن تسكتي حتى أتكلم، وإما أن تتكلمي.

وحضر مزيد مجلساً بالمدينة، وفيه قينة تغني، ووصيفة على رأسها واقفة، فتحركت القينة، فخرج منها ريح بصوت، فرفعت رأسها ولطمت الوصيفة، فلبث مزيد يسيراً، واستعمل خروج ريح بصوت، فرفع يده، ولطم الوصيفة، فقالت له المغنية: مالك تلطم جارتي؟ فقال: رأيت كل من يخرج ريحاً يلطمها.

وكان لرجل أم عجوز، فجرى يوماً حديث النسوان وتزويجهن، فقال رجل: كل امرأة تقدر أن تحمل البوقل إلى أعلى السطح ينبغي أن تتزوج، فقالت العجوز أنا والله أقدر أن أرفع الخابية بالماء، فقال لها ابنها: والله لو صعدت بها فوق منار الجامع ما زوجتك.

وكان لبعض الكتاب أم عجوز، وكانت تختضب وتتصنع، فاشتكت، فجاءها

---

(١) هذه الحكاية شرقت وغربت، وهي في كتاب لاثاريو دي تورمس، الإسباني، ومن قبل في كتاب المحاسن والمساوىء للبيهقي، والمستطرف للإبشيهي، وفي الأغاني، والكتاب الإسباني نقلها من المصادر العربية، المكتوبة أو الشفوية.

(٢) وردت نظائر في الأدب الإسباني لهذه الحكاية، انظر: تأثيرات عربية ـ فصل: «المقص الزدي» ص ١٤٣ ـ ١٤٨ وسقط من [س] قوله: حين يقطع به.

الطبيب، فجعل يقول في خلال كلامه لما رأى من خضابها وزينتها: ما أحوجها إلى زوج، فقال لها ابنها: اسكت ويحك هي عجوز هرمت، فقالت العجوز: أنت أعلم أم الطبيب يا أحمق؟

واجتمع ثلاثة نفر، فقال أحدهم: علي الطعام، وقال الثاني: وعلي الشراب، فقال الثالث: وعليّ لعنة الله إن فارقتكم، فضحكوا من قوله، ومرّوا به.

وقال بعضهم: أخذ الطائف على المدينة ليلاً رجلاً سكران، فقال: اسجنوه، فقال: أصلحك الله، لا تفعل، فإن علي يميناً بالطلاق ألا أبيت عن منزلي، فضحك منه وخلى سبيله.

ونظر ملاح إلى شيء على وجه الماء في البحر، فظن أنه قطيفة، فقال: أنا والله أحوج الناس إليها، فرمى بنفسه عليها، فإذا هي من دواب البحر، فتعلقت به، فصاح به الناس: اترك القطيفة وانج برأسك، فقال: قد تركتها، وهي ليست تتركني.

ودعا بعضهم قوماً إلى طعامه، فلما مدوا أيديهم إلى الطعام، هاله منظرهم، ولم يستطع الصبر، فقال: هكذا والله تقوم القيامة.

وقال أبو العيناء: كنا على مائدة بعض الرؤساء، فقدم إلينا جدي مشوي، فلما ضرب الناس فيه بأيديهم، قال صاحب البيت: أما أنتم مسلمون؟ فارفقوا به رحمكم[1] الله، فإنه بهيمة.

وقال بعضهم: دعاني صديق لي، وكان بخيلاً، فقدم على المائدة جدي، فنحن نأكله، وشاة تصيح، قلت: اسمعوا هذه الثكلى تصيح، فقال رب البيت: وكيف لا تصيح، وقرة عينها بين أيديكم تمزقونه؟

وأكل قوم عند بخيل، فلما رآهم قد أمعنوا الأكل أراد أن يقطعهم فقال: ليس هذا أكل من أراد أن يتعشى.

وكان ببغداد رجل غني، فسأله ابنه يوماً أن يشتري له إجاصاً، فتقدم إلى جار له، فقال: أعطني إجاصة واحدة، فلما أخذها ناولها ابنه، وقال له: كل هذه، فإنك لو أكلت منها ألفاً، فطعمها كطعم هذه الواحدة.

وكان بها رجل آخر، وكان لا يرى إلا رث الثياب، فخرج يوماً من منزله،

---

(١) «به رحمكم الله» من [س].

فلقيه رجل من الجند، قد أخذ رزقه، فلما رآه دفع إليه درهمين، فقال له رجل يعرفه: لا تعط هذا شيئاً؛ فإنه أغنى من الأمير، فالتفت إلى الرجل وقال: ما كان يضرك لو سكت؟ فقال الجندي: ويلك، لم لا تلبس، ولا تنفق على نفسك مما رزقك الله؟ قال: يمنعني خشية الفقر، قال: ويحك، تعجلت ما كنت تخاف.

واشترى رجل من أهل الكوفة جبنة لعياله، وقال: يكفيكم أن تمسحوا خبزكم بها، فما زال كذلك حتى ضجروا منه، وتمنوا موته، فمات، وورثه ابنه فقال: إن أبي كان مسرفاً في ماله، فجعلها في جراب وعلقها، وقال: تكفيكم رائحتها، والإيماء إليها، فترحموا على الميت.

وقال بعضهم: كنت بالكوفة أبيع اللحم، فوقف عليّ رجل حسن الهيئة مليح المنظر، فحسر عن ذراعيه، وجعل يلطم اللحم بباطن كفه، ثم يمشي إلى غيري فيفعل مثل ذلك أياماً، فسألت عنه، فقيل لي: هذا دأبه، فإذا صار إلى داره غسل يده، وصنع بذلك الماء ثريداً.

وقال بعضهم: قلت مرة لرجل غني من أهل الكوفة، إنك لكثير المال، وقميصك وسخ، فلم لا تغسله؟ فقال لي: والله إني فكرت في غسله منذ ستة أشهر، ولكني أغسله إن شاء الله.

وكان لرجل من أهل الكوفة أم عجوز، وكان كثير المال، فقيل لها: كم يجري عليك ابنك؟ قالت: درهماً في كل أضحى.

وخرج نفر من أهل الكوفة في سفر، واتفقوا على أن يخرج كل واحد منهم جعلاً للسراج، فأخرجوا، وامتنع واحد منهم، فكانوا إذا أوقدوا المصباح سدوا عينيه إلى وقت النوم، فإذا أطفأوا السراج خلوا عنه.

واصطحب منهم اثنان في سفر، فقال أحدهما للآخر: تعال نأكل، فقال له: معي رغيف، ومعك رغيف، فلولا أنك تريد أكثر، ما قلت لي: تعال نأكل جميعاً، وإلا فكل وحدك، وأنا وحدي.

ودخل طفيلي على قوم فقالوا: ما الذي جاء بك؟ فقال: إذا لم تدعوني أنتم، ولم آت أنا، وقعت بيننا وحشة، فضحكوا منه، وأكل معهم.

ودخل ابن مضاء على بعض الأمراء، فقال له: أي شيء خبرك يا ابن مضاء؟ قال: أعز الله الأمير، وأي شيء يكون خبري، والخرا عند الناس أكرم مني وأفضل؟ قال: وكيف ذلك؟ قال: لأن الخرا يحمل على الحمير، وأنا أمشي راجلاً، فضحك الأمير، وأمر له ببغلة يركبها.

وقال العتبي: كان بالمدينة مؤنث يدل على النساء يكنى أبا الحر، فقلت له: دلني على امرأة أتزوجها، فدلني على عدة نساء، فلم أرض منهن واحدة، فقال: والله يا مولاي، لأدلنك على امرأة لم تر مثلها قط، فإن لم ترضها فاحلق لحيتي، قال: فدلني على امرأة، فلما زفت إليّ وجدتها أكثر مما وصف، فلما كان في السحر، إذا إنسان يدق الباب، فقلت: من هذا؟ قال: أبو الحر، وهذا الحجام معي، فقلت: قد وقى الله شعرك أبا الحر، الأمر كما قلت.

ودخل رجل على ثمامة بن أشرس وبين يديه طبق بفراريج، فغطى الطبق بذيله، وأدخل رأسه في جيبه، وقال للرجل الداخل: كن أنت في البيت الآخر، حتى أفرغ من بخوري.

وقال بعضهم: دخلت على يحيى بن عبيد الله، وقوم يأكلون عنده، فمد يده إلى رغيف، فرفعه من المائدة، وجعل يرطله بيده، ويقول: يزعمون أن خبزي صغير فمن هذا الزاني ابن الزانية، الذي يأكل منه نصف رغيف؟

وقال: دخلت عليه مرة أخرى، والمائدة موضوعة، والقوم قد أكلوا، ورفعوا أيديهم، فمددت يدي لآكل، فقال: أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحا، يقول: عليك بالدجاجة التي قد نيل منها، والفرخ المنزوع الفخذ، وأما الصحيح فلا تتعرض له.

وقال الأصمعي: كان المروزي يقول لزواره: هل تغديتم اليوم؟ فإن قالوا: نعم، قال: والله لولا أنكم تغديتم لأطعمتكم لوناً ما أكلتم مثله قط، ولكنه قد ذهب أول الطعام بشهوتكم، وإن قالوا: لا، قال: والله لولا أنكم لم تتغدوا لأسقيتكم خمسة أقدام من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله، فلا يصير في أيديهم من الوجهين قليل ولا كثير.

وكان ثمامة بن أشرس، إذا دخل عليه أصحابه، وقد تعشوا عنده سألهم: كيف كان بيتهم ومنامهم، فإن قال أحدهم: إنه نام ليلة في هدوٍّ وسكون، قال: النفس إذا أخذت قوتها اطمأنت، وإن قال: إنه لم ينم، قال: إفراط الشبع والسرف في البطنة، ثم يقول لهم: كيف كان شربكم، فإن قال أحدهم: كثيراً، قال: التراب الكثير لا يبله إلا الماء الكثير، وإن قال: قليلاً، قال: ما تركت للماء مدخلاً.

وبينما قوم جلوس عند رجل من أهل المدينة يأكلون عنده حيتاناً، إذا استأذن عليهم أشعب الطفيلي، فقال أحدهم: إن من شأن أشعب البسط إلى آخر الطعام، فاجعلوا كبار الحوت في صحفة ناحية، ويأكل معنا الصغار ففعلوا، وأذن له فدخل، فقالوا له: كيف رأيك في الحيتان يا أبا أشعب؟ قال: والله إن لي عليها حنقاً شديداً، لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان، قال له القوم: دونك فخذ بثأر أبيك، فجلس ومد يده إلى حوت منها صغير، ثم وضعه عند أذنه، وقد نظر إلى الصحفة التي فيها الحيتان الكبار، وقال: أتدرون ما تقول هذه الحوتة؟ قالوا: لا ندري، قال: تقول: إنها لم تحضر موت أبي ولا أدركته؛ لأنها أصغر سناً من ذلك، ولكن عليك بتلك الكبار التي في زاوية البيت، فهي أكلت أباك.

وخطر طفيلي على قوم يأكلون، وقد أغلقوا الباب دونه، فطلع عليهم من الجدار، وقال: منعتمونا من الأرض، جئناكم من السماء.

ودخل طفيلي من المدينة على الفضل بن يحيى، وبيده تفاحة، فألقاها إليه، وقال: حياك الله يا مدني، فلزمها وأكلها، فقال له الفضل: ويحك أتأكل التحيات؟ قال: إي والله والزاكيات الطيبات.

وقيل لبسرة الأحول: كم تأكل كل يوم؟ قال: من مالي أو من مال غيري؟ قيل: من مالك، قال: مكوك، قيل: ومن مال غيرك؟ قال: أخبز وأطرح.

وقال أبو اليقظان: كان هلال بن أشقر التميمي أكولاً، فيزعمون أنه أكل جملاً، وأكلت امرأته فصيلاً، فلما أراد أن ينام لم يصل إليها، فقالت له: كيف تصل إلي، وبيني وبينك جملان؟

وحكى أبو الخطاب قال: كان عندنا رجل أحدب، فسقط في بئر، فسقطت حدبته، فصار بأدرة، فدخل الناس عليه يهنئونه، فقال: الذي جاء شر من الذي ذهب.

وقال أبو حاتم[١]: رمى رجل أعور بنشابة، فأصابت عينه الصحيحة، فقال: أمسينا، وأمسى الملك لله.

وقال الزبير[٢] بن بكار: جاءت امرأة إلى أبي تستعديه على زوجها، وتزعم أنه يصيب جاريتها، فأمر به فأحضر، فسأله عما ادعت، فقال: أصلح الله الأمير، هي سوداء وخادمها سوداء، وفي بصري ضعف، ويضرب الليل برواقه،فآخذ ما دنا مني.

وخطب[٣] رجل خطبة نكاح، وأعرابي حاضر، فقال: الحمد لله، أحمده، وأستعينه وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، فقال له الأعرابي: لا تقم الصلاة؛ فإني على غير وضوء.

وقال[٤] العوام بن حوشب: قال لي عيسى بن موسى: من أرضعتك؟ قلت: ما أرضعتني سوى أمي، قال: قد علمت أن ذلك الوجه القبيح لا يصبر عليه سوى أمه.

وكان رجل[٥] مخنث، قد تنسك، وتشبه بالحسن البصري، فشهد جنازة ووقف على القبر، وإلى جانبه رجل ظريف، فضحك، فقال له المخنث: ما أعددت لهذه الحفرة أبا فلان؟ قال: أمك ندفنها فيها الساعة.

---

(١) وردت نظائر لهذه الحكاية في الأدب الإسباني، انظر: تأثيرات عربية ـ ص ٣٥ ـ ٣٩.

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٣٩٢، منسوبة لابن الزبير.

(٣) وردت في المصدر السابق.

(٤) وردت في المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق. وفيه: قذفك فيها الساعة، بدلاً من أمك... ووردت في الأغاني جـ ١٠ ـ ص ٢٦٢. منسوبة لأبي دلامة.

ودخل أعرابي(١) الحمام فخرج منه ريح، فقال له نبطي: جبحان الله، فقال له الأعرابي: يا ابن اللخناء، ريحي أفصح من تسبيحك.

وفي كتاب ابن(٢) الهندي أن ناسكاً كانت له جرة بسمن، فعلقها في سرير،

(١) المصدر السابق ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣. وفيها خطأ، ورواية الحدائق أدق.

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٣٩٣، وفيه «وفي كتاب الهند». ولها نظائر شعبية في الأدب الإسباني، انظر El Conde Locanor ـ الفصل السابع ـ وعنوانه: Lo que su Cedia a una mujer lamada Dona Truhana. Pag. 42 - 44 ما حدث لامرأة تدعى طروهانا - وموجزها أن امرأة بهذا الاسم، كانت تحمل جرة عسل إلى السوق، وأنشأت تحلم بالشراء إلى أن اختلج مشيها، فعثرت فتحطمت الجرة والأحلام.

ومؤلف الكتاب Don juan manuel ـ ولد بمرسيه ١٢٨٢ وتوفي ١٣٤٨ ـ حيث كان يعيش المؤلف في كنف عمه ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم، وكان بلاطه عربياً تماماً، والمؤلف معاصر لابن عاصم في أخريات حياة الأول. وهو سابق على صاحبنا، وهما يستقيان من مصدر واحد، وكتاب القونت لوقانور ترجمناه، وهو تحت الطبع الآن، وانظر عن هذا الكتاب كتابنا «أدب ونقد» الفصل الخاص به. وانظر أيضاً: origenes de la novela ـ لمينذث بيدال ـ في مواضع متفرقة.

وابن عاصم ودون خوان مانويل آخذان هذه الحكاية من «كليلة ودمنة» وهي في باب الناسك وابن عرس وتقول: زعموا أن ناسكاً كان يجري عليه من بيت رجل تاجر، في كل يوم رزق من السمن والعسل، وكان يأكل منه قوته وحاجته، ويرفع الباقي، ويجعله في جرة، فيعلقها في وتد في ناحية البيت، حتى امتلأت، فبينما الناسك ذات يوم مستلق على ظهره، والعكازة في يده، والجرة معلقة على رأسه، تفكر في غلاء السمن والعسل، فقال: سأبيع ما في هذه الجرة بدينار، وأشتري به عشرة أعنز، فيحبلن ويلدن في كل خمسة أشهر بطناً، ولا تلبث إلا قليلاً حتى تصير غنماً كثيرة، إذا ولدت أولادها، ثم حرر على هذا النحو بسنين فوجد ذلك أكثر من أربعمائة عنز، فقال: أنا أشتري بها مائة من البقر، بكل أربعة أعنز ثوراً أو بقرة، وأشتري أرضاً وبذراً، وأستأجر أكرة، وأزرع على الثيران، وأنتفع بألبان الإناث ونتاجها، فلا يأتي عليّ خمس سنين إلا وقد أصبت من الزرع مالاً كثيراً، فأبني بيتاً فاخراً، وأشتري إماء وعبيداً، وأتزوج إمرأة جملية ذات حسن، ثم تأتي بغلام سريِ نجيب، فأختار له أحسن الأسماء، فإذا ترعرع أدبته، وأحسنت تأديبه، وأشدد عليه في ذلك، فإن يقبل مني، وإلا ضربته بهذه العكازة، وأشار بيده إلى الجرة فكسرها، فسال ما كان فيها على وجهه. ص ٨٣ ـ ط ـ دار الشعب. وهي هنا أطول، وإن كانت في القونت لوقانور فيها حوار كالعادة، وتتفق كلها في المغزى، وإن اختلفت في بعض التفاصيل. ولفظ «كتاب الهند» أو: «كتاب ابن الهندي» مقصود به بلا ريب «كليلة ودمنة» باعتبار أصله الأول.

ففكر يوماً، وهو مضطجع على السرير وبيده العكاز، فقال: أبيع الجرة بخمسة دراهم، فأشتري خمسة أعناز، فأولدهن في كل سنة مرتين حتى تبلغ ثمانين، فأبيعها، وأشتري بكل عشرة بقرة، ثم ينمى المال بيدي، فأشتري العبيد والإماء، ويولد لي ولد فأؤدبه، فإن عصاني ضربته بهذه العصا، وأشار بالعصا فأصاب الجرة فتكسرت، وانصب السمن على رأسه.

الباب الثالث

في المضحكات الشعرية

ودخل يحيى[١] بن أكثم على المأمون، وعنده عبادة يتجارى معه في مسائل الفقه والفرائض، فقال: يا أمير المؤمنين، لي عند القاضي حاجة، قال: وما هي؟ قال: يعلمني فرائض الصلب؛ فإني ما رأيت أعلم بها منه، فضحك المأمون وقال: انظر في حاجة عبادة، فقال: يا أمير المؤمنين، قد كبر عن التعليم، وقد قال الشاعر:

فإنَّ مَنْ أدَّبْتَهُ في الصِّبا كالعُودِ يُسقى الماءَ في غَرْسِهِ[٢]

ولكن يبعث إلي بولده أعلمه فرائض الصلب خاصة، قال له المأمون: كيف رأيت الجواب يا عبادة.

وكان الربيع والياً باليمامة، فأتى بكلب قد عقر كلباً، فقاد له منه، فقال الشاعر:

شهدْتُ بأن اللهَ حقٌ لقاؤهُ
وأن الربيعَ العامريَّ ربيعُ

---

(١) «يحيى بن أكثم» من [د، س] وكانت في [ح] ابن أكثم.

(٢) البيت من السريع، من قصيدة ذائعة لصالح بن عبد القدوس، ومنها البيت المشهور:

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يواري في ثرى رمسه

واستدل به على عدم توبة صاحبه، انظر: وفيات الأعيان ـ جـ ٢ ص ٤٩٢.

أقبلْتُ، والوطءُ خفيٌّ، كما ينسابُ من مَكْمَنِهِ الأرْقَمُ(١)

فرمى الشيخ بنفسه في الفرات بثيابه، وجعل يخبط بيديه طرباً، ويقول: أنا الأرقم، فأخرجوه وقالوا: ما فعلت بنفسك؟ قال: إني أعلم من تأويله ما لا تعلمون.

وقال أحمد بن جعفر: حضر قاضي مكة مأدبة لرجل من الأشراف، فلما قضى الطعام، اندفعت جارية تغني:

إلى خالدٍ، حتّى أنَخْنا بخالدٍ فنعم، الفتى يُرْجَى، ونعمَ الْمُؤَمَّلُ(٢)

قال: فلم يدر القاضي ما يصنع من الطرب، حتى أخذ نعليه، فعلقهما في أذنيه، ثم جثا على ركبتيه، وقال: اهدوني؛ فإني بدنة.

وكتب علي بن الجهم إلى قينة، كان يتعشق بها، ويكلف بها:

خَفِي الله فِيمَنْ قَدْ تَبلْتِ فُؤَادَهُ
وتَيَّمْتِهِ دَهْراً، كأنَّ به سِحْراً
دَعِي الهَجْر لا أسمَعْ به منْكِ، إنما
سألْتُكِ أمْراً، ليس يُعْرى لكم ظَهْراً(٣)

فكتبت إليه: صدقت، جعلت فداك، ليس يعرى لنا ظهراً، ولكنه يملأ منا بطناً.

---

(١) البيتان من السريع: وهما في الأغاني جـ ٩ ص ٢٩٢ هكذا:

حتى إذا الليل خبا ضوؤه وغابت الجوزاء والمرزم
خرجت والوطء خفي، كما ينساب من مكمنه الأرقم

وغنى هذا الصوت ـ كما يقول الأصفهاني ـ مخارق يوماً بحضرة الواثق، والحكاية مع البيتين واردة في المصدر المذكور، وورد الخبر والبيتان في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ١٧٩ ورواية الحدائق هي رواية العقد، مما يدل على أن العقد مصدر أساس للحدائق.

وكلمة «بثيابه» من [د، س]، ولم ترد في العقد، وجاء بدل الشيخ هنا، ناسك عند ابن عبد ربه.

(٢) البيت من الطويل، وهو وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ١٧٩

(٣) البيتان من الطويل، وهما وحكايتهما في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ١٨٦ كما وردا في الأغاني جـ ١٠ ص ٢١٠، وهما لعلي بن الجهم.

وحدث العتبي عن أبيه قال: أنشدني أبو وائل:

مَا أَوْجَعَ الْبَيْنَ مِنْ حَبِيبٍ فَكَيْفَ إِنْ كَانَ مِنْ غَرِيبِ
يَكَادُ مِنْ شَوْقِهِ فُؤَادِي إِذَا تَذَكَّرْتُهُ يَمُوتُ[١]

فقال لي أبي: هذا باء وهذا تاء، قال: لا تنقط أنت شيئاً، قال: فإن البيت الأول مخفوض والثاني مرفوع، قال: أنا أقول: لا تنقط، وهو يشكل.

وجاء أعرابي من شعراء المجانين[٢] إلى نصر بن سيار بشعر، فتغزل فيه بمائة بيت، ومدحه ببيتين، فقال له: والله ما تركت قافية لطيفة. ولا معنى إلا شغلت به نسيبك دون مدحك، قال: سأقول غير هذا، فعاد إليه بشعر يقول فيه:

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ لأُمِّ الْعَمْرِ
رَعْ ذا، وَحَبِّرْ مِدْحَةً فِي نَصْرِ[٣]

فقال له نصر: لا ذاك، ولا ذا.

وكان بعض الأمراء يستظرف طفيلياً، ويحضره طعامه وشرابه، وكان الطفيلي أكولاً شروباً، فلما رأى الأمير كثرة أكله وشربه اطرحه وجفاه، فكتب إليه الطفيلي:

---

(١) البيتان من المخلع ـ وهما والحكاية في العقد الفريد جـ ٣ ص ٢٢٤ وفيهما غلط في القافية كما تشير النادرة. ووردت نفسها ـ مع بيتين آخرين فيهما نفس الخطأ ـ في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٢٣

(٢) عبارة «من شعراء المجانين» من [د، س].

(٣) البيت من الرجز، وهو وحكايته في: الشعر والشعراء ـ منسوباً إلى «بعض الرجاز» ص ١٥، ولعل الراجز كان ينظر إلى قصيدة زهير ـ ص ٥٨ من المصدر المذكور ويقول في مطلعها، وإن اختلف البحران، وإن كانا قريبين:

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر

والبيت وحكايته أيضاً في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٤ ومذكور أيضاً في «العمدة» لابن رشيق ـ جـ ٢ ص ٩٩. وذكره الأخير للتدليل على قضية نقدية موجزها: أن المتغزل عليه أن يصل غزله بما بعده من مدح بحيث يكون ممزوجاً به، ومن الواجب ألا يطول الغزل ويقصر المدح، ثم يذكر حكاية قائل هذا البيت منسوباً إلى «الشاطر» وهي صفة بالطبع.

والشطر الأول فيه ثلاث روايات، أولها: المذكورة في المتن، وثانيتها: هل تعرف الدار لأم عمرو، والثالثة: هل تعرف الدار لأم الغمر.

أقادَ لنا كلباً بكلبٍ، ولم يَدعْ
دماءَ كلابِ المسلمين تَضيعُ[1]

وأهدى بعضهم إلى أمير يوم نيروز عصافير أحياء في طبق، وجعل معها رقعة فيها مكتوب:

عصافيرٌ بعثتُ بها مِلاحٌ ليضحكَ، لا ليأكُلَها الأميرُ
وما أُهْدَى إلى مَلَكٍ سوائي عصافيرٌ على طبقٍ تطيرُ[2]

فلما وضع الطبق بين يديه، ورفع عنه الغطاء طارت العصافير، فرفع الرقعة وقرأ الشعر فضحك، وأمر له بجائزة سنية.

ودخل أعرابي الكوفة، فقصد تماراً، فقال له:

رأيتُكَ في النومِ أعطيْتَني قواصِر من تَمْرِكَ البارحَهْ
فقلتُ لصبياننا: أبْشِروا بِرُؤيا رأيتُ لكمْ صالحه
قواصيرُ تأتيكمُ غدْوَةً وإلَّا فتَأتِيكُمُ رائِحَهْ
فأمُّ العيالِ وصبيانُها قلوبُهُمُ نَحْوَها طامِحَه
فقلْ لي: نعمْ»؛ إنها حلوةٌ وَدَعْ عنْكَ: «لا»؛ إنها مالحه[3]

فدفع إليه قوصرة، وقال له: لا تعد ترى مثل هذه الرؤيا مرة أخرى.

وقال بعضهم: رأيت أعرابياً، يصلي في فصل الشتاء، قاعداً بغير وضوء، وهو يقول:

إليْكَ اعْتِذاري مِنْ صلاتِيَ قاعداً
على غيرِ طُهْرٍ، مُومِئاً نَحْو قِبْلَتي
فما لي بِبَرْدِ الماءِ يا ربُّ طاقةٌ
ورِجْلايَ لا تَقْوى على ثَنْيِ رُكْبتِي
ولكنَّني أُحْصيه يا ربِّ جاهداً
وأَقْضِيكَهُ إنْ عِشْتُ في فصلِ صَيْفتي

---

(١) البيتان من الطويل، وهو وحكايته في العقد الفريد - جـ ٣ - ص ١٢٢ وروايته: وأن الربيع العامري رقيع، وتتفق [س] معه في هذا.

(٢) البيتان من الوافر، والبيت الأول في [س] مختل الوزن، وهو صحيح في المتن هنا.

(٣) الأبيات من المتقارب. وهي لأبي دلامة، والأبيات وحكايتها في الأغاني - جـ ١٠ ص ٢٥٢ - ٢٥٣

فـإن أنـا لـم اصـنـع، فـأنـتَ مُـسـلَّطٌ
بـمـا شِئْتَ مـن لَـطْمي ومِـنْ نَتْـفِ لِحْـيَتـي[١]

وقال الأصمعي: رأيت بالبادية أعرابياً، قد حفر حفرةً وقعد فيها، وذلك في زمان الشتاء، فقلت له: ما صيرك هنا؟ قال: شدة البرد، قلت: فهل قلت في ذلك شيئاً؟ فقال:

أيـا ربِّ مـا لـلبـرْدِ أصـبـح كـالـحـا
وأنـتَ بـحـالـي عـالـمٌ، لا تُـعَـلَّمُ
فـإن يـكُ يـومـاً فـي جـهـنـمَ مَـدْخـلي
فـفـي مِـثـل هـذا الـيـوم طـابـتْ جَـهـنـم[٢]

وقيل لابن أبي عتيق: إن المخنثين خصوا، وإن الدلال خصي، فقال: إنا لله، أما والله، لئن فعل ذلك به، لقد كان يحسن:

لِمَنْ رَبْعٌ بـذاتِ الْجَيْشِ، أمسى دارِساً خَلِقا[٣]

ثم استقبل القبلة، فلما كبر سلم، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: اللهم إن كان ليحسن خفيفه، أما ثقيله، فلا، الله أكبر.

وصحب شيخ من المدينة شباناً في سفينة، ومعهم جارية تغني، فقالوا له: إن معنا جارية تغني، ونحن نجلك، فإن أنت أذنت لنا فعلنا، قال: فأنا أعتزل، وافعلوا ما شئتم، فتنحى، وغنت الجارية:

حتَّى إذا الـصـبْـحُ بـدا ضـوؤُهُ   وغـابـتِ الْـجـوزاءُ والـمِـرْزَمُ

---

(١) الأبيات من الطويل، والشطر الثاني من البيت الثالث مختل وزناً في [س]. وهي وحكايتها في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١١٠.
وواضح أن أخبر عن المتنبي بالإفراد، ونظيره قول المتنبي:

وعيناي في روض من الحسن ترتع   فؤادي على جمر ذكي من الهوى

(٢) البيتان من الطويل.
(٣) البيت من مجزوء الوافر ـ وهو وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ١٧٨ وهي «وقيل لابن أبي عتيق» وعدلناها في المتن.

قَـدْ قَـلَّ أكْـلي، وقَـلَّ شُـرْبـي　　وصـرتُ مـن بـابَـةِ الأمـيـر
فَـلْـيـدْعُ لـي، وهْـوَ فـي أمـانٍ　　أن أشـربَ الـرّاحَ بـالـكـبـيـر(١)

ودخل على أبي الشمقمق بعض إخوانه المتلطفين به، فلما رأوا سوء حاله، قالوا له: أبشر، أبا الشمقمق؛ فإنا روينا في بعض الحديث: أن العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة، فقال: إن صح هذا الحديث. والله، لا كنت أنا في ذلك اليوم إلا بزازاً، فأنشأ يقول:

أتُـراني أُرى من الـدهـرِ يـومـاً　　لِـيَ فيـه مـطيَّـةٌ غَـيْـرُ رِجْـلي
كُلَّمـا كنتُ في جـمـعٍ فقـالـوا:　　قَـرِّبـوا للرحيـل، قَـرَّبْـتُ نَعْـلي
حيـثمـا كـنـتُ، لا أخـلِّفُ رحْـلا　　مـنْ رآني، فـقـد رآني وَرَحْـلي(٢)

وحكى محمد بن الحاج البزار، راوية بشار، قال: قال بشار يوماً، وهو يعبث، وكان مات له حمار قبل ذلك: رأيت حماري البارحة، فقلت: ويلك، قد مت، قال: إنك ركبتني يوم كذا، فمررنا على باب الصيدلاني، فرأيت أتاناً، فعشقتها، فمت، وأنشدني:

هـامَ قـلـبـي بـأتـانٍ　　عـنـد بـاب الـصـيـدلاني
تَـيَّـمَـتْـنـي، يـومَ رُحْـنـا　　بـثـنـايـاهـا الـحِـسـان
وبـغُـنْـجٍ فـي دلال　　سَـلَّ جـسـمـي وبَـرانـي
ولـهـا خـدٌّ أسـيـلٌ　　مـثـلُ خـدِّ الـشَّـنْـفَـرانـي
فـبـهـا مِـتُّ، ولَـوْ عِـشْـ　　ـتُ، إذنْ طـالَ هـوانـي(٣)

---

(١) البيتان من المخلع، وهما وحكايتهما في العقد الفريد ـ جـ ٣ ـ ص ٢٤٠ وروايته «وصرت من بغية الأمير».

(٢) الأبيات من الخفيف، وهي والحكاية في المصدر السابق ـ جـ ١ ـ ص ٢٢٥ وقريب منها ـ وإن كان أجمل ـ قول أبي نواس:

إليك أبا العباس من دون من مشى　　عليها امتطينا الحضرميَّ المُلَسَّنا
قلائص، لم تعرفْ حنيناً إلى الغلا　　ولم تدْرِ ما قَرْعُ الفَنيق، ولا الهَنا

(٣) الأبيات من مجزوء الرمل، وفيها اضطراب في البيت الثالث والرابع في [ح]، وهي في [س، د] صحيحة كما في المتن هنا، ويساوق رواية المتن ما جاء في الأبيات وحكايتها في: الأغاني ـ جـ ٣ =

فقـال رجل من القـوم: أبا معـاذ، ما الشنفـران؟ قال: هـذا من غريب لغـات الحمير، فإذا لقيتم حماراً فاسألوه.

وقال سفيان بن عيينة: دخلت الكوفة في يوم فيه مطر، فإذا كناس يفتح كنيفاً، ووقف على رأسه وهو يقول:

بَـلَدٌ طـيِّـبٌ، ويـومٌ مـطـيـرٌ هـذه روضـةٌ، وهـذا غـديـرُ[١]

ثم قال لصاحبه: انزل فيه، فأبى عليه، فنزل فيه وهو يقول:

لن يُـطيقـوا أن يَنْـزِلـوا، ونـزلْنـا وأخـو الحـرب مَنْ يُـطيق النـزولا
ليس كـلُّ الـرجـال يغْشى لـظى الحرب، ولا كلُّهُمْ يُلاقي الخيولا[٢]

وقال الأصمعي: بينما أنا بالبصرة، إذا بكناس يكنس كنيفاً، وإذا هو يقول:

فـإيّـاكَ والسُّـكْـنـى بـدارِ مـذلـةٍ
تُـعَـدُّ مُـسـيئـاً بـعـد أن كـنْـتَ مُـحْـسـنـا
فـنـفْـسَـكَ أكـرِمْـهـا، وإن ضـاقَ مَـسْـكَـنٌ
عـلـيـك بـهـا، فـاطْـلُبْ لـنـفـسـك مـسـكـنـا[٣]

ـ ص ٢٣١ وما بعدها، والعقد الفريد جـ ٦ ص ٤٤٢. ولهذه الأبيات مشابه في الحمار العاشق، والبغل العاشق، انظر رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني.

(١) البيت من الخفيف، وهو لداود بن رزين مولى عبد القيس، والبيت في وفيات الأعيان ـ جـ ٢ ص ٣١٥، وروايته: «زمن طيب. . .» وبعده أربعة أبيات. والأبيات ـ بالطبع ـ ليست في المعنى الذي عناه الكناس، بل في جفوة وقعت بين الرشيد وبين زبيدة، وكانت الأبيات سبباً في إزالة الجفوة.

(٢) البيتان من الخفيف.

(٣) البيتان من الطويل، ووردت الحكاية برواية أخرى في وفيات الأعيان ـ جـ ٥ ص ٤٠٠ ـ ٤٠١، وتقول: قال الأصمعي: مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفاً ويغني:

اضاعوني، واي فتى اضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت: أما سداد الكنيف فانت مليّ به، وأما الثغر فلا علم لنا فكيف أنت فيه، وكنت حديث السن وأردت العبث به، فاعرض عني ملياً، ثم أقبل عليّ متمثلاً يقول:

وأكرم نفسي إنني إن أهنتها وحقك لم تكرم على احد بعدي

فقلت: والله ما يكون من الهوان شيء أكثر مما بذلتها له. فقال لي: والله إن من الهوان لشراً مما أنا فيه، فقلت: وما هو؟ قال: الحاجة إليك وإلى أمثالك. والبيت الأول «أضاعوني» للعرجي، وفي البيان والتبيين جـ ٢ ـ ص ١٩٦ يقول: ونفسك أكرمها، فإنك إن تهن عليك، فلن تلقى لها الدهر مكرما

قال: فوقفت عليه، وقلت له: والله ما بقي من الهوان شيء، إلا وقد امتهنتها به، فما الذي قلت من كرامتها؟ فقال: والله لكنس ألف كنيف، أحسن من القيام على باب مثلك.

وسأل أعرابي رجلاً يكنى أبا عمرو، فقال للسائل: يرزقك الله، فعاد إليه يوماً، فقال مثل ما قال أمس، وتنحنح، ففلتت منه ضرطة، فقال الأعرابي:

إن أبا عمروٍ لمكنوس الوسطْ إذا سألناه تَمَطَّى وَضَرَطْ
إعطاؤُهُ: يرزقك اللهُ فقط[١]

ودخل طفيلي في صنيع رجل من أهل القبط، فقال له: من أرسل إليك؟ فجعل يقول:

أزورُكُمْ، لا أُكافيكمْ بِجَفْوَتكمْ إن المحبَّ إذا ما لم يُزَرْ زارا[٢]

فقال القبطي: زرزارا؟ ليس أدري ما هو، اخرج من بيتي.

ودخل أبو الفضل بديع الزمان على الصاحب بن عباد، ففرح به، وأجلسه معه، فأخرج البديع ريحاً منكرة، ثم أراد أن ينفي عن نفسه التهمة، فقال: يا مولاي، هذا صرير التخت، فقال له الصاحب: هذا صغير التحت[٣] فخرج البديع خجلاً، وانقطع عن الوصول إليه، فكتب إليه الصاحب:

قُلْ للصُّفيريِّ: لا تذهبْ على خَجَلٍ
من ضرْطةٍ أشبهتْ نايًا على عُودِ
فإنّها الريحُ، لا تَسْطِيعُ تدفَعُها
إذ لستَ أنت سُليمانَ بْنَ داود[٤]

وخرج المهدي يتصيد، ومعه علي بن سليمان، فسنح لهما قطيع من ظباء، فأرسلت الكلاب، وأجريت الخيل، فرمى المهدي بسهم، فصرع ظبياً، ورمى علي بن سليمان سهماً، فصرع كلباً، فقال أبو دلامة:

---

(١) أرجوزة.
(٢) البيت من البسيط وهو وحكايته في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٤٠.
(٣) أخلت [س] بقوله: فقال له الصاحب: هذا صغير التحت.
(٤) البيتان من البسيط.

قَدْ رمى المهديُّ ظبياً   شقَّ بالسهم فؤادَهْ
وعليُّ بنُ سليمانَ،   رمى كلباً، فَصادَهْ
فهنيئاً لهُما، كلُّ   امرئٍ يأكلُ زاده[1]

فضحك المهدي حتى كاد يسقط.

ومن ملح أبي دلامة، أنه دخل يوماً على المهدي، ومعه وجوه بني هاشم، فقال له المهدي: إني أعطيت الله عهداً لئن لم تهج كل من في هذا المجلس لأقطعن لسانك، فنظر إلى القوم، فكلما نظر إلى واحد غمزه بأن عليه رضاه، قال: فعلمت أني قد وقعت، وأنها عزمة من عزماته لا بد منها، فلم أر أدعى للسلامة من هجاء نفسي، فقلت:

ألا أبْلِغْ لديك أبا دُلامةْ   فليْسَ من الكِرامِ، ولا كَرامَةْ
إذا لَبِس العمامةَ كان قِرداً   وخِنْزيراً إذا نَزَع العِمامه
جمعْتَ دَمامَةً وجمعتَ لُؤماً   كذاك اللؤمُ تتبعُهُ الدَّمامه
فإنْ تَكُ قدْ أصبْتَ نعيمَ دُنيا   فلا تفرحْ، فقد دَنَتِ القِيامه[2]

فضحكوا، وأعطاه كل واحد منهم جائزة.

---

(١) الأبيات من مجزوء الرمل، وهي وحكايتها واردة في المصادر الآتية: الأغاني، جـ ٦ ص ٢٤٠، وفيات الأعيان ـ جـ ٢ ص ٣٢٦، والشعر والشعراء ص ٤٨٩، والأغاني أيضاً جـ ١٠ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٢) الأبيات من الوافر، وهي وحكايتها في المصادر الآتية: وفيات الأعيان ـ جـ ٢ ص ٣٢٦، وتنسب الأبيات فيه إلى أبي عطاء السندي مولى بني أسد في هجاء أبي دلامة. ووردت كذلك في: الأغاني جـ ١٠ ـ ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩

الباب الرابع

في المضحكات المطولات

كان المأمون جالساً مع ندمائه ببغداد، مشرفاً على دجلة، وهم يتذاكرون أخبار الناس، فقال المأمون: ما طالت لحية إنسان قط، إلا ونقص من عقله، بمقدار ما طال من لحيته، وما رأيت قط عاقلاً طويل اللحية، فقال له بعض جلسائه: ولا يرد على أمير المؤمنين، قد يكون في طول اللحى أيضاً عقل، فبينما هم يتذاكرون في هذا، إذ أقبل رجل كثير اللحية، حسن الهيئة والثياب، فقال المأمون: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: هذا رجل عاقل، وقال آخر: يجب أن يكون هذا قاضياً، فقال المأمون لبعض الخدم: عليّ بالرجل، فلم يلبث إلا وصعد إليه، ووقف بين يديه، فسلم، فأجاد السلام، فأجلسه المأمون واستنطقه فأحسن النطق فقال له المأمون: ما اسمك؟ فقال: أبو حمدونة، قال: والكنية؟ علويه، فضحك المأمون، وغمز جلساءه، ثم قال: ما صنعتك؟ فقال: أنا فقيه أجيد الشرع في المسائل، فقال له: نسألك عن مسألة، فقال له الرجل: سل عما بدا لك، فقال المأمون: ما تقول في رجل اشترى شاة من رجل، فلما أخذها المشتري خرجت من استها بعرة، ففقأت عين رجل، على من تجب دية العين؟ قال: فأطرق طويلاً ينظر بالأرض ثم قال: تجب على البائع دون المشتري، فقال المأمون: وما العلة التي أوجبت الدية عليه دون المشتري؟ قال: إنه لما باعها لم يشترط أن في استها منجنيقاً، قال: فضحك المأمون حتى استلقى على قفاه، وضحك كل من حضر، وأنشأ المأمون يقول:

مـا أَحَـدٌ طـالـتْ لـه لـحـيـةٌ　　فـزادتِ الـلحـيـةُ فـي هـيـئَـتِـهْ

إلاَّ وما ينقصُ من عقله أكثرُ ممَّا زاد في لحيته[1]

وكان المعتصم يأنس لعلي بن الجنيد الإسكافي، وكان عجيب الصورة والحديث، فقال المعتصم لابن حماد: اذهب إلى ابن الجنيد، وقل له: يتهيأ ليزاملني، فأتاه، فقال له: تهيأ لمزاملة أمير المؤمنين، فقال: وكيف أتهيأ؟ أهيىء رأساً غير رأسي، أشتري لحية غير لحيتي؟ فقال ابن حماد: شروطها الإمتاع بالحديث، والمذاكرة، وألا تبصق ولا تسعل، ولا تمتخط، ولا تتنحنح، وأن تتقدم في الركوب إشفاقاً عليه من الميل، وأن يتقدمك في النزول، فمتى لم يفعل المعادل هذا كان هو ومثقلة الرصاص التي تعدل بها القبة واحداً، فقال لابن حماد: اذهب، فقل له: ما يزاملك إلا من أمه زانية، فرجع إلى المعتصم وأعلمه، فضحك. وقال: عليَّ به. فلما جاء قال: يا علي، أبعث إليك أن تزاملني، فلا تفعل؟ فقال: إن رسولك هذا الأرعن جاءني بشروط حسان السامي، وخالويه الحاكي، فقال لي: لا تبصق، ولا تعطس، وهذا لا أقدر عليه، فإن رضيت أن أزاملك فإذا جاءني الفسا والضراط فسوت وضرطت، وإلا فليس بيني وبينك عمل، فضحك المعتصم حتى استلقى، وقال: نعم، زاملني على هذه الشروط، فسار ساعة، وقال: يا أمير المؤمنين، قد حضر ذلك المسالح. قال: ذلك إليك، قال: يحضر ابن حماد، فأحضر فناوله كمه، وقال: أجد في كمي دبيب شيء، فانظره ما هو، فأدخل رأسه فشم رائحة الكنيف، فقال: لا أرى شيئاً، ولكني أعلم أن في جوف ثيابك كنيفاً، والضحك قد ذهب بالمعتصم كل مذهب، وابن الجنيد يخرج ريحاً متصلاً، ويقول لابن حماد: قلت: لا تمتخط، ولا تسعل، فسلحت عليك، ثم صاح: قد نضجت القدر، وأريد أن أسلح، فأخرج المعتصم رأسه من العمارية، وصاح: ويحك، يا غلام، الأرض الساعة؛ فإني أموت.

ولما خرجت الخيزران إلى الحج، تلقاها أبو دلامة، فصاح: الله، الله، في

---

(١) البيتان من السريع. وثمة حكاية مشابهة لهذه, تنسب إلى هشام بن عبد الملك في البيان والتبيين - جـ ٤ ص ١٨ - ١٩. وقد ألح ابن الرومي إلحاحاً شديداً في هجاء طول اللحى، انظر مواضع متعددة في ديوانه بتحقيق د. حسن نصار - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهجاء ابن الرومي تصوير رائع يكاد ينفرد به.

أمري، فسألته عن أمره، فقال: إني شيخ كبير، وأجرك فيّ عظيم، تهبين لي جارية؛ تؤنسني وترفق بي، وتريحيني من عجوز عندي، قد أكلت رفدي، وأطالت كدي، وعاف جلدها جلدي، وتمنيت بعدها، وتشوقت فقدها، فوعدته بها، فلما قدمت الخيزران من الحج، دخل أبو دلامة على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون، فرفع إليها رقعة، فدفعتها إلى الخيزران، وفيها:

أَبْلغي سيِّدتي، إن شئْـ ـتِ، يا أمَّ عُبيدَهْ
أنَّها، أرشدها الله، وإن كانتْ رشيده
وَعَدَتْني قبْلَ أن تخـ ـرُجَ للحجِّ وَليده
إنني شيخٌ كبيرٌ ليس في بيتي قعيده
غيرُ عَجْفاءَ عجوزٍ ساقُها مثلُ الْقَديدَهْ
وجهُهَا أقْبحُ من حُو تٍ طريٍّ في عَصِيدَهْ
ما حياتي مَعَ أنْثى مثْل عرْسي بحميده[1]

فضحكت، واستعادت: حوتاً في عصيدة، وهي تضحك، ثم قالت لجارية: خذي ما عندك، وامشي إليه، فلما بلغها الرسول منزله، لم يجده، فدفعها إلى امرأته، ودخل دلامة ابنه، وأمه تبكي، فسألها فأخبرته وقالت: إن أردت بري يوماً من الدهر فاليوم، قال لها: قولي ما شئت أفعل، قالت: تدخل إلى الجارية، وتعلمها أنك مالكها، فتطؤها، فتحرم عليه، وإلا شغلته فجفاني وجفاك، ففعل، وجاء أبو دلامة فسألها عنها، فقالت: هي في ذلك البيت، فدخل، ومد يده وذهب ليقبلها، فرأت شيخاً قبيح الوجه، فقالت: تنح عني، وإلا لطمتك لطمة أدق بها أنفك، فقال: أو بهذا أوصتك سيدتك؟ فقالت: إنها بعثتني إلى فتى، من صفته كذا وكذا، وقد نال مني حاجته، فعلم أنه وهي من دلامة وأمه، فخرج ولطمه ولببه، وحلف ألا يفارقه حتى يوصله إلى المهدي، فمضى على تلك الحالة، حتى دخل على المهدي، فقال له: ما لك؟ ويحك، فقال: عمل بي هذا ابن الخبيثة ما لم يعمله أحد بأحد، ولا يرضيني إلا أن تقتله، وأخبره الخبر، فضحك منه، فقال: عليّ بالسيف والنطع، فقال دلامة: اسمع حجتي يا أمير المؤمنين كما سمعت حجته، قال: هات، قال: هذا الشيخ

(١) ١٠ ـ الأبيات من مجزوء الرمل، وهي وحكايتها في الأغاني ـ جـ ١٠ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

أصفق الناس وجهاً، هو ينكح أمي منذ أربعين سنة، فما غضبت ونكحت جاريته مرة واحدة، فغضب، فضحك المهدي أشد من ضحكه الأول، وقال: دعها له، وأنا أعطيك خيراً منها، قال: على أن تخبئها لي بين السماء والأرض، فصرفهما، وحلف لدلامة: إن عاد ليقتله.

وأقبل دلامة إلى أبيه في محفل، فجلس بين يديه، وقال للجماعة: إن شيخي كما ترون قد كبرت سنه، ورق جلده، ورق عظمه، وبنا إلى حياته حاجة، ولا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه، ويبقي قوته، فيخالفني، وأسالكم أن تسألوه قضاء حاجة، فيها صلاح جسمه، فقالوا: حباً وكرامة، فأخذ أبو دلامة بألسنتهم، فقال قولوا: للخبيث: ليقل ما يريد، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببلية، فقال: إنما يقتله كثرة النكاح، ولا يقطعه عنه إلا الخصا، فتعاونونني عليه حتى أخصيه، فضحكوا منه، ثم قالوا لأبيه: قد سمعت، فما عندك؟ قال: قد عرفتكم أنه لم يأت بخير، وقد جعلت أمه حكماً بيني وبينه، فدخلوا إليها وقصوا القصة عليها، فأقبلت على الجماعة، وقالت: إن ابني ـ أبقاه الله ـ قد نصح أباه وأبره، وأنا إلى بقاء أبيه، أحوج منه إليه، إلا أن هذا أمر لم تقع به تجربة عندنا، ولا جرت به عادة، وهو قد ادعى معرفة هذا، فليبدأن بنفسه، فإذا هو عوفي، ورأينا ذلك قد أبقى عليه أثراً محموداً، استعمله أبوه على علم، فجعل القوم يعجبون من اتفاقهم في الخبث[1]

وقال الفقيه أبو عمرو بن حكم: خرج رجلان من بلدهما من الضياعة والفقر، فلما وصلا إلى بلد آخر، وجدا بخارج تلك البلدة وادياً فيه أشجار كثيرة، فقطعا منها، وصنعا بيتاً في خارج البلدة، ونادى مناديهما: من أراد أن ينظر شيئاً ما رآه قط، فليأت الموضع الفلاني، فاجتمع الناس إليهما، وقعد أحدهما في داخل البيت، ووقف الآخر خارج البيت، وقال للناس: من أراد أن يرى عجباً يعطي درهماً ويدخل البيت، فتشوق الناس إلى ذلك، فدخل شخص، فرأى الرجل وبين يديه رجل حمار، فقال له: هذا في است من يقول لأحد ما رأى فخرج وهو يضحك، فقال له الناس: ما رأيت؟ قال: ادخلوا تروا ما رأيت ومضى، فلم يزل الناس يدخلون كذلك إلى آخرهم، واجتمعت له جملة كبيرة من دراهم.

---

(١) وردت الحكاية في الأغاني جـ ١٠ ص ٢٧١ ـ ٢٧٢

ودخل أبو العيناء على عبيد الله، وبين يديه شطرنج يلعب به، مع بعض أولاده، فقال له عبيد الله: مع أي الحزبين تريد أن تكون؟ قال: معك، فلم يكن بأسرع من أن قال: قد غلبنا، ولزمك من القمار عشرون رطلاً من الثلج، قال: احضره أيها الأمير، ولكن تأذن لي أن أمضي إلى داري أوصيهم بما أحتاج إليه، حتى يدرك الطعام، وأوافيك بالثلج، فقال: امض، ولا تتأخر، فركب حماره، ومضى لأبي العباس بن ثوابة، فقال له: الأمير يدعوك الساعة، فلبس ابن ثوابة ثيابه، وركب دابته وصار معه أبو العيناء، فما شعر عبيد الله إلا بأبي العيناء مع ابن ثوابة قد وافى، فسر بذلك، فقال أبو العيناء: كلفونا[1] أربعين رطلاً من الثلج، وقد جئتك بثلج مذاب[2] كله، فخذ منه ما شئت، فضحك عبيد الله حتى استلقى.

ودخل عبادة المغني دار المتوكل، فرأى فيها رطباً قد تساقطت، فجعل يلتقطها، فمد أحد أولاد المتوكل يده إلى است عبادة، وقال له: يا عبادة، من فتح لك هذه الثقبة؟ قال عبادة: الذي فتح لأمك ثقبتين، فشكاه إلى أبيه، فأمر أن يؤتى به فخرج عبادة فاراً[3] بنفسه، فبينما هو يسير، إذ رأى غاراً فدخل فيه، وبنى عليه بحجارة، ودخل إلى قعره فإذا بأسد راقد فيه، فلما رآه ارتعب منه، وأخذ طنبوره، وجعل يضربه، ووافق ذلك خروج الفتح بن خاقان متصيداً، فمر بذلك الموضع، فسمع صوت الطنبور، في داخل الغار، فقال: اهدموه، فلما فتح خرج الأسد عليهم فاراً بنفسه، وعبادة من خلفه، فقال: ما هذا يا عبادة؟ قال: إن أمير المؤمنين جعلني هنا أعلم هذا الأسد ضرب الطنبور، وقد نفرتموه عليّ، وأنا أخشى عقوبته، ولا آمن أن يقتلني عليه، فقال الفتح: لا تخف، أنا أستوهب ذنبك، وأنسب الذنب في ذلك إلى نفسي، فرجع معه إلى المتوكل، فقال الفتح: يا أمير المؤمنين، إني استوهبتك عبادة؛ فقد ضمنت له النجاة، وإن الذنب الذي أذنب، أنا أذنبته، قال: والله ما غرضي إلا أن أقتله؛ لأن ذنبه كبير، حمله عليه كثرة الدالة علينا، حتى تعرض لحرمنا، فقال الفتح: وكيف ذلك؟ فقال له: ما تقدم من قوله،

---

(١) «غلبنا اربعون رطلاً من الثلج» من [س].

(٢) «بثلج مذاب كله» من [س].

(٣) «فاراً بنفسه» من [د].

فقال الفتح : العفو يا أمير المؤمنين، والله ما علمت بذلك، ولكن اتفق لي معه كذا وكذا، فضحك المتوكل عند ذلك، وأمر بإحضاره.

وكان محمد بن جعفر بخيلاً، فجلس يوماً مع ندمائه، فقال بعضهم: ما في الأرض أمشى مني، فقال ابن جعفر: وما يمنعك من ذلك وأنت تأكل أكل عشرة أنفس، وهل يحمل الرجلين إلا البطن، فقال آخر: أنا والله لا أقدر أن أمشي، فقال له: وكيف تستطيع المشي، وأنت تحمل في بطنك ما يثقل ثلاثين رجلاً، وهل ينطلق مشي الإنسان إلا بخفته، فقال الآخر: أما أنا فما نمت البارحة من وجع ضرس، فقال: وكيف لا تشتكي، وأي ضرس يصبر على الدق والطحن مثل ضرسك؟ فقال آخر: ما اشتكيت قط ضرسي، وما تخلخل من موضعه، فقال له: ذلك من كثرة المضغ؟ فإنه يشد الأسنان، ويقوي اللثة، وقال آخر: ما أظن أحداً أكثر شرباً للماء مني، وما أروى منه، فقال: لا بد للبطن من الماء حتى يبله ويرويه، وأما أنت والله لو شربت الفرات ما استكثرته لك؛ لما أرى من كثرة أكلك، فقال آخر: وأنا لا أشرب ماء، فقال: لكثرة ما تأكل؛ لأن البطن إذا امتلأ لم يحتج لشيء، فقال آخر: والله ما أنام من الليل إلا قليلاً، فقال له: وكيف تدعك التخمة تنام؟ أتدري أن من أكل كثيراً وشرب غزيراً لا يكون ليله كله إلا يسحل ويبول؟ فقال آخر: أما أنا فإني أنام الليل كله، قال: أمارة على الشبع؛ لأن الطعام إذا كثر في البطن يسكن البدن والأعضاء، ويملأ العروق، فيسترخي منه كل شيء، وقال آخر: اصبحت لا أشتهي شيئاً، فقال: إياك أن تأكل قليلاً ولا كثيراً؛ فإن القليل على غير شهوة أضر من الكثير على شهوة، وإياك من الأكل الكثير. فإنه يتّخم، وأكثر ما يكون الموت من التخمة، فعليكم بالإقلال من الطعام والشراب في كل الأزمان.

وكان بالكوفة رجل يقال له مصلح، فبلغه أن بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدماً في شأنه، فسار الكوفي إلى البصرة، فلما قدم عليها قال له: من أنت؟ قال: أنا مصلح، جئتك من الكوفة؛ لما بلغني خبرك، فرحب به، وأدخله موضعه، وخرج يشتري له ما يأكل، فأتى جباناً فقال له: أعندك جبن؟ قال: عندي جبن كأنه سمن، فقال في نفسه: لم لا أشتري سمناً حين هو يضرب به المثل؟، فذهب إلى

من يبيع السمن، فقال له: أعندك سمن؟ قال: عندي سمن كأنه زيت، فقال في نفسه: لم لا أشتري زيتاً حين هو يضرب به المثل؟ فذهب إلى زيات، وقال: أعندك زيت؟ فقال: عندي زيت صافٍ كأنه الماء، فقال في نفسه: لم لا آخذ ماء حين يضرب به المثل؟ فرجع إلى بيته، وأخذ صحفة وملأها ماء، وقدمها للضيف مع كسيرات يابسة، وعرفه كيف جرى له، فقال الكوفي: أنا أشهد أنك بالإصلاح أحق من أهل الكوفة.

وحكى المدائني قال: خطب رجل من بني كلاب امرأة، فقالت أمها: دعني أسأل عنك، فانصرف الرجل، فسأل عن أكرم الحي، فدل على شيخ منهم، كان يحسن المحض في الأمر، فأتاه وسأله أن يحسن عليه الثناء وانتسب له فعرفه، ثم إن العجوز غدت عليه، فسألته عن الرجل، فقال: أنا أعرف الناس به، قالت له: كيف لسانه؟ فقال: مدره قومه وخطيبهم، قالت: فكيف شجاعته؟ قال: منيع الجار، حامي الذمار، قالت: فكيف سماحته؟ قال: ثمال قومه وربيعهم، وأقبل الفتى، فقال الشيخ: ما أحسن ـ والله ـ ما أقبل الفتى، ما انثنى ولا انحنى، ودنا الفتى فسلم، فقال: ما أحسن ـ والله ـ سلم، ما دار ولا بار، ثم جلس فقال: ما أحسن ـ والله ـ ما جلس ما دنا ولا نأى، وذهب الفتى ليتحوط، فأخرج ريحاً، فقال: ما أحسن ـ والله ـ ما أغنها، ، وما أطنها، ولا بربرها، ولا فرفرها،ونهض الفتى خجلاً، فقال: ما أحسن ـ والله ـ ما نهض، ما أبطأ ولا أسرع، فقالت المرأة: حسبك بهذا، وجه إليك من يرده، فوالله، لو سلح في ثيابه لزوجناه.

وسمع بعض الملوك أن ملك الروم المجاور له عزم على أن يدخل أرضه ويحصر بعض بلاده، فأراد أن يبعث إليه رسولاً، يطلب منه الصلح، فشاور وزراءه، ونبهاء فرسانه فيمن يبعث إليه، فأشار عليه كل واحد منهم برجل من كبار خدامه، ونبهاء فرسانه، وسكت منهم واحد، فقال له الملك: لم سكت؟ قال: لا أرى أن ترسل واحداً ممن ذكروا، قال: فمن ترى أن ترسل؟ فقال له: فلان، وذكر له رجلاً غير وجيه، ولا مشهور بنباهة ولا بفصاحة، فقال له الملك: أتهزأ بي في مثل هذا؟ وظهر عليه الغضب، فقال له: معاذ الله يا مولاي، ولكنك تريد أن تبعث إليه من نرجو رجوعه، مقضي الحاجة، قال: وذلك مرادي، قال: وإني فكرت ونظرت فلم

أجد غير ذلك الرجل؛ لأنك وجهته في كذا فأنجح، وفي كذا فقضيت حاجته، وما ذلك إلا بنجحته، لا بفصاحته، ولا نباهته ولا شجاعته، فقال له: صدقت، وأمر أن يوجه عنه، فجاءه، وأمر أن يدفع إليه كل ما يحتاج إليه في السفر، فدفع إليه، وخرج، فسمع ملك الروم أنه يأتيه رسول، فقال لخدامه: إن هذا الرسول الذي هو يأتي من أكبر من عند المسلمين، فإذا وصل فأدخلوه قبل إنزاله، فإن فهم عني ما أقوله له أنزلته، وقضيت حاجته، وإن لم يفهم عني، لم أنزله، ورددته غير مقضيّ الحاجة، فلما وصل أدخل عليه، فلما سلم عليه أشار إليه ملك الروم بأصبعه الواحد إلى السماء، فأشار ذلك الرجل بأصبعه إلى السماء والأرض، فأشار النصراني بأصبعه قبالة وجه الرجل، فأشار الرجل بأصبعين قبالة وجه النصراني، فأخرج النصراني زيتونة من تحت بساطه، وأشار بها إلى الرجل، فأخرج الرجل بيضة من تحته وأشار بها إليه، فطابت نفس النصراني وأمر بإنزاله وإكرامه، ثم سأله: فيم جاء؟ فأخبره، فقضى حاجته وصرفه، فقيل للنصراني: ما قلت له حتى فهمك، وقضيت حاجته؟ فقال: ما رأيت أفهم منه ولا أحذق، أشرت له بأصبعي إلى السماء، أقول له: الله واحد في السماء، فأشار لي بأصبعه إلى السماء وإلى الأرض يقول لي: هو في السماء وفي الأرض، ثم أشرت له بأصبعي قبالته أقول له: جميع ما ترى من الناس إنما أصلهم واحد وهو آدم، فأشار لي بأصبعين يقول لي: أصلهم آدم وحواء، ثم أخرجت له زيتونة أقول له: انظر، ما أغرب حال هذه، فأخرج هو بيضة، وقال: حال هذه أغرب من تلك؛ لأنه يخرج منها حيوان، فهي أعجب، فلذلك قضيت حاجته، فقيل بعد ذلك للرجل: ما الذي قال لك النصراني حين أشار إليك وفهمته؟ قال: والله، ما رأيت أثقل روحاً، ولا أجهل من ذلك النصراني ساعة وصولي إليه، يقول لي: آخذك في طرف أصبعي وأرفعك هكذا، فقلت له: أنا أرفعك بأصبعي هكذا، وأنزلك في الأرض هكذا، فقال لي: أخرج عينك بأصبعي هكذا، فقلت له: أنا أخرج عينيك الاثنتين بأصبعيّ هذين، فقال: ليس معي ما أعطيك إلا هذه الزيتونة، بقيت من غدائي، قلت له: يا محروم، وأنا خير منك، فإني بقي لي من غدائي هذه البيضة، ودفعتها له، ففزع مني وقضى حاجتي.

وكان بالكوفة رجل مشهور بالبرد. فسمع أن بالبصرة رجلاً آخر أبرد منه،

فقال: لا بد أن أختبره، حتى أرى من أبرد منا، فأخذ كراريس من الكاغد كثيرة، وصنع منها سفراً كبيراً وسفره وكتب فيه: سلام عليكم، وفرق الحروف في بعض الأوراق وترك سائرها بياضاً، ودفعه لميار، وقال: تدفعه بالبصرة لفلان، وتطلب منه الجواب، فأخذه الميار، وذهب إلى البصرة، وسأل عن الرجل، فدل عليه، فأتاه، ودفع إليه السفر وقال له: أريد جواب ما فيه، قال: نعم، غداً إن شاء الله، ثم فتحه فوجد أوراقه بيضاً، فجعل يحول الأوراق، فوجد السين ثم اللام حتى كمل سلام عليكم، ولم يجد غير ذلك، ففكر في نفسه، فعلم أن ذلك من فعل بارد مثله يريد أن يقيسه فذهب إلى نجار، وقال له: اعمل لي تابوتاً كبيراً، فعمله له، فلما عاد إليه الميار يطلب الجواب، قال له: تأتي غداً، وتأخذ هذا التابوت وتحمله للذي دفع لك الكتاب وتقول له: هذا جوابك، وهذا مفتاح التابوت تدفعه له، ثم دفع له أجرته، وقال: إني أسافر الليلة، فإذا كان غداً فأت إلى هنا، وخذ التابوت، وجعل فيه ما يحتاج من المأكول والمشروب، وغلقه، وإذا بالميار قد جاء، فأخذ التابوت وذهب، فلما وصل إلى الكوفة أتى الرجل الذي دفع له الكتاب: فقال: هذا التابوت جواب كتابك، ثم دفع له المفتاح ففتحه، فخرج منه الرجل، وقال: وعليكم السلام ورحمة الله، فقال له: أشهد أنك أبرد مني ومن جميع الناس.

وحكى أبو عبد الله بن عبد البر المدني بمصر قال: حدثني إسحاق بن إبراهيم عن الهيثم بن عدي قال: كان بالمدينة رجل من بني هاشم، وكانت له قينتان يقال لإحداهما: رشأ وللأخرى جؤذر، وكان يعجبه السماع، وكان بالمدينة مضحك، لا يكاد يفارق مجالس المتظرفين، فأرسل الهاشمي إليه ذات يوم ليضحك به، فلما أتاه قال له المضحك: أصلحك الله، أنت في لذتك، ولا لذة لي، قال: وما لذتك؟ قال: تحضر لي نبيذاً؛ فإنه لا يطيب لي عيشي إلا به، فأمر الهاشمي بإحضار نبيذ، وأمر أن يطرح فيه سكر، فلما شربه المضحك، تحركت عليه بطنه، وتناوم عنه الهاشمي، وغمز جاريتيه عليه، فلما ضاق عليه الأمر، واضطر إلى البراز، قال: ما أظن هاتين المغنيتين إلا يمانيتين، وأهل اليمن يسمون الكنف المراحض، فقال لهما: يا حبيبتي، أين المرحاض؟ فقالت إحداهما لصاحبتها: ما يقول؟ قالت: يقول غنياني:

رَحَضْتِ فُؤادِي فَخَلَّيْتِنِي أهيمُ مِنَ الحبِّ في كل وادْ[١]

فاندفعتا تغنيانه، فقال في نفسه: ما أراهما فهمتا عني، أظنهما مكيتين، وأهل مكة يسمونه المخارج، فقال: يا حبيبتي، أين المخرج؟ فقالت إحداهما: ما يقول؟ قالت: يقول: غنياني:

خَرَجْتُ بها من بطنِ مكةَ، بعد ما
أقامَ المُنَادي بالعشاءِ فأعْتَما[٢]

فاندفعتا تغنيانه، فقال في نفسه: لم تفهما عني، أظنهما شاميتين، وأهل الشام يسمونها المذاهب، فقال لهما: يا حبيبتي، أين المذهب؟ فقالت إحداهما: ما يقول؟ قالت: يقول: غنياني:

ذهبْتِ من الهجران في كلِّ مَذْهَبِ
ولم يَكُ حقاً كلُّ هذا التَّجَنُّبِ[٣]

فغنتاه الصوت، فقال في نفسه: لم تفهما عني، ما أظنهما إلا مدينتين، وأهل المدينة يسمونه: بيت الخلاء، فقلت لهما: يا حبيبتي، أين بيت الخلاء؟ فقالت إحداهما: ما يقول؟ قالت: يسأل أن يغنى:

---

(١) البيت من المتقارب. والبيت والحكاية كلها من العقد الفريد - جـ ٣ - ص ١٨٦ - ١٨٧، ولعل النبيذ الذي طرح فيه سكر هو ما يعرف في الإسبانية بـ Sangria، سانجرية، مما يدل على أن هذا الضرب من الشراب معروف في المشرق كما في المغرب.

(٢) البيت من الطويل، وهو لأبي دهبل الجمحي، يصف ناقته، ولم يكن في زمانها أسير منها ولا أحسن، وروايته مع بيتين آخرين:

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصاتَ المنادي بالصلاة فأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الليل حتى جاوزتْ بي يَلَمْلَما
وما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تَبَيَّنَتْ بِعُلَيَبَ نَخْلاً مُشْرِفاً ومُخَيَّما.

الشعر والشعراء ص ٣٩٠.

(٣) البيت من الطويل، وهو لعلقمة الفحل، وله قصة مشهورة مع أم جندب وامرىء القيس - الشعر والشعراء ص ١٠٧، وأول قصيدة إمرىء القيس:

خليليَّ مُرَّا بي على أمِّ جُنْدُبِ لِنَقْضِيَ حاجاتِ الفؤادِ المعذَّبِ.

وانظر: طبقات فحول الشعراء - السفر الأول - ص ١٣٩

خَـلَى عَـلَيَّ أخـو الأحـزانِ إذْ ظَـعَـنـا
مِـن بـطن مـكـةَ، ألـتَّـسْـهِـيـدَ والْـحَـزَنـا[١]

قـال: فغنتـاه، فقـال: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[٢]، مـا أحسب الفاسقتين إلا بصريتين، وأهل البصرة يسمونها الحشـوش، فقال: أين بيت الحش؟ فقالت إحداهما: ما يقول؟ قالت: يسأل أن يغنى:

أَوْحَشَ الخِبْـرَانِ فـالـرَّبْـعُ منهـا فمُنـاهـا، فـالمنـزلُ المعمـور[٣]

فاندفعتا تغنيانه، فقال: ما أراهما إلا كوفيتين، وأهل الكوفة يسمـونها الكنف، فقـال لهما: أين الكنيف؟ فقالت إحداهما: نعس سيدنا، هل رأيت أكثر اقتـراحاً من هـذا الرجل، قالت: ما يقول؟ قالت: يسأل أن يغنى:

تَـكَـنَّـفَـنِي الـهـوى طـفــلا فـشَيَّـبَنِي، ومــا اكْـتَـهَـلا[٤]

قال: فغلبته بطنه، وعلم[٥] أن ذلك منهما ازدراء عليه، والهاشمي يتقطع ضحكاً، فقال لهما: كذبتما يـا زانيتين، أعلمكما مـا هو؟ فـرفع ثيـابه وسلح عليهمـا، وانتبه الهاشمي، فقال: سبحان الله، أتسلح على وطائي؟ قال: الذي خرج مني أعز علي منه؛ إن هاتين الزانيتين حسبتاني أني أسأل عن الحش لإخراج الريح، فأعلمتهما ما هو.

وقال إسحاق بن إبراهيم: قال لي ابن وهب الشاعر: والله لأحـدثنك حـديثاً، ما سمعه أحـد مني قط، وهـو أمـانـة أن يسمعـه أحـد منـك مـا دمت حيـاً، قلت: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٦]، قال لي: يـا أبا محمد، إنه حديث ما طن في أذنـك أعجب منه، قلت: كم هـذا التعقيد بـالأمانـة؟ آخذه على ما أحببت، قـال: بينما أنـا بسوق الأبـل بمكة بعـد أيام المـوسم، إذا أنا بـامرأة من نسـاء مكة معهـا صبي يبكي، وهي تسكته، فيـأبى أن يسكت، فسفـرت

(١) البيت من البسيط، ولا بد لقراءته صحيحاً نْ تقطع همزة «التسهيد».
(٢) سورة البقرة ـ الآية ١٥٦
(٣) البيت من الخفيف.
(٤) البيت من مجزوء الوافر.
(٥) العبارة: «وعلم ـ إلى قوله: ضحكاً من [د، س].
(٦) سورة الأحزاب ـ الآية ٧٢.

وأخرجت من فيها كسر درهم، فدفعته إلى الصبي فسكت، فإذا وجه رقيق كأنه دريّ، وإذا شكل رطب ولسان طويل، فلما رأتني أحدّ النظر إليها قالت: اتبعني، قلت: إن شرطي الحلال، قالت: ارجع، ومن يريدك على الحرام؟ فخجلت، وغلبتني نفسي على رأيي، فتبعتها، فدخلت في زقاق العطارين، فصعدت درجة، وقالت: اصعد، فصعدت، فقالت: أنا متزوجة، وزوجي رجل من بني مخزوم ولكن عندي جارية، عليها وجه أحسن من العافية، في مثل خلق ابن سريج، وترنم معبد، وتيه ابن عائشة، أجمع لك هذا كله في بدن واحد بأصغر سليم، قلت: وما أصغر سليم؟ قالت: بدينار واحد في يومك وليلتك، فإذا قمت جعلت الدينار وظيفة، وتزويجها صحيحاً، قلت: فذلك لك إن اجتمع لي ما ذكرت، قال: وصفقت بيديها إلى جارتها، فاستجابت لها، فقالت: قولي لفلانة: البسي عليك ثيابك، وبحياتي عليك لا تمسي طيباً؛ فحسبنا بدلالك وعطرك فإذا جارية قد أقبلت من أجمل ما يرى، فسلمت وقعدت كالخجلة، فقالت لها الأولى: إن هذا الذي ذكرتك له، وهو في هذه الهيئة التي ترين، قالت: حياه الله، وقرب داره، قالت: وقد بذل لك من الصداق ديناراً، قالت: أما أخبرته شرطي؟ قالت: لا، والله يا بنية، لقد نسيت، ثم نظرت إلي فغمزتني، وقالت: أتدري ما شرطي؟ قلت: لا، قالت: أقول لك بحضرتها، وما أظنها تكرهه، هي والله، أفتك من عمرو بن معدي كرب، وأشجع من ربيعة بن مكدم، ولست بواصل إليها حتى تسكر، ويغلب عليها السكر، فإذا بلغت تلك الحال، ففيها مطمع، فقلت: ما أهون هذا وأسهله، قالت الجارية: وتركت شيئاً آخر، قالت: نعم، والله اعلم أنك لن تصل إليها حتى تتجرد لها، وترى مجرداً مقبلاً ومدبراً، قلت: وهذا أيضاً أفعله، قالت: هلم دينارك، فدفعته إليها قالت: فصفقت بيديها مرة أخرى، فأجابتها امرأة، فقالت لها: قولي لأبي الحسن وأبي الحسين: هلما الساعة، فإذا بشيخين نبيلين، قد أقبلا، فصعدا، فقصت عليهما القصة، فخطب أحدهما، وأجاز الآخر، وأقررت بالتزويج، وأقرت المرأة، ودعوا بالبركة، ثم نهضنا، فاستحييت أن أحمل المرأة شيئاً من المئونة فأخرجت ديناراً آخر، ودفعته إليها، وقلت: هذا لطيبك، قالت: لست ممن يمسي طيباً لرجل، إنما أتطيب لنفسي إذا خلوت، قلت: فاجعلوه لغدائنا اليوم، قالت: أما هذا فنعم، فنهضت الجارية، فأمرت بإصلاح ما يحتاج إليه، ثم

عادت فتغدينا، ثم جاءت بوسادة وقضيب وقعدت، ودعت بنبيذ فأعدته، واندفعت تغني بصوت لم أسمع قط مثله، وإني ألفت بيوت القيان نحواً من ثلاثين سنة، فما سمعت مثل ترنمها قط، فكدت أخر سروراً وطرباً، فجعلت أروم أن تدنو مني، فتأبى، إلى أن تغنت بشعر لم أعرفه، وهو:

رامُوا يصيدونَ الظِّبَاءَ وإنَّني لأرى تَصَيُّدَها عَلَيَّ حَراما
أعْزِزْ عَلَيَّ بأن أرُوِّعَ مِثْلَها أو أنْ يذُقْنَ على يديَّ حماما(١)

فقلت: جعلت فداك، من يغني هذا؟ قالت: اشترك فيه جماعة، هو لمعبد، وتغنى به ابن سريج، وابن عائشة، فلما نعى إلينا النهار نفسه، وجاء المغرب، تغنت بصوت لم أعرف معناه؛ للشقاء الذي كتب علي، فقالت:

كَأنّني بالمُجَرَّدِ قد عَلَتْهُ نِعالُ القَوْمِ أو خُشُبُ البَراري(٢)

قلت: جعلت فداك، ما أفهم هذا البيت، ولا أحسبه مما يتغنى به، قالت: أنا أول من تغنى به، قلت: فإنما هو بيت مفرد لا صاحب له، قالت: معه بيت آخر، ليس هذا وقته، وهو آخر ما أتغنى به، قال: وجعلت لا أنازعها في شيء إجلالاً لها، فلما أمسينا وصلينا المغرب، وجاءت العشاء الأخيرة وضعت القضيب، فقمت وصليت، وما أدري كم صليت عجلة وشوق فلما سلمت قلت: أتأذنين لي ـ جعلت فداك ـ في الدنو منك، قالت: تجرد، وأشارت إلى ثيابها، كأنها تريد أن تتجرد، فكدت أن أشق ثيابي عجلة للخروج منها، فتجردت، وقمت بين يديها، فقالت: امضي إلى آخر البيت وأقبل(٣) حتى أراك مقبلاً ومدبراً، وإذا حصير في الغرفة عليه طريق إلى آخر البيت، فخطرت عليه، وإذا خرق إلى السوق تحته، فإذا أنا فيه، قد وقعت في السوق قائماً متجرداً، وإذا الشيخان الشاهدان قد أعدا نعالهما، وكمنا لي ناحية، فلما هبطت عليهما، نهضا إلي، فقطعا نعالهما على قفاي، واستعانا بأهل السوق، فضربت ـ والله ـ يا أبا محمد، حتى نسيت اسمي، فبينما أنا أضرب بنعال مخصوفة، وأيدٍ شديدة، إذا صوت من فوق البيت يغني:

---

(١) البيتان من الطويل، والحكاية كلها واردة في العقد الفريد ـ مع تغيير طفيف ـ جـ ٣ ص ٣١٠ ـ ٣١٢. تحت عنوان: حديث المجرد.

(٢) البيت من الوافر.

(٣) العبارة «وأقبل ـ إلى : البيت» من [س].

ولــوْ عَــلِمَ الــمــجــرَّدُ مــا أَرَدْنــا　　لحــاذَرَنــا المجــرَّدُ في الصحــارى(١)

فقلت في نفسي: هذا - والله - وقت هذا البيت، فنجوت إلى رحلي، وما فيّ عظم صحيح، فلما انقضى حجنا، وانصرفنا، جعلت طريقي على ذلك الموضع، فسألت عنها فقيل لي: إنها امرأة من آل أبي لهب، قلت: لعنها الله، ولعن الذي هي منه.

وحكى أبو سويد عن أبي العتاهية عن دعبل بن علي الشاعر قال: بينما أنا ذات يوم بباب الكرخ، وأنا سائر، وقد استولى الفكر على قلبي في أبيات شعر نطق بها اللسان، فقلت:

دمــوعُ عـيـنِـي لـهــا انْـبِـســاط　　ونــومُ عـيْـنِـي لــه انْـقِـبــاضُ(٢)

فإذا بجارية رائعة الجمال، فائقة الكمال، حوراء الطرف، يقصر عن نعتها الوصف، لها وجه زاهر، ونور باهر، فهي كما قال الشاعر:

كَــأنَّمــا أُفْــرِغَتْ فـي قِشْـرِ لُـؤلـؤةٍ　　في كـل جـارحـةٍ منهـا لهـا قَمَـرُ(٣)

وكانت تسمع قولي، فقالت:

هــذا قــلـيــلٌ لــمــنْ دَعَــتْــهُ　　بلحــظِهــا الأعْيُنُ المِــراض(٤)

فأجبتها، فقلت:

فــهــلْ لــمــولايَ عــطفُ قــلــبٍ　　أو لــلذي فـي الــحــشــا انْـقِــراض

فأجابتني فقالت:

إن كـنْـتَ تـبغِـي الــودادَ مـنّــا　　فــالــودُّ فــي ديــنــنـــا قِــراض

قال دعبل، فما أعلمني خاطبت جارية تقطع الأنفس بعذوبة ألفاظها، وتختلس الأرواح ببراعة منطقها، وتذهل الألباب برخيم نغمتها، مع تلاعة جيد، ورشاقة قد، وكمال عقل، وبراعة شكل، واعتدال خلق، فحار - والله - البصر - وذهل اللب، وجل الخطب، وتلجلج اللسان، وتعلقت الرجلان، وما ظنك بالحلفاء أدنيت لها النار، ثم ثاب إليّ عقلي، وراجعني علمي، وذكرت قول بشار:

---

(١) البيت من الوافر.

(٢) البيت من المخلع، والحكاية والشعر فيها واردتان في العقد الفريد جـ ٣ ص ٣١٣ - ٣١٤.

(٣) البيت من البسيط.

(٤) البيت والبيتان بعده من المخلع.

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ قَولٌ تغلِّظُه، وإن جَرَحا
عسْرُ النساء إلى مياسِرَةٍ والصعْبُ يُمكنُ بعدما جَمَحا[١]

هذا لمن حاول ما دون الطمع فيه، واليأس منه، فكيف لمن وعد قبل المسألة وبذل قبل الطلب، فقلت مسمعاً لها:

أتُرى الزمانَ يسُرُّنا بتلاق ويضمُّ مُشتاقاً إلى مُشتاقِ؟[٢]

فقالت مجيبة لي في أسرع من نفسي:

ما للزمان يُقال فيه، وإنما أنْتَ الزمانُ فَسُرَّنا بِتَلاق

قال دعبل: فلاحظتها، فتبعتني، وذلك في أيام إملاقي، فقلت: ما بي إلا منزل مسلم صريع الغواني، فصرت إلى بابه، فاستوقفتها وناديته، فخرج فقلت: أحمل لك الخير، معي وجه تقل له الدنيا بما فيها، قد حصل مع ضيقة وعسر، فقال: لقد شكوت ما كدت أبادرك إليه، ايت بها، فلما أتيت ودخلت قال: والله، ما أملك غير هذا المنديل، فقلت: هو البغية، فناولنيه، وقال: خذاه، لا بارك الله فيه، فأخذته وبعته بدينار عين وكسر، فاشتريت لحماً وخبزاً ونبيذاً، وصرت إليهما، فإذا هما يتساقطان حديثاً كأنه قطع الروض الممطور، فقال: ما صنعت؟ فأخبرته، فقال: كيف يصلح طعام وشراب وجلوس، مع وجه نظيف بلا نقل ولا ريحان ولا طيب؟ فارجع لتمام ما بدأت، قال: فخرجت، فاضطربت في ذلك حتى رجعت به، فألقيت باب الدار مفتوحاً، فدخلت، فلم أر لهما خبراً، ولا شيئاً مما أتيت به أثراً، فسقط في يدي، وقلت: أرى صاحب الشرطة أخذهما؟ فبقيت متلهفاً حائراً، أرجم الظن، وأجيل الفكر سائر يومي، فلما أمسيت قلت: يا نفسي، أفلا أدور الدار؛ لعل الطلب يوقعني على أثر، ففعلت، فوقفت على سرداب، وإذا هما قد هبطا فيه، وأنزلا معهما جميع ما يحتاجان إليه، فأكلا وشربا وتنعما، فلما أحسستهما دليت رأسي، ثم ناديت: يا مسلم، ويحك، فلم يجبني حتى ناديت ثلاثاً، فكان من إجابته لي أن غنى بصوت يقول فيه:

---

(١) البيتان من الكامل الأحذ، وهي لبشار، واردة في وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٢٦، وفي الأغاني جـ٣ ص ٢٠٩، وروايتهما: «لا يؤسنك من مخبأة»، ولهما حكايات في مصادر متعددة.

(٢) البيت وما بعده من الكامل.

بِتُّ في دِرْعِهـا، وبـاتَ رقيبي جُنُبَ القَلْبِ، طـاهر الأطْـراف[١]

قـال: فضحكـا ثم سكتـا، واستجلبت كـلامهمـا، فلم يجيبـاني، وبت بليلة، يقصر عمر الدهـر عن ساعـة منهـا طـولاً وغمـاً وهمـاً، حتى إذا أصبحت، ولم آكل، خرج إليّ مسلم، فجعلت ألومه[٢]، فقـال لي: يا صفيق الـوجه، منـزلي ومنديلي، وطعامي وشرابي، فما شأنك في الوسط؟ فقلت له: حق القيادة والفضول والله لا غيـر، فولّى وجهـه إليها، وقـال: بحياتي إلا أعـطيته حق قيـادته وفضـولـه، فقالت: أما حق قيادته فتعرك أذنه، وأما حق فضولـه فتصفع قفـاه، فاستقبلني فعـرك أذني وصفع قفاي، فقلت: ما هذا؟ قال: جرى الحكم عليك بما جـرى من العدل والإنصاف.

وحكى أبو بكر[٣] الـوراق قال: حـدثني الحسن بن هانىء قـال: حججت مع الفضل بن الربيع، حتى إذا كنا ببلاد بني فزارة، وذلك في أول أيام الـربيع نـزلنا[٤] بإزاء باديتهم، إذا روض أريض، ونبت عريض، تخضع لبهجتـه الزرابي المبثـوثة، والنمارق المصفـوفـة، فقـرت بنظرتهـا العيـون، وارتـاحت إلى حسنهـا القلوب، وانفرجت لبهائهـا الصدور، فلم نلبث أن أقبلت السمـاء، فأسفت غمـامها، وتـدانى ركامها حتى إذا كان كما قال أوس بن حجر:

دانٍ مُسِفٌّ، فُـوَيْقَ الأرض هَيْدَبُـهُ يكـادُ يـدفَعُـهُ مَنْ قـام بـالـرّاحِ[٥]

---

(١) البيت وما بعده من الخفيف.

(٢) في [د] فجعلت أؤنبه.

(٣) أبو بكر الوراق ـ رواية [د،س] والعقد الفريد حيث وردت الحكاية بتمامهـا مع تغييـر طفيف، وانفردت [ح] بقوله «أبو داود الوراق».

(٤) أخلت [س] بقوله: نزلنا منزلاً بإزاء باديتهم.

(٥) البيت من البسيط، وهو لأوس بن حجر من أبيات يصف فيها السحاب، ويقول بعده:

يفي الحصى عن جديد الأرض مبتـركـاً كـأنـه فـاحصٌ او لاعـبٌ داحِ
فمن بَنَجْوَتِـهِ، كـمـن بِـعِـقْـوَتـهِ والمُسْتَكِنُّ كمن يمشِ بِقِرْواحِ

الشعر والشعراء ـ ص ١٠٢

همت(١) برذاذ ثم بطش ثم برش، ثم بوابل، ثم أقلعت، وقد غادرت الغدران مترعة تتدفق، والقيعان تتألق، ورياضاً مونقة، ونوافح من ريحها عبقه، فسرحت طرفي، واقعاً منها بأحسن منظر، واستنشقت من رياحها أطيب من المسلك الأذفر، فلما انتهينا إلى أوائلها، إذا نحن بخباء على بابه جارية متبرقعة، ترنو بطرف مريض الجفون، وسنان النظر، قد أشعرت لواحظها فتوراً، وملئت سحِراً؛ فقلت لصاحبي: استنطقها، فقال: وكيف السبيل إلى ذلك؟ فقلت: استسقها، فاستسقيناها ماء، قالت: نعم ونعما عين، وإن نزلتم فعلى الرحب والسعة، ثم نهضت تتهادى، كأنها خوط بان، أو قضيب خيزران، فراعني - والله - حسنها، وما رأيت منها، ثم أتت بالماء فشربت منه، وصببت باقيه على يدي، وقلت: وصاحبي أيضاً عطشان، فأخذت الإناء وذهبت، فقلت لصاحبي: من الذي يقول:

إذا بـارَكَ اللهُ فـي مَـلْبَسٍ ... فـلا بـارَكَ اللهُ في البُـرْقُـعِ
يُـريـكَ عُـيـونَ المَـهـا غِـرَّةً ... ويكشـفُ عن مـنـظرٍ أشْنَـعِ(٢)

قال وسمعت كلامي، فأتت، وقد نزعت البرقع، ولبست خماراً أسود وهي تقول:

ألا حَيِّ ركْبَيْ مَعْشَـرٍ قـد أراهمـا ... أطـالا، ولمّا يَعْـرِفـا مُبْتَغـاهمـا
همـا اسْتَسْقَيـا مـاءً على غيرِ ظَمْـأةٍ ... ليستمتعـا بـاللَّحْظِ مِمَّنْ سقاهما(٣)

فشبهت كلامها بعقد در، وهي سلكه، فانتثر، بنغمة عذبة رخيمة لو خوطب بها صم الصلاب لانجست، مع وجه يظلم لنوره ضياء العقول، وتتلف في روعته مهج النفوس، وتخف في محاسنه رزانة الحليم، ويحار في بهائه طرف البصير، فلم أتمالك أن خررت ساجداً، وأطلت، من غير تسبيح، فقلت: ارفع غير مأجور، لا تذم بعدها برقعاً، فلربما انكشف عما يمنع الكرى، ويحل القوى، ويطيل الجوى، من غير بلوغ إرادة، ولا قضاء وطر، إلا الحين المجلوب، والقدر المكتوب، والأمل المكذوب، فبقيت - والله - معقول اللسان عن الجواب، حيران لا أهتدي لطريق

(١) أخلت [س] بقوله: همت إلى قوله: برش.
(٢) البيتان من المتقارب.
(٣) البيتان من الطويل، وهما مضطربان بعض اضطراب في [ح] وفي [س] سواء غير مقروء في الشطر الثاني من البيت الثاني، ورجعنا إلى العقد الفريد، وإن كان ثمة خلاف فيه عما هو هنا.

الصواب، فالتفت إلى صاحبي فقال، لما رأى هلعي، كالمسلي عن بعض ما أذهلني: ما هذه الخفة لوجه برقت لك منه بارقة، ولا تدري ما تحته، أما سمعت قول ذي الرمة:

عـلى وجْـهِ مـيّ مِـسْـحَـةٌ مـن مَـلاحـةٍ
وتـحـتَ الـثـيـابِ الـشَّـيْـنُ لـو كـان بـاديـا[1]

فقالت: أما ما ذهبت إليه، لا أبا لك، فلا، والله؛ لأني بقول الشاعر أشبه:

مُنَعَّمَةٌ حَوْراءُ، يَجْري وشاحُها على كَشْحٍ مُرْتَجِّ الرَّوادِفِ أَهْضَمِ
خُزاعِيَّةُ الأطرافِ، مُرِّيَّةُ الحَشا فَزارِيَّةُ العينَيْنِ، طائيَّةُ الفَم
لها بَشَرٌ صافٍ، وعينٌ مريضةٌ وأحسنُ إيماءٍ بأَحْسَنِ مِعْصَم[2]

من قول الأخرق، ثم رفعت ثياباً، حتى بلغت بها نحرها، وجاوزت منكبيها، فإذا فضة[3] قد شيبت بماء الذهب، تهتز على مثل قضيب نقا، وصدر عليه كالرمانتين، وخصر لو رمت عقده لانعقد، منطوي الاندماج، على كفل رجراج، وسرة مستديرة، يقصر فهمي عن بلوغ نعتها، وفخذان لفاوان، وساقان تخرسان الخلاخل، وقدمان كأنهما لسانان ثم قالت: أشين ما ترى؟ لا أبالك، قلت: لا، والله، ولكن سبب القدر المتاح، ومقرب من الموت الصراح، فيطبق على الضريح، ويتركني جسداً بغير روح، قال: ثم خرجت عجوز من الخباء، وقالت: امض لشأنك؛ فإن قتيلها مطلول لا

---

(١) البيت من الطويل، وفي نسبته إلى ذي الرمة خلاف، وبريء من البيت صاحبه، ولعله لكنزة أم شملة بنت يرد المنقري من أبيات تهجو فيها مية صاحبة ذي الرمة. أنظر: شرح ابن عقيل ـ شرح الشيخ محيي الدين عبد الحميد ـ جـ ٢ ص ١٦٩

(٢) الأبيات من الطويل، وفي ترتيبها خلاف، إذ جاء الثاني ثالثاً في [د،س]، وكذلك في العقد مع خلاف في بعض الألفاظ.

(٣) هذا الوصف النثري، ربما تأثر به بعض الناشرين، وهو في الأصل وصف شعري ورد في الشعر كثيرا، ولعل أهم من نظروا إليه أبو البقاء الرندي الأندلسي في رسالته «بيع الأمة في سوق الرقيق» ورد عليه برسالة مثلها أبو بكر البرذعي، وهما في الإحاطة. أنظر: «مقامات ورسائل أندلسية». لفرناندو دي لاجرانخا» وترجمناه إلى العربية أنظر ص ١٤١ ـ ١٦٧ ـ الطبعة الثانية ١٩٨٧

يودي[1]، وأسيرها مكبول لا يفدي، قالت: دعيه، فإنه مثل قول غيلان:

فلا تعجبن يوماً مُحَيّاً مُبرْقَعاً
فربَّتَما أشجاك ما أنت عائب[2]

فنحن كذلك، حتى ضرب الطبل للرحيل، فانصرفت بكمد قاتل، وكرب داخل، وأنا أقول:

يَا حَسْرَتي مِمَّا يُجِنُّ فُؤادي أزِفَ الرحيلُ بغُرْبتي وبِعادي[3]

فلما قضينا حجنا وانصرفنا راجعين، مررنا بذلك المنزل، وقد تضاعف حسنه، وإذا هي تتهادى بين خمس، ما تصلح أن تكون خادماً لأدناهن، وهن يجتلين من حسن ذلك النبات، فلما رأيننا وقفن، فقلنا لهن: السلام عليكم، فقالت من بينهن: وعليك السلام، ألست صاحبي؟ قلت: بلى، قلن لها: أو تعرفينه؟ قالت: نعم، وقصت عليهن القصة، ما تركت حرفاً، قلن لها: ويحك، ما زودته شيئاً يتعلل به؟ قالت: نعم، زودته لحداً ضامراً، وموتاً حاضراً، فانبرت لها أنضرهن خداً، وارشقهن قداً، وأسحرهن طرفاً، وأبرعهن شكلاً، فقالت: والله ما أحسنت بدءاً، ولا أجملت عوداً، ولقد أسأت في الرد؛ إذا لم تكافيه في الود، فما عليك لو أسعفته في رغبته، أو أنصفته في مودته، وإن المكان لخالٍ وما معك من ينم عليك، فقالت: أما والله لا أفعل من ذلك شيئاً، أو تشركيني في حلوه ومره، قالت لها: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾[4]، قالت أخرى منهن: قد أطلتن الخطاب من غير فائدة فسلن الرجل عن نفسه وقصته

(١) مطلول لايودى؛ من[د].

(٢) البيتان من الطويل، وغيلان هو ذو الرمة. وورد البيت الأول مع حكاية أخرى لأعرابي وأعرابية في العقد الفريد ـ جـ٢ ص ٨٤ مع تغيير في بعض الكلمات. والبيتان هنا ـ مفردين ـ من اللزوميات.

(٣) البيت من الكامل.

(٤) سورة النجم ـ الآية ٢٢.

وبغيته، فلعله لغير ما أنتن فيه، فقلن: حياك الله، وأنعم بك عيناً[١]، من تكون، وممن أنت، وإلى من قصدت؟ قلت: أما الاسم، فالحسن بن هانىء من اليمن، ثم من سعد العشيرة، وأحد شعراء السلطان الأعظم، ومن يدني مجلسه، ويتقي لسانه، ويرهب جانبه، وأما قصدي، فلتبريد غلة، وإطفاء لوعة، قد أحرقت الكبد وأذابته، قالت: لقد أضفت إلى حسن المنظر كريم المخبر، وأرجو أن يبلغك الله أمنيتك، وتنال بغيتك، ثم أقبلت عليهن فقالت: ما لواحداة منكن عن مثله مرغب، فتعالين نشترك فيه، ونقترع عليه، فمن واقعتها القرعة منا تكن بادئة، فاقترعن فوقعت القرعة على المليحة التي قامت بأمري، فعلقن إزاراً على باب غار يجاورهن، وأدخلت فيه، وأبطأن عني، وجعلت أتشوق لدخول إحداهن علي، إذا دخل علي أسود كأنه سارية، بيده شيء كالهراوة، ثم صحت بصاحبي، وكان قريباً، فجاء إلي وخلصني منه بعد عسر، فخرجنا من الغار، وإذا هن يتضاحكن، ويتهادين إلى الخيمة، فقلت لصاحبي: من أين أقبل الأسود؟ قال: كان يرعى غنماً إلى جانب الغار، فدعونه، ووسوسن إليه شيئاً: فدخل عليك، قلت: أتراه كان يفعل؟ قال: أتراك في شك من هذا؟ وانصرفت وأنا أختزي. قال أبو بكر مالك أبعدك الله، لقد كتمت هذا الحديث مخافة هذا التأويل، حتى ضاق به صدري؛ فرأيتك موضعاً له، فبحقي عليك، لا تذعه، قال: فما فهمت به حتى مات[٢].

وقال السندي بن شاهد قائد الخليفة: بعث إليّ المأمون، وأنا بخراسان، فطويت المراحل، حتى أتيت باب أمير المؤمنين، وقد هاج بي الدم، فوجدته نائماً، فأعلمت قصتي الحاجب، وقدمت إليه عذري، وما هاج بي من الدم، وانصرفت إلى منزلي، فقلت: ائتوني بحجامي، فقالوا: هو محموم، قلت: فهاتوا حجاماً غيره، ولا يكون فضولياً، فأتوني به، فما هو إلا أن دارت يداه على وجهي، فقال: هذا وجه ما أعرفه، فمن أنت؟ قلت: السندي بن شاهد، قال: ومن أين قدمت؟

---

(١) «أنعم بك عيناً» من [د] والعقد.

(٢) الحكاية من العقد الفريد تحت عنوان «حديث الحسن بن هاني «مع الأسود» وفيها عن رواية الحدائق بعض خلاف، يسير جداً، يدل على الأخذ (بتصرف) من صاحب الحدائق.

فإني أرى أثر السفر عليك، قلت: من خراسان، قال: وأي شيء أقدمك؟ وكم لك في الطريق؟ قلت: وجه أمير المؤمنين إلي، ولكن إذا فرغت سأخبرك بالقصة على وجهها إن شاء الله، قال: وتعرفني بالمنازل التي جئت عليها؟ قلت: نعم، قال: فما هو إلا أن فرغ ودخل رسول أمير المؤمنين، ومعه كركي، فقال: أمير المؤمنين يقرئك السلام، وهو يعذرك فيما هاج بك من الدم، وقد أمرك بالتخلف في منزلك حتى تغدو عليه إن شاء الله، ويقول: ما أهدي إلينا اليوم شيء غير هذا الكركي، فقال الحجام: يصنع كذا وكذا، فقلت: يصنع كما قال: وعزمت على الحجام ألا يبرح، فحضرت الغداء فتغدينا وهو معنا، ثم قدم الشراب، فلما دارت الأقداح قلت: يعلق الحجام في العقابين فعلق، ثم قلت له: إنك سألتني عن المنازل التي قدمت عليها، وأنا مشغول في ذلك الوقت، وأنا أقصها عليك الآن فاسمع: خرجت من خراسان وقت كذا، فنزلت بموضع كذا، يا غلام: أوجع، فاضربه عشرة أسواط، ثم خرجت إلى موضع كذا، يا غلام: اوجع، فاضربه عشرة أسواط مرة أخرى، فلم يزل يضربه لكل منزلة عشرة أسواط، حتى انتهى إلى سبعين سوطاً، فالتفت إلى الحجام وقال: يا سيدي، أين تريد تبلغ؟ قلت: سألتني بالله إلى بغداد، قال: ليس تبلغ والله إلى الري حتى تقتلني، قلت: فأتركك على ألا تعود؟ قال: والله لا عدت أبداً، قال: فتركته، وأمرت له بسبعين ديناراً، فلما دخلت على المأمون أخبرته الخبر، قال: وددت أنك بلغت به إلى الري على أن تأتي على نفسه[١]

وحكى الزبير[٢] بن بكار قال: كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء، ويعمل لهم الشراب، فشكي إلى عامل مكة، فصرفه إلى عرفات، فبنى بها منزلاً، وأرسل إلى إخوانه وقال: فما يمنعكم من أن تعودوا لما كنتم فيه؟ قالوا: وأين بك وأنت في عرفات؟ قال: حمار بدرهمين، وقد صرتم إلى الأمن والنزهة، ففعلوا، فكانوا يركبون إليه، حتى أفسد أحداث مكة، فعاودوا شكايته إلى والي مكة، فأرسل

---

(١) الحكاية من العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٣٩٣، وفيها «السندي بن شاهك».

(٢) الحكاية من المصدر السابق جـ ٣ ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤.

فيه، فأتي به، فقال: يا عدو الله، طردناك من حرم الله، فصرت بفسادك إلى المشعر الأعظم؟ قال: يكذبون علي، أصلح الله الأمير، فقالوا: بذلك أصلحك الله على ما نقول، أن تأمر بحمير مكة وتجمع، وترسل بها أميناً إلى عرفات، فإن لم تقصد إلى منزله من بين المنازل لعادتها إذا ركبها سفهاؤنا فنحن مبطلون، فقال الوالي: إن في هذا دليلاً عدلاً، فأمر بحمير من حمير الكراء، فجمعت، ثم أرسلت، فسارت إلى منزله، حتى كأنها دلها عليه دليل، فأعلمه بذلك أمناؤه فقال: ما بعد هذا شيء، جردوه، فلما نظر إلى السياط قال: لا بد، أصلحك الله، من ضربي؟ قال: نعم، يا عدو الله، قال: ما في ذلك شيء هو أشد عليّ من أن يشمت بنا أهل العراق، ويضحكون منا، ويقولون: أهل مكة يجيزون شهادة الحمير، فضحك الوالي، وخلى سبيله.

الحديقة الثالثة

في نوادر أولي العقول والألباب، وحكايات المستخفين والمغفلين من المولدين والأعراب[1]
وفيها ثلاثة أبواب:

(١) أخلت [س] بقوله «والأعراب» وهي ضرورية للسجعة.

الباب الأول

في النوادر المستغربة والنكت المستعذبة

نظر القاضي[١] إياس إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء، فقال: هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه بكر، فسئلن، فوجدن كذلك، فسئل. من أين علم ذلك؟ فقال: لما فزعن وضعت كل واحدة يدها على أهم المواضع لها، فوضعت الحامل يدها على بطنها، والمرضع على ثديها، والبكر على فرجها.

وسمع[٢] نباح كلب، فقال: هذا نباح كلب مربوط على شفير بئر، فنظر، فكان كما قال، فقيل له في ذلك، فقال: سمعت عند نباحه دوياً، ثم سمعت بعده صوتاً يجيبه، فعلمت أنه عند بئر.

ونظر بعضهم إلى أعورين يذهبان في الطريق، ويد أحدهما في يد الآخر، فقال: إني أرى أعورين، وأعمى بينهما، فنظر أصحابه فقالوا: لا نرى إلا أعورين، وليس بينهما أعمى، فقال: ضموا عور هذا إلى عور هذا؛ فإنه ينشأ بينهما رجل أعمى، وكان أحدهما أعور العين اليمنى، والآخر أعور اليسرى، فاستظرف أصحابه ذلك.

وقال الجاحظ: جلست امرأة من العرب إلى فتيان يشربون فسقوها قدحاً، فطابت نفسها، ثم سقوها آخر، فاحمر وجهها ثم سقوها ثالثاً، فقالت: خبروني عن نسائكم بالعراق، هل يشربن من هذا الشراب؟ قالوا: نعم، قالت: زنين وربّ الكعبة، والله، ما يدري أحدكم من أبوه.

وسقي أعرابي أقداحاً من شراب لم يكن يعرفه، فحركته الأريحية، فسألوه

(١) وردت هذه النادرة في: وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٢٤٨

(٢) النادرة في وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٢٤٨

عنها، فقال: والله، ما أدري ما هي غير أني أراكم تجبون إلي، وأراني أسربكم، وما وهب لي أحد منكم شيئاً.

ومر أعرابي بقوم يشربون، فدعوه فنزل، وعقل ناقته، فلما أخذ منهم الشراب قام إلى الناقة، فنحرها، وشوى لهم من كبدها وسنامها.

وقيل لأشعب: ما تقول في ثروة مغمورة بالسمن، مسقفة باللحم؟ قال: وأضرب كم؟ قيل: تأكلها من غير ضرب، قال: هذا ما لا يكون، ولكن أضرب، وأتقدم على بصيرة.

وقال المبرد: أضاف رجل رجلاً، فأطال المقام عنده، حتى كرهه، فقال الرجل لامرأته: كيف لنا أن نعلم مقدار مضافه؟ فقالت: إلق بيننا شراً، حتى نتحاكم إليه، ففعل، فقالت المرأة للضيف: بالذي يبارك لك في سفرك غداً أينا أظلم؟ فقال: والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهراً أو أزيد، ما أعلم.

ونزل بصري على مدني، وكان صديقاً له، فأطال المقام عنده، فقال المدني لامرأته: إذا كان غداً، فإني أقول لضيفنا: كم ذراعاً تقفز؟ ثم أقفز فإذا قفز هو فأغلق الباب، فلما كان من الغد، قال له المدني: كيف قفزك يا أبا فلان؟ قال: جيد، فعرض عليه أن يقفز معه فأجابه، فوثب المدني من داره إلى خارج ذراعاً، وقال للضيف: ثب أنت، فوثب الضيف إلى داخل الدار ذراعين، فقال: وثبت أنا إلى خارج الدار ذراعاً، ووثبت أنت إلى داخلها ذراعين، فقال الضيف: ذراعان في الدار خير من أذرع برا.

وسئل بنان الطفيلي: هل تحفظ من كتاب الله شيئاً؟ قال: نعم، آية، قيل: وما هي؟ قال: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا ﴾[1].

وكان يقول: التمكن على المائدة خير من ثلاثة ألوان.

وقال طفيل العرائس: ليس في الأرض أكرم من ثلاثة أعواد: عصا موسى، ومنبر الخليفة، وخوان الطعام.

---

(١) سورة الكهف ـ الآية ٦٢

ومن[1] وصيته لأصحابه: إذا دخلتم عرساً، فلا تلتفتوا إلى الملاهي، وتخيروا المجالس، وإن كان العرس كثير الزحام، فليحضر أحدكم، ولا ينظر في عيون الناس؛ ليظن أهل الرجل أنه من أهل المرأة، وأهل المرأة أنه من أهل الرجل، وإن كان البواب فظاً وقاحاً، فليبدأ به، وليأمره ولينهه من غير عنف، ولكن بين النصيحة والإدلال.

وقال بعض الطفيليين: الحلواء مثل الملك، يدخل بيتاً فيه قوم جلوس، ليس فيه متسع لأحد، فإذا نظروا إليه تضايقوا، ووسعوا له.

وحضر طفيلي بالكوفة طعام قوم، فجلس يأكل، فجعل الغلام يحرك الطست والإبريق، فقال: من ذا الذي يرجف بنا قبل انقضاء عملنا؟

وبينما طفيلي يأكل، إذ سمع صوت الطست، فامتنع من الأكل، فقيل له: لم لا تأكل؟ قال: حتى يسكن هذا الإرجاف الذي أسمع.

وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيل أنشد:

فما الفيلُ تحملُه مَيِّتاً ... بأثْقَلَ من بعضِ جُلَّاسِنا[2]

وذكر له ثقيل، كان يجلس بجانبه، فقال: إني والله، لأبغض شقي الذي يليه من أجله.

وكان حماد بن سلمة إذا رأى من يستثقله قرأ: ﴿ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾[3].

وقال خالي الأستاذ أبو عبد الله محمد بن جزي:

وثقيلٍ نحنُ منْهُ ... في عذابٍ وامتحانِ

---

(١) الحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٣٩، وحكايات التطفل واردة في هذا الجزء في مواطن متفرقة.

(٢) البيت من المتقارب، وهو حكايته، وحكايات بعض الثقلا واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٥٨ وما بعدها.

(٣) سورة الدخان ـ الآية ١٢

قد دعونا إذا أتانا بدعاء في الدخان [١]

وقالت عائشة رضي الله عنها: نزلت آية في الثقلاء: ﴿ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾[٢]

وروي عن الشعبي أنه قال: من فاتته ركعتا الفجر، فليلعن الثقلاء.

وكان أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول، إذا استثقل رجلاً: اللهم اغفر له، وأرحنا منه.

وقيل لجالينوس: لما صار الرجل الثقيل أثقل من الحمل الثقيل؟ قال: لأن ثقله على القلب دون الجوارح، والحمل الثقيل يستعين عليه القلب بالجوارح.

وقال طبيب للحجاج: إياك ومجالسة الثقلاء، فإنا نجد في الطب أن مجالستهم حمى الروح.

وكان بعض الظرفاء إذا رأى ثقيلاً قال: قد جاءكم الجبل، فإن جلس عندهم قال: قد وقع عليكم.

وسمع الأعمش كلام ثقيل فقال: من هذا الذي يتكلم، وقلبي يتألم.

وسلم ثقيل على بعض الثقلاء، فقال: وعليك السلام شهراً.

وجلس ظريف عند ثقيل، فسئل عن ذلك، فقال: كانت نفسي قد عزت علي، فأردت أن أهينها بذلك.

وقيل لظريف كان له ثلاثة أولاد ثقلاء: أي أولادك أثقل؟ فقال: ليس بعد الكبير أثقل من الصغير إلا الوسط.

وقال زياد بن عبد الله: قيل للشافعي: هل يمرض الروح؟ قال: نعم، من

---

(١) البيتان من الرمل المجزوء، وواضح أنه لابن جزي، والإشارة إلى آية «الدخان» الواردة قبلاً.

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٣. والحكاية وما بعدها من حكايات ثلاث من العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٥٨، ورواية أبي هريرة واردة في البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ٤٠٣، رواية سهيل بن أبي صالح عن أبيه.

ظل الثقلاء. قال: فمررت به يوماً، وهو بين يدي ثقيلين، فقلت: كيف الروح؟ قال: في النزع.

ومن ملح ابن عباد، أنه خرج يوماً مع جملة وزرائه الأدباء، فاجتازوا بأشبيلية بالموضع الذي يباع فيه الجير والجبس؛ فلقي جارية من أجمل النساء وأقلهم [هكذا] حياء، قد كشفت عن وجهها، فأقبل على ابن عمار، وقال له: يا ابن عمار الجيارين، فقال له: نعم يا مولاي والجباسين، وضحكا معاً، فعلم من حضر أنهما لم يريدا أن يعرفا كل واحد منهما صاحبه بما ذكر. وسألوا ابن عمار عن مرادهما بذلك، فقال له ابن عباد: لا تبعها منهم إلا غالية، ثم إن ابن عمار أخبرهم أن ابن عباد أعجبه حسن الجارية، وعابها بقلة الحياء فصحف «الحياء زين» فجاء منه «الجيارين» وصحفت أنا «والخنا شين» فجاء منه «والجباسين»، فاستغربوا من حضور أذهانهما وحسن كنايتهما.

ودخل قوم على النضر بن شميل، يعودونه في مرض، فقال له رجل يكنى أبو صالح: مسخ الله ما بك، فقال: لا تقل: مسخ بالسين، ولكن بالصاد، بمعنى أذهب، وهو كلام العرب، فقال أبو صالح: إن السين تبدل من الصاد، كالصراط والسراط، وسقر، وصقر، فقال له النضر: فأنت إذن أبو سالح، فخجل الرجل.

ووقفت[1] امرأة على قيس بن سعد بن عبادة ـ رضي الله عنه ـ فقالت له: أشكو إليك قلة الجرذان بداري ـ وهي الفئران ـ فقال: ما أحسن هذه الكناية، املأوا لها بيتها براً ولحماً وسمناً، وبيان ذلك أن الفئران لا يقمن بالموضع الذي ليس فيه طعام.

وأخذ المعنى أبو حفص الوراق، فكتب رقعة إلى الصاحب بن عباد، منها: «وحال عبد مولانا في الحنطة مختلفة، وجرذان داره عنها منصرفة، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله، فعل، إن شاء الله، فوقع الصاحب فيها: أحسنت يا أبا حفص قولاً، وسنحسن فعلاً، فبشر جرذان دارك بالخصب، وأمنها من

---

(١) الحكاية واردة في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٦٨ وابن عاصم يشرح النادرة، وليس في العقد شرح.

الجدب(١) فالحنطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع».

ووجد أعرابي سراويل في طريق، فظنها قميصاً، فأدخل يديه في ساقيها، والتمس من أين يخرج رأسه، فلم يجد، فرمى بها وقال: هذا قميص شيطان.

ومن نوادر(٢) أشعب قال سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنه لأشعب: ما بلغ بك من طمعك؟ قال: لم أنظر لاثنين يتحدثان في شيء إلا قدرت أنهما يأمران لي بشيء.

وقال له ابن أبي الزناد: ما بلغ من طمعك؟ قال: ما زفت بالمدينة امرأة إلى زوجها، إلا كنست بيتي، رجاء أن يغلط بها إلي.

وكانت عائشة بنت عثمان كفلته مع ابن أبي الزناد، فقال أشعب: تربيت معه في مكان واحد، فكنت أسفل ويعلو، حتى بلغنا ما ترون.

وقيل لعائشة بنت عثمان: هل آنست منه رشداً؟ فقالت: أسلمته منذ سنة يتعلم البز، فسألته بالأمس: أين بلغت في الصناعة؟ قال: تعلمت نصف العمل، وبقي نصفه، تعلمت النشر في سنة، وبقي تعلم الطي، فكيف يؤنس رشده.

وساوم(٣) أشعب رجلاً في قوس بدينار، فقال أشعب: والله، لو كنت إذا رميت بها طائراً، وقع في حجري مشوياً بين رغيفين، ما اشتريتها بدينار.

---

(١) «من الجدب»، رواية [د،س] ولعلها أولى؛ للسجعة القائمة والمناسبة لكلام الصاحب المسجوع كله.

(٢) وردت في العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٢٩، وثمة نوادر أخرى لأشعب في المصدر نفسه والصفحة نفسها، وواردة هنا بعد هذه. وقد أخذ بشار هذا المعنى واعترف بالأخذ حين قال:

يروعه السرار بكل شيء ... مخافة أن يكون به السرار

وأخذه أبو نواس فقال:

ما نرى خاليين من الناس إلا ... قلت: ما يخلوان إلا لشاني

زهرات الآداب المجلد ٢ ص ٨٠٢.

(٣) النادرة واردة في العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٢٩، وقد أخذها العقاد ـ بتصرف ـ في قصته «سارة» حين علق على رواية سينمائية بطلها صياد فاشل كان يصوب بندقيته، فيسقط الطير حواليه.

ووقف(١) إلى رجل يعمل طبقاً فقال له: أسألك الله إلا ما زدت فيه طوقاً أو طوقين. فقال له الرجل: ولم ذلك؟ قال: لعله أن يهدى لي يوماً فيه شيء.

ثم قال: دعوا هذا، امرأتي أطمع مني ومن الراهب، فقيل: وكيف حالك؟ قال: إنها قالت لي: ما يخطر على قلبك شيء يكون بين الشك واليقين إلا وأنا أتيقنه.

وقيل له: ارأيت أطمع منك؟ قال: كلبة آل فلان، رأت رجلاً يمضع علكاً، فتبعته فرسخين، تظن أنه يأكل شيئاً.

وقيل له: ما بلغ بك الطمع؟ قال: أضجرني الصبيان يوماً، فقلت: أشغلهم عني، فقلت لهم: إن بموضع كذا عرساً، فامضوا نحوه، فلما ذهبوا، قلت في نفسي: ولعل ثم عرساً، فتبعتهم.

وقيل لأشعب(٢): لو أنك حفظت الحديث حفظك لهذه النوادر لكان أولى بك، قال: قد فعلت، قالوا له: فما حفظت من الحديث؟ قال: حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: من كانت فيه خصلتان، كتب عند الله خالصاً مخلصاً، قالوا: إن هذا حديث حسن، فما هاتان(٣) الخصلتان؟ قال: نسي نافع واحدة ونسيت أنا الأخرى.

ورأى بعضهم قاصاً، يقص غداة يوم، ثم رآه في العشي في بيت خمار والقدح في يده، فقال: ما هذا؟ فقال: أنا بالغداة قاصٍ، وبالعشي ماصٍ

وقال بعضهم: أتيت الخليل، فوجدته على طنفسة صغيرة، فوسع لي، وكرهت أن أضيق عليه، فانقبضت، فأخذ بعضدي، وقدمني إلى نفسه، وقال: ما

---

(١) المصدر السابق.

(٢) وردت في العقد الفريد - جـ ٣ - ص ٣٢٩، ووردت في وفيات الأعيان - جـ ٢ ص ٤٧٢ - وفيها: لسن عكرمة واحدة.

(٣) في جميع النسخ «هذه» وعدلناها في المتن، من العقد الفريد.

يضيق سم الخياط بمتحابين، ولا تتسع الأرض لمتباغضين، ولقد صدق، أخذ المعنى أبو محمد غانم بن الوليد المالقي فقال:

صَيِّرْ فؤادَك للمحبوبِ مَنْزِلَةً ... سُمُّ الخِياطِ مجالُ للمُحَبَّيْنِ
ولا تسامِحْ بغيضاً في مُعاشرةٍ ... فقلَّما تَسَعُ الدنيا بغيضَيْن(١)

وقال الأصمعي: مرّ بي أعرابي سائلاً، فقلت: كيف حالك؟ قال: أسأل الناس إلحافاً، فيعطوني كرهاً فلا يؤجرون، ولا يبارك لي فيما آخذ منهم.

وخطب(٢) ثقيل في تزويج، فقام واحد من القوم وقال: إذا فرغ الثقيل - بارك الله لكم - فإن لي شغلاً أريد المبادرة إليه.

وكان(٣) صائد يصيد العصافير في يوم بارد، فكان يذبحها، ودموعه تسيل من البرد، فقال عصفور لصاحبه: لا عليك من الرجل، أما تراه يبكي؟ فقال له الآخر: لا تنظر إلى دموعه، وانظر إلى ما تصنع يده.

وصلى(٤) رجل مراء، فقيل له: ما أحسن صلاتك، فقال: ومع ذلك فإني صائم.

وقال طاهر(٥) بن الحسين لأبي عبد الله المروزي: كم لك منذ نزلت العراق؟

---

(١) البيتان من البسيط. والحكاية واردة في العقد الفريد جـ١ ص ١٦٣، و«بعضهم» هنا هو: «محمد بن يزيد النحوي»، وثمة خلاف تجب الإشارة إليه، وهو أن الشعر الوارد هنا للمالقي معارضة لابن عبد ربه نفسه في العقد، ويقول فيه:

صِلْ من هويت وإن أبدى مُعاتبةً ... فأطيبُ العيش وصل بين إلْفَيْنِ
واقطعْ حبائل خِدْنٍ لا تلائِمُهُ ... فربما ضاقت الدنيا بإثنين.

وبيتا المالقي أحاطا بمعنى الخليل كله، يكثر من إبن عبد ربه الذي زاد فارتكب ضرورة في آخر الشعر.

(٢) يلاحظ أن جواب الشرط هنا لم يرد، لدلالة الكلام عليه.

(٣) لهذه الحكاية نظير في الأدب الإسباني في «القونت لوكانور» ومؤلفه معاصر لابن عاصم، ولا بد أن للحكاية أصلاً عربياً أقدم، أنظر: القونت لوكانور - الفصل الثالث عشر، عن صياد يصيد الحجل، وعيناه تدمعان، وينخدع عصفور، فينصحه النصيحة ذاتها عصفور آخر، وقد ترجمنا الكتاب كاملاً، وتحت الطبع.

(٤ - ٥) الحكايتان بالترتيب نفسه - مع تغيير طفيف - في البيان والتبيين - جـ٢ ص ٣١٩، والثانية واردة في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٣٢

قال: منذ عشرين سنة، وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين، فقال: يا أبا عبد الله، سألناك عن مسألة واحدة، فأجبتنا في مسألتين.

وقال مقاتل بن سليمان يوماً، وقد دخلته أبهة العلم، سلوني عما تحت العرش إلى أسفل الثرى، فقال له رجل: ما نسألك عن شيء من ذلك، وإنما نسألك عما معك في الأرض، أخبرني عن كلب أهل الكهف، ما كان لونه؟ فأفحمه.

وصعد ابن قتيبة يوماً المنبر وقال: يسألني من شاء عما شاء، فقام إليه أحد المغفلين، فقال له: ما الفتيل والقطمير؟ فلم يحر جواباً، ونزل خجلاً، وانصرف إلى منزله كسلاً، فلما نظر اللفظتين وجد نفسه أذكر الناس لهما.

وقال قتادة: ما سمعت شيئاً قط إلا حفظته، ولا حفظت شيئاً قط فنسيته، ثم قال: يا غلام، هات نعلي، فقال: هما في رجليك، ففضحه الله.

وقال: حفظت ما لم يحفظه أحد، ونسيت ما لم ينسه أحد، حفظت القرآن في سبعة أشهر، وقبضت على لحيتي، وأنا أريد أن أقطع ما تحت يدي، فقطعت ما فوقها.

وسمع كثير عدي بن الرقاع ينشد الوليد بن عبد الملك قوله:

وعلمْتُ، حتى ما أُسائل عالمـا ... عن عِلْم واحدةٍ لِكَيْ أزدادَها[1]

في قصيدة طويلة، فقال كثير: كذبت، ورب البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين في صغار الأمور دون كبارها، حتى يتبين جهلك، وما كنت قط أحمق منك اليوم، حتى تظن هذا من نفسك.

---

(١) البيت من الكامل من كلمة مطولة لعدي بن الرقاع، انظر: الأغاني ـ جـ ٩ ص ٣١٠، وانظر جـ ٩ من الأغاني ص ٣١٣ ـ ٣١٤، وحكايته مع جرير الذي رحم عدياً حين سمع شطر هذا البيت من تلك الكلمة:

تُزجي أغَنَّ، كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ ... قَلَمٌ أصابَ من الدَّواة مِدادَها

إعجاباً منه بدقة التشبيه، وحيرة جرير كيف يجيء المشبه به. وانظر أيضاً: الشعر والشعراء ص ٣٩٣، وإن كان برواية أخرى تقول:

وعمرت حتى لست أسأل عالماً ... عن حرف واحدة لكي أزدادها.

وقال ابن موسى المنجم: ما أحد تمنيت أن أراه، فإذا رأيته أمرت بصفعه إلا عـدياً، فقيـل له: ولم ذلـك؟ قال: لقـوله هـذا البيت، كنت أعرض عليه أصناف العلوم، فكلما مر عليه شيء لا يحسنه، أمرت بصفعه.

وكان الواثق يقول بخلق القرآن، ويعاقب من خالفه، فأدخـل عليه رجـل فقال لـه: ما تقـول في القرآن؟ فتصـامم الرجـل، فأعـاد السؤال فقال: من تعني يـا أميـر المؤمنين؟ قال: إياك أعني، قال: مخلوق، وتخلص منه.

وقيل لآخر[١]: ما تقول في القرآن؟ فأخرج يده، وجعل يعد أصابعه: التـوراة والإنجيل والزبور والقرآن، هؤلاء الأربعة مخلوقة، يعني أصابعه، وتخلص منه.

ومما يستظرف من ذلـك، أن رجلاً تعـذر عليـه الـوصـول إلى المـأمـون في ظلامة، فصاح على بابه: أنا أحمد النبي المبعوث، فـأدخل عليـه، وأعلم أنه تنبأ، فقال له: ما تقول فيما حكى عنك؟ قال: وما هي؟ قال: ذكروا أنك تقول: أنا نبي، فقال: معاذ الله، إنما قلت: أنا أحمد النبي المبعوث، أفأنت يا أميـر المؤمنين ممن يحمده؟ فاستظرفه، وأمر بإنصافه.

وخرج شريح القاضي من عند زياد، وتـركه يجـود بنفسه، فسـأله النـاس عن حاله فقال: تركته يأمـر وينهي، فجزعـوا لسلامتـه، فما راعهم إلا صيـاح النائحـات عليه، فسئل شريح عن قوله، فقال: تركته يأمر بالوصية، وينهي عن البكاء.

وسئـل[١] ابن شبرمـة عن رجل ليستعمـل، فقال: إن لـه شرفـاً وقدمـاً وبيتاً، فنظروا فإذا هو ساقط، فقيل له في ذلـك، فقال: شـرفه أذنـاه، وقدمه الذي يمشي عليه، وبيته الذي يأوي إليه.

وذكـر المتنبي في مجلس أمير بمحضـر المعري وجمـاعة، فـأخذ الأميـر يطعن على المتنبي، ويضعف شعره، ويذكر مقابحـه، وكان المعـري حامـلاً على الأمير؛ لقلة إحسانه إليه، فحمله ذلك على أن خالفه، وأثنى على المتنبي، وقال: هو أشعر الشعراء، وأحسنهم شعراً، ولو لم يكن له إلا قصيدته التي أولها:

---

(١) هذه الحكاية واردة في البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ٣٣٧، منسوبة إلى عيسى بن موسى.

لَـكِ يـا مَـنـازِلُ فـي الـقـلـوب مـنـازِلُ[1]

فأمر الأمير أن يضرب بالسياط، فضرب وأخرج، فعظم ذلك على من حضر المجلس، وقالوا للأمير: رجل كبير من أهل العلم تضربه؛ لما يقول عن المتنبي، إنه أشعر الشعراء؟ ما ذاك بصواب، فقال: ليس كما قلتم، وإنما ضربته على تعريضه بي، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: لأنه لم يفضله بقصيدة من عالي شعره، وإنما فضله بتلك القصيدة مع أنها ليست من عالي شعره؛ لأنه يقول فيها بعد أبيات:

وإذا أَتَتْـكَ مَـذَمَّتِي مـن نـاقصٍ فَهِيَ الـشـهـادَةُ لـي بـأنِّي كـامـلُ

فاستحسن من حضر فهمه، وحدة ذهنه، وعذروه فيما فعل، وسئل المعري بعد ذلك، فقال: والله ما قصدت غير ذلك.

ومثل ذلك ما حكي[2] أن ابن الصائغ، بلغه عن الفتح بن خاقان صاحب «قلائد العقيان» أنه خططه فيها بذم، فقال فيه: «رمد عين الدين وكمد نفوس المهتدين، لا يتطهر من جنابة، ولا يظهر مخايل إنابة»، فمر على الفتح وهو جالس في جماعة، فسلم على القوم، وضرب على كتف الفتح وقال له: شهادة، يا فتح، ومضى، فلم يدر أحد ما قال إلا الفتح، فإنه فهمه، فتغير له، فقيل له: ما قال لك؟ فقال: إني وصفته في كتابي بما تعلمون، وأنا ـ والله ـ ما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو بهذه الكلمة، إنه يشير لي بها إلى بيت المتنبي.

وإذا أتتـك مـذمتي مـن نـاقص فهي الـشـهـادة لـي بـأني كـامـل

---

(١) البيت مطلع قصيدة من الكامل، يمدح المتنبي فيها أبا الفضل الإنطاكي، ومنها البيت الوارد في الحكاية. والأمير هنا هو الشريف المرتضى، أخو الشاعر الشريف، ووهم ابن عاصم أن باعث المعري هو قلة إحسان المرتضى إليه، بل لأن أبا العلاء كان شديد الإعجاب بأبي الطيب، حتى إنه شرح ديوانه بعنوان «معجز أحمد» وقد نشر مؤخراً في القاهرة بتحقيق د. عبد المجيد دياب، نشرة جيلة. ثم إن المعري ترك بغداد بعد قليل ـ لا لذلك فقط وإن كان سبباً ـ بل لأنه بلغه أن أمه مريضة وقد رحلت وهو في طريقه إلى معرة النعمان. أنظر للشعر: ديوان المتنبي ـ جـ ٢ ص ٢٤٩. والبيت الثاني من ص ٢٦٠

(٢) ابن الصائغ هو: ابن باجة الفيلسوف، وقد مدح ابنُ خاقان ابن باجة من قبل، وحين سخط عليه جرده من كل ما قلده قديماً. أنظر: نفح الطيب ـ المقري ـ جـ ٩ ص ٢٥٢، وانظر: دراسة في مصادر الأدب د. الطاهر مكي ط ٦ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

وحضر[١] جحظة المغني مع جماعة فيهم علي بن بسام، فأخذ كل واحد منهم مخدة، فقال جحظة: ما لي لا أعطى مخدة؟ فقال له ابن بسام: غن فالمخاد كلها إليك تصير، يريد حين يرمونه بها.

وقال أبو[٢] زيد: رأيت أعرابياً كأن أنفه كوز من عظمه، فرآنا نضحك منه، فقال: ما يضحككم؟ فوالله لقد كنت في قوم يسمونني الأفطس.

وقال[٣]: ما رأيت الديك في بلد قط إلا وهو يدعو الدجاجة إذا وجد الحبة، ويلتقطها لها إلا بمرو، فإني رأيته يأكل وحده، ولا يدعو الدجاجة إذا وجد الحبة، فعلمت أن لؤمهم كثير جداً، وهو طبع فيهم.

وقال: رأيت بها طفلاً صغيراً، وبيده بيضة، فقلت له: أعطنيها فقال لي: ليس تسع في يدك،فعلمت أن المنع طبع مركب فيهم.

وجلس[٤]ثقيل إلى بشار بن برد، فخرج من بشار ريح منكرة، فظن الرجل أنها فلتة، فمشى في حديثه، فأعادها بشار ثانية وثالثة، فقال له: يا أبا معاذ، ما هذا؟ قال: رأيت أو سمعت؟ قال: بل سمعت، قال: كل ما سمعت ريح، لا تصدق حتى ترى.

وكان[٥] لعبد الملك بن مروان جارية تتكلم بلغة من يكسر حروف المضارعة فتقول: أنت تِعلم، فقال الشعبي: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في الغض منها؟ قال:

---

(١) مهجو ابن الرومي، الذي تفنن في إقذاع هجائه، حين يغني، بقبح صوته، وشناعة صورته. أنظر مواطن متفرقة في ديوان ابن الرومي، تحقيق د. حسين نصار، وانظر دراسة العقاد عنه في «ابن الرومي حياته من شعره» ففيها تحليل جيد لهجاء ابن الرومي وتصويره.

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦.

(٣) وردت في البخلاء للجاحظ ولها نظائر كثيرة مثلها.

(٤) وردت في وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٤٢٦.

(٥) هذه الظاهرة اللغوية موجودة بكثرة في الأندلس، أنظر معجم: Pedro Alcala، وحققه ودرسه في الدكتوراه بجامعة مدريد زميلنا د. عبد المقصود كمال. ولم ينشر بعد، وهي لغة بني أسد.

افعل، قال: يا جارية، ما بال قومك لا يكتنون؟ فقالت له: أما فعلت ذلك؟ فقال: لا، والله، ولو فعلت لاغتسلت، فخجلت من ذلك، واستغرق عبد الملك في الضحك.

وقال الحجاج يوماً لجلسائه، وقد وصلت إليه الشمس ووجد حرها، ما كان أحوجنا إلى كن نكتن فيه، فقال سعيد بن مطعم المارزي: قد أصبت لك أيها الأمير كناً، قال: وأين هو؟ قال: تنوري، فوالله ما سخن[1] منذ ثلاثين يوماً، فقال له الحجاج: تلطفت في المسألة، وأمر له بجائزة.

وحكي أن رجلاً قام من مجلس خالد بن عبد الله يوماً، فقال: إني لأبغض هذا الرجل، وما أذنب لي ذنباً، فقال بعض من حضر: أوليته معروفاً قط؟ قال: لا، قال: فأوله معروفاً يخف على قلبك، ففعل، وخف على قلبه، وصار واحداً من جلسائه.

وقال بعضهم: رأيت قبرين، مكتوب على أحدهما: من رآني فلا يصغرن قدري؛ أنا كنت أحبس الرياح وأفرقها، وعلى الآخر: كذب ابن الزانية، إنما كان يجمع الرياح في الزق ثم يخرجها، قال: فما رأيت مشاجرة بين ميتين غيرهما.

وقال آخر: رأيت قبرين، مكتوب على أحدهما: أنا ابن سافك الدماء، وعلى الآخر: أنا ابن مستخدم الرياح، فسألت عنهما فقيل لي: أحدهما ابن حجام، والآخر ابن حداد.

وقال بعضهم: مثل الحريص في طلب الدنيا، كمثل رجل يصلي خلف الإمام، وهو مستعجل لحاجته، فهو يسبق الإمام بالركوع والسجود، استعجالاً للفراغ، ولا ينفعه ذلك ولا يخرجه من الصلاة إلا سلام الإمام.

---

(١) تشبه نادرة «قلة الجرذان» وقد سبقت.

وحكى الأنماطي أن المتوكل على الله، كان طلب من محمود الوراق جارية مغنية، وأعطاه فيها عشرة آلاف دينار، فأبى، فلما مات محمود اشتراها بخمسة آلاف، وقال لها: كنا أعطينا فيك لمولاك عشرة آلاف. وقد اشتريناك بخمسة آلاف، قالت: يا أمير المؤمنين، إن كانت الخلفاء تتربص بلذاتها المواريث، فنشتري بأرخص مما اشتريت.

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال: لاعب هارون الرشيد جارية من جواريه بالشطرنج على إمرة مطاعة. فغلبته، فقال: مري بما شئت، فقالت: تقوم إلى السرير، فقام، ثم لاعبها فغلبته فقالت: قم لميعادك، قال: لا أقدر على ذلك، قالت: فاكتب لي كتاباً أن آخذك به متى شئت، قال: افعلي، فدعت بدواة وقرطاس، ثم كتبت: هذا كتاب فلانة على مولاها أمير المؤمنين، أن عليه فرداً آخذه به متى شئت، وأنّى شئت من ليل أو نهار، وكان على رأسها وصيفة لها، فقالت لها: يا سيدتي، إنك لا تأمنين الحدثان، فزيدي في كتابك، ومن قام بهذا الذكر فهو ولي ما فيه، فضحك الرشيد حتى استلقى على فراشه، واستظرفها[1]، وأمر أن تنزل مقصورة ويجرى عليها رزق سنين، وشغف بها، ويقال: إنها مراجل، أم المأمون.

وارتفع رجل وامرأته إلى بعض القضاة، وكانت متنقبة، فأخذ القاضي معها، ففطن الرجل لذلك، فقال: أيها القاضي، قد شككت أنها زوجتي، فمرها تسفر عن وجهها، فوقع ذلك على اختيار القاضي، وقال: اكشفي عن وجهك، فلما كشفت عن وجهها، رآها قبيحة، فقال: أخزاكن الله، تجيء إحداكن بعيني مظلومة، فإذا كشفت، كشفت عن وجه ظالمة.

واختصم رجلان عند قاضي في خصومة بينهما، فأهدى إليه أحدهما منارة، والآخر بغلة، فلما وقفا للخصومة، رأى مهدي المنارة القاضي يميل عليه في الحكومة،

(١) «واستظرفها، إلى قوله: سنين» عبارة أخلت بها [د، س].

فقال: أعز الله القاضي، إن حقي أشهر من منارة، وردد ذلك مراراً، فقال: يا هذا، إن البغلة كسرت المنارة برجلها.

وجاءت امرأة إلى موثق يشهد عليها في عقد، فوجد اسمها جميلة، فلما نظر إليها وجدها قبيحة، فرمى العقد من يده وقال: لا أشهد بالزور؛ إنما أنت قبيحة.

وكان بإشبيلية فقيه لوذعي، فجلس يوماً مع طلبته في نزهة، وبين أيديهم طعام، فيه بيض، فتكلم بعض القوم بكلام فيه ضعف، فأخذ الفقيه فص بيضة، فألقاه قدامه، ففطن القوم وضحكوا.

وودع رجل رجلاً كان في قلبه منه شيء، فقال له: امض في ستر من حفظ الله، وحجاب من كلاءته، ففطن الآخر، وقال الآخر: رفع الله مكانك، وشد ظهرك، منظوراً إليك، أراد أن يكون مصلوباً.

ووجه المبرد غلامه في حاجة، وقال له بحضرة الناس: إن رأيته، فلا تقل له، وإن لم تره، فقل له، فذهب الغلام ورجع، وقال له: لم أره فقلت له، فجاءه، فلم يجيء، فسئل الغلام عن معنى هذا، فقال: بعثني إلى غلام، وقال لي: إن رأيت مولاه، فلا تقل له، وإن لم تر مولاه، فقل له، فذهبت فلم أر مولاه، فقلت للغلام ما أمرني، فجاء مولاه، فلم يجيء الغلام.

وأرسل أعرابي غلامه إلى امرأة يواعدها موضعاً، يأتيها فيه، فذهب الغلام، وأبلغها الرسالة، فكرهت المرأة أن تقول للغلام ما بينهما، فقالت له: والله لئن أخذت أذنيك لأعركهما عركاً، وأشدك إلى تلك الشجرة، حتى تغشى عليك العتمة، فانصرف الغلام إلى مولاه، وحكى له قولها، فعلم أنها واعدته تحت الشجرة، وقت العتمة.

وأراد أحد تلامذة أبي حنيفة أن يتزوج، وكان فقيراً، فلم يأخذه أحد لفقره، فشكى ذلك لأبي حنيفة، فقال له: ضع يدك على ذكرك، وسر واخطب، فإن سألك الناس عن حالك، وما عندك فابعثه إلي، ففعل الطالب ما أمره، فجاء شخص إلى أبي حنيفة، فسأله عن حال ذلك التلميذ، وهل عنده شيء أم لا؟ فقال أبو حنيفة: رأيت بيده سلعة، إذا أهلكت عليه، ثمنها خمسمائة دينار، فأخذوه فلم يجدوا عنده شيئاً.

ومر طفيلي بقوم يـأكلون، فقال: السـلام عليكم معشـر اللئام، قـالـوا: لا، والله، إلا كـرام، فجلس، وقـال: اللهم اجعلهم من الصـادقيـن، واجعـلني مـن الكاذبين.

وخطر[١]طفيلي على قوم يأكلون، فجلس يأكل معهم، فقالـوا له: هـل تعرف منا أحداً؟ قال: نعم، قالوا: من هو؟ قال: هذا، وأشار إلى الخبز.

ومر طفيلي[٢]بقوم يأكلون، فقال لهم: ما تأكلون؟ فقالوا: سماً، قال: لا خير في الحياة بعدكم، وجعل يأكل معهم.

وقال بعضهم: كانت لي حاجة عند بعض الحكام، فلم يقضها لي، فجلست في طريقه، فكل من يأتي إليه أصلح بينهم بدراهمي، حتى قطعت عليه معيشته من الناس، فقيل له عني، فبعث إلي، وقضى حاجتي.

وكان آخر له محفظة، لها طاقتان، طاقة نظيفة، والأخرى غيـر نظيفـة، وعنده دراهم طيبـة، ودراهم رديئة، فـإذا أراد شراء اللحم، فـإن قطع بـائـع اللحم لـه مـا يرضيه، جعله في الطاقة النظيفة، وأعـطى من الدراهم الـطيبة، وإن كـان غير ذلـك جعله في الطاقة الأخرى، وأعطى من الدراهم الرديئة، فإن رد الـدراهم، رد له هـو اللحم، وقد سوده.

واشترى رجل ثنا [هكذا]، وأنفق عليه مثل ثمنه، فوجـده مالحـاً، لا يستطيـع أحد أكله، فذهب به لبائعه، ورغب إليه في رد ثمنـه، ويخسر مـا ينفق عليه، فـأبى من ذلـك، فجلس بالقـرب منه، فكـل من يجيء، ليشتري منـه يقول لـه: إيـاك أن تشتري منه، وإن شئت فذق هذا، فإنه منـه، فلم يشتر أحـد منه، فـأعطاه ثمنـه وما أنفق عليه، وانصرف عنه.

وكان لنصراني قرد، فأعطاه دجاجة ينتفها، فأخذتها حدأة من بين يديه، فبقي القرد خائفاً من سيده، فجرح نفسه، ولـطخ جسده وبقي ملقى على قفـاه بالأرض،

---

(١) وردت ـ بتوسع ـ في العقد الفريد جـ٢ ص ٨٨، وتكررت في جـ٣ ص ٢٤٠. والنادرة قبلها واردة في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٤٢

(٢) المصدر السابق ـ جـ ٣ ص ٢٤٠.

كأنه ميت، فلما أكلت الحدأة الدجاجة، رجعت تتشوف، فرأته على تلك الحال، فنزلت إليه لتأخذه، فقبض عليها، وقطع رأسها ونتفها، ودفعها إلى سيده، وقد كان ينظر فعله.

وأودع رجل عند آخر جرة من زيت، وقال له: أسلفني دراهم حتى نبيعها، ونعطيك، ففعل، فلم يرجع إليه بعد، فأراد بيعها[1]، فوجدها ملأى ماء، وعلى وجهها شيء يسير من الزيت.

ومن أبو العيناء يوماً بدرب بشر، فقال له غلامه: إن بالدرب جملاً سميناً، وليس معه أحد، فقال: خذه، فأخذه وسار به إلى منزله، فلما كان من الغد، جاءته رقعة من بعض الرؤساء الساكنين في ذلك الدرب، مكتوب فيها: جعلت فداك، ضاع لنا بالأمس جمل، فأخبرني بعض صبيان الزقاق أنك أخذته، فاردده متفضلاً، فكتب إليه: سبحان الله، مشايخ عندنا يزعمون أنك فطيم فلم أقبل قولهم، ولا صدقتهم، وتصدق أنت صبياً من صبيان دربك؟

وزاحم[2] أبا العيناء رجل بالجسر، راكب على حمار، فضرب بيده على الحمار، وقال: يا رجل، قل للحمار الذي عليك: يقول: الطريق.

وولد لأبي العيناء ولد، فأتى ابن مكرم، فسلم عليه، ووضع حجراً بين يديه، وانصرف، فأحس به، فقال: من أدخل هذا الحجر؟ قيل له: ابن مكرم، قال: لعنة الله، إنما عرض بقول النبي ﷺ: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»[3].

ومر أبو العيناء بموسى بن المتوكل، فقال له: انزل على ما حضر، فقدم له صحفة بلحم، وخبزاً، فأدخل أبو العيناء يده، فقلبها، فما وقعت يده إلا على عظم، فقال: يا سيدي، هذه صحفة أو قبر؟ فضحك موسى، وأمر له بإحضار شيء آخر.

---

(١) «فأراد بيعها» أخلت بها [س].

(٢) أخلت [س] بهذه النادرة. وردت في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٢٥.

(٣) أنظر: مسند أحمد بن حنبل جـ١ ص ٢٥ وورد في مواطن متفرقة كثيرة منه، والنادرة التي بعدها في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٣١.

ومر(١) ببشار بن برد قوم، وهم يسرعون بجنازة، فقال: ما أظنهم إلا سرقوه، فيخافون أن يؤخذ منهم.

ومرت امرأة من الأعراب بقوم من بني نمير، فلحظوها بأبصارهم، فقالت: والله، يا بني نمير، ما أخذتم بواحدة من اثنتين، لا بقول الله سبحانه، ولا بقول الشاعر، أرادت بقول الله سبحانه: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾(٢)، وأرادت بقول الشاعر:

فَغُضَّ الطرْفَ؛ إنك من نُمَيْرٍ ... فلا كَعْباً بلَغْتَ ولا كِلابا(٣)

ومرت امرأة ماجنة، برجل، وهو يأكل، فقالت له: أعرس في بطنك؟ نرى لحيتك ترقص.

وأتى رجل إلى خاطبة فقال لها: أريد امرأة ترضع ابني، فجعلت تعرض عليه كل ما عندها، وهو لا يرضى منهن شيئاً، فقالت له: عندي جارية بكر مليحة ظريفة، أتريدها ترضع ابنك؟ قال: نعم، قالت له: فأنت تريدها لنفسك لا لابنك.

وقال بعضهم: إن قوماً من المسلمين غزوا قوماً من الروم، فكان بين من قتل إخوة، وأمهم حاضرة، فكرهت الحياة بعدهم، فقالت للذي صارت إليه: أرأيتك إن علمتك شيئاً لا يقطع فيك الحديد به، أتخلي سبيلي؟ قال: وكيف نعلم ذلك؟ فقالت له: أول ما تجربه فيّ، قال: نعم، فجلست، وقالت له: اضرب عنقي، وبقيت تحرك شفتيها، كأنها تقول شيئاً، فضرب بالسيف، فقطع رأسها، فعلم أن ذلك كان حيلة منها.

ورفع قوم غريماً لهم إلى بعض القضاة، فقالوا: لنا عليه كذا وكذا ديناراً، فقال: نعم، لهم عندي ذلك، إلا أني سألتهم أن يؤخروني أياماً يسيرة؛ حتى أبيع عقاري وغنمي وبقري وإبلي، وأدفع لهم ما عندي، فقالوا: كذب، والله، ما عنده

(١) وردت في الأغاني جـ ٣ ص ١٦١، وفي وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٤٢٥.

(٢) سورة النور ـ الآية ٣٠.

(٣) البيت من الوافر ـ وهو لجرير، وهو وحكايته في البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص ٣٥، وعلّق الجاحظ بقوله: وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً، ولقد أحسن من ولده. والحكاية واردة أيضاً في العقد الفريد جـ ٢ ص ١٠٥

شيء من ذلك، قال: فاشهد لي عليهم، بأنهم شهدوا لي، أني فقير عديم، فقال القاضي: ركبوه حماراً، ونادوا عليه ألا يعامله أحد، ففعلوا ذلك النهار كله، فلما كان العشي، قال له صاحب الحمار: أعطني أجرة الحمار، قال: فيم كنا اليوم كله؟ فمضى وتركه.

وارتفع خصمان إلى سوار القاضي، وكان سوار يبغض أحدهما، فقال له: يا ابن اللخناء، قال: كذلك خصمي، قال خصمه: احكم لي عليه، قال: نعم، خذ له بحقه مني، وخذ لي بحقي منك، فندم سوار، وسأله الصفح.

ولما أراد شيرويه قتل أبيه، وجه إليه من يقتله، فلما دخل عليه قال: إني أدلك على شيء يكون فيه غناك، وذلك لوجوب حقك علي، قال: وما هو؟ قال: الصندوق الفلاني، فذهب إلى شيرويه فأخبره الخبر، فأمر بإخراج الصندوق، فوجد فيه ربعة، وفي الربعة حق، وفي الحق حب، وعلى الحق مكتوب: من أخذ منها حبة عاش من غير مضرة ولا ضعف، فطمع شيرويه في صحته، فأخذه وعوضه به، ثم أخذ منه حبة، فكان هلاكه فيها.

ومرض مولى لسعيد بن العاص، ولم يكن له من يخدمه، ويقوم بأمره، فبعث إلى سعيد فأتاه فقال: ليس لي وارث غيرك، وها هنا ثلاثة آلاف درهم مدفونة، فإذا مت فخذها، فقال سعيد حين خرج من عنده: ما أرانا إلا قد أسأنا لمولانا هذا، وقصرنا في تعاهده، وهو من شيوخ موالينا، فبعث إليه من يخدمه ويتعاهده، فلما مات، اشترى له كفناً بثلاثمائة درهم، وحضر جنازته، فلما رجع حفر الموضع كله، فلم يجد شيئاً، وجاء صاحب الكفن، وطلب ثمنه، فقال: لقد هممت أن أنبش عليه.

وجاء رجل إلى أبي حنيفة فشكى إليه أنه أودع عند بعض الناس المشهورين بالأمانة والديانة مالاً، وأنه أنكر الوديعة، وكان ذلك المستودع يعتني بأبي حنيفة، فقال أبو حنيفة للرجل: تعود لي، وخلا أبو حنيفة بالرجل الذي أودع عنده، فقال له: إن هؤلاء قد بعثوا إلي يستشيرونني فيمن يصلح للقضاء، فهل تنشط لذلك؟ فتمانع الرجل قليلاً، وأقبل أبو حنيفة إليه يرغب فيه، ثم انصرف عنه، وهو طامع في القضاء، ثم جاء الرجل صاحب الوديعة إلى أبي حنيفة فقال أبو حنيفة: اذهب

إلى الرجل، فقال له: احسبها، أنسيت الحال، وأنا أودعتك في وقت كذا، والعلامة كذا، فذهب الرجل وقال له ما أمره به، فرد عليه الوديعة، فلما رجع ذلك الإنسان إلى أبي حنيفة قال له: إني نظرت في أمرك، فرأيت أن أرفع قدرك، ولا أسميك؛ حتى يحضر ما هو أجل من هذا.

وجاء[1] رجل إلى أبي حنيفة فشكا إليه أنه دفن مالاً، في موضع ولا يذكر الموضع، فقال أبو حنيفة: ليس هذا فقهاً، فأحتال لك، ولكن اذهب، فصل لربك الليلة، فإنك ستذكره إن شاء الله، ففعل الرجل ذلك، فلم يقم إلا أقل من ربع الليل، حتى ذكر الموضع، فجاء إلى أبي حنيفة فأخبره، فقال: قد علمت أن الشيطان لا يدعك أن تقوم ليلتك حتى يذكرك، فهلا أتممت ليلتك شكراً لله تعالى.

وأقبل رجل إلى أبي حنيفة وقال له: إن لصوصاً دخلوا علي، وأخذوا مالي، وحلفوني بالطلاق الا أسميهم، وخرجوا عني، فقال أبو حنيفة: أحضر لي إمام مسجدك والمؤذن والمشهورين من جيرانك، فأحضرهم، فقال لهم أبو حنيفة: هل تحبون أن يرد الله على هذا متاعه؟ قالوا: نعم، قال: فاجمعوا كل داعر ومتهم، وأدخلوهم في دار أو في مسجد، ثم أخرجوهم واحداً واحداً، وقولوا له: هذا من لصوصك؟ فإن لم يكن منهم فيقول: لا، وإن كان منهم فيسكت فاقبضوا عليه، ففعلوا ذلك، فرد الله عليه ماله.

وقال أبو حنيفة: احتجت وأنا بالبادية إلى ماء، فجاءني أعرابي، ومعه قربة من ماء، فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم. فدفعت له ذلك، وقبضت القربة، ثم قلت: يا أعرابي، هل لك في سويق؟ قال: نعم، فأعطيته سويقاً ملتوتاً بزيت، فجعل يأكل حتى امتلأ، فعطش، فقال: شربة ماء، فقلت: بخمسة دراهم، فأعطاني[2] خمسة دراهم في قدح من ماء، وبقي بقية الماء ربحاً.

وجاءت امرأة إلى أبي حنيفة فقالت: إن زوجي حلف بطلاقي أن أطبخ قدراً فيه مكوك ملح، ولا يتبين سم الملح فيما يؤكل منها، قال: خذي هدراً، وألقي فيه مكوك ملح، واسلقي فيه بيضاً، فإنه لا يوجد طعم الملح في البيض.

---

(١) وردت الحكاية في وفيات الأعيان ـ جـ ٥ ص ٤١١.

(٢) أخلت بها [س].

ودخل شريك القاضي على بعض العمال، فأخذ العمال بيده، ثم قال: يا غلام جئنا بعود، فلم يدر الغلام أي عود أراد، فعاد الغلام، ومعه عود الغناء، فلما رآه العامل لم يخجل، ولم يتغير، وقال: أخذنا رجلاً معه هذا، ما ترى في كسره؟ فأفتاه بكسره، فقال: هات لنا بخوراً.

وكان لجعفر بن عبد الواحد صديق، يوجه له كل يوم سلة برطب مع غلام له، فقيل له: إن الغلام يأخذ من السلة، فاختمها، فختمها، فوجد السلة قد فتحت، فقال لصاحبه: اجعل فيها زنبورين قبل أن تختمها فكان إذا فتحها وطار الزنبوران علم أنها لم تفتح.

وجاء فتيان إلى نباذ، فشربوا عنده نبيذاً، ثم قالوا: ما عندنا شيء فخذ منا رهناً، فقال: وما الرهن؟ قالوا: تأخذ من كل واحد منا صفعة، ففعل، فلما كان بعد أيام جاءوا إليه، فقالوا له: خذ حقك ورد الرهن، فرغب إليهم أن يتركوه، فلم يفعلوا، فصفعوه وضحك أهل سوقه عليه.

وكان زياد بن عبد الله الحارثي على شرطة المدينة، وكان بخيلاً، فدعا أشعب في رمضان يفطر مع جماعة عنده، فقدم إليهم معقودة، فجعل أشعب يمعن فيها وزياد يلمحه، فلما فرغ من الأكل، قال زياد: ما أظن لأهل السجن إماماً يصلي بهم في هذا الشهر، فليصل بهم أشعب، فقال أشعب: أو غير ذلك، أصلح الله الأمير؟ قال: وما هو؟ قال: أحلف ألا آكل معقودة أبداً، فخجل زياد وتغافل عنه.

وكان لزياد هذا كاتب، فأهدى له طعاماً، قد تفنن فيه، فوافاه، وقد تغدى، فغضب زياد، وقال: يبعث أحدكم الشيء في غير محله، ثم قال: ادع لي المساكين يأكلونه، فبعث إليهم حرسياً يدعوهم، فقال له رسول الكاتب: أصلح الله الأمير: إن أمرت أن يكشف لك عنه حتى تنظر إليه قال: اكشفوا عنه، فإذا به دجاج وسمك وحلواء، فأعجبه ذلك، وقال: ارفعوه، ثم جاء المساكين، فقال: اضربوهم عشرة عشرة؛ فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجد رسول الله ﷺ، ويبولون على بابه، فرغب فيهم، فصرفهم.

وأتى طفيلي دار عرس، فمنع من الدخول، فذهب إلى بعض أصحاب

الزجاج، فرهن عنده رهناً، وأخذ منه أقداحاً، وقال للموكل بالباب: افتح حتى أدخل هذه الأقداح التي طلبوها، ففتح له ودخل، فأكل وشرب، ثم أخذ الأقداح وردها إلى صاحبها، وقال: لم يرضوها.

وجاء طفيلي آخر إلى باب عرس، فمنع من الدخول، فأخذ إحدى نعليه، وجعلها في كمه، وعلق الآخر، وجاء إلى الموكل بالباب، كالمستعجل، وقال: أخذت(١) فردة نعلي، وتركت الأخرى، فتفضل بالله بإخراجها، فقال له البواب: أنا مكلف بهذا الباب، ولن أتركه، فادخل أنت، وخذ متاعك، فدخل وأكل، وخرج.

واجتمع ثلاثة من الطفيليين، فلم يظفروا بأكل، ولا قدروا عليه، فاجتمع رأيهم على أن يأتوا صاحب الشواء والرقاق، ولا يكون إقبالهم في دفعة؛ لئلا يشعر بهم، فتقدم أحدهم، فأخذ شواء ورقاقاً، ودخل يأكل، فلما أمعن، أقبل الثاني، فأخذ مثل الأول، وقعد ناحية يأكل، ثم أقبل الثالث، فأخذ مثلهما، فلما قارب أن يخلص أكله، قام الأول يريد الخروج، فقال له الشواء: هات ما عليك، قال: دفعت لك، قال: متى؟ قال له الثاني: حين أعطيتك أنا، قال له: ومتى أيضاً أعطيتني أنت؟ فقام الثالث إليه حنقاً وهو يقول: أتراك، يا ابن الفاعلة، تنكرني كما أنكرت هذين؟ فلما سمع الشواء كلامهم علم أنهم طفيليون، فترك سبيلهم.

وقال بعضهم: نزل رجل على ديراني(٢) بالشام، فقدم إليه أربعة أرغفة، وذهب ليأتيه بعدس، فلما جاءه به وجده قد أتى على الأرغفة، فوضع العدس بين يديه، وذهب ليزيده رغيفاً؛ لكي يأكل به العدس، فلما جاء به وجده قد أكل العدس، فوضع الرغيف وذهب، فجاءه بصحفة أخرى من عدس، فوجده قد أكل الرغيف، فما زال كذلك حتى أتى على وظيف تسعة أنفس، فلما فرغ سأله الديراني عن حاله ومقصده، قال: أريد الأردن؛ فإنه بلغني أن فيه طبيباً جيداً، وأنا في هذه المدة أصابني سوء هضم، وقلة شهوة الطعام، فقال له الديراني: عسى بالله، إذا رجعت، وقد تطببت أن تأخذ على غير هذا الطريق؛ فإن هذا الدير لقوم ضعفاء، فخجل الرجل، وقال: نعم.

---

(١) «أخذت إلى: الأخرى» من [د].
(٢) في [د] على دير نصارني بالشام.

وكان بعض الناس يتخدم ليونس بن أسباط، فانقطع عنه مدة، فقال يونس لبعض من حضره: ما فعل فلان؟ فقال: لا أدري، ولكن لو مات ما كنت تفعل معه؟ قال: أكفنه وأقبره، قال: فإنه عريان، فضحك، وأمر له بكسوة.

وكان ابن هرمة[1] مولعاً بالشراب، فحد فيه مراراً، فأتى المنصور ومدحه، فاستحسن شعره، وقال له: سل حاجتك، قال: تكتب إلى عامل المدينة ألا يحدني إذا أوتي بي سكران، فقال له المنصور: ويلك، هذا حد من حدود الله عز وجل، لا يجوز لي تعطيله، قال: فاحتل يا أمير المؤمنين، قال: أما هذا فنعم، وكتب إلى عامل المدينة: من أتاك بابن هرمة وهو سكران، فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين، فكان العون بعد ذلك يمر به وهو سكران، فيقول ابن هرمة: من يشتري مائة بثمانين؟

وحكى ابن[2] دهمان قال: مررت يوماً ببشار، وهو جالس على بابه وحده، وليس معه أحد، وبيده قضيب، وبين يديه طبق فيه تفاح وأترج، فلما رأيته، وليس معه أحد، جئت قليلاً قليلاً، ومددت يدي لأتناول ما بين يديه، فرفع القضيب، وضرب يدي ضربة كاد يكسرها، قلت: قطع الله يدك، أنت الآن عند نفسك أعمى، قال: يا أحمق، فأين الحس؟.

وحكى المدائني عن محمد بن حجاج قال: كنا عند بشار بن برد الضرير، فأتاه رجل يسأله عن منزل رجل، قال: فجعل بشار يصف له ويفهمه، وهو لا يفهم، فوثب بشار، وأخذ بيده، وجعل يقول:

أعمى يقودُ بصيراً، لا أبا لَكُمُ
قد ضلَّ مَنْ كانتِ العميانُ تَهْدِيه[3]

وحاسب[4] بشار يوماً وكيله، وذكر في بعض حسابه عشرة دراهم في جلاء

---

(١) وردت هذه الحكاية في: الشعر والشعراء - ص ٤٧٤. وقد أخلت [د] من قوله: مولعاً بالشراب - إلى قوله: فضحك معاوية، وهي تمثل بضع ورقات.

(٢) وردت في الأغاني جـ٣ ص ١٦٩

(٣) البيت من البسيط، وقد ورد هو والحكاية في الأغاني جـ٣ ص ٢٢٥، وكذلك في وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

(٤) وردت في وفيات الأعيان - جـ١ ص ٤٢٥.

مرآة، فقال بشار ـ وصفق بيديه ـ : واغوثاه، جلاء مرآة لأعمى بعشرة دراهم، والله لو صديت عين الشمس، حتى يبقى الناس في ظلمة، ما ساوى جلاؤها عندي عشرة دراهم.

وكان أبو العتاهية يهوى عتبة، فلبس يوماً ثياب راهب، ووقف على طريق عتبة، ولما مرت به، قال: أنا راهب، وكنت في صومعة منذ سنين كثيرة، وأتاني آتٍ في منامي، وأمرني بالإسلام على يديك، وتقبيل يديك، ولست أبغي منك على ذلك جزاء ولا شكوراً، فسرت بذلك، ومدت يدها اليمنى وقبلها وقال: إنما أمرت بتقبيل يدك اليسرى، فمدتها وقبلها، وقال: بأبي أنت من يد قريبة العهد بأحب المواضع إلي، قالت: ماجن ورأس المهدي.

وحكى المبرد أن عتبة جاءت إلى عبد الله بن مالك برسالة ريطة بنت أبي العباس في مماليك لتشتريهم وتعتقهم، وإذا بأبي العتاهية قد دخل وهي لا تعرفه، وقال: إني ـ جعلني الله فداك ـ شيخ ضعيف وموالي يسيئون ملكي، فإن شئت أن تأمريه يجعلني فيمن يعتق، فكلمت عبد الله بن مالك في ذلك، فقال: أفعل إن شاء الله، فقال لها أبو العتاهية: قد أحسنت وتفضلت فأذني في تقبيل يدك، فمدت يدها فقبلها وانصرف، فقال عبد الله بن مالك: أتدرين من هو؟ قالت: لا، قال: هذا أبو العتاهية، فاستحيت وقالت: يا أبا العباس، ما ظننتك تعبث مثل هذا العبث.

وقرأ الحجاج في سورة هود، فلما انتهى إلى ابن نوح، لم يدر كيف يقرأ ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾[1] أو عمل غير صالح، فبعث حرسياً، فقال: ائتني بقارىء، فذهب وأتى به، وقد ارتفع الحجاج من مجلسه، فحبسه ونسيه، حتى عرض الحجاج حبسه بعد ستة أشهر، فلما انتهى إليه قال: فيم حبست؟ قال: في ابن نوح، أصلح الله الأمير، فأمر بإطلاقه.

وكتب زياد إلى معاوية: قد أخذت العراق بشمالي، وبقيت يميني فارغة، وهو يعرض له بالحجاج، فبلغ ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنه، فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اكفنا يمين زياد، فخرجت به قرحة في يمينه، فقتلته.

(١) سورة هود ـ الآية ٤٦.

وقال خالد بن الوليد عند موته: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي قيس شبر، إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية، ثم ها أنذا أموت على فراش، حتف أنفي، فلا نامت أعين الجبناء.

ووعظ مالك بن دينار فبكى وأبكى أصحابه، ثم افتقد مصحفه، فلم يجده، فنظر إلى أصحابه، وكلهم يبكي، فقال: كلكم تبكون، فمن أخذ مصحفي؟

ودخل أبو العيناء على إبراهيم بن المدبر، وعنده الفضل بن اليزيد وهو يلقي على ابنه مسائل في النحو، فقال: في أي باب هذا؟ فقال: في باب الفاعل والمفعول به، فقال: هذا بابي وباب الوالدة، حفظها الله، فغضب الفضل وانصرف.

وقال[1] له ابن مكرم يوماً: أنا أجمع بين الصلاتين، قال: نعم، بالترك.

وكان أبو يوسف يكتب كتاباً، وإلى جانبه رجل يتطلع عليه، ففطن به أبو يوسف، فلما فرغ من الكتاب، التفت إلى الرجل، وقال له: هل أبصرت فيه خطأ؟ فقال: لا، قال أبو يوسف: جزيت عن الجساسة خيراً.

واشترى رجل كبشاً في العيد، فلما دخل به على زوجته، ورأته ضعيفاً، قالت له: هذا الكبش يشبهني ويشبهك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: يشبهني في الشحم، وإياك في القرون.

وكان لابن أبي عتيق جارية تخدمه، وكان يتبعها جار له، فبينما هي ذات يوم توضئه، إذ وقع حجر بين يديه، فتغافل، فلما كان بعد ساعة وقع حجر آخر، فقال بأعلى صوته: إنها مشغولة، فانقطع الرجم.

وكتب عبد الله بن الزبير إلى بعض عماله: عمدت إلى مال الله فأكلته، فكتب إليه: إذا لم آكل مال الله، فمال من آكل؟ لقد طلبت من الشيطان ماله مرة، فما فرج عني كربة.

(١) هذه النادرة من [س]. وأخلت بها [ح].

وغصب بعض عمال عيسى بن صبيح امرأة موضعاً، فجاءت إليه، ومجلسه قد غص بأهله، فقالت له: بالذي أعز النصرانية بسماء غلامك، وأعز اليهود بهارون كاتبك، وأذل المسلمين بك إلا أنصفتني، فخجل عيسى وقال: ردوا عليها موضعها.

وقال الرشيد لابنه المعتصم: ما فعل وصيفك فلان؟ قال: مات واستراح من المكتب، قال: وبلغ بك المكتب هذا المبلغ؟ والله، لا تحضره أبداً، ووجهه إلى البادية، فتعلم الفصاحة، وكان أمياً.

وكان بعض الكتاب يكتب كتاباً، وإنسان يتطلع عليه، فشق ذلك عليه، فكتب: ولولا ابن ألف كذا وكذا، كان يقرأ كتابي حرفاً حرفاً لأعلمتك، فقال الرجل: ما كنت أنظر في كتابك، قال: فمن أين لك معرفة ما أنكرت؟

وروي أن يزيد بن معاوية، لما أراد توجيه مسلم بن عقبة إلى المدينة، اعترض الناس، فمر به رجل معه ترس قبيح، فقال له: يا أخا أهل الشام: مجن ابن ربيعة كان أحسن من مجنك، يريد قوله:

فكان مِجَنِّي دُونَ من كنتُ أتَّقِي ثلاثَ شُخوصٍ كاعِبان ومُعْصِرُ[1]

وقال[2] الشعبي: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: ما غلبني أحد قط، إلا غلام من بني الحارث بن كعب، وذلك أني خطبت امرأة من بني الحارث، وكان عندي شاب منهم، فأصغى إلي، فقال: أيها الأمير، لا خير لك فيها، فقلت: يا ابن أخي، وما لها؟ قال: إني رأيت رجلاً يقبلها، فتركتها، قال: ثم بلغني أن الفتى تزوجها، فأرسلت فيه، فقلت: ألم تخبرني أنك رأيت رجلاً يقبلها؟ قال: نعم، رأيت أباها يقبلها.

---

(١) البيت من الطويل، من رائية ذائعة لابن أبي ربيعة، وهو وحكايته واردة في العقد الفريد ـ جـ ٣ص ١٢٥، وفي وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٣٨.

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ١٩٩

وحكى(١) الأصمعي قال: كان رجل من ألأم الناس وأنجلهم، وكان عنده لبن كثير، فسمع به رجل ظريف، فقال: الموت، أو أشرب من لبنه، فأقبل ومعه صاحب له، حتى إذا كان بباب صاحب اللبن، غشي عليه وتماوت، فقعد صاحبه عند رأسه، يسترجع، فخرج صاحب اللبن، فقال: ما باله؟ فقال: هذا سيد بني تميم، أتاه أمر الله ها هنا، وكان قال: أسقني لبناً، قال صاحب اللبن: هذا هين موجود، يا غلام، ائتني بقدح من لبن، فأتاه به، فأسنده صاحبه إلى صدره، وسقاه حتى أتى عليه، وتجشأ، فقال صاحبه لصاحب اللبن: أتقول: هذه راحة الموت؟ ففطن لهما وقال: أماتك الله وإياه.

وقال الأصمعي(٢): مر رجل بأبي الأسود الدؤلي، وهو يقول: من يعشي هذا الجائع؟ فقال: عليّ به، فأتاه بعشاء كثير، فأكل حتى شبع، ثم ذهب السائل ليخرج، فقال: أين تريد؟ قال: أريد أهلي، قال: لا أدعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك، اطرحوه في الأوهم، فبات مكبولاً حتى أصبح.

ووقع(٣) درهم بيد سليمان بن مزاحم، فجعل يقبله، ويقول في شق: لا إله إلا الله، وفي شق: قل هو الله أحد، ما ينبغي لهذا أن يكون إلا تعويذاً أو رقية، ورمى به في الصندوق.

وكان(٤) ابن عيسى بخيلاً، وكان إذا وقع الدرهم بيده، طعنه بظفره، وقال: كم مدينة دخلتها، وأيد درجتها، فالآن، استقر بك القرار، واطمأنت بك الدار، ثم يرمي به في الصندوق.

ونظر(٥) أشعب إلى رجل قبيح، فقال: ألم ينهكم سليمان بن داود عن الخروج بالنهار؟

---

(١) وردت في العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢٢٩

(٢) المصدر السابق - جـ ٣ ص ٢٣١، ووفيات الأعيان - جـ ٢ ص ٥٣٩.

(٣) وردت في العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢٣٧

(٤) المصدر السابق - والنادرة زيادة من [س].

(٥) وردت في العقد الفريد - جـ ٣ ص ٣٢٩، وتنسب هذه الحكاية إلى قتيبة بن مسلم وأولها: ونظر مخنث إلى شيخ - إلخ، أنظر: البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٣١٣.

وحكى[1] المدائني قال: أتت ليلة الشك من رمضان. فكثر الناس على الأعمش يسألونه عن الصوم، فضجر، ثم أرسل إلى بيته في رمانة، فشقها، ووضعها بين يديه، فكان إذا نظر إلى رجل قد أقبل يريد أن يسأله، أخذ حبة فأكلها. وكفى الرجل السؤال، ونفسه الرد.

وقال[2] رجل لمحمد بن مطروح الأعرج ـ رحمه الله ـ ما تقول في رجل مات يوم الجمعة، أيعذب عذاب القبر؟ قال: يعذب يوم السبت.

وقال[3] آخر: أتجد في بعض الكتب أن جهنم تخرب؟ قال: ما أشقاك إن اتكلت على خرابها.

وكان[4] يجلس إليه خصي لزرياب، قد حج وتنسك، ولزم الجامع، يتحدث في مجلسه، بأخبار زرياب، ويقول: كان أبو الحسن رحمه الله يقول كذا وكذا، فقال له الأعرج: من أبو الحسن هذا؟ قال: زرياب، قال: بلغني أنه كان أخرق الناس.

وسأله[5] مرة أخرى، ما تقول في الكبش الأعرج، أيجوز للذبيحة؟ قال: نعم، والخصي مثل ذلك.

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٣٩٠.
(٢) وردت في العقد الفريد جـ ٣ ص ٣٩٠.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

الباب الثاني

في أخبار الأعراب والمتنبئين ونوادر المجان والمستخفين

قدم إلى أعرابي كامخ، فأكل منه، فلم يستطبه، وخرج إلى المسجد، والإمام في الصلاة يقرأ: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ ﴾(١)، فقال الأعرابي: والكامخ، لا تنسه، أصلحك الله.

وكان موسى بن عبد الملك قد اغتال نجاح بن سلمة في شراب شربه عنده، فقال المتوكل لأبي العيناء بعد ذلك: ما تقول في نجاح بن سلمة؟ فقال: ما قال الله عز وجل ﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ﴾(٢) فاتصل ذلك بموسى، فعتب عليه وقال له: أردت قتلي، فاعتذر له، وافترقا عن صلح، فلقيه بعد ذلك موسى، فقال له: يا أبا عبد الله قد اصطلحنا، فما بالك لا تأتينا؟ فقال: ﴿ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ﴾(٣) فقال موسى: ما أرانا إلا كما كنا.

وقال المتوكل لأبي العيناء: إبراهيم بن نوح النصراني واجد عليك، فقال: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾(٤).

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٣.

(٢) سورة القصص ـ الآية ١٥

(٣) سورة القصص ـ الآية ١٩، والحكاية واردة في: زهر الآداب ـ المجلد الأول ـ ص ٣٢٦.

(٤) سورة البقرة ـ الآية ١٢٠، ووردت في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٢٧ مع إضافة بيت من الشعر هو:

إذا رضيت عني كرام عشيرتي ... فلا زال غضباناً علي لئامها

وقال له المتوكل يوماً: إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴾(١).

وقال له رجل: يا مخنث، فقال: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ﴾(٢).

ولقي خالد بن صفوان الفرزدق، وكان الفرزدق قبيحاً، فقال له خالد: يا أبا فراس، ما أنت بالذي ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾(٣) فقال له: ولا أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾(٤).

وبعث المنصور سليمان بن راشد، إلى الموصل، وضم إليه ألف فارس من العجم، وقال له: قد ضممت لك ألف شيطان تذل بهم أهل الأرض، فلما أتى الموصل عاثوا في نواحيها، وقطعوا الطرق، وانتهبوا الأموال، وانتهى خبرهم إلى المنصور، فكتب إليه: كفرت النعمة يا سليمان، فكتب إليه في الجواب ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾(٥) فضحك المنصور، وعرف عذره، وأنذر له بجيش غيرهم.

وأتي بأعرابي إلى سلطان، وبيده كتاب فيه مكتوب ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴾(٦) فقيل له: إنما يقال هذا يوم القيامة، فقال: هذا، والله، أشد، فإن يوم القيامة يؤتى بحسناتي وسيئاتي، وأنتم جئتم بسيئاتي فقط، وتركتم حسناتي.

ورأى أبو الضمضم القاضي رجلاً قريباً من مجلسه يسمع نوادره، فرماه بالدواة، وأمر بسجنه، فقال له الكتاب: كيف أكتب قصته في الديوان؟ قال له: اكتب ﴿ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾(٧).

---

(١) سورة المطففين ـ الآية ٢٩.
(٢) سورة يس ـ الآية ٧٨ ـ وردت الحكاية في زهر الآداب ـ المجلد الثاني ص ٨٤٩.
(٣) سورة يوسف ـ الآية ٣١.
(٤) سورة القصص ـ الآية ٢٦
(٥) سورة البقرة ـ الآية ١٠٢
(٦) سورة الحاقة ـ الآية ١٩ ـ ووردت الحكاية في العقد الفريد جـ ٢ ص ٨٦.
(٧) سورة الحجر ـ الآية ١٨

وأتى أعرابي[١] المسجد، والنبي ﷺ جالس، فقام يصلي، فما فرغ قال: اللهم ارحمني وارحم محمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقال النبي ﷺ ولم حجرت واسعاً يا أعرابي؟.

وقال الأصمعي[٢]: رأيت أعرابياً يقول في الطواف: اللهم اغفر لأمي، فقلت له: مالك لا تذكر أباك؟ فقال: أبي رجل يحتال لنفسه.

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾[٣] فقال: أنا أعرفهم، فقيل: ومن هم؟ قال: الذين يبردون ويأكل غيرهم.

وكان ابن أبي علقمة غزير اللحية كثيرها، وكان ابن والان قليل اللحية، فاجتمعا يوماً، فقال ابن أبي علقمة لابن والان يعرض بقلة لحيته: ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾[٤]، فقال ابن والان: ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾[٢]

وجلس أعرابي مع معاوية على المائدة، فقدم ثريد كثير الدسم، ففجره الأعرابي بإصبعه إلى جهته، حتى سال الدهن إليه، فقال معاوية: ﴿[٥] أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾[٦] فقال الأعرابي: لا، ولكن ﴿ سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ ﴾[٧].

وقرىء بين يدي أعرابي: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[٨] فقال: هؤلاء خلاف نسائكم العجاف.

---

(١) اوردت في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة الكهف ـ الآية ١٠٣ ـ وصحتها: هل ننبئكم.
(٤) سورة الأعراف ـ الآية ٥٨ ـ والحكاية واردة في العقد الفريد جـ ٢ ص ١٠٥
(٥) سورة المائدة ـ الآية ١٠٠
(٦) سورة الكهف ـ الآية ٧١.
(٧) سورة الأعراف ـ الآية ٥٧.
(٨) سورة الرحمن ـ الآية ٥٨، وورد في [س] نسائكم القحاب، ولعل ما في المتن هنا أولى؛ للمقابلة. ووردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ لابن الجوزي ص ١٢٧، وفيها: نسائكم الفجار.

وكان رجل شُهر بالشراب والمعاصي، فوعظه أحد الناس، وقال له: ما تكون حجتك يوم القيامة؟ قال: خضراء مزججة.

وخطب[١] وكيع بن أبي سويد بخراسان، فقال: الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أشهر، فقيل له: في ستة أيام، فقال: أردت أن أقولها، فاستقللتها.

وقرأ: ألم[٢] غلبت الترك، فقيل له: الروم، فقال: كلهم أعداء، كفانا الله مئونتهم.

وصلى رجل فقال في سجوده: يا رب، عبدك العار بن العار، سجد لك، الأيمان تلزمني، ما يغفر لي غيرك.

وقيل للحسن بن هانىء: أي شيء تشتهي؟ قال: ما لا أجده في الدنيا ولا في الآخرة، قيل: وما هو؟ قال: ركوب الصبيان على الحلال.

وكان[٣] إمام يطول الصلاة على الناس بالقراءة، فقال له الجماعة: إما أن تقصر، وإما أن تترك الجامع، فصلى يوماً، فلما قرأ: الحمد الله، قال: ما تقولون في عبس، قال له الآخر: كيست من فيها.

وقيل لأعرابي يدعي حفظ القرآن: ما أول الدخان؟ قال: الحطب الأخضر.

وقيل لأعرابي: أتحفظ: ﴿ لَمْ يَكُنِ ﴾[٤]؟ قال: أنا لا أحفظ ما كان، فكيف أحفظ ما لم يكن؟.

وقرأ رجل بين يدي قوم: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[٥] فخجل ولم يستطع تمامها، فقال آخر؛ من أراد أن يحضر بقية السورة، فليأت غداً إن شاء الله.

---

(١) وكيع بن أسود، في البيان والتبيين، والحكاية واردة في جـ ٢ ص ٢٣٦

(٢) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ مع تغيير يسير ص ١٠٦

(٣) وردت في المصدر السابق ص١٠٧ ـ مع زيادات. وفيها «كيسة مرفيها» آخر النص. وفي [س] كيسه مدفيها، وهي غير واضحة في النسخ كلها.

(٤) سورة البينة ـ الآية الأولى.

(٥) سورة الإخلاص ـ الآية الأولى.

وقيل لأبي النخاس، صاحب الأير الكبير، يدخل فيه سبع قولات مصريات: هل جامعت قط بكراً؟ قال: ما أحصيهن كثرة، قيل: وكيف كن يأتينك؟ قال: ﴿ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾[١].

وجعلت عصيدة بلا عسل بين يدي أعرابي. فقال: عملت هذه العصيدة من قبل أن يوحي ربك إلى النحل.

وقيل لأعرابي: في أي سورة هو:

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ مَنْ لم يَقُلْها، فَنَفْسَهُ ظلما[٢]؟

ففكر ساعة وقال: في حم الدخان.

وقال أعرابي[٣] لآخر: أيهما أفضل عيسى بن مريم أو معاوية؟ فقال: ويلك، تشبه بني النصارى بكاتب الوحي؟.

وقال الأصمعي: خرج على قوم في بادية ريح شديدة، فيئسوا من الحياة، ثم سلموا، فأعتق كل واحد منهم مملوكاً أو مملوكة؛ شكراً لله على ذلك، وكان فيهم رجل من بني غفار، فقال: اللهم إنه لا مملوكة لي ولا مملوك، ولكن امرأته طالق ثلاثاً لوجهك[٤]

وكان رجل يقرأ، فقرأ سورة تبارك حتى وصل إلى قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ ﴾[٥] فأرتج عليه، فجعل يكررها، فقال له أعرابي من خلفه: أهلكك الله وحدك، فما ذنب من معك؟

وحكى الأصمعي قال: قرأ رجل: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴾[٦] فأرتج عليه،

---

(١) سورة الأنفال - الآية ٦

(٢) البيت من المنسرح - للنابغة الجعدي - طبقات فحول الشعراء - السفر الأول ص ١٢٧ - و: الشعر والشعراء - وورد البيت ضمن قصيدة مطولة، ص ١٦٢، وورد البيت وحكايته، مع تغيير يسير، في أخبار الحمقى والمغفلين - ص ٦٩. وبعدها فيه حكايات مناظرة.

(٣) وردت في: أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٤٦ - ١٤٧

(٤) وردت في المصدر السابق ص ١١٠

(٥) سورة الملك - الآية ٢٨

(٦) سورة نوح - الآية الأولى.

فجعل يرددها، فقال له نبطي: إن لم يذهب نوح، فأرسل غيره.

وكان ببجاية قاضٍ ماجن؛ فكلما أقبل إليه غلام يعجبه، أو يجلس في حلقته، يقوم على قدميه، ويقول: قولوا عند دعائي: آمين، اللهم ولنا أدبارهم، اللهم اكفلنا أكفالهم، اللهم كبهم على وجوههم، اللهم أعر عوراتهم، اللهم سلط رماحنا عليهم.

ومرض قاضٍ، فدخل عليه أصحابه، فقالوا له: أبشر بالجنة، تقدم عليها، فتأكل من ثمرها، وتشرب من مائها، وتنكح من حورها، فقال بصوت ضعيف: ولكن عندكم أحب إلي.

وجاء رجل إلى قومه، فجعلوه إماماً لصلاتهم، وكان أكثر ما يطعمونه خبزاً وكامخاً، فلما طال عليه ذلك، افتتح الصلاة ذات ليلة، بفاتحة الكتاب، ثم قرأ: يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله، ولا تطعموا إمامكم كامخاً، بل لحماً، فإن لم يكن لحماً، فشحماً، فإن لم تجدوا شحماً فبيضاً، ومن لم يفعل ذلك فقد خسر خسراناً مبيناً، ثم قرأ في الركعة الثانية بعد فاتحة الكتاب: فإن لم تجدوا بيضاً فسمكاً، فإن لم يكن سمكاً فلبناً، ومن لم يفعل ذلك فقد ضل ضلالاً بعيداً، فلما فرغ من الصلاة، قالوا له: في أي سورة هذا؟ قال لهم: في سورة المائدة.

ومات لامرأة ولد، فأعطت القارىء الذي يقرأ عليه أجرة لم ترضه، فقرأ ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾[1]، فقالت له: ما هذا الذي قرأت عليه؟ قال لها: قرأت عليه ما يناسب عطيتك، فزادته، فقرأ: ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[2].

وكان فقيه يشرب الخمر مع شخص من أبناء الدنيا، فقال له يوماً: يا فقيه، ما

---

(١) سورة الحاقة ـ الآية ٣٠ ـ ٣٢.

(٢) سورة الواقعة ـ الآية ١٥ ـ ٢١

يكون جوابك يوم الحشر، لله تعالى؟ قال: أقول: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾[(١)].

وسمع ابن أبي مريم هارون الرشيد، يقرأ في صلاة الليل: ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾[(٢)] ويرددها، فقام من فراشه وقال: لا أدري، والله، فقطع هارون الصلاة، وضحك، وقال: لا تعد.

وسمع أبو العيناء مغنياً غير محسنٍ، فقال: صدق الله: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[(٣)].

وقال أبو نصر: نظرت إلى أبي نواس، وهو يصلي العصر، ثم رأيته بعد ذلك يصلي ركعتين، فقلت له: ما هذا؟ قال: اسكت، يصعد إلى السماء خبر طريف.

ومر بشار برجل في عنقه غل، فقال الرجل، الحمد لله، فقال بشار: استزده يزدك.

وكان رجل يقول الشعر، فيستبرده قومه، فكان يحمل ذلك منهم على الحسد، فقال لهم: بيني وبينكم بشار، فأتى، فأنشده، فلما فرغ قال له بشار: أظنك من أهل بيت النبوة، فقال: وكيف ذلك؟ قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ﴾[(٤)] فضحك القوم وانصرفوا.

وسمع مزيد[(٥)] جاراً له يضرب غلامه، وهو يستغيث، فخرج إليه، وقال له: ما لك تضرب هذا الغلام؟ فقال له: ذنبه عظيم، قال: وما ذنبه؟ قال: سرق حبلاً، حج به أبي، واعتمرت به أمي، فقال: والله لو سرق الكعبة حتى يبقى الناس بلا حج، ما وجب عليه هذا.

وقال منصور بن عمار يوماً في مجلسه: اللهم اغفر لأعظمنا ذنباً، وأقسانا

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٦٧

(٢) سورة يس ـ الآية ٢٢.

(٣) سورة لقمان ـ الآية ١٩

(٤) سورة يس ـ الآية ٦٩

(٥) مزيد ـ من [س].

قلباً، وأقربنا بالخطيئة عهداً، وأشدنا إصراراً على الذنب، فقال مزيد: امرأته طالق إن كان أراد بهذا كله إلا إبليس؛ فإن هذه الخصال كلها فيه.

ودخل مزيد على خالصة المغنية، فرأى مكتوباً في بعض جانب البيت: آدم وحواء، فقال: ما هذا؟ قلت: سمعت أن الشيطان، لا يدخل بيتاً، مكتوب فيه: آدم وحواء، قال: يا خالصة، دخل عليهما، وهما في جوار رب العالمين، فكيف لا يدخل بيت مغنية.

وشكا رجل إلى مزيد سقوط أسنانه، فقال: الذنب منك، لا لك؛ لأنك تقرأ القرآن، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[١]

وخرج سالم بن عبد الله متنزهاً بأهله وحرمه، فبلغ أشعب الخبر، فوافى الموضع، فصادف الباب مغلقاً، فتعلق بالحائط، فقال له سالم: ويلك يا أشعب، تكتشف على عيالي وبناتي؟ قال: ﴿ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴾[٢]، فأخرج له من الطعام، فأكل وحمل.

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً شيخاً، متعلقاً بأستار الكعبة، وهو يقول: يا رب، أنا سفلة من خلقك، وضيع محروم، فمن أنا يا رب حتى تعاقبني؟ فبعزك إلا رحمت ضعفي، وخشيتي وذلي، وفقري وفاقتي وحرماني وشؤمي وشماتتي، وتفضلت علي، وغفرت لي.

وتغدى الفاخري مع بعض أشراف المدينة، وكان بخيلاً، فلما أحضرت الغداء، قال: يا غلام، هات الدجاجة، فجاء بقدر فيها دجاجة، فلما أكلا منها يسيراً، قال: يا غلام، ارفع، فلما كان في العشاء فعل مثل ذلك، فقال الفاخري: ما أظن هذه الدجاجة إلا من آل فرعون، قال: وكيف ذلك؟ قال: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[٣].

---

(١) سورة المزمل ـ الآية ٥، وقد أخلت [س] بقوله: لا لك.
(٢) سورة هود ـ الآية ٧٩.
(٣) سورة غافر ـ الآية ٤٦.

ودخل[١] أعرابي على سليمان بن عبد الملك، وبين يديه جام فيه فالوذج، فقال: ادن يا أعرابي فكل؛ فإن هذا مما يزيد في الدماغ، قال: لو كان الأمر كما تقول، كان رأس الأمير مثل رأس البغل.

ونظر أعرابي إلى جنازة، والناس يقولون: كان سبب موته التخمة، فقال الأعرابي: وما التخمة؟ قيل له: أكل كثيراً فمات، فقال الأعرابي: اللهم اجعل موتي من التخمة.

وضل لأعرابي جمل، فبينما هو يطلبه، إذ رأى في باب الأمير بختياً، فتعلق به وادعاه، فقيل له: جملك عربي، وهذا بختي، فقال: كان عربياً فبتخت عند الأمير، فرفع خبره إلى الأمير، فضحك، وأمر له به.

ودخل أعرابي على معاوية، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني البحرين، قال: لست لها بأهل، قال: فاستعملني على البصرة، قال: صاحب أخذته لها، لا أريد عزله، قال: فهب لي ألف درهم وقطيفة، قال: قد أمرت لك بذلك، فلما رجع الأعرابي إلى أهله قيل له: رضيت بعد سؤالك البحرين بألف درهم وقطيفة؟ قال: اسكتوا، فوالله لولا ذلك ما أعطيت شيئاً.

وحج[٢] أعرابي، فسبق الناس، فطاف بالبيت وصلى ركعتين، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم اغفر لي، قبل أن يدهمك الناس.

ووقفت امرأة على قوم يصلون جماعة، فقرأ الإمام بعض آيات السجود، فسجد وسجدوا، فقالت: صعق الناس، ورب الكعبة.

وصلى رجل بقوم من الأعراب في شهر رمضان، فقام في الصلاة، وخلفه نسوة خلف صف الرجال، فقرأ: «وأنكحوا الأيامى منكم» وأرتج عليه فكررها مراراً، فلما انصرفوا، قالت امرأة منهن لأخواتها: والله، ما زال يأمرهم بنا حتى خشيت أن يثبوا علينا.

---

(١) وردت في البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩، والفالوذج هنا، جدي في البيان. كما وردت - ببعض طول - في العقد الفريد - جـ ٢ ص ٨٩.

(٢) وردت في «أخبار الحمقى والمغفلين» ص ١٠٩ - مع بعض تغيير.

وكان أعرابي من بني ضبة، إذا توضأ بدأ بوجهه فيغسله، ثم يغسل فرجه بعد ذلك، فقيل له في ذلك، فقال: والله، لا أبدأ بالخبيث قبل وجهي.

وقيل لأعرابي: أتحسن القرآن؟ قال: نعم، قيل: فاقرأ شيئاً، فقرأ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١] فلما بلغ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ سكت، فقيل: لم تتم، قال: لا يليق بمثلي ذكر نساء الأشراف.

وقيل[٢] لأعرابي: أتحسن سورة القرآن؟ قال: والله لا أحسن قراءة بنته، فكيف أمه.

وقال الأصمعي: قلت لأعرابي: أتحفظ من القرآن شيئاً؟ قال: نعم، خمس سور، قلت: اقرأها علي، فقرأ ثلاثاً ثم سكت، فقلت: اقرأ السورتين الباقيتين، قال: إني علمتهما ابن عم لي، فوهبتهما له، والله، لا أعود فيما وهبت له.

وقال الأصمعي: صلى أعرابي بالبادية، فقرأ: «الحمد لله» بفصاحة وبيان، ثم قال:

ويوسُفُ إذ أدلاه أولادُ غِيلةٍ   فأصبحَ في قَعْرِ الرُّكيَّةِ ثاويا[٣]

ثم ركع، فلما فرغ قلت: يا أعرابي، ليس هذا في القرآن، قال: بلى، والله، قد سمعت كلاماً هذا معناه.

وصلى[٤] أعرابي خلف إمام صلاة الغداة، فقرأ في صلاته سورة البقرة، وكان الأعرابي مستعجلاً، فما فرغ حتى انقطع الأعرابي عن شغله، فلما كان من الغد، بكر الأعرابي ليصلي وينصرف في حاجته، فقرأ الإمام سورة الفيل، فقطع الأعرابي

---

(١) سورة المسد ـ الآية الأولى، وبعدها الآية ٤.

(٢) هذه الرواية من [س]. ولعل الأدق: أتحسن سورة أم القرآن، أو أم الكتاب؟، لمناسبة السياق.

(٣) البيت من الطويل، وللحكاية نظير في البيان والتبيين جـ٢ ص ٢٤٤، وبطلها خطيب هو عدي بن وتّاد الإيادي حين قال: أقول لكم كما قال العبد الصالح «ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد» فقيل له: قال هذا: فرعون فقال: من قاله فقد أحسن. وللحكاية هذه نظائر في الحدائق.

(٤) وردت في: أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١١٢

صلاته، وولى هارباً، وهو يقول: ما أنت إلا رسول إبليس، قرأت البقرة، فلم تفرغ منها إلى نصف النهار، وتريد أن تقرأ الفيل، فما أظن تفرغ منه إلا مع الليل.

وقيل لأعرابي: من أين معاشكم؟ قال: لو نعيش إلا مما نعلم، لم نعش.

وسأل رجل من بني تميم عن رجل، فقيل له: دعاه ربه فأجاب، قال: ولم اجاب: أو ما علم أن الموت أحد المهالك؟

ودخل أعرابي إلى الحاضرة يوم جمعة، فمر بالجامع والناس قعود، والإمام يخطب، فقال لبعضهم: ما يقول هذا؟ وكان المستول ماجناً، فقال: هو يدعو إلى الطعام، ويقول: ما يرضي الأعراب أن يأكلوا حتى يحملوا معهم، فتخطى الأعرابي رقاب الناس، حتى دنا من الإمام، فقال: يا هذا، إنما يفعل هذا سفهاؤنا.

وقيل لأعرابي: هل لك في النكاح يا أعرابي؟ قال: لو قدرت أن أطلق نفسي لطلقتها.

ونزل عطار يهودي ببعض أحياء العرب، فمات، فأتوا إلى شيخ لهم، لا يقطع أهل الحي في أمر دونه، فأعلموه خبر اليهودي، فجاءه وغسله وكفنه وتقدم وأقام الصلاة خلفه وقال: اللهم إن هذااليهودي جار لنا، وله ذمام، فأمهلنا نقضي ذمامه في لحده، وشأنه لقه.

واشترى[1] أعرابي غلاماً، ثم قال للبائع: أفيه عيب؟ قال: لا، إلا أنه يبول في الفراش، قال: ما هذا عيب، إن وجد الفراش فليسلح.

وقدم أعرابي على آخر، فقدم إليه قرصاً يابساً، وملحاً جريشاً، فأكله الضيف، فقال له: أشبعت؟ قال: لا، قال: لأنك لم تذكر اسم الله عليه، قال: وكيف أذكر اسم الله الطيب، على قرصك اليابس الخبيث؟

ومر أعرابي وبيده رغيف بغلام بيده سيف، فقال له: يا غلام، بعني ذلك السيف بهذا الرغيف، قال: ويلك، مجنون أنت؟ كيف أبيعك سيفاً برغيف؟ قال الأعرابي: لعن الله شرهما في البطن.

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ـ ٢ ص ٨٦.

ولقي أعرابي أعرابياً، فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من خلفي، قال: وأين تريد؟ قال: أمامي، قال: كيف العشب؟ قال: رطب ويابس، قال: كيف الماشية؟ قال: ضأن ومعز، قال: ممن أنت؟ قال: من أم وأب.

وولي أعرابي موضعاً، فلم يحدث في ذلك الموضع حادثة يرتفق بها، فلما طال عليه ذلك، جمع اليهود، وقال لهم: ما الذي فعلتم بالمسيح؟ قالوا: قتلناه وصلبناه، قال: والله، لا تبرحوا حتى تؤدوا ديته، فما برحوا حتى أدوا ما طلب منهم.

وكان أعرابي والياً على اليمامة، فإذا اختصم إليه خصمان في شيء، يشكل الحكم فيه، يحبسهما حتى يصطلحا، ويقول جزاء ذي اللبس الحبس.

واستعمل أعرابي على بعض كور خراسان، فلما كان يوم الجمعة صعد المنبر، وقال: الحمد لله، فارتج عليه، فقال: أيها الناس، إياكم والدنيا؛ فإنكم لن تجدوها إلا كما قال الله تعالى:

وما الدُّنْيا بباقيةٍ لِحَيٍّ ولا حَيٌّ على الدنيا بباقي[١]

فقال له كاتبه: أصلح الله الأمير، هذا شعر، وليس من كلام الله، قال: فالدنيا باقية على أحد؟ قال: لا، قال: أفيبقى عليها أحد؟ قال: لا، قال: فيكفيك إذن.

وشهد[٢] أعرابي على رجل بشيء لم يره منه، فقال: ويحك، تشهد بشيء لم تره مني؟ قال: نعم، كما أشهد أنك ابن أبيك، ولم أر أباك حين عملك في أمك.

وسئل أعرابي عن مسألة في الفرائض، ففكر ساعة، ثم قال: انظروا هل مات مع هذا الميت أحد من قرابته؟ فقالوا: ولم؟ فقال: لأن هذه الفريضة لا تصح إلا بموت آخر.

وقال أبو العيناء لأعرابي: إن الله محاسبك، فقال الأعرابي: سررتني؛ إن الكريم إذا حاسب تفضل.

(١) البيت من الوافر ـ والحكاية لها نظير سبق في هذا الباب.
(٢) مرت هذه النادرة من قبل.

وقال الأصمعي: حضر أعرابي عند الحجاج، فقدم إليه فالوذج، فلما أكل الأعرابي منه لقمة، قال الحجاج: من أكل هذا ضربت عنقه، فامتنع الناس، فجعل الأعرابي ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الطعام مرة، ثم قال: أوصيك بالصبية خيراً، وأتى على الأكل، فضحك الحجاج حتى استلقى على ظهره، وأمر له بجائزة.

وقال الأصمعي: دخل عليّ أعرابي من فزارة بعد المغرب، وأنا أتعشى، فقلت: العشاء، قال: إني صائم، فقلت: قد دخل الليل، قال: قد علمت، ولكني وجدت صوم الليل أهون من صوم النهار، وهما جميعاً واحد، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وقال الأصمعي: سألت أعرابياً عن شهر رمضان، كيف صاموه؟ قال: تجرد منا ثلاثون رجلاً، فصام كل واحد يومه.

وذكر[١] قوم قيام الليل وما فيه من الأجر، وعندهم أعرابي، فقالوا له: يا أعرابي، أتقوم الليل؟ قال: إي والله، أقوم أبول وأرجع.

وشهد أعرابي عند معاوية، فقال له معاوية: كذبت، فقال الأعرابي: الكاذب، والله، المتزمل في ثيابك، فضحك معاوية، وقال: هذا جزائي.

وقيل لأعرابي: أتقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم، أم القرآن، ومدحة الرب، وهجاء أبي لهب.

وضل لأعرابي[٢] جمل، فجعل ينشده، ويقول: من وجده فهو له، فقيل له: لم تطلبه وقد وهبته لواجده؟ فقال: وأين لذة الوجدان؟.

وضل لأعرابي جمل، فحلف بالله أنه إن وجده باعه بدرهم، فوجده، فلزمه بيعه، فشد في عنق الجمل سنوراً، وقال: السنور بمائة درهم، والجمل بدرهم، ولا أبيعهما إلا معاً.

---

(١) وردت في: أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١١٢.
(٢) أخبار الحمقى والمغفلين.

وجمع(١) أعرابي أولاده، وقال: يا بني، أوصيكم بالناس شراً، كلموهم شزراً، وأطعموهم نزراً، ولا تقبلوا لهم عذراً، ولا تقيلوا لهم عثرة، ولا ترحموا لهم عبرة، وقصروا الأعنة، واشحذوا الأسنة، وإياكم والوهن؛ فيطمع الناس فيكم.

وقرأ أعرابي في الصلاة(٢): إنا بعثنا نوحاً إلى قومه، فقال له رجل من خلفه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ فقال: والله ما يفرق بينهما إلا جاهل.

وسقط أعرابي عن بعير، فانكسرت أضلاعه، فأتى المجبر، فقال له: خذ زبيباً، وانزع عجمه وأقماعه، ودقه واعجنه بعسل، وضمد به الموضع، فقال الأعرابي: من داخل أضمد، أو من خارج؟ قال: اجعله حيث تعلم أنه ينفعك.

وقيل لأعرابي، وقد رئي مغتماً، ما شأنك؟ قال: سوء الحال، وكثرة العيال، قيل: لا تغتم؛ فإنهم عيال الله، قال: قد صدقتم، ولكن كنت أحب أن يكون الوكيل عليهم غيري.

وشوي لأبي جعفر الهاشمي دجاج، ففقد فخذاً من دجاجة، فأمر، فنودي في داره: من هذا الذي تعاطى فعقر، والله، لا، أخبز في هذا التنور شهراً أو يرد، فقال ابنه الأكبر: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ﴾(٣).

ورأى(٤) أعرابي رجلاً سميناً، فقال له: إني أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك.

وحضر أعرابي على مائدة المغيرة، فجعل يأكل ويتعرق، فقال المغيرة: يا غلام، ناوله سكيناً، فقال الأعرابي: كل امرىء سكينه في رأسه.

---

(١) لعل أمثال هذه النادرة المرة كانت - إلى جانب طبع المازني - وراء سخريته القانطة من الناس، انظر قصيدته «وصية» في ديوانه، وفي كتابنا «المازني شاعراً».

(٢) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١١١، مع تغيير في نهايتها، لأن الإمام هنالك ارتج عليه مع قراءته الصحيحة، فقال له من خلفه: لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا. والآية في سورة نوح - رقم ١

(٣) سورة الأعراف - الآية ١٥٥

(٤) وردت في العقد الفريد - جـ ٢ ص ٨٦.

وغز(١) أعرابي مع رسول الله ﷺ فقيل له: ما سمعت من رسول الله ﷺ في غزوتك هذه؟ قال: حط عنا نصف الصلاة، وأرجو في غزوة أخرى أن يضع عنا النصف الآخر.

وقيل(٢) لأعرابي: ألا تغزو الأعداء؟ قال: كيف يكونون لي أعداء، وأنا لا أعرفهم ولا يعرفونني؟

وقيل(٣) لآخر: ألا تجاهد في سبيل الله؟ فقال: والله، إني لأبغض الموت على فراش، فكيف آتيه ركضاً؟

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٢ ص ٨٦.
(٢) المصدر السابق. ووردت في البيان والتبيين ـ جـ ٤ ص ١٩
(٣) المصدر السابق.

فصل في المتنبئين

قال أبو[١] الطيب اليزيدي: أخذ رجل ادعى النبوة في أيام المهدي، فأدخل عليه، فقال له: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: وإلى من بعثت؟ قال: أو تركتموني أذهب إلى أحد؟. ساعة بعثت ثقفتموني في السجن، فضحك المهدي وخلى سبيله.

وادعى آخر[٢] النبوة بالبصرة، فأتي به سليمان بن علي مقيداً، فقال له: أنت نبي مرسل؟ قال: أما الساعة، فإنني نبي مقيد، قال: ويلك، من بعثك؟ قال: ما هذه مخاطبة الأنبياء يا ضعيف العقل، والله، لولا أني مقيد لأمرت جبريل يدمدمها عليكم، وقال: والمقيد لا تجاب دعوته؟ قال: نعم، الأنبياء خاصة إذا قيدوا لا يرتفع دعاؤهم، فضحك سليمان، وقال: إني أطلقك الآن، فأمر جبريل، فإن أطاعك آمنا بك وصدقناك، قال: صدق الله حيث يقول: ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾[٣] فضحك سليمان، وسأل عبد الله بن حازم[٤] عنه فشهد له أنه ممرور، فخلى سبيله.

وقال[٥] خلف بن خليفة: إني لجالس في مجلس عبد الله بن حازم ببغداد، وإذا بجماعة قد أحاطوا برجل ادعى النبوة، فقال له عبد الله بن حازم: أنت نبي؟ قال: نعم، قال: فإلى من بعثت؟ قال: إلى الشيطان الرجيم، فضحك عبد الله، وقال: دعوه يذهب إلى الشيطان الرجيم.

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٥، وفيه (أبو الطيب الربذي).
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة يونس ـ الآية ٨٨.
(٤) «عبد الله بن حازم» من [س].
(٥) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٦

وقال(١) ثمامة بن أشرس صاحب المأمون: كنت في السجن فأدخل علينا رجل ذو هيئة جميلة ومنظر حسن، فقلت له: من أنت ـ جعلت فداك ـ؟ قال: أنا نبي مرسل، قلت: فهل عندك دليل؟ فإنك تعلم أن النبوة لا تقبل إلا بالأدلة، قال: نعم، معي أكبر الأدلة، ادفعوا إلي امرأة؛ فإني أحبلها لكم، فتأتي بولد ذكر، يشهد لي بالرسالة.

وقال(٢) محمد بن غياث: رأيت في أيام الرشيد جماعة، قد أحاطوا برجل له هيئة حسنة، فقلت: ما قصة هذا؟ قالوا: ادعى النبوة، قلت: كذبتم عليه، مثل هذا لا يدعي الباطل(٣)، فرفع رأسه إلي وقال: وما علمك أنهم قالوا على الباطل؟ قلت: فأنت نبي؟ قال: نعم، قلت: وما دليلك على ذلك قال: دليلي أنك ولد زنى، قلت: نبي يقذف المحصنات؟ قال: لهذا بعثت قلت: أنا كافر بما بعثت به، قال: و ﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ﴾(٤) فإذا بحصاة قد وقعت على رأسه، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: ما أردتم بي خيراً؛ إذ طرحتموني في أيدي هؤلاء الجهال.

وقال محمد(٥) بن غياث أيضاً: ادعى النبوة في أيام المأمون رجل، فقال المأمون ليحيى بن أكثم: امض بنا مستترين حتى ننظر إلى هذا الرجل، وإلى دعواه، فركبا في الليل متنكرين، ومعهما خادم، حتى ضربا عليه الباب، وكان مستتراً بمذهبه، فقال: من أنتما؟ قالا: رجلان يريدان أن يسلما على يديك، ففتح لهما ودخلا، فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره، فقال له المأمون: إلى من بعثت؟ قال: إلى الناس كافة، قال: فيوحى إليك، أم ترى في المنام أم تناجي؟ قال: بل أناجي وأكلم، قال: ومن يكلمك؟ قال: جبريل، قال: ومتى يكون عندك؟ قال: أول الليل قبل مجيئكم بيسير، قال: فما قال لك؟ قال: إنه سيدخل عليك

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق. وفيه «محمد بن عتاب»، وفي كل هذه النقول تصرف ـ من ابن عاصم.

(٣) في]س[مثل هذا لا يدعي النبوة، وهي هنا أدق نظراً للجواب وهي في العقد كما في المتن.

(٤) سورة الروم ـ الآية ٤٤.

(٥) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٦

رجلان، فيجلس أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك والذي يجلس عن يسارك ألوط خلق الله، قال المأمون: أشهد أنك رسول الله، وضحك من قوله، وخرجا من عنده.

وحدث[١] بعض الكوفيين قال: بينما أنا جالس في منزلي، إذ جاءني صديق لي، فقال: إنه ظهر بالكوفة رجل يدعي النبوة، فقم بنا إليه نكلمه ونعرف ما عنده، فقمت معه إلى أن دخلنا عليه، فإذا شيخ خراساني، أخبث من رأيت على وجه الأرض، فقال صاحبي، وكان أعور: دعني حتى أسائله، قلت: افعل، قال له: ـ جعلت فداك ـ من أنت؟ قال: نبي، قال: وما دليلك؟ قال: أنت أعور من عينك اليمنى، فاقلع عينك اليسرى، حتى تصير أعمى، وادعني فنرد عليك بصرك، فقلت لصاحبي: أنصفك الرجل، فاقلع عينك[٢]، قال: إقلع أنت عينيك جميعاً، وخرجنا من عنده.

وأتي المأمون[٣] برجل يدعي النبوة، فقال له: ألك علامة؟ قال: نعم، علامتي أن أعلم ما في نفسك، قال: قربت علي، فما في نفسي؟ قال: في نفسك أني كذاب، قال: صدقت، وأمر به إلى السجن، فأقام فيه أياماً ثم أخرجه، فقال: أوحي إليك شيء؟ قال: لا، قال: ولم؟ قال: الملائكة لا تدخل السجن، فأمر بإطلاقه.

وتنبأ[٤] رجل، وتسمى نوحاً صاحب الفلك، وذكر أنه سيكون طوفان على يديه يهلك الناس إلا من اتبعه، ومعه صاحب له قد آمن به وصدقه، فأتي به الوالي، فلم يتب، فأمر به فصلب، وأتى بصاحبه فتاب، فناداه من الخشبة: يا فلان، أسلمتني في مثل هذه الحال؟ قال له: يا نوح، قد علمت أنه لا يصحبك من السفينة إلا الصاري.

وتنبأ[٥] رجل في أيام المأمون، فقال: يا ثمامة، ناظره، فقال: ما أكثر

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٦ ـ ٢١٧

(٢) «عينك» زيادة من [د].

(٣) المصدر السابق. ص ٢١٧.

(٤) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٧

(٥) المصدر السابق.

المتنبئين في دولتك يا أمير المؤمنين فهون[١] عليك، ثم التفت إلى المتنبىء فقال: ما دليلك على نبوتك؟ قال: تحضر لي امرأتك يا ثمامة، فأنكحها بين يديك، فتلد غلاماً ينطق في المهد، ويخبرك أني نبي، قال ثمامة: أشهد أنك رسول الله، قال له المأمون: ما أسرع ما آمنت به، قال: وأنت يا أمير المؤمنين ما أهون عليك أن ينكح امرأتي على بساطك، فضحك المأمون وأطلقه.

وادعى رجل[٢] النبوة في أيام المهدي، فأتى به، فقال له: من أنت؟ قال: نبي، قال: ومتى تنبأت؟ قال: وما تصنع بالتاريخ؟ قال: في أي موضع جاءتك النبوة؟ قال: وقعنا في شغل، ليس هذا من مسائل الأنبياء، إن كان رأيك أن تصدقني في كل ما أقول لك فاعمل بقولي، وإن كنت عزمت على تكذيبي، فدعني، أذهب عنك، قال المهدي: هذا لا يجوز؛ إذ فيه فساد الدين، قال: واعجباً لك تغضب لفساد دينك، ولا أغضب لفساد نبوتي، أما والله، ما قدرت علي إلا بمعن بن زائدة، والحسن بن قحطبة، وما أشبههما من قوادك، وكان عن يمين المهدي شريك القاضي، فقال له: ما تقول في هذا النبي؟ قال: شاورت هذا في أمري، ولم تشاورني في أمره، قال له القاضي: هات ما عندك، قال: أخاصمك بما جاء به من قبلي من الرسل، قال القاضي: قد رضيت، قال: أكافر أنا عندك أم مؤمن؟ قال: كافر، قال: فإن الله تعالى يقول ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾[٣] فلا تطعني ولا تؤذني، ودعني أذهب إلى الضعفاء والمساكين؛ فإنهم أتباع الأنبياء، وادع الملوك والجبابرة؛ فإنهم حطب جهنم، فضحك المهدي وخلى سبيله.

وقال ثمامة[٤] بن أشرس: شهدت المأمون، وأتي برجل يدعي النبوة، وأنه إبراهيم الخليل، فقال المأمون: سمعتم أجرأ على الله من هذا؟ فقلت له: يا هذا، إن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كانت له براهين، قال: وما براهينه؟ قلت: أضرمت له

---

(١) «فهون عليك» زيادة من [س].

(٢) العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٥

(٣) سورة الأحزاب ـ الآية ٤٨.

(٤) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٥

نار، فألقي فيها، فصارت عليه برداً وسلاماً، ونحن نضرم لك ناراً، ونطرحك فيها، فإن كانت عليك كما كانت على إبراهيم عليه السلام آمنا بك، قال: هات ما هو أقرب من هذا، قلت: فبراهين موسى عليه السلام، قال: وما كانت؟ قلت: عصاه التي ألقاها فصارت حية تسعى، وضرب بها البحر فانفلق، قال: هذا صعب، هات ما هو أقرب من هذا، قلت: فبراهين عيسى عليه السلام، قال: وما هي؟ قلت: كان يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى، قال: ما معي من هذا كله شيء، وقد قلت لجبريل: إنكم توجهونني إلى شياطين، فأعطوني حجة أذهب بها إليهم، وأحتج عليهم، فغضب علي وقال: بدأت بالشر، اذهب الآن، فانظر ماذا يقول لك القوم، قلت: هاجت بي مرارة يا أمير المؤمنين، قال: قد صدقت فدعه.

وتنبأ رجل بخراسان فأتى به العامل، فقال: من أنت؟ قال: نبي، قال: وما صناعتك؟ قال: حائك، قال: فنبي حائك؟ قال له: فأردت أنت صيرفياً؟ ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾[1] فضحك منه وأمر بإطلاقه.

---

(١) سورة الأنعام ـ الآية ١٢٤

الباب الثالث

في أخبار المغفلين وأهل البله وما يحكى عن المجنونين، ومن لا عقل لهم

قال بعضهم: أردت النكاح، فقلت: لأستشيرن أول من يطلع علي، فأعمل برأيه، فأول من طلع عليّ هبنقة القيسي الأحمق، وهو راكب على قصبة، فقلت له: إني أستشيرك في النكاح، قال: البكر لك، والثيب عليك، وذات الولد لا تقربها، واحذر فرسي؛ لئلا يضربك، فلم أر أعقل منه في هذا الكلام.

وحكى بعض الناس قال، دخلت حمص، وفي فمي درهم لأشتري بعض ما أشتهي، فإذا برجل بباب المسجد، جالس على كرسي، وعلى رأسه عمامة، وقد تقلد سيفاً، وفي حجره مصحف يقرأ فيه، وإلى جانبه كلب رابض يمسكه بحبل، فسلمت عليه، وقلت له: أترى القوم صلوا؟ فقال لي: يا أحمق، وأنت أعمى أما تراني قاعداً؟ قلت: من أنت؟ قال: أنا خالد إمام المسجد، قلت: مع هذه الحلية؟ قال: نعم، ورد رجل زنديق، يقرأ السبع الطوال، ويشتم أبا بكر الصناديقي، وعمر القواريري، وعثمان بن أبي سفيان، ومعاوية بن أبي غسان، الذي هو من حملة العرش وزوجه النبي ﷺ بنته في زمن الحجاج بن يوسف، فاستولدها الحسن والحسين، قلت: ما أعرفك بالتاريخ والأنساب، قال: وما خفي عليك أكثر، قلت: أتحفظ القرآن؟ قال: نعم، قلت: فاقرأ شيئاً منه، قال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ﴾(1) ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾(2) ... وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ

(١) سورة لقمان ـ الآية ١٣

(٢) سورة يوسف ـ الآية ٥

﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1]، فرفعت يدي فصفعته صفعة سقطت بها عمامته، فصاح بالناس: احملوه إلى المحتسب، فأوصلوني إلى رجل حاسر حاف، قد لبس دراعة بلا سراويل، فقال: ما فعل هذا؟ قال: صفع إمام المسجد، قال: يا مسكين، هلكت نفسك، قلت: هذا حكم الله فصبراً عليه فقال: أيما أحب إليك سمل عينيك، أو قطع يديك، أو تدفع نصف درهم؟ فرفعت يدي، وصّفعت المحتسب صفعة شديدة، ثم أخرجت الدرهم من فمي، وقلت: يا سيدي، خذ نصف درهم لك، ونصفه لإمامك، وانصرفت، وبأهل حمص يضرب المثل في الحمق.

وحدث الزبير عن عبد الملك الهاشمي قال: مررت ببعض المعلمين، ويعرف بكسرى، فرأيته يصلي بصبيان صلاة العصر، فلم أزل واقفاً أنظر إليه، فلما ركع أدخل رأسه بين رجليه؛ لينظر ما يصنع الصبيان خلفه، فرأى صبياً يلعب، فقال له، وهو راكع: يا ابن البقال، إني أرى ما تصنع.

وقال الجاحظ[2]: مررت بمعلم، وقد كتب على لوح صبي: «قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً» «وأكيد كيداً، فمهل الكافرين أمهلهم رويداً» فقلت: ويحك أتدخل سورة في سورة؟ قال: نعم، عافاك الله، إن والده يدخل أجرتي شهراً في شهر، وأنا أيضاً أدخل سورة في سورة، فلا أنا آخذ شيئاً، ولا الصبي يتعلم شيئاً.

وقال[3] أبو بكر القبطي: مررت بمعلم، وهو يملي على صبي بين يديه: «فريق في الجنة وفريق في الشعير» فقلت له: ما هذا؟ ما قال الله من هذا كله شيئاً، إنما قال: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾[4] فقال: أنت تقرأ على حرف ابن عاصم بن العلاء الكسائي، وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني، فقلت: معرفتك بالقراء، أعجب من معرفتك بالقراءة.

---

(١) سورة الطارق ـ الآية ١٦ ـ ١٧

(٢) تكررت من قبل في الحدائق، وإن كانت هنا مزيدة بأملوحة أخرى. وقد وردت بهذه الزيادة في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٣٧

(٣) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٣٥

(٤) سورة الشورى ـ الآية ٧.

وحكى الجاحظ قال: كان بالمدينة معلم يفرط في ضرب الصبيان، فلاموه في ذلك، فساء حاله معهم، فجلست عنده يوماً، فاستفتح صبي فقال: يا سيدي ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾(١)، فقال المعلم: بل عليك وعلى والدك. وقال له الآخر: يا سيدي: ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾(٢)، ما بعده، قال: ذلك أبوك السجان.

وقال(٣) الجاحظ: وخرجنا مرة إلى حرب، ومعنا معلم كان يقول: إني أتمنى أن أرى الحرب، فأخرجناه معنا، فأول سهم وقع في رأسه، فلما انصرفنا، دعونا له معالجاً، فنظر إليه فقال: إن خرج الزج، وفي رأسه شيء من دماغه مات، وإن لم يخرج من دماغه شيء، لم يكن عليه بأس، فسبق إليه المعلم، وقبل رأسه وقال له: بشرك الله بكل خير، انزعه؛ فما في رأسي من دماغ، قال(٤) الحجام: ولم؟ قال: لأني معلم، وما في رءوس المعلمين ذرة من دماغ، ولو كان في رأسي ذرة من دماغ ما كنت ها هنا.

وقال غيره: كان في دربنا معلم طويل اللحية، فكنت أجلس إليه كثيراً، فجئته يوماً، وبين يديه صبي، يقول له: ويلك، الدجلة من حفرها؟ قال: عيسى بن مريم، قال: فالجبل من خلقه؟ قال: موسى بن عمران، قال: فالبعر من دوره في است الجمل؟ قال: شيطان، قال: أحسنت، فآدم من أبوه؟ قال: نوح، قال: أحسنت، فقلت: يا سبحان الله، أليس آدم أبا البشر؟ قال: نعم قلت: فكيف يكون نوح أباه؟ قال: ويلك، أتعرفني بآدم؟ وأنا أبو عبد الله المعلم، يا صبيان، كرفسوه، فكرفسوني بالبزاق، حتى صرت أبلق، فحلفت ألا أقف على معلم أبداً.

وقال الجاحظ: أتت امرأة إلى معلم بولدها، وكان المعلم طويل اللحية، براق العينين، قبيح الوجه، فقالت: إن هذا الصبي عازم ألا يطيعني، فأحب أن

---

(١) سورة الحجر ـ الآية ٣٥.

(٢) سورة الحجر ـ الآية ٣٤.

(٣) وردت نظائر لهذه الحكاية في الأدب الإسباني، أنظر: تأثيرات عربية في حكايات إسبانية ـ ص ٣٥ ـ ٣٩.

(٤) أخلت[د، س] بهذه العبارة: قال الحجام إلى قوله: وما في رؤوس المعلمين ذرة من دماغ.

تفزعه، فأخذ المعلم لحيته، وألقاها في فمه، ونفخ شدقيه، وبرق عينيه، وحرك رأسه، وصاح صيحة، فأخرجت المرأة ريحاً من الفزع، وقالت: إنما قلت لك: أفزع الصبي، لا إياي، قال لها: مري يا حمقاء؛ إن البلاء إذا نزل أهلك الصالح والطالح.

وقال الأصمعي: مررت بمعلم بالبصرة يضرب صبياً، ثم أقام الصبيان صفاً، وجعل يدور عليهم ويقول: اقرأوا، فلما وصل إلى الصبي المضروب قال للذي إلى جانبه: قل له: يقرأ؛ فإني لست أكلمه.

وقال طلحة بن عبيد الله: دخلت يوماً على كثير في نفر من قريش، وكنا كثيراً ما نهزأ به لحمقه، فقلنا له: كيف تجدك يا صخر؟ وكان مريضاً، فقال: بخير، هل سمعتم الناس يقولون شيئاً؟ قلت: نعم، سمعت الناس يتحدثون أنك الدجال، قال: أما والله، إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام.

وقال الأصمعي: كان أبو حية النمري جباناً مع حمق وبله فيه، وكان له سيف سماه لعاب المنية، فدخل تحت سريره كلب، فظن أنه لص، وسمعه جار له وهو يقول: أيها المغتر المجتريء علينا، بئس ما اخترت لنفسك، خير قليل، وسيف صقيل، وهو لعاب المنية الذي سمعت به، مشهورة ضربته، لا تخاف نبوته، اخرج بالعفو عنك، قبل أن أدخل بالعقوبة عليك، إني إن أدع قيساً ملأت الأرض عليك خيلاً ورجالاً، سبحان الله، ما أكرمها وأطيبها، وخرج الكلب، فقال أبو حية: الحمد لله الذي مسخك كلباً، وكفاني حرباً.

وقال الشعبي: ما شبهت تأويل الروافض إلا بتأويل رجل مصفوف من بني مخزوم من أهل مكة، وجدته قاعداً بفناء الكعبة، فقال لي: يا شعبي، ما عندك في تأويل هذا البيت؟:

بيتٌ زُرارةُ مُحْتَبٍ بِفِنائِهِ ... ومُجاشِعٌ وأبو الفوارسِ نَهْشَلُ[1]

فإن بني تميم يغلطون فيه، ويزعمون أنه إنما قيل في رجال منهم، فقلت له: وما

---

(١) البيت من الكامل ـ الفرزدق ـ طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ـ ص ٣٩٠. ووردت الحكاية في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٤، وقوله: «رجل مضعوف» رواية [د].

عندك أنت؟ قال: البيت هو هذا البيت، وأشار إلى الكعبة، وزرارة الحجر زر حول البيت، ومجاشع زمزم، جشع بالماء، وأبو الفوارس هو أبو قبيس جبل مكة، قلت له: فنهشل؟ قال: هذا أشدها، ففكر طويلاً ثم قال: قد أصبته، هو مصباح البيت طويل أسود، وهو النهشل.

وقال رجل لغلامه: أي يوم صلينا الجمعة؟ ففكر ساعة، وقال: يوم الثلاثاء.

وكان الجصاص يسبح في كل يوم، فيقول: نعوذ بالله من نعمه، ونتوب إليه من إحسانه، ونسأله عوائق الأمور، سبحان الله، وحسبي الله والملائكة الكرام، اللهم ادخلنا من دعائه في بركة القصور على قبورهم، سبحان الله، قبل الله[1]، سبحان الله.

وركب أحمقان في زورق واحد، فتحركت الريح، فقال أحدهما: غرقنا، والله، فقال الآخر: قل: إن شاء الله، قال: لا أستثني.

وقال الجاحظ: دخلت على مؤدب، ورأسه في حجر صبي، وفي أذنه خرقة معلقة، وكان المؤدب أصلع، والصبي يكتب في رأسه، ويمحوه بالخرقة، ثم يكتب مرة أخرى، فقلت له: ما هذا الذي يصنع الصبي في رأسك؟ قال لي: يا فلان، هذا الصبي يتيم، وليس له لوح، ولا ما يشتريه، فأنا أعطيه رأسي يكتب فيه؛ ابتغاء ثواب الله.

وكان في زمان ابن عباد أحمق، يخرج كل يوم إلى السوق، وينادي بأعلى صوته: أغنى الله الأغنياء ليشكروا، فلم يشكروا، وأفقر الفقراء ليصبروا، فما صبروا، حرم هؤلاء، وحرم هؤلاء.

وكان أحمق يمشي في الأسواق في زمان البرد، ويصيح: ما هذا صواب، ولا في المدينة احتساب، يؤخذ الحر كله ويجعل في الحمامات، وتترك الدنيا بالبرد.

---

(١) في [د] قوله: قبل الله، بعد الله الأولى كما هو هنا؛ وشطبت مرتين، وفي [ح] دون شطب، وفي [س] قوله: بعد الله، وقد جاءت بعد سبحان الله الأولى. والحكاية واردة في: أخبار الحمقى والمغفلين - ص ٤٦.

وخطر(١) أحمق بغرناطة الآن، ويعرف بفاضت، على جماعة، فقالوا له: فاضت، قال: إي والله، فاضت، إن زراداً وقميصاً ويحيي ماتوا وبقي البلد كله على أكتافي.

وسئل رجل كان ينظر في الفرائض، عن فريضة، فالتمسها في كتابه، فلم يجدها، فقال: هذا الرجل لم يمت، ولو كان مات لوجدت ذلك في كتابي.

وقيل لرجل: كيف بِرُّكَ بأمك؟ قال: ما ضربتها ـ والله ـ بسوط قط.

وقيل(٢) لأبي مروان عبد الملك: لأي شيء تزعم أن أبا علي الإسواري أفضل من سلام بن المنذر؟ قال: لأنه لما مات سلام بن المنذر مشى أبو علي في جنازته، ولما مات أبو علي لم يمش سلام في جنازته.

وأراد(٣) أبو سنان الحج، فبكى أولاده، فقال لهم: لا تبكوا؛ فإني أرجو أن أضحي عندكم.

وقال الجاحظ: شيعت عبد العزيز المخزومي قاضي مكة إلى منزله، وبباب المسجد مجنونة تصفق وتقول: أرق عيني صوت ريح القاضي، فقلت له: أظنه قاضي مكة.

وركب بعض المحدثين في سفينة، ومعه في السفينة نصراني فتغديا، ثم استخرج النصراني ركوة فيها شراب، فصب منه في كأس وشرب ثم صب فيها وعرضها على المحدث، فأخذها وشربها من غير كأس فقال له النصراني: إنما عرضت عليك كما يعرض الناس على الناس، إنما هي خمر، قال: ومن أين علمت أنها خمر؟ قال: غلامي اشتراها من يهودي حلف له أنها خمر، فشرب مرة أخرى مستعجلاً، وقال له: أنت أحمق، نحن ـ أصحاب الحديث ـ نضعف حديث سفيان بن عيينة وزيد بن هارون، فكيف نصدق نصرانياً عن غلامه عن يهودي؟ والله، ما شربتها إلا لضعف الأسانيد.

(١) هذه النادرة من [د، س] وأخلت بها [ح].

(٢) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٣٤، وفيه: وقيل لابن عبد الملك.

(٣) وردت في المصدر السابق ـ جـ ٤ ص ١٥، بلفظ: أبو شيبان، وتكررت في الحدائق مع وهب الصيدلاني. ووردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ مع زيادات ـ ص ٤٥.

وأمر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لرجل بكيس فيه دراهم، مختوم بخيط، فقال له الرجل: آخذ الخيط معه، فقال له عمر: دع الكيس وانصرف.

وجاء رجل إلى الحاكم بغلام، فقال له: اضربه ألف سوط، فإنه شتمني، قال[1] له الحاكم: يموت، قال: فاضربه نصف سوط، قال له: كيف شتمك؟ قال: قال لي: يا مسوس، قال له: صدق، ما يلزمه شيء.

وكان[2] الأستاذ أبو علي الشلوبيني، على جلالة قدره، ومعرفته بالنحو، فيه تغفل، فتروى عنه أشياء غريبة، طلع يوماً في زورق بوادي اشبيلية، مع طلبته، ومعه كراريس ينظر فيها، فسقطت له كراسة في الماء، فأخذ أخرى يخرجها بها.

وطلع يوماً آخر، في زورق في الوادي، فأعطاه بعض طلبته عنقود عنب، فألقاه في الماء، فلما كان بعد ساعة، وقد ساروا في الوادي نحو أربعة أميال، أدخل يده في الماء ينظره، فقالوا له: ما تنظر يا سيدي؟ قال: العنقود الذي أعطيتني، كنت جعلته في الماء يبرد، فلم أجده.

وتقدم يوماً يصلي بقوم، فقرأ في الركعة الأولى: الحمد لله، و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ثم قرأ في الركعة الثانية: الحمد لله، وسكت، فقال رجل من الجماعة: اقرأ أبجد، فضحك القوم.

وكان إذا جلس يقرىء الطلبة، ينضم إليهم قليلاً قليلاً، وهو لا يشعر، ثم إذا وصل إلى الذي يليه تذكر، ورجع إلى موضعه، فاتفق الطلبة يوماً على أن يتأخروا قليلاً قليلاً، كلما انضم إليهم، ففعلوا، فجعل ينضم إليهم، وهم يتأخرون عنه، فلما كان آخر القراءة جاء ليسند على الحائط، كما كانت عادته، فسقط على ظهره، ووجد نفسه في وسط المسجد.

ونصبوا له يوماً القرق، حين أراد الخروج، وجعلوه له محولاً، فلبس الفردة وجاء ليلبس الأخرى، فلم يمكنه، فنزعها، ودار فلبس الأخرى، وجاء يلبس الأخرى، فلم يمكنه فنزعها، ودار فلبس الأخرى، وجاء يلبس الأولى، فلم يمكنه،

---

(١) أخلت [د،س] بقوله: قال له الحاكم ـ إلى قوله: نصف سوط.

(٢) وردت في وفيات الأعيان ـ جـ ٣ ص ٤٥١.

فنزعها، ولم يزل كذلك ينزع الواحدة، ويلبس الأخرى، فرآه صبي صغير يفعل ذلك، فأخذ الفردة الواحدة، وصوبها له مع الأخرى، فقال له: لله درك؟ ما أحذقك، ثم سأله عن والده، واجتمع معه، وقال له: دعه يقرأ؛ فما رأيت أحذق منه.

وجاء يوماً، وعليه ثوب امرأته، فنظر إليه الطلبة، وقالوا له: يا سيدي، ما هذا الثوب؟ فنظر إليه، وقال: قمت مستعجلاً، فلم أدر ما لبست.

وجاء يوماً، وغفارته محولة، صدرها من ورائه، وظهرها أمامه.

وخرج يوماً، وعليه غفارة دون ثوب تحتها، فلقيه رجل، فرفع يده، ليصافحه، فظهرت عورته.

وركب يوماً بغلة، يمشي بها إلى جنان بعض أصحابه، فأخذته الهراقة، فنزل يبول، فلما ركب دارت به البغلة، فسار إلى أن وصل إلى البلد، فقال: ما أنا أريد إلا الجنان.

وركب يوماً فرساً، وسار مع الطلبة إلى موضع واحد منهم، فصادفوا في الطريق فارساً يجري، فجرى الفرس به، فقالوا: شد يدك في اللجام، فرمى اللجام من يده، وأخذ بعرف الفرس، فلم يقف، فرمى نفسه في الأرض، وأسرع الطلبة فرفعوه، وأخذوا الفرس، وقالوا له: يا سيدي، لو شددت يدك في اللجام لوقف، فقال: ما أجهلكم، هو لم يقف حين شددت يدي بالمتصل، فكيف بالمنفصل؟.

وقال بعضهم: سألت السرجي عن أربعين رأساً من الغنم، نصفها ضأن، ونصفها معز، كم يجب فيها من الزكاة؟ فقال: شاة، نصفها ضأن ونصفها معز.

وكسر لوزة، فخرج منها لوزتان، فقال: سبحان الله الذي يصور في الأرحام كيف يشاء.

وقيل له: لا تأكل الثلج؛ فإنه يضر البصر، فقال: لست أزيد على مصه، وأرمي تفله.

وقال له غلامه: سرق الحمار، فقال: الحمد لله الذي لم أكن على ظهره.

ودخل يوماً السوق، ليشتري نعلاً لابنته، فقال له: كم سنها؟ فقال: لا أدري، ولكنها في حجم الشجرة.

وجاء رجل من البادية إلى الحاضرة، فقالت له زوجته: اشتر لنا حصيراً كاملاً، يفرش من الطارقة إلى آخر البيت، فلما وصل إلى الحاضرة، قال[١] لصاحب الحصور: أعطني حصيراً جيداً كاملاً يفرش من الطارقة إلى آخر البيت، فقال له: كم يكون طوله من شبر؟ قال: لا أدري، هكذا قيل لي.

وقال بعضهم[٢]: صليت يوماً إلى جانب ابن الجصاص، فسمعته يدعو في إثر صلاته: اللهم اغفر لي ذنوبي، ما تعلمه منها وما لا تعلمه.

وقال[٣]: صليت يوماً إلى جانبه يوم جمعة، فلما قال الإمام: ولا الضالين، قال لي: لعمري، أراد بها آمين.

ودخل[٤] ابن الجصاص على المقتدر يوماً، والمقتدر قد حلق رأسه، ودهنه، فقال لي: يا أمير المؤمنين: دعني أقبل رأسك، قال: دعه الساعة؛ فإن عليه الدهن، قال: والله، أقبله، ولو كان عليه السحل.

وأخرج يده من الفراش في ليلة باردة، ثم أعادها إلى جسده في ثقل النوم، فأيقظته ببردها، فقبض على يده بيده الأخرى وصاح: اللص، وقد قبضت عليه، أدركوني، أدركوني؛ لئلا يكون عنده حديد، فأتوا بالسراج، فوجدوه وهو قابض على يده.

---

(١) أخلت [س] بقوله: قال لصاحب الحصور ـ إلى قوله: آخر البيت.

(٢) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٦٦، غير منسوبة.

(٣) وردت في المصدر السابق ـ ص ٤٦ ـ مع نقص في نهايتها، ووردت كاملة في المصدر نفسه ص ٤٨.

(٤) المصدر السابق ص ٤٨، وثمة أربع صفحات في هذا المصدر تنكر غفلة ابن الجصاص، وتنسبه إلى التطابع، لا إلى الطبع، وتذكر نوادر فيها من دهائه شيء كبير. وحزم عظيم. ويذكرون عنه أنه كان شيخاً حسناً طيب المحاضرة، وليس معنى هذا عدم نسبة هذه النوادر المتغافلة إليه لأنه يقول ـ المصدر المذكور ـ كان ابن الجصاص يطلق بحضرة الوزراء قريباً مما يحكى عنه لسلامة طبع فيه، ولأنه كان يحب أن يصور نفسه عندهم بصورة الأبله، ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء، فيسلم عليهم.

ودخل على ابن له قد مات، فبكى، وقال: كفاك الله يا بني محنة هاروت وماروت، فقيل له: وما هاروت وماروت؟ فقال: لعن الله النسيان، إنما أردت يأجوج ومأجوج، فسئل: وما يأجوج ومأجوج؟ قال: فطالوت وجالوت، قيل له: لعلك تريد منكراً ونكيراً؟ قال: والله ما أردت إلا غيرهما، يريد ما أردت غيرهما.

وجاءت[١] طباخته يوماً، فقال لها: ليس هذا يوم طعام ولا شراب، فأخبر ولده بذلك، فأتاه فوجده مفكراً مطرقاً، فقال له: يا أبت، ما دهاك؟ قال: يا بني، فكرت في أمر، لو فكرت فيه قبل هذا ما هنأ لي عيش، قال: وما هو؟ قال: تمنيت على الله أن يخلقني امرأة، ويزوجني من أبي بكر في الجنة، فقال له ابنه: فهل تساميت بالأمنية إلى النبي ﷺ؟ قال: قد كنت ترمي عندي بالرفض، وأنا أدافع عنك؟ والآن صح عندي، قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنك أردت أن أكون ضرة لعائشة رضي الله عنها.

ودخل عليه أهله يوماً، فوجدوه كالميت، فقالوا له: ما لك؟ قال: فكرت في كثرة مالي، وكثرةِ مصادرة السلطان في هذا الوقت وتعديه، فغلقت عيني، حتى أرى كيف صبري، فانتشبت، ولم أقدر على التخلص، حتى كدت أن أموت، لولا ما دخلتم علي.

وكان المعتضد يقول ـ إذا رأى ابن الجصاص ـ هذا الأحمق المرزوق.

وقال ابن الجصاص يوماً: إني أتمنى أن أخسر، فقيل له: اشتر التمر بالكوفة، وبعه بالبصرة، فاتفق أن نخل البصرة لم تحمل في تلك السنة، فربح ربحاً عظيماً.

وكان[٢] وهب الصيدلاني أكثر الناس غفلة، كتب إلى أبيه، وقد خرج يريد الحج؟ إن قدرت أن تضحي عندنا؛ للفرح بهذا العيد، فافعل.

---

(١) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٨٧ ـ ٨٨ ـ ولكنها منسوبة إلى عيسى بن صالح، وفيها بعض طول.

(٢) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ٤٣ ـ وتنسب إلى جحا وأبيه، وذكرت مرة أخرى في المصدر المذكور ص ٤٥ منسوبة إلى جامع الصيدلاني.

وجاء إلى حجام، ليأخذ من شعره، فلما جلس بين يديه، ذكر أنه نسي منديل كمه، فقام وقال للحجام: لا تأخذ من شعري شيئاً، حتى أعود إليك.

وسقطت ابنته في البئر، فقال: لا تبرحي، حتى آتي بمن يخرجك.

وأتاه[1] ساكن في دار له، فقال له: قد انفتح الكنيف، قال: قد رأيته منذ عامين، فعلمت أنه ينفتح، ولكني ما ظننت أنه ينفتح بهذه السرعة، وإلا كنت أتغداه قبل أن يتعشاني.

وتبخر[2] في ثيابه فاحترقت، فحلف بالطلاق ألا يتبخر إلا عريان.

وجاء[3] ليكسر لوزة، فخرجت من تحت الحجر، فقال: كل شيء يفر من الموت حتى البهائم.

ووقف مغفل على باب داره يبكي، فقال له بعض أصحابه: ما شأنك؟ قال: ولدي الكبير افتصد، فغرق المبزق في ذراعه، وجرى دمه.

وجاء رجل الواعظ، وكان مغفلاً، فوجده يبكي بكاءً شديداً، وقال له: ادع الله؛ فقد ارتكبت أمراً عظيماً، قال: وما هو؟ قال: أريد كتمه عن الناس، فأدنني منك، فأدناه وأعطاه أذنه، فقال: إني نكحت بقرة، فأعلى الواعظ صوته وقال: أمنوا على دعائي؛ فإني أدعو الله لهذا الخاطىء أن يتوب عليه؛ فإنه نكح بقرة، فغطى الرجل[4] وجهه وانصرف.

وكان أبو علقمة الصوفي، يجمع الصبيان ويدهن رؤوسهم، ويخرج لهم ريحاً، والصبيان يضحكون، فقيل له في ذلك، فقال: ليس لي شيء أعطيهم. وأحببت أن أفرحهم بهذا، حتى ينصرفوا مسرورين.

ومر بعض أهل البله بباب شوكي، فوطىء شوكة، فدخلت في رجله، فقال

---

(١) المصدر السابق - ص ٤٥.

(٢) وردت في المصدر السابق ص ٤١ منسوبة لجحا. ونسبة النوادر ونسبة النوادر لجحا شيء متواتر في الأدب العربي كما أن نسبة الشعر العاطفي للمجنون ما دام فيه ذكر ليلى شيء معروف بنفس القدر.

(٣) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين - ص ٤٦، منسوبة إلى ابن الجصاص.

(٤) في [د] فغطى الرجل وجهه ورأسه وانصرف.

للشوكي: اجعلني في حل؛ فلست أقدر على إخراجها الساعة، فأردها لك، قال: قد جعلتك في حل.

وكان ابن عبد النور من أهل المرية، مع فطنته في العلم، كثير التغفل، يحكي أنه تفقد قدراً كان يطبخ فيه في بعض متنزهات الطلبة، فذاقه، فوجده ناقص الملح، فزاد فيه غرفة، وبقي فيه من المرق ما في المغرفة دون ملح، ثم عاد وذاق ما بالمغرفة، فلم يجد طعماً، فزاد إلى أن بلغ الملح بالقدر حيث لا يصلح للأكل ألبتة.

وأدخل يده في مفجر صهريج، فصادفت يده ضفدعة كبيرة، فقال له من حضر: هل وجدت فيه شيئاً؟ قال: نعم، حجر رطب ثم.

وأتى يوماً إلى بعض ولاة ألمرية، وكان له من عتاق الخيل، فطلبه له، وقد كان يعلم حاله في التغفل، فسأله: ما يصنع به؟ قال: أسقي به في السانية بعض اليوم، فصرفه، ووجه له دابة تليق بذلك.

واشترى يوماً فضلة ملف للباسه، فبلها فنقص من ذرعها على العادة، فسار إلى التاجر يطلبه بما نقص منها، فأخذ التاجر يبين له العادة، فلم يقبل منه، وحمله على الكذب والخيانة.

ونظر بعض أهل البله إلى الهلال، فقال: ربي وربك الله، سبحان الله، خلقك من عود يابس.

ورقد رجل في بيته، فدخلت عليه الشمس من طاقٍ هناك، فغطى وجهه بكمه، فجاءت الشمس على كمه، فغطى كمه بثوب، فطلعت الشمس على ذلك الثوب، فقال: هذا شيء لا يغطى.

وتسوق دلال ثوباً لرجل، فلم يسو له اختياره، فقال الرجل: أنا أولى برخيصي، فدفع للدلال ثمنه الذي بلغ، وأخذ ثوبه.

ودخل رجل على مريض يعوده، وكان شديد المرض، فقال له: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٨٥ والحكاية لها نظائر متعددة في أخبار الحمقى والمغفلين.

وتوقف إمام في لفظة من القرآن، فرد عليه شخص بصوت ضعيف، فقال له آخر: ارفع صوتك؛ فإنه أصم، وكانوا جميعاً في الصلاة.

وقال[١] بعضهم: رأيت مؤذناً أذن، ثم عدا، فقلت: إلى أين؟ قال: أنظر إلى أذاني إلى أين بلغ.

وقال[٢]: رأيت مؤذناً آخر قد أذن، ثم ذهب، فقلت: إلى أين؟ قال: أسمع أذاني من بعيد.

وكان مؤذن يؤذن، وفي يده رقعة، فسقطت من يده، فاحتملتها الريح، فجعل يجري وراءها ويقول: أمسكوا أذاني، أمسكوا أذاني.

واختصم رجلان في جارية مملوكة، فوضعوها على يد مؤذن ليلة، فلما أصبح قال المؤذن: ذهبت الأمانة من الناس، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: أودعوا هذه الجارية عندي على أنها بكر، وقد اختبرتها البارحة، فوجدتها ثيباً.

وكان مؤذن قد اتخذ قرعة يابسة، ونقب فيها ثقبتين، وكان يملؤها بالماء، فإذا وصل الماء إلى الثقب الأول أذن الظهر، وإذا وصل إلى الثقب الثاني أذن العصر، ففطن به أحد المؤذنين، فوسع الثقب الأول، فأسرع جري الماء، وتفقدها المؤذن على عادته، فوجد الماء قد وصل إلى الثقب الأول من غير وقت أذان، فأذن فصاح به الناس، فقال: مهلاً عليكم، فإني أعرف بقرعتي.

وكان لقوم إمام أحمق، فقال لهم يوماً، وقد انفتل من صلاته: ويلكم تسابقونني في الصلاة، قالوا: ومن أين لك معرفة هذا؟ قال: ما أركع ركعة ولا أسجد سجدة إلا التفت إليكم؛ أرى ما تفعلون.

وأحدث[٣] إمام في الصلاة، فتأخر وقدم رجلاً، وذهب يجدد الوضوء، فظن

---

(١) وردت أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٠٥

(٢) المصدر السابق.

(٣) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٠٦، وقد وردت أخبار الأئمة هنا، بعد المؤذنين، كما حدث تماماً في كتاب أخبار الحمقى المذكور، وإن كانت الأخبار عند ابن عاصم متناثرة.

الرجل الذي قدم في نفسه، أنه لا يجوز له أن يصلي، فوقف ينتظر الإمام، فلما طال قيامه، تنحنح له قوم، فالتفت إليهم وقال: ما لكم، إنما قدمني لأحفظ مكانه.

وتقدم بعض الحمقى، فصلى بقوم المغرب في شهر رمضان، فابتدأ سورة البقرة، فانصرف القوم وتركوه، فلما رآهم قد انصرفوا جعل يقول: سبحان الله، سبحان الله، ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾[١].

وكان عبد الله اليشكري عاملاً لموسى بن عيسى على المدائن، فصعد المنبر، فلما قال: الحمد لله، ارتج عليه فسكت، فقال بهلول: الذي ابتلانا بك، فجلس وضحك كل من حضر.

وصعد[٢] أبو العنبس منبراً من منابر الطائف، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، فأرتج عليه، فقال: أتدرون ما أريد أن أقول لكم؟ قالوا: لا، قال: فما ينفعكم أن أقول لكم ما لا تدرون؟ ونزل، فلما كان في الجمعة الثانية صعد المنبر، فقال: أما بعد، ثم أرتج عليه، فقال: أتدرون ما أقول لكم؟ قالوا: نعم، قال: فما حاجتكم إلى أن أقول لكم ما قد علمتم؟ ثم نزل، فلما كان في الجمعة الثالثة، صعد المنبر، فقال: أما بعد، ثم أرتج عليه، فقال: أتدرون ما أقول لكم؟ فقالوا: بعضنا يدري، وبعضنا لا يدري، فقال: فليخبر الذي يدري للذي لا يدري، ثم نزل.

وخطب عبد الله بن عار البصري يوم عيد الأضحى، فأرتج عليه، فقال: والله، لا أجمع عليكم عياً ولؤماً، من أخذ شاة من السوق، فهي له، وعلي ثمنها.

وكان بسجستان رجل يعرف بأبي العباس، يتقلد أعمال السلطان، فجاءه أبوه في أمر إنسان، فاشتد عليه وأضجره، فقال لأبيه: إذا جاءك أحد أن تكلمني فقل له: ليس ذلك ابني، فقال: هذا الذي أقول لهم منذ ثلاثين سنة، فلا يقبلون مني، فخجل الابن، وندم على ما قال.

---

(١) سورة الكوثر ـ الآية الأولى، والحكاية واردة في أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١٠٧، مع تغيير ـ سورة البقرة والكوثر هنا، بسورة يوسف، والإخلاص، ورجوع المصلين بعدما دعاهم بسورة الإخلاص إلى الصلاة مرة أخرى.

(٢) لهذه الحكاية نظائر في الأدب الإسباني ـ أنظر: تأثيرات عربية ص ٣١ ـ ٣٥.

وكان(١) هبنقة يحسن إلى السمـان من إبله، ويسيء إلى المهازيـل، فقيل لـه في ذلك، فقال: أكرم من أكرم الله، وأهين من أهان الله.

وضل(٢) له بعير، فجعل بعيرين لمن جاء به، قال: أتجعل بعيرين في بعيـر؟ فقال: إنكم لا تعلمون فرحة من وجد ضالة.

وافترس(٣) الذئب له شاة، فقال له رجل: أخلصها من الذئب، وآخذها؟ فقال له: إذا فعلت، فأنت والذئب سواء، وترك الذئب مضى بها.

وقال(٤) نافع: كان الفاخري من أحمق الناس، فقيل له: ما رأيت من حمقه؟ فسكت، فلما أكثروا عليه قال: قـال لي مرة: البحـر من حفره، وأين تـرابه، وهـل يقدر أمير المؤمنين أن يحفر مثله في ثلاثة أيام؟

واشترى (٥) باقل شاة بأحد عشر درهماً، فلقيه رجل فقـال له: بكم اشتـريتها ففتح يديه، ونشر أصابعه، وأخرج لسانه، فمضت الشاة طريقها.

وضاع باز لمعاوية بن مروان، فقال: أغلقوا أبواب المدينة؛ لئلا يخرج.

وجاء(٦) إليه رجل أحمق منه، فقيل له [هكذا]: تعير لنـا ثوبـاً، نكفن إنسانـاً ونرده إليك، فقال: أخشى أن ينجسه، فلا نلبسه.

وجاء(٧) إليه قوم، فقالوا له: مات جارك فلان، وما ترك شيئاً، فعسى أن تـأمر له بكفن، فقال: ما عندي اليوم شيء، ولكن تعودون إلينا في غير هذا الوقت.

---

(١) وردت في العقـد الفـريـد ـ جـ ٣ ص ٢١٩، ووردت في أخبـار الحمقى والمغفلين ص ٣٦، بعبارة أخرى.

(٢) وردت في أخبـار الحمقى والمغفلين ـ ص ٣٦. كمـا وردت فـي البيـان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٤٢ ـ ووردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٩

(٣) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٩

(٤) المصدر السابق ـ جـ ٣ ص ٢١٨

(٥) وردت في العقد الفريد جـ ٣ ص ٢٢٠

(٦) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٨٢

(٧) وردت هي والتي بعـدها في [د،س] وأخلت بهـا [ح] والأولى وردت في البيان والتبيين ـ مـع ظرف أكثر ـ في جـ ٤ ص ١١، إذ قـالوا لـه ـ في عبارة الجـاحظ ـ غلمه حتى يتيسـر الكفن، وفي أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٨٢، كما هي في البيان.

وقال(1) قاص: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف عليه السلام كذا، قالوا له: ومتى أكله الذئب؟ قال: فهو اسم الذئب الذي لم يأكله.

وكان (2) بالبصرة ثلاثة إخوة من بني عتاب، كان أحدهم يحج عن حمزة، ويقول: استشهد ولم يحج، وكان آخر يضحي عن أبي بكر وعمر، ويقول: أخطأ السنة في ترك الأضحية، وكان الثالث يفطر أيام التشريق عن عائشة ويقول: غلطت في صومها أيام التشريق.

وخطب(3) عدي بن وتاد الإيادي، فقال: أقول لكم كما قال العبد الصالح: ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾(4) فقيل له: فرعون قال هذا، قال: يا قوم، من قاله فقد أحسن.

ووقع بين شخص وابنه كلام، فقال الابن للأب: والله، لولا أنك أكبر سناً مني، لرأيت ما كنت أصنع بك(5)

وتلا(4) أبو بكر القاضي في وعظه يوماً قوله تعالى: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾(6) ثم قال: اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه.

وكان قوم من أهل العلم يتناظرون في أمر علي ومعاوية، فقال له أحد القوم: وتعرف أنت من علي؟ قال: نعم، أليس هو أبا فاطمة؟ قال: ومن كانت فاطمة؟ قال: امرأة النبي ﷺ بنت عائشة، أخت معاوية، قال: فما كانت قصته؟ قال: قتل في غزوة صفين مع النبي ﷺ

ووقف على شيخ من أهل العلم، فقال: أصلحك الله، سمعت الساعة في السوق شيئاً منكراً، قال: وما هو؟ قال: يشتمون الأنبياء، قال الشيخ: ومن هو من

---

(1) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٢٨ - وفي العقد الفريد - جـ ٣ ص ٢٢٠

(2) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٤٥

(3) وردت في البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٤٤، منسوبة إلى عدي بن وتّاد الإيادي، وقد حققناها في المتن، وكانت خطأ. وقد ورد نظير في الحدائق من قبل.

(4) سورة غافر - الآية ٢٩

(5) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين - ص ١٢٨

(6) سورة إبراهيم - الآية ١٧

الأنبياء الذي شتم؟ قال له: معاوية، قال له: يا ابن أخي، ليس معاوية نبياً، قال: فقيه نصف نبي، أيشتم؟.

وقال أبو علي اللواز يوماً لقوم من أصحابه، دخلوا عليه في داره: والله، لو كان عندي دجاج مشويات، لذبحتها لكم.

وتعرض[1] الأسد لأهل رفقة، فخرج إليهم رجل منهم، فلما رآه سقط الرجل في الأرض، فوثب عليه الأسد، فشدوا عليه بأجمعهم، فتنحى عنه الأسد، فقالوا له: كيف أنت؟ فقال: لا بأس علي، غير أن الأسد خرا في سراويلي.

ومر رجل بحمار على المقابر، فنفر الحمار عند قبر منها، فقال: ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً.

ورأى أبو عوانة قوماً قد صلبوا، فجعل يقول: هذا ما وعد الله، وصدق المرسلون، بارك الله لنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه.

وقال[2] أبو العباس: اجتزت يوماً في بعض طرق بغداد، فإذا أنا بامرأة قد عرضت لي، فقالت: بالله، ما اسمك؟ فقلت: أحمد، قالت: وأنا أحب الغرباء فهل لك أن أزوجك جارية حسنة؟ قلت: نعمْ، قالت: وتلد ولداً وتدعه ينصرف إلى المكتب، فيطلع يوماً للسطح، ويقع منه، وينشق رأسه ويموت، ثم صاحت وصرخت وبكت ولطمت وجهها، فخفت منها أن تكون مجنونة، فمضيت وتركتها، فرأيت شيخاً ينظر إلي على باب الدار، فقال لي: ما لك؟ فحدثته فقال: لا تأخذ عليها، ما الموت إلا مصيبة، ومن يرزق مثل صبرك؟ قال: فرأيت الشيخ أحمق منها.

وكان لبعضهم بغلة، فغضب عليها، وقطع عنها العلف، ثم ركبها فلم تستطع المشي، فقال لخادمه: ما بالها لا تمشي؟ قال: لأنك قطعت عنها العلف، قال: أعطها علفها، ولا تعلمها أني قلت لك شيئاً.

---

(١) وردت في البيان والتبيين ـ مع تغيير طفيف ـ جـ ٤ ص ٧، ووردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٦٤

(٢) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٦٨، مع تغيير في بعض الحوار.

وجرى[١] ذكر رجل، فقال آخر: هو رجل سوء، فقيل له: ومن أين تعلم هذا؟ قال: أفسد علي بعض أهلي، قيل: ومن هن؟ قال: أمي.

وكتب المنصور إلى عبد الله الحارثي، وهو والي البصرة: اقسم المال بين القواعد من النساء، وهن اللائي قعدن عن النكاح، وبين أهل الأعذار، فقال له رجل فقير: اكتبني في العميان، قال: اكتبوه؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾[٢]، قال: واكتب ابني في الأيتام، قال: نعم، من كنت أباه فهو يتيم، اكتب ابنه في الأيتام.

وقال[٣] ابن الماجشون: كان لي صديق فقدته زماناً، ثم رأيته، فسألته: أين غاب؟ فقال: كنت بالكوفة، فقلت: وكيف صبرت فيها وهم يشتمون أبا بكر وعمر؟ قال: يا أخي، صبرت لهم على ما هو أشد من هذا، قلت: وما هو؟ قال: فإنهم يفضلون الكتابي على معبد في الغناء.

وماتت[٤] جارية لبعضهم، فلما حملت جنازتها، جعل يقول: خدمت مولاك حق الخدمة في حياتك، وأنا اليوم أكافئك، اشهدوا أني قد حررتها لوجه الله تعالى.

ودخل رجل على مريض، فقال: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[٥] إذا رأيتم العليل على هذه الصفة، فاغسلوا أيديكم منه، فقال له العليل: قم عني؛ فقد قتلتني.

وقال[٦] رجل لآخر: قد أحكمت النحو كله إلا ثلاث لقطات أشكلت علي، قال له: وما هي؟ قال: أبا فلان وأبو فلان، وأبي فلان، ما الفرق بينهما؟ قال له صاحبه: أما أبو فلان فللملوك والأمراء والقضاة والحكام، وأما أبا فلان فللتجار

---

(١) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٦٥، بزيادة مليحة تقول: أمي صانها الله!
(٢) سورة الحج ـ الآية ٤٦.
(٣) وردت في المصدر السابق. وفيه «الكباشي» بدلاً من الكتابي.
(٤) المصدر السابق ـ ص ١٧٩
(٥) سورة البقرة ـ الآية ١٥٦ ووردت النادرة في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٦٢
(٦) وردت في المصدر السابق ـ ص ١١٨

وأرباب الأموال والوسط من الناس، وأما أبي فلان فللسفلة والأسقاط والأوباش من الناس.

وقال[١] عبد الله بن طاهر: قلت مرة لرجل: كم اليوم من الشهر؟ قال: ليس أنا، والله، من هذه البلدة.

وختن[٢] محمد بن الخليل ولده، فقال للحجام: ارفق به، فإن هذه أول مرة ختناه.

ودخل[٣] بعضهم على رجل قد ذهب بصره، والناس يعزونه، فقال له: لا تغتم يا أخي؛ فلو رأيت ثواب ذلك لتمنيت أن يقطع الله يديك ورجليك، فقال له الرجل: فعل الله ذلك بك، وأجزل لك الثواب.

وقال[٤] بعضهم: مررت بمؤدب، والصبيان يضربونه، فتقدمت لأخلصه منهم، فقال: دعهم؛ فإني أتسابق معهم. فإذا سبقتهم ضربتهم، وإن سبقوني ضربوني، وهم اليوم قد سبقوني.

وقال صبي لأبيه: ما الذي يزرع حتى ينبت به الخرفان؟ قال: القرون، فجمع القرون وزرع، وما زال يسقيها شهراً، فلم ينبت، فنبشها لينظرها، فلسعته عقرب، فقال: أنتم لم تنبتوا بعد، وصرتم تنطحونني.

وقال[٥] الشيباني: مررت ببهلول المجنون، وهو يأكل خبيصاً، فقلت له: أطعمني منه، فقال: والله، ما هو لي، قلت: فلمن هو؟ قال: لعائكة بنت الخليفة، بعثته لي؛ لآكله وحدي.

وحدث[٦] الوليد بن بكار قال: كان ابن إدريس عيياً، وكان هو وجماعة يخرجون إلى العقيق يتنزهون، فكان أصحابه يبعثون إلى بيته على لسانه، فيأخذون ما

---

(١) المصدر السابق ـ ص ١١٨
(٢) المصدر السابق وفيه نادرتان ـ ص ١٦٩
(٣) المصدر السابق ص ١٥٣
(٤) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٨
(٥) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ مع تغيير ـ ص ١٣٨
(٦) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٨

يريدون، فعلم بذلك، فقال لهم: اجهدوا جهدكم؛ فقد قلت لأهلي: إذا جاءكم رأسي في طبق، فلا تبعثوا إلي بشيء، فمضى الرسول إلى أهله وعرفهم بهذا الكلام أمارة، وطلب لهم ما أراد، فأعطوه، فلما حضر ذلك بين يديه قال لهم: قد أعيتني الحيلة فيكم؛ فالله حسيبكم.

وقال الجاحظ: مررت بمعلم، وهو قد حبس ديكاً، وهو يضربه، ويقول له ألف شين، ألف شين، فقلت له: ما هذا؟ فقال لي: أعزك الله، انظر إلى تلك المزبلة، وأشار إلى مزبلة أمام مكتبه، فقال: أنا أنصب فيها فخاخاً؛ لصيد العصافير، فيأتي هذا الديك، فيلتقط الحب الذي أجعله لها، فقلت له: اش، فلا يفهمني، فقلت: لعله لا يعلم، وأردت أن أعلمه؛ حتى يفهمني.

ومات[1] ولد لبعضهم، فقيل له: يغسله فلان، فقال: بيني وبينه عداوة متقدمة، وأخاف أن يرد غيظه على ابني فيهلكه.

واستعمل[2] معاوية رجلاً من كلب على بعض الأعمال، فحضر عنده يوماً أهل عمله، وجرى ذكر المجوس، فقال الكلبي: لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم وأخواتهم والله، لو أعطيت ألف دينار ما نكحت أمي، فبلغ الخبر معاوية، فقال: قبحه الله، ما أظنه إلا لو زاده لفعل.

وكان[3] بالبصرة مجنون يأوي إلى دكان خياط، وبيده قصبة، قد جعل في رأسها كرة، ولف عليها خرقة، لئلا يؤذي الناس بها، فكان إذا أحرجه الصبيان التفت إلى الخياط، فقال له: إنه قد حمي الوطيس، وطاب اللقاء، فما ترى؟ فيقول شأنك بهم، فيشد عليهم بالقصبة وهو يقول:

أَشُدُّ على الكتيبةِ، لا أبالي ... أَحَتْفي كان فيها أمْ سِواه[4]

---

(١) وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٧٩

(٢) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٦٠، وفيه في النهاية: فعزله. ووردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢١

(٣) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢١٨

(٤) البيت من الوافر ـ للعباس بن مرداس ـ وروايته: «أكر. .» أنظر: زهر الآداب ـ مجلد ٢ ص ١١٤٠

فإذا أدرك منهم صبياً، رمى الصبي بنفسه على الأرض، وأبدى له عورته، فيتركه[١] وينصرف عنه، ويقول: عورة المؤمن حمى، ولولا ذلك لتلفت نفس عمرو بن العاص يوم صفين، ثم يقف ويناديهم:

أنا الرَّجُلُ الضَّرْبُ الذي تعرفونَهُ   خَشَاشٌ، كرأسِ الحيَّةِ المُتَوَقِّدِ[٢]

ثم يرجع إلى دكان الخياط، فيلقي القصبة من يده، ويقول:

فَألْقَتْ عَصاها، واستقرَّ بها النَّوى   كما قَرَّ عيْناً بالإيابِ المُسَافِرُ[٣]

ودخل[٤] أبو عتاب المصاب مع قوم يعودون مريضاً، فبدأ يعزي قومه، فقالوا: إنه لم يمت، فخرج وهو يقول: يموت إن شاء الله، يموت إن شاء الله.

وأغمي على رجل من الأزد، فصاح النساء، وبعث إلى أخيه، فوجده حياً، فقال لهم: اغسلوه؛ فإنكم لن تفرغوا من غسله، حتى يقضي به.

ووعد[٥] رجل رجلاً من الحمقى بنعل حضرمية، فطال عليه الانتظار، فأخذ قارورة وبال فيها، ثم أتى إلى الطبيب فقال: انظر في هذا الماء، إن كان يهدي إلى بعض إخواني نعلاً حضرمية.

وكان[٦] عيناوة الأحمق جيد القفا، فربما مر به من يزيد العبث به، فيصفعه فجعل سحلاً في قفاه،وقعد على الطريق، فكان إذا ضرب أحد قفاه، قال له: شم يدك يا فتى، فلم يكن أحد يصفعه.

وقال[٧] الأصمعي: سوبق بين الخرنفش وهبنقة، أيهما أحمق؟ فجاء

---

(١) «فيتركه» زيادة من [د].

(٢) البيت من الطويل ـ من معلقة طرفة بن العبد ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ ص ٢١٥، وروايتها: أنا الرجل الجعد.

(٣) البيت من الطويل: وهو لمعقر البارقي ـ أنظر هامش «التنبيهات»، ص ٢٢١ ـ لعلي بن حمزة ـ تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي ـ دار المعارف.

(٤) وردت في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢١٨، ووردت في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٤٣

(٥) وردت في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢١٩

(٦) المصدر السابق. ووردت في البيان والتبيين ـ جـ٢ ص ٢٣٠، وتنسب إلى بهلول لا عيناوة.

(٧) وردت في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢٢٠

الخـرنفش بحجـارة خفـاف من جص، وجـاء هبنقـة بحجـارة ثقـال وتـرس؛ فبـدأ الخـرنفش، فقبض على حجر، ثم رفـع رأسه، وقـال: الترس، ثم رمى بـالحجـر، فأصاب الترس، فانهـزم هبنقة، فقـال أصحابـه: مالـك انهزمت؟ فقـال: إنه قـال: الترس[1] فأصاب الترس، فلو أنه قال: العين، أما كان يصيب عيني.

وتبـع[2] داود بن المعتمر امـرأة ظنها من الفـواسد، فقـال لها: لـولا ما رأيت عليك من سيماء الخير ما اتبعتك، فضحكت المرأة وقـالت: إنما كـان يعتصم مثلي من مثلك بسيماء الخير، وأما إذا صار سيماء الخير هو المعزي، فالمستعان الله.

وقال[3] أبو دحية القاص: ليس فيّ ولا فيكم خيـر، فتبلغوا بي، حتى تجـدوا خيراً مني.

وقال[4] ثمامـة بن أشرس: سمعت قـاصاً ببغـداد، وهو يقـول: اللهم ارزقني الشهادة، أنا وجميع المسلمين.

ووقع[5] الذباب على وجهه، فقال: ما لكم؟ كثر الله بكم القبور.

قال[6]: ورأيت قاصـاً يحدث بقتـل حمزة، فقـال: ولما بقـرت هند عن كبـد حمزة فاستخرجتها عضت عليهاً ولاكتها، ولم تزدردها، فقال النبي عليه السـلام: لو ازدردتـها ما مستها النار، ثم رفع القاص يديه إلى السماء وقال: اللهم أطعمنا كبـد حمزة.

---

(١) في [د، س] قال: الترس، فأصاب الترس: زيادة منهما.
(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٠
(٣) المصدر السابق.
(٤) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٣١٧، وفي العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٠
(٥) وردت في المصدرين السابقين ـ المجلد نفسـه والصفحة نفسـها، ووردت في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ٩٧.
(٦) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٠.

وتزوج(١) مالك بن زيد فتاة من تميم، فلما دخل على امرأته، رأت منه الجفاء والجهل، فجلس ناحية منقبضاً، فقالت له: ضع شملتك، قال: بدني أولى بها، قالت: فاخلع نعليك، قال: رجلاي أحق بهما، فلما رأت ذلك، قامت وجلست إليه، فلما شم رائحة الطيب ارتاح لها.

وأرسل ابن العجل فرساً له في حلبة، فجاء سابقاً، فقال لأبيه عجل كيف ترى أن أسميه؟ قال: افقأ إحدى عينيه، وسمه الأعور، وفيه يقول الشاعر:

رَمَتْني بَنو عِجْلٍ بداءِ أبيهِمُ
وأيُّ عبادِ الله أنْوَكُ مِنْ عِجْلِ

ألَيسَ أبوهمْ عارَ عيْنَ جوادِهِ
فأضحتْ بهِ الأمثالُ تُضربُ في الجهلِ(٢)

ومر معاوية بن مروان بحقل له، فلم يعجبه، فقال: ما كذب من قال: كل حقل لا يرى قفا صاحبه لا يفلح، ثم نزل عن دابته، فأحدث فيه ثم ركب.

وهو(٣) الذي قال لوالد زوجته: ملأتنا ابنتك البارحة بالدم، قال: إنها من نسوة يخبئن ذلك لأزواجهن، ولو كنت خصياً ما زوجناك، فعلى الذي دلنا عليك لعنة الله.

وكان أبو العاج والياً بواسط، فأتاه صاحب شرطته بقوادة، فقال: ما هذه؟ قال: قوادة، قال: وما تصنع؟ قال: تجمع بين الرجال والنساء، قال: إنما جئتني بها لتعرفها بداري، خل عنك، لعنك الله ولعنها.

ودخل(٤) قوم على كردم، فقالوا له: أين القبلة في دارك؟ فقال: والله، ما اهتديت لها؛ لأني إنما دخلت هذه الدار منذ ستة أشهر.

---

(١) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٢٥.

(٢) البيتان من الطويل، والحكاية والشعر واردان في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٠، وفي وفيات الأعيان ـ جـ ١ ص ٢٠٩.

(٣) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٦١. وكلمة (بالدم) زيادة من [د، س].

(٤) وردت هذه النادرة في [س]. وهي في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢١

ودخل[١] كردم على رجل فدعاه للغداء، فقال: قد أكلت، فقال له: وما أكلت؟ قال: قليل أرز، فأكثرت منه.

ومرض[٢] كردم، فقال له عمه: أي شيء تشتهي؟ قال: رأس كبشين، قال: لا يكون ذلك، قال: فرأسيْ كبش، قال: وهذا لا يكون، قال: فلست أشتهي شيئاً.

وكان[٣] أبو إدريس السمان يكتب: فلا صبحك الله إلا بخير، ولا حيا وجهك إلا بكرامة.

وأتى[٤] عامر بن عبد الله بن الزبير بعطائه وهو في المسجد، فقام ونسيه، فلما سار إلى بيته ذكره، فقال لغلامه: إئتني بعطائي الذي نسيت في المسجد، قال له: وأين يوجد وقد دخل بعد ذلك المسجد جماعة؟ قال: وبقي أحد يأخذ ما ليس له؟

وسرقت[٥] نعله، فلم يلبس بعد ذلك نعلاً حتى مات، وقال: أكره أن أتخذ نعلاً، فيجيء من يسرقها فيأثم.

وقال بعضهم: مررت ببعض طرق الكوفة، فإذا أنا برجل يخاصم جاراً له، فقلت: ما بالكما؟ فقال: إن صديقي زارني، فاشتهى رأساً فاشتريته وتغدينا، فأخذت عظامه فوضعتها على باب داري؛ أتجمل بها عند جيراني، فجاء هذا فأخذها، ووضعها على باب داره؛ يوهم الناس أنه اشترى الرأس.

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢١ ـ وفي أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٨٢ وفي البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٤٥ والرجل بها هو بلال بن أبي بردة الذي دخل عليه كردم.

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢١، وكذلك في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٤١، وروايته: ومرض فتى عندنا، بالتنكير.

(٣) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٢ وفي البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٢٣٥ وفي أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٤٩، وتنسب لغير أبي إدريس في المصدر الأخير.

(٤) وردت في البيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٣٤٩، وروايته: بعطائه بالعين المهملة، وكانت في الحدائق بالغين المعجمة. ووردت في العقد الفريد بنفس الرواية التي في البيان ـ جـ ٣ ص ٢٢٣.

(٥) وردت في العقد الفريد ـ جـ ٣ ص ٢٢٣.

وقال بعض المتبردين: أفطرت البارحة على رغيف وزيتونة ونصف زيتونة أو زيتونة وثلث، أو زيتونة وربع، أو زيتونة وما علم الله من زيتونة أخرى، فقال له بعض الحاضرين: يا فتى، إنه بلغنا من الورع ما يبغضه الله، وأحسبه ورعك.

ونظر آخر إلى أهل عرفات فقال: ما أظن الله إلا قد غفر لهم، لولا أني كنت فيهم.

وحكى الأعمش قال: أتاني عبد الله بن سعيد، فقال لي: ألا تعجب؟ أتاني رجل فقال: دلني على شيء إذا أكلته مرضت؛ فقد استبطأت العلة، وأحببت أن أعتل فأؤجر، فقلت: اسأل الله العافية؛ واستدم النعمة، فإن من شكر الله على النعمة كمن صبر على البلية، فألح علي فقلت له: كل السمك المملوح، واشرب النبيذ الحار، وقم في الشمس، واستمرض الله يمرضك إن شاء الله.

ودخل[١] قوم على رجل من الزهاد، فوجدوا عنده رائحة قبيحة، فقالوا له: ما هذا؟ نظنه في بعض نعالكم، فقال الزاهد: ليس كما قلتم، هو من حشو الكنيف أودعته شاربي؛ رياضة للنفس وإذلالاً لها، ألا تطلع إلي الروائح التي تحرم عدا رائحة الجنة.

وسمع[٢] آخر تشاجر قوم في تاريخ شيء فقال: ليس هذا كما تزعمون، إنما كان هذا قبل ابتدائي بصيام الدهر، فلا كان هذا ولا كان صيامه.

وكان بغرناطة رجلان أحمقان، يقال لأحدهما: حسين، وللآخر: يحيى، فاشترى يوماً يحيى زناراً جديداً، فرآه حسين عليه، فأعجبه، فقال له: جرده وألبسه أنا أقيسه، والبس أنت زناري، فلبسه حسين، وأعطاه زناره المبتذل، ونظر عليه يميناً وشمالاً، ثم ذهب به مسرعاً، فقال له: جرد زناري، وذهب خلفه، إلى أن وصلا إلى البيازين، واجتمع عليهما الناس، فلم يقدر أحد أن يجرده له، فقالوا له: رد زناره، ونشتري لك غيره، ففعلوا، وبقي ذلك الزنار عليه.

---

(١) وردت ـ باختصار ـ في أخبار الحمقى والمغفلين ـ ص ١٣٢، وفي [س] هو شيء من حشو الكنيف.

(٢) ورد مشابه لهذه النادرة في البيان والتبيين. أشرنا إليها من قبل، كما وردت في أخبار الحمقى والمغفلين ص ١٣٢، مع زيادة مناسبة.

وجمع[1] بعض الملوك بين مجنونين؛ ليضحك عليهما، فبعث بهما، فأسمعاه ما يكره، فدعا بالسيف، فقال أحد المجنونين لصاحبه: كنا اثنين، فصرنا ثلاثة.

(١) وردت في البيان والتبيين - جـ ٢ ص ٢٣١، ولعل الصواب: فبعث فيهما.

الحديقة الرابعة

في الوصايا والحكم
وفيها
باب واحد

الباب الأول

لما وجه ابن هبيرة مسلم بن سعيد إلى خراسان، قال له: أوصيك بثلاثة: حاجبك؛ فإنه وجهك الذي تلقى به الناس، إن أحسن، فأنت المحسن، وإن أساء فأنت المسيء، وصاحب شرطتك؛ فإنه سوطك وسيفك، وحيث وضعتهما، وضعتهما، وعمال الفرد، قال له: وما عمال الفرد[1]؟ قال: أن تختار من كل كورة رجالاً لعملك، فإن أصبت فهو الذي أردت، وإن أخطأت فهم المخطئون، وأنت المصيب.

وقال عدي بن أرطاة لإياس بن معاوية: دلني على قوم من القراء؛ أولّهم، فقال له: القراء ضربان، ضرب يعملون للأخوة، لا يعملون لك، وضرب يعملون للدنيا، فما ظنك بهم، إذا أمكنتهم منها؟ ولكن عليك بذوي البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم، فولّهم.

وقال معاوية: إني لا أضع سيفي، حيث يكفيني سوطي، ولا أضع سوطي، حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا مدوها أرخيتها، وإذا أرخوها مددتها.

وقال عليه السلام: من تواضع لله رفعه[2].

وقال بعض الحكماء: كل ذي نعمة محسود عليها، إلا التواضع.

وقال عبد الملك بن مروان: أفضل الرجال من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة.

---

(١) وعمال الغدر في [س].

(٢) مسند أحمد بن حنبل ـ جـ ٣ ص ٧٦ مع خلاف يسير.

وسئل بعض الحكماء: أي الأمور أشد تأييداً للعقل، وأيها أشد إضراراً له؟ فقال: أشدها تأييداً له ثلاثة أشياء: مشاورة العلماء، وتجربة الأمور، وحسن التثبت، وأشدها إضراراً به: الاستبداد، والتهاون، والعجلة.

وقال بعض الحكماء: ما كنت كاتمه عن عدوك، فلا تظهر عليه صديقك.

وقال عمرو بن العاص: ما استودعت رجلاً سراً، فلمته عليه إذا أفشاه؛ لأني كنت أضيق صدراً حين استودعته منه حين أفشاه.

وحكى أسامة بن زيد قال: كان النبي ﷺ، إذا غزا أخذ طريقاً، وهو يريد أخرى، ويقول: الحرب خدعة(١).

وعن مالك بن أنس قال: كان مالك بن عبد الله الخثعمي، وهو على الطائفة، يقوم في الناس، كلما أراد أن يرحل، فيحمد الله ويثني عليه، ثم يقول: إني آخذ بكم غداً، إن شاء الله، على موضع كذا وكذا فتفترق الجواسيس عنه بذلك، فإذا أصبح الناس سلك بهم طريقاً أخرى، وكانت الروم تسميه الثعلب.

وقال عمرو بن معدي كرب: الفزعات ثلاث، فمن كانت فزعته في رجليه، فذاك الذي لا تقله رجلاه، ومن كانت فزعته في رأسه، فذاك الذي يفر عن أمه، ومن كانت فزعته في قلبه، فذاك الذي يقاتل.

قال النبي ﷺ إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه(٢)

وقال عليه السلام: اصطناع المعروف يقي مصارع السوء(٣).

وقال أبو ذر: إن لك شريكين في مالك، الحدثان والوارث، فإذا استطعت ألا تكون أبخس الشركاء حظاً، فافعل.

وقال بعضهم: إذا أقبلت الدنيا عليك، فأنفق منها؛ فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك، فأنفق منها؛ فإنها لا تبلى، أخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

---

(١) مسند أحمد بن حنبل جـ ١ ص ٨١ - ٩٠.
(٢) الفتح الكبير - النبهاني جـ ١ ص ٦٥
(٣) المصدر السابق - جـ ٢ ص ١٩٢

لا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيا، وهيَ مُقبلةٌ
فليس يُنْقِصُها التَّبْذِيرُ والسَّرَفُ
وإنْ تَوَلَّتْ فَأُخرى أن تجودَ بها
فالشكرُ منها إذا ما أدبرتْ خَلَفُ[1]

وقال النبي ﷺ إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه، فانظروا إلى ما يتبعه من حسن الثناء[2]

وقال بعض أهل التفسير، في قوله تعالى فيما حكى عن إبراهيم عليه السلام:
﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾[3] أنه أراد حسن الثناء من بعد.

وقال عليه السلام: استعينوا على حوائجكم بالكتمان؛ فإن كل ذي نعمة محسود[4].

وفي الحديث: من نشر معروف فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره[5].
وقال ابن عباس رضي الله عنه: لو أن فرعون مصر أسدى إليَّ يداً صالحة، شكرته عليها.

وقال بعضهم: إذا قصرت يداك عن المكافآت، فليطل لسانك بالشكر.

وقيل: ما نحل الله عباده أقل من الشكر، واعتبر ذلك بقول الله سبحانه:
﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[6].

وقال سهل بن هارون: العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم.

(١) البيتان من البسيط. وردت في العقد الفريد جـ ١ ص ٦٠، وبعضهم هو بزرجمهر.
(٢) لم أقف عليه.
(٣) سورة الشعراء ـ الآية ٨٤.
(٤) الفتح الكبير ـ جـ ٢ ص ١٩٢ ـ وميزان الاعتدال ـ للذهبي رقم ٣١٩٥ مع خلاف في الرواية.
(٥) مسند أحمد بن حنبل جـ ٦ ص ٩٠، وسنن الترمذي ـ جـ ٤ ص ٣٧٩ مع خلاف في الرواية.
(٦) سورة سبأ ـ الآية ١٣

وقيل: الروح عماد البدن، والعقل عماد الروح، والعلم عماد العقل، والبيان عماد العلم.

وقال عليه السلام: إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة[1]

وقال الأحنف بن قيس: أحق الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبة.

وقال ابن سيرين: العلم أكثر من أن يحاط به؛ فخذوا من كل شيء أحسنه.

وقيل لأبي عمرو بن العلاء: هل يحسن بالشيخ أن يتعلم؟ قال: إن كان يحسن به أن يعيش، فيحسن به أن يتعلم.

وقال عروة لبنيه: اطلبوا العلم، فإن تكونوا صغار قوم لا يحتاج إليكم، فعسى أن تكونوا كبار قوم، لا يستغنى عنكم.

وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أطلب العلم، وأخاف أن أضيعه، قال: فكفاك بترك العلم إضاعة له.

وقال بعض الحكماء: اقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى لنفسك، وأخف على قلبك؛ فإن نفاذك فيه على قدر شهوتك له، وسهولته عليك.

وقال رؤبة بن العجاج: قال لي النسابة البكري: يا رؤبة، لعلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألوني، وإن حدثتهم لم يفهموني، قلت: أنا أرجو ألا أكون كذلك، قال: فما آفة العلم ونكده وهجنته؟ قلت: تخبرني؟ قال: آفته النسيان، ونكده الكذب، وهجنته نشره عند غير أهله.

وقال عبد الله بن مسعود: إن العبد لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم، أخذه الشاعر فقال:

تَعَلَّمْ؛ فليسَ المرءُ يُولَدُ عالما
وليس أخو علمٍ كمَنْ هُو جاهلُ

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ـ جـ ١ ص ٢٦٩، وجـ٣ ص ٤٥٦ وتردد كثيراً في مواضع أخرى من المصدر.

وإن كبير القوم، لا علْمَ عنده
صغيرٌ إذا الْتَفَّتْ عليه المحافلُ
وإن صغير القوم، والعلمُ عنده
كبيرٌ، إذا رُدَّتْ إليه المسائل[(١)]

وقال بعض الحكماء: علم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم؛ فإنك إذا فعلت ذلك حفظت ما علمت، وعلمت ما جهلت.

وقال مالك بن أنس رحمه الله: إذا ترك العالم: لا أدري، فقد أصيبت مقاتله.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: من سئل عما لا يدري، فقال: لا أدري فقد أحرز نصف العلم.

وقالوا: العلم ثلاثة: حديث مسند، وآية محكمة، ولا أدري، فجعلوا لا أدري من العلم، إذا كان صواباً من القول.

وقالوا: الحكمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وإذا خرجت من اللسان، لم تجاوز الآذان.

وقال الحسن البصري: لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت، وقلب الأحمق من وراء لسانه، فإذا أراد أن يقول قال.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: العقل في الدماغ، والضحك في الكبد، والرأفة في الطحال، والصوت في الرئة.

وقال عمر رضي الله عنه: من لم ينفعه ظنه، لم ينفعه يقينه.

وسئل بعضهم: من أحب بنيك إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والغائب حتى يرجع، والمريض حتى يفيق.

---

(١) الأبيات من الطويل.

وقال ﷺ لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها؛ فتظلموها، ولا تمنعوها من أهلها؛ فتظلموهم[١].

وفي الحديث: خذ الحكمة ولو من ألسنة المشركين[٢].

وقال عليه السلام: الحكمة ضالة المؤمن، يأخذها ممن سمعها، ولا يبالي من أي وعاء خرجت[٣].

وقال زياد: أيها الناس، لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منا، أن تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا؛ فإن الشاعر يقول:

اعمل بقولي، وإن قصرت في عملي
ينفعك قولي، ولا يضررك تقصيري[٤]

وقيل لقس بن ساعدة: ما أفضل المعرفة؟ قال: معرفة الرجل نفسه، قيل له: فما أفضل العلم؟ قال: وقوف المرء عند علمه، قيل له: فما أفضل المروءة؟ قال: استبقاء الرجل ماء وجهه.

وقال الحسن: التقدير نصف العيش، والتوزر نصف العقل، وحسن طلب الحاجة نصف العلم.

وقيل: ثلاثة لا تكون إلا في ثلاثة: الغنى في النفس، والشرف في التواضع، والكرم في التقوى.

وقيل: ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة، ذو البأس لا يعرف إلا عند اللقاء، وذو الأمانة لا يعرف إلا عند الأخذ والعطاء، والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخوف ما أخاف عليكم شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

---

(١) إقتضاء القول والعمل ـ للخطيب البغدادي ص ٦ ـ ط بيروت مع خلاف.
(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح علوم الدين ـ للمرتضى الزبيري جـ ١ ص ٣١٤ مع خلاف.
(٣) سنن الترمذي جـ ٥ ص ٥١.
(٤) البيت من البسيط.

ومر أعرابي برجل صلبه السلطان، فقال: من طلق الدنيا، فالآخرة صاحبته، ومن فارق الحق، فالجذع راحلته.

وقال قس بن ساعدة: من فاته حسب نفسه، لا ينفعه حسب أبيه.

وقال عليه السلام: لا دين إلا بمروءة[١]

وقال ربيعة: المروءة ست خصال، ثلاث في السفر، وثلاث في الحضر، فأما التي في السفر، فبذل الزاد، وحسن الخلق، ومداعبة الرفيق، وأما التي في الحضر، فتلاوة القرآن، وملازمة المساجد، وعفاف الفرج.

وقيل: من أخذ من الديك ثلاثة أشياء، ومن الغراب ثلاثة أشياء، تم بها أدبه، من أخذ من الديك سخاءه وغيرته وشجاعته، ومن الغراب بكوره في طلب الرزق، وشدة حذره، وسترة سعاده.

وقال المأمون: الرجال ثلاثة، فرجل كالغذاء لا يستغنى عنه، ورجل كالدواء يحتاج إليه حيناً، ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبداً.

وقال الخليل رحمه الله: الرجال أربعة، رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك العالم فاسألوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك الناسي فذكروه، ورجل لا يدري، ويدري أنه لا يدري فذلك الجاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك الأحمق فارفضوه.

وفي الحديث: إذا أحب الله عبداً حببه إلى الناس[٢]، أخذ المعنى ابن عبد ربه، فقال:

وجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ومحبةٌ تجري مع الأنفاس
وإذا أحبَّ الله يوماً عبدَهُ ألْقَى عليه محبةً للناس[٣]

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لا راحة لحسود، ولا إخاء لملول، ولا محب لسيء الخلق.

---

(١) لم أقف عليه.
(٢) الفتح الكبير جـ ١ ص ٦٨
(٣) البيتان من الكامل ـ العقد الفريد جـ ١ ص ٧٢.

وقال عبد الله بن مسعود: لا تعادوا نعم الله، قيل: من يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

وقال عليه السلام: شر الناس من اتقاه الناس لشره[١]

وعرض على أبي مسلم فرس جواد، فقال لأصحابه: لماذا يصلح مثل هذا الفرس؟ قالوا: أن يغزى عليه العدو، قال: لا، ولكنه يركبه الرجل، فيهرب عليه من الجار السوء.

وقالت الحكماء: لا شيء أضيع من مودة من لا وفاء له، واصطناع من لا شكر عنده، والكريم يود الكريم عن لقية واحدة، واللئيم لا يصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة.

وقال ﷺ من أوتي حظه من الرفق، فقد أوتي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق، فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة[٢].

وقال بعض الحكماء: العين باب القلب، فما كان في القلب ظهر في العين.

وقيل لبعض الحكماء: علام أسست عبادتك؟ قال: على أربعة أشياء، علمت أن لي رزقاً لا يفوتني، فلم أشغل قلبي به، ولم أطلبه، وعلمت أن لي أجلًا يبادرني فأنا أبادره، وعلمت أن علي فرضاً لا يقيمه غيري، فأنا مشتغل به، وعلمت أني لا أغيب عن نظر ربي، فأنا مستحٍ منه.

وقال بعضهم: عشرة من مكارم الأخلاق، صدق الحديث، وصلة الرحم، وحفظ الجار، وأداء الأمانة، وبذل المعروف، ومكافآت الأيادي، ورعاية ذمام الصاحب، وقرى الضيف، وكتمان السر، ورأسهن الحياء.

وكان يقال: أربعة من كن فيه فقد حيزت له الدنيا والآخرة، صدق الحديث، وأداء الأمانة، وعفاف الطعمة، وحسن الخلق.

وقال بعض الحكماء: ستة إن أهينوا، فلا يلوموا إلا أنفسهم، المستخف

---

(١) الفتح الكبير جـ٢ ص ١٣٧

(٢) لم أقف عليه.

بالسلطان، واللاعب مع الصبيان، ومعترض السكران، والمقبل بحديثه على من لا يسمعه، ومن قعد مقعداً ليس بأهل له، ومن تقدم إلى طعام لم يدع إليه.

وقال بعض الحكماء: من كتم السلطان نصيحته، والأطباء مرضه، والإخوان بثه، فقد أخل بنفسه.

وقالت الحكماء: إمام عادل خير من مطر وابل.

وقال الشعبي: قال لي ابن عباس، قال لي أبي: إني أرى هذا الرجل - يعني عمر بن الخطاب - يستفتيك ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ، وإني موصيك بخلال أربع، لا تفش له سراً، ولا يجرين عليك كذباً، ولا تطو عنه نصيحة، ولا تغتابن عنده أحداً، قال: قلت لابن عباس: كل واحدة خير من ألف، قال: إي والله، ومن عشرة آلاف.

وقال بقراط الحكيم: العفو يفسد من اللئيم بقدر ما يصلح من الكريم.

ومن حكم البخلاء ووصاياهم، قال أبو الأسود الدؤلي: إمساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك.

وقال: لو أطعنا المساكين في أموالنا لكنا أسوأ حالاً منهم.

وقال لهم: لا تجادوا الله؛ فإنه أجود وأكرم، ولو شاء أن يغني الناس كلهم لفعل، ولكنه علم أن قوماً لا يصلحهم، ولا يصلح لهم إلا الغنى، وقوماً لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر.

وقال رجل من تغلب: أتيت رجلاً من كندة أسأله، فقال: يا أخا بني تغلب، إني، والله، لو مكنت الناس من داري لنقضوها طوبة طوبة، والله ما بقي بيدي من مالي وعرضي إلا ما منعته من الناس.

وقيل لخالد بن صفوان: مالك لا تنفق؛ فإن مالك عريض؟ فقال: الدهر أعرض منه، قيل له: كأنك تأمل أن تعيش الدهر كله، قال: لا، ولكني أخاف ألا أموت في أوله.

وقال الجاحظ: قلت لرجل: أترضى أن يقال لك بخيل؟ قال: لا أعدمني الله

هـذا الاسم؛ لأنه لا يقـال لي: بخيل، إلا وأنـا ذو مال، فسلم لي المـال، وسمني بأي اسم شئت.

وقال شبيب: اطلبوا الأدب؛ فـإنه مـادة العقل، دليـل على المروءة، صـاحب في الغربة، مؤنس في الوحشة، صلة في المجلس.

وقال الخليل ـ رحمه الله ـ: من لم يكتسب بالأدب مالاً، اكتسب به جمالاً

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: عليكم بالأدب؛ فإنكم إن احتجتم إليـه كان لكم مالاً، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالاً.

وقال عبد الملك بن مروان: سمعت بعض الأعراب يقـول: الفقر في الـوطن غربة، والغنى في الغربة وطن.

وقال الخليل بن أحمـد رحمه الله: ثـلاثة أحبهـا لنفسي، ولمن أريد رشـده، أحب أن يكـون بيني وبين ربي من أفضـل عبـاده، وأكـون بيني وبين الخلق من أوسطهم، وأكون بيني وبين نفسي من شرهم.

وقيـل: ثلاثـة ينسين المصـائب، مـر الليـالي، والمـرأة الحسنـاء، ومحـادثـة الرجال.

وعن ابن عمـر رضي الله عنه قـال: ثلاثـة تجلو البصر، النـظر إلى الخضرة، والنظر إلى الماء الجاري، والنظر إلى الوجه الحسن.

وقـال ابن عبـاس رضي الله عنـه: من لـم يجلس في الصغـر حيث يكـره، لم يجلس في الكبر حيث يحب.

ومر ابن الخطاب رضي الله عنه ببنيان يبنى بـآجر وحصى، فقـال: لمن هذا؟ فقيل: لعامل من عمالك، فقال: أبت الـدراهم إلا أن تخرج أعنـاقها، وأرسـل إليه من يشاطره ماله.

وقال رسول الله ﷺ للمجاشعي: إن كان لك مال فلك حسب، وإن كـان لك خلق فلك مروءة، وإن كان لك دين فلك كرم[1].

---

(١) لم أقف عليه.

وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني حمداً ومجداً؛ فإنه لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال.

وقال حكيم لابنه: يا بني، أوصيك، عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك، وذل في قلب غيرك [؟].

وقال آخر لابنه: أوصيك باثنين، لن تزال بخير ما تمسكت بهما، درهمك لمعاشك، ودينك لمعادك.

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ خلقان يحبهما الله، وهما السخاء والسماحة، وخلقان يبغضهما الله، وهما البخل وسوء الخلق، وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوائج[١] الناس.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: إنا ـ معشر قريش ـ نعد الحلم والجود سؤدداً، ونعد العفاف، وإصلاح المال مروءة.

وقدم وفد على معاوية، فقال لهم: ما تعدون المروءة؟ فقالوا: العفاف، وإصلاح المَعيشة، قال: اسمع يا يزيد.

وقال النبي ﷺ لقوم من العرب: من سيدكم؟ فقالوا: فلان على بخل فيه، فقال ﷺ وأي داء أدوى من البخل[٢]؟ .

وقال كسرى: عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛ فإنهم أهل حسن الظن بالله.

وقال ﷺ اصنع المعروف مع من هو أهله، ومع من ليس من أهله، فإن أصبت أهله فهو من أهله، وإن لم تصب أهله، فأنت من أهله.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: القرابة قد تقطع، والمعروف قد يكفر، وما رأيت كتقارب القلوب.

وقال أكثم بن صيفي: القرابة تحتاج إلى مودة، والمروءة لا تحتاج إلى قرابة.

---

(١) كنز العمال ـ علاء الدين المتقي الهندي رقم ٢٨٧٧٧ مع خلاف.
(٢) تفسير الطبري جـ ١٠ ص ١٠٤

وقيل لبعضهم: من أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: ما أحب أخي إلا إذا كان صديقي.

وقال رسول الله ﷺ أحب الناس إلى الله أكثرهم تحبباً إلى الناس.

وقال بعض الحكماء: إذا أيسر الرجل ابتلى بثلاثة، صديقه القديم فيجفوه، وامرأته يتزوج عليها، وداره يهدمها ويبنيها.

وقال رجل لبكر بن عبد الله: علمني التواضع، فقال: إذا رأيت من هو أكبر سناً منك، فقل: سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح، فهو خير بني، وإذا رأيت من هو أصغر سناً منك، فقل: سبقته إلى الذنوب فهو خير مني.

وقال الشافعي رضي الله عنه: أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب في مودة من لا ينفعه.

وقال أيضاً: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن نظر في الفقه نبل مقداره، ومن تعلم اللغة رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه.

وقال بعض الحكماء: أقل الدنيا يكفي، وأكثرها لا يكفي، أخذه أبو فراس فقال:

ما كلُّ ما فوق البسيطةِ كافياً   وإذا قَنِعْتَ فكلُّ شيءٍ كافي[1]

وقال ﷺ سافروا تغنموا، وصوموا تصحوا[2].

وقال موسى بن عمران عليه السلام: لا تذموا السفر؛ فإني أدركت فيه ما لم يدرك أحد، يريد أن الله تعالى كلّه.

وقال رجل لمعروف الكرخي: يا أبا محفوظ، أتحرك لطلب الرزق أم أجلس؟ قال: لا، بل تحرك؛ فإنه أصلح لك، فقال له: أتقول هذا؟ فقال: ما أنا قلته، ولكن الله تعالى قاله وأمر به، قال لمريم: ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ

---

(١) البيت من الكامل ـ ديوان أبي فراس ص ١٩١ ـ دار بيروت للطباعة والنشر.

(٢) إتحاف السادة المتقين ـ جـ ١ ص ٣٢٢.

رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[١]، ولو شاء أن ينزله عليها لأنزله، أخذه الشاعر فقال:

ألم تر أن الله أوحى لمريم
وهُزِّي إليك النخلُ تَسَّاقطِ الرُّطَبْ

ولو شاءَ أن تجنيه من غير هزِّها
جَنَتْهُ، ولكنْ كلُّ شيءٍ له سَبَبْ[٢]

قيل لأعشى بكر: إلى كم ذا الاغتراب، أما ترضى بالدعة؟ فقال: لو دامت عليكم الشمس لمللتموها، أخذ المعنى حبيب فقال:

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ
لديباجتَيْهِ، فاغتربْ تتجدَّدِ

فإني رأيتُ الشمسَ زادت محبةً
على الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ[٣]

وقال الحكماء: لا تدرك الراحة إلا بالتعب، ولا الدعة إلا بالنصب.

وسئل بعض الحكماء: أي الأشياء أحلى؟ قال: النصرة على العدو بعد الهزيمة، والاستغناء بعد الحاجة، والغلبة للمتكلم.

وحكى الأصمعي قال: كنا بطريق مكة في بعض المنازل، إذ وقفت علينا أعرابية، فقالت: أطعمونا مما أطعمكم الله، فناولها بعض القوم شيئاً، فقالت: كتب الله لك كل عدو إلا نفسك.

قال معاوية: كل الناس أقدر على أن أرضيهم إلا حاسد نعمة؛ فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

وقيل: للمعروف خصال، تعجيله وتيسيره وستره، فمن أخل بواحدة فقد بخس المعروف حقه.

وحدث الشعبي[٤] قال: صاد رجل قمرية، فقالت له: ما تريد أن تصنع بي؟

---

(١) سورة مريم ـ الاية ٢٥

(٢) البيتان من الطويل.

(٣) البيتان من الطويل ـ ديوان أبي تمام ـ جـ ٢ ص ٢٣ ـ ط محمد عبده عزام ـ دار المعارف.

(٤) وردت في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ٢٣٨

قـال: أفكك وآكلك، فقـالت: والله، ما أشبعـك من جوع، وخيـر لك من أكلي أن أعلمك ثلاث خصال، واحدة وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثـالثة وأنـا على الجبل، قال: هـات، قالت: لا تلهفن علي شيء فـات، فخلى سبيلها، فلمـا صارت على الشجرة قـالت: لا تصدقن بمـا لا يكون أنـه يكون، فلمـا صارت على الجبـل قالت: يـا شقي، لو ذبحتني لأخرجـت من حوصلتي درتين في كـل واحـدة عشرون مثقالاً، فعض الرجل على يده ندماً وتلهفاً، ثم قال: هات الثـالثة، قـالت: أنت قد نسيت الأولى والثانية، فكيف أخبرك بالثالثـة؟ ألم أقل لـك: لا تلهفن على ما فات، ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون؟ أنا ولحمي ودمي وريشي لا يكـون فيّ عشرون مثقالاً ثم طارت.

الحديقة الخامسة

في أمثال العامة وحكمها وفيها
باب واحد مرتب على
حروف المعجم وفيه فصول

الفصل الأول

أشهر من الريحان في دار العرس

أخذه الشاعر فقال:

فَضْلُهُ بَيْنَ الورى مُشْتَهِرٌ   شُهرةَ الرَّيْحان في دارِ العروسْ[١]

حرف الألف

- أسخف من عبو الفحام الذي يزين الفحم بالورد
- أذل من قط ابن أحمد الذي يغرم الجزية للفرين
- أضر من أقرع
- أثقل من غريم
- أسلط من مجذوم
- أرق من دين طبينة
- أقدم من إبليس
- أكسى من بصلة
- أكسى من حجارة

(١) البيت من الرمل.

- أعز من مجتاز في قرية تقل قدم من الذي يجلس الكلب
- أزلط من فار الجامع
- أرق من دين يهودي
- اعجز من الطريس يسلح فعش
- اضيع من قنديل مع الشمس
- أسخف من قطاط الذي يحرز الغنم بالبطين
- أغزر من جحيم
- أغرش من ثعلب.

قال الشاعر:

كُـلُّهُـمُ أَرْوغُ مـن ثَـعْـلَبٍ   مـا أَشْبـهَ اللَيْـلَةَ بـالـبـارحـهْ[١]

- احوج من أنقر لعين
- أحوج من مبطول المد ساق
- أخف من بق فشق
- أقل عقل من خياط المي
- أشط من عام الجوع

ينظر إلى قول الشاعر

نُـبِّئْـتَ أَنَّ فَـتَـاةً كـنـتُ أخـطُبُـهـا   عُرقوبُها مثلُ شهْرِ الصوم في الطول[٢]

---

(١) البيت من السريع، وهو لطرفة بن العبد ـ في صباه ـ وقبله آخر هو:

كـل خـلـيـل كـنـت خـالـلـتـه   لا تـرك الـلـه لـه واضـحـه.

الشعر والشعراء ص ٩٤.

(٢) البيت من البسيط.

فصــل

- أهين من البول فالسرير
- إذا كان المحدث أحمق يكون المستمع عاقل
- إذا رأيت لحية جارك تنتف اجعل متاعك في الدباغ
- إذا حج جارك بع دارك وإذا حج مرتين بع بالدين
- إذا رأيت الدجاج تبق عين الفروج يسر السل للبيض
- إذا بليت بالسعي اقصد الديار الكبار

ينظر إلى قول الشاعر:

وإذا لــمْ يــكــنْ مــن الــذلِّ بُــدٌّ فَــالْــقَ بــالــذُّلِّ إنْ لقيتَ الــكِبــارا[1]

- إذا وقعت البقرة اجتمعت السكاكين
- إذا وصلت لحاجتك لا تتكلف
- إذا كان القاضي خصيمك لمن تشتكي

قال الشاعر:

يشْتُ من الإنصــافِ بيني وبينَــه ومن لِيَ بالإنصافِ والخَصْمُ يحْكُمُ[2]

- إذا انطارب الزمار طاب العرس
- إذا كنت ميجم مراس وإذا كنت وتد انصب راس
- إذا كنت قادر كن نعم القادر
- إذا فاتك الطعام قل شبعت

---

(١) البيت من الخفيف.

(٢) البيت من الطويل.

- إذا بات الهم فات

- إذا اجتمعت الغمار يتناصف

- إذا عطب الفيل فعظامه راس ميل

- إذا أصبت الزياد أبشر بالنقصان

- إذا أراد الله يعطيك دارك يدل

- إذا غاب الوجه إش للقفا من حرمة

- إذا لم ينفعك الباز انتف

وهذا كقول الشاعر:

إنْ لم يكنْ رُشْدُ الفتى نافعاً فَغَيُّهُ أحْسَنُ من رُشْده[1]

- إذا رأيت أحد يصلب زيد شدا

- إذا جئت تقلي سوف تدري

ينظر إلى قول الشاعر وهو أبو فراس الحمداني:

سَيَذْكُرُني قومي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ وفي الليلة الظلماءِ يُفْتَقَدُ البدْرُ[2]

- إذا بار الريح فالبنيس يدخل

- إذا رأيت حمارك يمشي لا تزد منخص

- إذا فاق العليل اشتهى خبط الطبيب

- إذا رأيت حنش يلمع ادري أن آخر بلع

- إذا عدم الصوف يجز الكلاب

---

(١) البيت من السريع.

(٢) البيت من قصيدة ذائعة لأبي فراس، وهو من الطويل - ديوانه ص ١٦١ طبع دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٨٦

ينظر إلى قول الشاعر:

خلتِ الديارُ فسُدْتَ غير مُسَوَّدِ ... ومن الشقاء تفرُّدِي بالسُّؤددِ[١]

● إذا أكلت الخنزير كول سمين

● إذا غلا القمح اش لو حصا له

● إذا أصيب القمح أهرق الشعير

● إذا كنت فضولي كن في جبهة المخزن

● إذا كان السخا من الشامل لا يسبقك به أحد

● إذا كثر همك أرقدك

● إذا حبك القمر لا تبالي بالنجوم

● إذا كان معك جار لطيف ادعي إلى الله أن لا يزول

وهذا كقول الشاعر:

كنتُ أشكو من التباعد دهرا ... صرتُ أبكي من التفرقِ دهري[٢]

● إذا دخلت بلد خذ من سير أهل

وهذا كقول الشاعر:

وكنْ أكْيس الكَيْس إذا كنتَ منهم

وإن كنتَ في الحمقى فكنْ أنت أحمقا[٣]

---

(١) البيت من الكامل، وهو ذائع، وينسب لأكثر من واحد، ورد في وفيات الأعيان، جـ ٤ ص٢٢٠، وفي هامشها: قاله رجل من خثعم، وينسب إلى عمرو بن النعمان البياضي. وورد في العقد الفريد ـ جـ ١ ص ١٥٧

(٢) البيت من الخفيف.

(٣) البيت من الطويل، وله سابق يقول:

وللدهر أيام فكن في لباسه ... كلبسته يوماً أجد وأخلقا.

وهما لماجد بن علقمة أو لماجد الأسدي ـ البيان والتبيين ـ جـ ١ ص ٢٤٥

- إذا ترى الأكل إقرب وإذا ترى المقرع إهرب
- إذا كان الطريق آمن لا عليك من بعد
- إذا يجي الرزق يجي بدول
- إذا اشتريت افتكر في يوم تبيع
- إذا كثر الطير سلح بعض لبعض
- إذا طارت لا تقله اش

فصل

- إش يعمل الكيس في البيت الفارغ

وهذا كقول الشاعر:

لقدْ أسْمَعْتَ لو ناديْتَ حيّاً ولكنْ لا حياةَ لمن تُنادي[1]

- إش يعمل العقرب بين الجراد

وهذا كقول الشاعر:

تكاثرتِ الظباءُ على خِرَاشٍ فما يدري خِراشٌ ما يصيدُ[2]

- إش تجي عزيز من القاضي
- إش ما يصيب الغبار يحمل للدار
- اشحل تاكل صايم تصبح
- اشحل نذري أكثر يخصك

---

(١) البيت من الوافر.

(٢) البيت من الوافر، وقد ورد في الأغاني منسوباً لعبد الله بن معاوية ـ جـ١٢ ص ٢٢٩ وروايته وإن كانت غير مشهورة، كما هي هنا:

تفرقت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد.

وهذا كقول الشاعر وهو حازم :

أهَلْ درى عارفُ وجدي أنَّ
ما لم يدْرِ أكثرُ مما قدْ درى[١]

- إش شيء أن لا يدري قال شيء لا ينوي
- إش أسود إذا قال سيدي أحمد
- إش دخل ضرط لمنجل
- إش دخل باسم الله في خبزنا
- إش دخل قفا لقلب قال العروق متصل
- إش بين ترنج وبطيخ قال مبيت ليل
- اش شيء أسرع من البرق قال يدفعني إذا قال خذ
- إش كلنا حتى نشرب عليه
- اش برطل واش مرق وش لزم في ساق
- اش ما كتبت أنت قريت أنا
- اش بين الأحمق والعاقل قال كشف عورة
- اش يراد الطاس يبزق فيه الدم

وهذا كقول الشاعر وهو أبو فراس :

ولا أنا راضٍ إن كثُرْنَ مكاسبي
إذا لم تكنْ بالعز تلك المكاسبُ[٢]

(١) هذا البيت من مقصورة حازم القرطاجني، وهي ذائعة، عارضها كثيرون حتى العصر الحاضر، ولها معارضات من الشعر العماني قديماً وحديثاً، لعل من أشهرها حديثاً مقصورة الشيخ عبد الله الخليلي، لكن مقصورة حازم شأت كل من عارضها تقريباً. وهي من الرجز.

(٢) البيت من الطويل ـ ديوان أبي فراس ص ٣٨.

- اش لو الشابع من الجايع
- اش ينفع الضراط عند الموت
- اش يوصل غربتي لأهلي

قال الشاعر:

في الشرق أحبتي وفي الغرب أنا [١]

- اش الشخينة من يد سلوة
- إش ما في القدير المغيرف تخرج
- اش ما وفر العنزي في دار الدباغ يخليه

فصل

- اش يقوم حيط من حيط إلا في عمارة
- اش بنا ألف إلى الذي يجي وراه
- اش المد قد القداح
- اش للباز إلا ما حاز
- اش ينوح إليّ مقروح
- اش في البقير ما تشرب العجيلا
- إش اطا من طا

وهذا كقول أبي فراس:

ولا الفضّةُ البيضاءُ والتِّبْرُ واحدٌ نَفُوعانِ للمُكْدِي وبينهما صرْفُ [٢]

---

(١) ليس هذا بقول شاعر، بل هو قول ناثر،

(٢) البيت من الطويل، وليس في ديوان أبي فراس.

- اش للراس أنقى من المس
- اش تربي الكشفا ولد أحد
- اش تعلم اليتيم البكا

قال الشاعر:

فــلا تَــصِــفَــنَّ الــحــرْب عــنــدي فــإنــهــا
طــعــامِــيَ مُــذْ بــعــثُ الــصِّــبــا وشَــرابــي[1]

- اش عمل الصور إلى لأبناء الحلال
- اش تسع العفافي في رأس كل أحد
- اش ينطب الأحمق إلى فالعذران
- اش يجي كيس إلا من مشعوف
- اش يرى الأحدب حدبة إلى متاع غير
- اش عليه البغل من ركض أم
- اش يخرج قنديل للريح
- اش يكل سبع إلى في عام سو
- إش يقول الحق إلى صبي أو أحمق
- اش تشبه ضرط لجرقب
- اش الخل طعام القطاطيس
- اش يضرب السارق علي سرقته إلى على قلة ذريته

(١) البيت من الطويل، ديوان أبي فراس ص ٣٣.

- اش ينبح الكلب إلا قدام دار
- اش ينفع الحلقين بالراطل
- اش يصطاد باز قدام عقاب
- اش يهرب قط من مطباخ

وهذا كقول جرير:

لــقــد أصــبــحــتْ عِــرْسُ الــفــرزدق نــاشــزاً
ولــو رضــيــتْ رمْــحَ اسْــتِــهِ لاسْــتــقــرَّتِ[1]

- اش يلوم الشيء إلا من لا يقدر عليه
- اش يمشي مركب في البر
- إش تبقى الحم دون مبطول
- اش يبكي إلى على ما يخلي
- اش خلف كما تعرف
- اش يسمعني فالقلب نفسي

وهذا كقول الشاعر:

وهــل يُــجــمــع الــســيــفــان ويْــحَــكِ فــي غِــمْــدِ[2]

---

(١) البيت من الطويل. وهو لجرير، ورد في الأغاني لجعفر بن الزبير، جـ ٩ ص ٣٣٠، وروايته:
ألا تــلكم عــرس الــفــرزدق جــامحــاً ولــو رضيت رمح أستــه لاستقــرت.
وورد في طبقات فحول الشعراء:
وقد أنشده ابن سيرين برواية الحدائق وقام ليصلي حين سئل هل إنشاد الشعر ينقض الوضوء، وأنشد البيت الآخر الذي سبق في هذا الباب «عرفوبها مثل شهر الصوم في الطول» زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٢٠٧

(٢) شطر من الطويل، وهو لابن ذؤيب الهذلي، أوله وتاليه:
تــريــدين كيــمــا تجــمــعيني وخــالــداً وهــل يجمــع السيفــان ويحك في غمــد
أخــالــد مــا راعــيــت مــنــي قــرابــة فتحفــظني بــالغيب أو بعض مــا تبــدي
وهو من شواهد النحو ـ الشعر والشعراء ص ٤١٣ .

- اش تخرج شوكة بقطن
- اش يسمع القاضي من ساكت
- اش تغلي قدر في نفسي
- اش الجراز يكبر اللقم

وهذا كقول ابن عمار:

عيَّـرْتُـمـوني بـالـنُّـحـول وإنـمـا   شَـرفُ الـمهـنَّـدِ أن تَـرِقَّ شِـفَـارُهُ[1]

- اش كل مدور كعك

وينظر هذا إلى قول الشاعر

أكـلَّ امـريء تـحـسـبـين امـرءاً   ونـاغـر تَـوَقَّـدُ بـالـلـيـل نـارا[2]

- إش يطل الكعك إلى من يد الصناع
- اش تقع حجة إلى في نفسي
- إش ياكل الحرام إلا بالاتفاق
- اش يقول أحد عن قط حزير
- اش يقال الحق إلى بشواي من باطل
- إش ينفض الجوز إلي بالمقرع
- اش قدر للحمار رجع للبردع

---

(١) البيت من الكامل، وهو لابن عمار الأندلسي.

(٢) البيت من المتقارب. من شواهد النحو، قاله أبو داود الإيادي وهو جارية بن الحجاج، شرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٧٧ ـ وفي شرح الأشموني ينسب لابن أبي داود في جارية بن الحجاج جـ ١ ص ٥٢٦. ولعل الأصح: أبو داود الإيادي، ولعل ابن عقيل والأشموني حدث فيها خطأ مطبعيّ في اسم الشاعر ـ أنظر الشعر والشعراء ص ١٢٢

- اش يدري حمار اش زنجبيل
- اش يقرن الخز لوبر المعز
- إش يصطاد الكلب إلا خانق
- اش يلد الحنش إلا طويل
- إش زلت الحول حتى أرت الدول
- اش يقوم كفوها بحفرها
- اش قطعت أذنيها إلى أن تكون صياد

فصــل

- اش قال على الطيران أصبتني
- اش غيرك فالعش

فصــل

- الله يجعل آخرنا أحسن من أولنا
- الله يخلطنا مع من هو أحسن منا
- الله لا يورينا نهار سوء إن نمدح
- الله يعطينا رزق ويعطينا فاش نجعلوه

فصــل

- البيان في الفدان خير من اللطام في الأندر
- الغربيل الجديد أربعين يوم يعلق
- الناس في العرق وهو يقول المردودش للغرس

- المفتح في حربتي والناس في غرفتي
- الكيس بالسوم وغير ذي سرق
- الحمار يدري في وجه من يضرط
- الزلط ما لومروة
- الكلب الجويل إش ياكل من عظام دار
- العشت الطيب من بحين تظهر
- البويل في السرير أقوى صول
- البيت فيت
- الجبال لها عينين والحيطان لها أذنين
- الشيء كثير والشاكل قليلة
- الفقيه الدكالي اعمل بقولي ولا تعمل بأعمالي
- اللون يبيع البرذون
- الناس مع الناس والريق مع الفاس
- الدراهم تجلب الدرهم
- المعروف في وقت خلا البيض الشقر كيف السود النقر
- المريب يقول خذوني

قال إبراهيم بن سهل اليهودي:

هيهات لا تخفى علاماتُ الهوى كادَ المُريبُ بأن يقولَ خُذوني(١)

---

(١) البيت من الكامل - لابن سهل.

- الزمر فالأصابع
- السلف مردود وصاحبه مشكور
- الكركر والعيش المر
- البالغ لا ترضيه
- السبع اي يدي اش يدي
- الجلوس بلا شغل يحمق
- الحديد في يد الأحمق يمتد
- التجار مضمونة آكن اش تربح تخسر
- الكبار ولو كان حصارم

وينظر هذا إلى قول المتنبي :

التـاركـينَ مـن الأشـيـاء أهْـوَنَـهـا والـراكبين من الأشيـاء مـا صَعُبـا[1]

- الغازي والفار لا تعلمهم الدار
- الظن اللطيف لا تفارق
- السياط للسيف سلامة
- الضراط مع الأصم نزيهة
- الفرن انبنَى قبل الجامع
- الضرب يعلم الرقص

---

(١) البيت من البسيط ـ للمتنبي يمـدح أبا المغيث العجلي ـ ديـوانـه ـ شـرح العكبـري جـ ١ ص ١١٨

قال ابن الجهم:

ولكن إحسانَ الخليفةِ جعفرٍ
دعاني إلى ما قلتُ فيه من الشعْرِ[١]

- المطير في البيض يعتر
- الكل ذلك الرجل

قال الشاعر:

ولا تحسبنْ هنداً لها الغدرُ وحدَها
سجيةَ نفسٍ كلُّ غانيةٍ هِنْدُ[٢]

- الجالس على الغدير عوام
- الرهن بيد القصار
- الحك أوكد من الفلي
- القرض من العرض والزريع وحد

قال أبو الأسود:

فإلا يكنْها أو تكنْهُ فإنه أخوها غَذَتْهُ أمُّه بعلبَانِها[٣]

- الطرق الكبار وإن طالت والعزبات وإن بارت
- اللقيته الرملي من فسيوه
- الجيد في قاع السل يبقى
- الدخول بالمرو هين والخروج منها صاعب
- والدور والتحليق على الدقيق

---

(١) البيت من الطويل ـ لعلي بن الجهم.
(٢) البيت من الطويل.
(٣) البيت من الطويل ـ لأبي الأسود الدؤلي، وهو من شواهد النحو ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني ـ جـ ١ ص ٧٧ ـ دار إحياء الكتب العربية.

- المقتول منا والدي علينا

- العوينيت إلي تورك من بعيد تضحك لك

وهذا كقول الشاعر:

أصادقُ قَلْبَ المرءِ من قَبْلِ جسمِهِ
وأعرِفُها في لَحْظِهِ والتَّكَلُّمِ[1]

- الهدي مقبول ولو كانت قول

- الطلي من أول شيء ما هو شيء

- القطيع لى نصرا إذا كان قطع فأخرى

- الحواجل بالمحفل عربد

- الشيء فالزين نقص من

- القول بالعزلة لا ترى ولا تدري

- الغول إذا نور شهر يدور

فصل

- أرى الجبن ولم يرى القط

- انبت كميمن حتى يزرعك سليمان

- انصف الناس وشاركهم في أموالهم

- اقسم البحر يرجع سواقي

- اربط صبعك صحيح تجاد

---

(١) البيت من الطويل.

- أورلي حق وكل
- انطح موسى يقع عيسى
- أما قيمة اليوم ولولا ما دخل الليل كتخد واحد أو انتي
- أحول بوقيع يجي من أعمى
- اسأل العليل ولا تسأل الطبيب
- اعط الكبش لمن يهنك الكرش
- أخر العصير سل
- آخر الصيف قد يرى
- احتكت الحمار والزيتونة جى منها أهل وخثونة
- اذكر الكلب يسر المقرع
- اذكر الحبيب يسر الزبيب
- اعمل خير وارقد فالطريق
- أمنا تعزي ولدنا يجي بالأخبار
- أخو من شتى زياد فالأعدى

قال أبو فراس:

فَــأقْصــاهُمُ أقصــاهُمُ مــن إســاءتي ... وأقــربــهــمْ مــمَّنْ كــرهــتُ الأقــاربُ[1]

- اخدم باطل ولا تجلس عاطل

---

(١) البيت من الطويل - لأبي فراس - ديوانه ص ٢٣

● اسم على واهٍ اش يغطي رجلي

● إما نموت بالعطش وإما نمشو فالسيل

وهذا كقول أبي فراس:

ونــحــن أنــاسٌ لا تــوسُّطَ بــيــنــنــا
لــنــا الــصــدْرُ دون الــعــالــمــيــن أو الــقــبــرُ (١)

● أسير الصلح اش لو فدى

● أعمش يلعب غبار

● أعطني قطير نبكي معك دميعه

● انزل عليه عمك خالك أي وحش تفضي لك

● أعطني متاعك أو إلى نكسر دراعك

● اخز الصغار يشعوف الكبار

● أدب حموا يدق فالجبص ويصفر فالجامع

● أسود بلا سياط بحال جامع بلا حصور

● اكسر قدح يجك أملح

● أقل للمحروم اتغصص قال بعد العيد أرخص

● أطيب تينة وقعت في الزيت

● انتظار المجبنا خير من أكله

● أيام إن مضت لش تعود

● أشكرني نمدحك أسلف يطلبك

(١) البيت من الطويل ـ لأبي فراس ـ ديوانه ـ ص ١٦١

- ازوج في غرناطة ومت في بليش
- انجبرت الخرجير بصاطل
- أضعف ساق الله يكسار
-

وهذا كقول أبي فراس:

رعى الله أوفانا إذا قال ذمّةً
وأنْفَذَنا طعْناً وأثبتَنَا ضرْبا[(١)]

- إبليس بلا بطاق أدرى إذا بطق لو
- افتح كرنب سلفتكم إن اللحم غالي
- أما تستر الثياب

قال أبو فراس:

وقد صار هذا الناسُ إلا أقلَّهم ذئاباً على أجسادهن ثيابُ[(٢)]

- إن حضر إش يشور وإن غاب إش ينتظر

قال الشاعر:

فَيُقْضى الأمرُ إن غابتْ تميمٌ ولا يُستأذنون وهمْ شُهودُ[(٣)]

- اقرأ النقيض مع كل أحد تفلح
- اخرج عن بلدك وبل بالواقف
- ارم أحدب (تجد أحدب)[(٤)]

---

(١) البيت من الطويل - لأبي فراس - ديوانه ص ٤٣، وروايته «وأثبتنا قلباً» ولعلها أدق.
(٢) البيت من الطويل - لأبي فراس - ديوانه ص ٢٥
(٣) البيت من الوافر، وله رواية ذائعة تقول:
ويقضى الأمر حين تغيب تيم ولا يستأذنون وهم شهود
(٤) «تجد أحدب» من [ح].

وهذا كقول الشاعر:

وليس يَهْلِكُ منا سيدٌ أبدا إلا افْتَلَيْنا غلاماً سيداً فينا[1]

- انتظر من توعد يجك من لم تظن به
- أي م يمشي المحروم بقيله فحص يجاد
- اشقطير تحت يد فونير
- ارحموني خضر والمحيرم إلى على الحمار
- ارحمني وارحم جارتي متى الساحل
- احبسوا لي ذا الحمير ندخل في الشرير
- أعجز أولادك شياع للحطب
- اتبع القليق حتى تعميه
- أنا أمير وأنت أمير فمن يقود الحمير
- قلت الكلب قال الكلب لذناب
- آخر لقمة عجين
- أكل فقي دون زريب
- امدح العوام ولو كانوا أعاديك
- اعطني مميز تنفق عليه قال المميز ينفق على روح
- أرنب تاكل لحم قال بالي بجلدي كنخلص

---

(١) البيت من البسيط، وهو لنهشل بن حرى النهشلي، وقبله:

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماة: الا أين المحامونا

لو كان في الألف واحد، فدعوا من عاطف، خالهم إياه يعنونا

الشعر والشعراء ص ٤٠٥.

وهذا كقول الشاعر:

وقـد طـوَّفْتُ فـي الآفـاق حتّى رضيتُ من الغنيمـةِ بـالإيـاب[١]

حرف الباء

- بحال من مضال ما شط وأصاب حمام
- بحال غازي لا ينكرك ولا يعطيك
- بحال سوق بلش فالهبط
- بحال بندق أكبر من الذي عمال
- بحال موج إذا أراد يجوط يجوط وإذا أراد يموا يموا

وهذا كقول الشاعر:

فـإذا مـا أردْتَ كنْـتَ رِشـاءً وإذا مـا أردْتَ كـنـتَ قَـلـيـبـا[٢]

- بحال رخام يسكت عام ويقول نسلح
- بد كيبوس اجعل من فوق هبط من أسفل
- بحال فخار إن معيوب زوج في واحد
- بحال أمشاط طول النهار ويبيت الليل معنقين
- بحال من سعى واهتر فل
- بحال فاس يخدم باللقمة
- بحال استرنج في فج

---

(١) البيت من الوافر ـ لامرىء القيس ـ الشعر والشعراء ص ٤٢ .

(٢) البيت من الخفيف .

- بحال خروف جنان
- بحال فرس القيوني أول خرجت اش يعجبك وما مضى يخلى
- بحال ميز غمارا نفسي في كدى
- بحال فروج يدن واش يصلي
- بحال عرس إبليس يسمع واش يرى
- بحال شرطي ياكل معك ويكسر الصحفة
- بحال قنديل يضي للناس ويحرق روح

وهذا كقول الشاعر:

كمرضعة أولاد أخرى وضيعت
نبى بطنها هذا الضلال عن الرشد[1]

ويشبهه أيضاً قول أبي فراس:

وأظمأ حتى ترتوي الأرضُ والقَنا
وأسْغَبُ حتى يشبعَ الذئبُ والنَّسْر[2]

- بحال صياح بليل عمد ولا من يخرج
- بحال أعمى لا ندر أن مدري
- بحال عجوز لقول الباطل
- بحال اشقرا أكن اش تتكلم تهز راسك
- بحال قفه نبي تصل للسقف وترجع
- بحال فرس سلطان مليح وعاقل

(١) البيت من الطويل.
(٢) البيت من الطويل ـ لأبي فراس ـ ديوانه ص ١٥٩ ـ وروايته «حتى ترتوي البيض».

- بحال (حانوت)[1] فخار فالبسيس فالولح
- بحال برغوت الأكل والقرك والكفن
- بحال رحا ابزازر يدور على الشميل
- بحال يهودي في غضب الله
- بحال محروم في مال
- بحال شريط تكسى بالنهار وتعرى بالليل
- بحال شمس فخندق
- بحال بلوط زوال الششتى وارم في النار
- بحال بقير الجاموس القرن والحفى والرقاد في المي
- بحال طيز فيز فرد اذن وميت قرن
- بحال من يرقص ربيب كبير أو فلى كبير
- بحال سوس ياكل واش يشروب
- بحال عزى في حبس
- بحال فسيس في جنين
- بحال غربيل شدق وشاعر
- بحال جرعود رأسه في الخرا وذنبه مرفوع
- بحال قط بانخراص
- بحال ضبيه وترمي ومصارن

(١) أخلت به [س].

● بحال قنبر الخوا والفرج

فصل[١]

● بيدم التمق حامد الرامي أخذ الحصن

● بيدم ويجي الترياق من بيت المقدس يذهب صحب الوجع

● بيدم تمتد مري يرقد زب خوان

فصل

● برور الشيخ بيد

وهذا كقول زهير:

ومن يجعل المعروفَ من دُون عرضِهِ
يَفِرْهُ، ومن لا يتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٢]

● بين الأخ والخالا يمضي الابن خسارا

● بل صاف وادخل أصباعك في عين الحكيم

● بالكيل الذي تكيل يكيل لك

● بيع القط باليد فالذنب

● بدلة لون أحسن من معسل

● بنخالتنا نستغني عن درملك جارتنا

● بين أخذ الدك وإطلاق ينكسر ساق

---

(١) أخلت به [س].
(٢) البيت من الطويل ـ من معلقة زهير ـ شرح القصائد السبع الطوال ص ٢٨٥.

- برج أبو دلامة إن ترق إليه ترق
- بالطول يتمشى المبطول
- بنيان العمالق بالخرا والطرج
- بدل جنب تصبب راح
- بيدق حاشي خير من لا شي
- بطن يدل أي صنيع تشكل
- بشي لك قل بكل شي
- بالجديد يغني
- برُّطل في فمك أحسن من مي ذهب في كمك
- بشهوة للموت أصبح في المقابر
- برج حمام أبيض من برا أسود من داخل

حرف التاء

- تحلق ابن بياضة تقع سري فالخنقيق
- تربية الحبس لا أدب ولا شكل
- تعرف الخيل ركابه
- تاجر بلا قطاع قليل الخروج
- ترد أم حكم إلي استنجت بيد المهريز
- تبيين الواضح فاضح

- تحليق للجنة خير من المقصود للنار
- تنظيم قناوة جوهرة وفوقنة
- تنبرت مرماد أطم من فسوة مجذم
- تد تكسب عدو ضريل سير وانقطعا لو
- تد تربح لا تفتح
- تد تعيش كثير لا تطلع ثمار ولا تهبط في بير

حرف الثاء

- ثوبي فالعنق من أمارة الحمق
- ثوب العير لا يدوم ولا يدفي
- ثوب العير قصير
- ثمار ريش ذل بلا طعم

حرف الجيم

- جي يدعي لرب خرق الفروج في عين

وهذا كقول الشاعر:

إذا كـان غـيـرُ الله لـلمـرء عُـدةً   أتتْه الرَّزايـا من وُجوهِ الفـوائِـد[١]

- جي يعمل حسنه خرجت لو سيئة

---

(١) البيت من الطويل - ديون أبي فراس - ص ٨٨.

ويشبه هذا قول الشاعر:

إذا لم يُرزقِ الإنسانُ بَخْتاً فما حسناتُه إلا ذُنوب(١)

- جى يعمل حكمة عمل نقمة
- جى يفسي عمل بو

فصل

- جلسة خير من أكله
- جندون حر يسبح بالسلح في فم
- جول نجول للشرق أولا
- جوع أن تهدا بشابع لا عليك من
- جواب أبناء القحبات السكوت

قال الشاعر:

إذا نطقَ السفيهُ فلا تجبْهُ فخيرٌ من إجابته السكوتُ(٢)

- جراد في يدك أحسن من يرطال يطير
- جويجل منصور تسمع من وراء السور
- جوزني ذا الخندق واذبحني في آخر
- جنيزت يهودي الجري والسكوت
- جن رمل أسود مغبر
- جمل بدرهم وأين الدرهم

---

(١) البيت من الوافر.

(٢) البيت من الوافر.

حرف الحاء

- حاج بقطاع يهودي يقضيها

- حاجة إن لا يدري بها جارك فاضل هي صاف

- حكم العزيز

- حديث إن شاط في حاجة إن يسيرة

- حسب دبوري لا قر ولا عسل

وهذا كقول الشاعر:

هـو الـكـشـوتُ فـلا أصـلٌ ولا ورقٌ ولا نـعـيـمٌ ولا ظـلٌّ ولا ثـمـرُ[١]

- حوت الشمال اش لو شوكة

- حزن الجماعة فرح

وهذا كقول الخنساء:

ولـولا كـثـرةُ الـبـاكـيـن حـولـي على إخـوانهـم لقـتلتُ نـفسي[٢]

- حمار بحمار أحسن إلي يدل الدار

- حبل الدقيقة وحدت السبيل

- حقنا اش نصلول نطلبو عبار الوزانة

- حمورا فالوجه ولا تخم فالقلب

---

(١) البيت من البسيط.

(٢) البيت من الوافر ـ للخنساء ـ زهر الآداب المجلد الثاني ص ٩٩٩.

حرف الخاء

- خذ من الموقف ورد مشرف
- خذ السارق قبل أن يأخذك
- خذ فالأحمر خذ فالأصفر
- خذ من يد وبقط في الحيط
- خذ بالموت حتى يرضى بالحمى
- خذ واش تجعل

قال المعري :

إذا ما النارُ لم تُطعمْ ضراما   فأوشِكْ أن تمرًّ بها رمادا(١)

- خرج الغزق أكبر من الزقاع
- خرج خروج الوبر من العجين
- خرجت الشبعا في العرق
- خرج خروج حضرى اصباع في قفا تجرى
- خبز الشرك داع يحترق
- خبز المقيت مرتى يطل
- خبز أرملة واحد أو صغير
- خلي جدي وجدك وارجع لجلدي وجلدك

(١) البيت من الوافر ـ المعري ـ سقط الزند ص ٦٠

- خل من قال خير فالناس غير
- خير السلع ما عجب المشتري
- خبطناهم على البول سلحوا
- خفت عليلش إلى اسقى لاح بالدرج وثنى بالغرفة
- خادم شنوع شاقى ملعون
- خليفة موسى العطار ماعك حنة
- خير الخير عاجل

قال الشاعر:

خـذوا مـا أتـاكـم بـه واعـذروا فـإن الـغنيمـة في العـاجِـلِ[1]

حرف الدال

- دقم وشفتي مقادلهم لي
- دقم دوة الحبس
- دخلناهم ارمينا عليهم جردونا
- دع النيس يصير أكديس
- دنيا بلا أكل أخرى أحسن منها
- دردورا وارجع لقورا

---

(١) البيت من المتقارب ـ المتنبي ـ ديوانه ـ جـ ٣ ص ٢٨ شرح العكبري .

حرف الذال

● ذيب التهمت الجد لثقب أذنيها

وهذا كقول المعري:

أَبَعْدِ حَوْلٍ تُناجِي النفس ناجِيَةٌ
هَلَّا ونحنُ على عُشْرٍ من العُشُرِ[١]

● ذيب عول انبهك الطوس

● ذكروا الأواني قام البسيس قال تراني

● ذكرت المدون قامت اللقون

● ذا الجواجل على بزغات هيت

حرف الراء

● رأس بلا خرب قراع أحسن من

● رأس بلا عينين ما يسوى حبتين

رجع حسن كما كان

● رجع الخرا لمجراه والعبد لمولاه

● رى عيشه إلى باعت مدينة بسيول

● رى قحبة ان سكرانه طرفه محلول ووسطه مبلول

● رضى الشرطي بالشرطنة وم يرضى بالبرصنة

---

(١) البيت من البسيط - المعري - سقط الزند ص ١٦

- ركض الحمار ومات
- رخيص كسر القراعة بموت الفار
- رحم الله ديك الحمير إلي كيسلح الأنجاص

حرف الزين

- زد للمليح مرود ويتغد
- زيد للطين بلة
- زاد الله للكدس كديش
- زياد للقراح قطاعة البراح
- زقلي مقلي اش تقم خدمتي بأكلي
- زبلين احشارش أربعة على بِفقارش
- زواج أهل بسطه بالحبال فالأرقاب
- زواج مباطل يقلب لواحد صحيح
- زوجني واضمن لي بخت
- زجة نافذة خير من سقام وإن طويل
- زبل خراز لا للجنان ولا للفدان
- زن الطرار يلتهم لروح
- زد النقيلة فالقيلة
- زامر قرى لش يلهى

وهذا كقول الشاعر:

واطْوِ المراحلَ عن أرضٍ تُهان بها
فالمَنْدَلُ الرَّطْبُ في أوطانه حَطَبُ(1)

حرف الطاء

- طلع الريح من شرونه
- طلع في قصيبة سنبل
- طلع لو الشرق من المغرب
- طير عبن وادهن لو بشحيمة
- طالع البكور أسود بالفاضل هو
- طالع البكور أسود مخطط
- طار طيرك وخادُ غبرك
- طربتنا فرحناك
- طاق طاق أحسن من سلام عليك

وهذا كقول أبي فراس:

لقد قَنِعوا بَعْدي من القَطْرِ بالندى
ومَنْ لم يَجِدْ إلا القُنوعَ تَقَنَّعا(2)

حرف الظاء

- ظنى به صيدون قيد
- ظنى متجروه فالرسميل ينقر
- ظالم أوسمظلوم مع متاعك تقوم
- ظالم بظالم البادي أظلم

---

(1) البيت من البسيط.

(2) البيت من الطويل - لأبي فراس - ديوانه ص ١٨٤

- ظهر الفساد بذنوب العباد
- ظلام الليل يستر الويل
- ظلمة الهم أشى تضي بقنديل

حرف الكاف

- كل من يجى فينا يتهجى
- كل شيء فيه مليح حتى بويلت فالطس تصيح
- كل الطيور خرتناحتى المتفين الأذنيب

وهذا كقول الفرزدق:

فيـا عجبـاً حتى كـليبٍ تسبُّني   كـأن أباهـا نَهشلٌ أو مُجـاشـع(١)

- كل أحد يضم النار لخبيزه
- كل طريق للجامع ينفد

وهذا كقول الشاعر:

ومن لم يمتْ بـالسيف مـات بغيـره   تنوعتِ الأسبابُ والمـوتُ واحـد(٢)

- كل واحد لأصل يرجع

وهذا كقول الشاعر:

وإن يـتـخـلقْ امـرؤٌ لـك لا يـدُمْ   وتغْلبْ عليـه عن قـريبٍ طبـائِعُـهْ (٣)

- كل موجود رخيص
- كل ديك في مزبلة أمير
- كل شهر إن لش لك فيه رزق لا تعد أيام

---

(١) البيت من الطويل ـ الفرزدق ـ طبقات فحول الشعراء ـ السفر الأول ص ٣٦١.
(٢) البيت من الطويل ـ ابن نباتة ـ وفيات الأعيان ـ جـ ٣ ص ١٩٣، وتصحبه حكاية تشي بأن البيت شرّق وغرّب.
(٣) البيت من الطويل.

- كل أقرى بلى
- كل شيء في وقته حتى البليط ينير
- كل أحد يدري من أش يوجع راس
- كل أحد في شر غير حليم

وهذا كقول الشاعر:

يصيِّرني أن ضِقْتُ ذَرْعا بهجره ويجزعُ ان ضاقتْ عليه خلاخِلُهْ(١)

- كل ما هو باطل يعشيش فيه البراطيل
- كل أحد يعجاب غينه
- كل برطل على سيوله
- كل بلد وهلال وكل زمان ورجال
- كل أحد في سوق يبيع حزوق

فصل

- كلب الورد لا يشم ولا يخلي من يشم
- كيف ما يبيع السارق بالفاضل هو
- كيف دفن جحا أم لا للظهر ولا للعصر
- كم من حمال على ذا الميت
- كم من سلامة في طرق الغدر
- كثرة الوصية من قلة الاطمأنينة
- كثرة الاطمئنين تولد القرون

(١) البيت من الطويل.

- كلام عمي أحمد شط بارد بلا فايد
- كلام بجواب اش ينتقض من
- كلام الحبيب يبكي ومتى العدو يضحك
- كن حبيب امليح ولطام الريح
- كرار يخرج ضرار
- كنا أصدقا صرنا معارف
- كل البقلة ولا تسأل عن المبقلة
- كذا وجدنيها وكذا نخلوها
- كيكون ذا الغرس في مرس كيجي ابريل يصيب بكير
- كلاب الحدادين يرقود للزبار ويقم للقم

حرف اللام

- لو زويج الكلب ما نبح
- لو كان فالغراب خير ما يكرموه الصياد
- لو جا أحسن مننا كينكسر فالطريق
- لو كان فالبوم خير ماكيسلم على الصياد
- لو مشى للبحر كيصيب مرج
- لو كان ماع أسود عاقل كيعشش في قراع
- لو دري السارق ما يدري صاحب الدار اش كيقدرل أحد
- لو كان فالبراني خير ما كيرمي ومن الكرنب

- لو جى الرزق بالطيب ما كيحل أحد
- لو ردت خبز وزيتون حرة داري كنكون

فصـــل

- لولا حاجتي ما زرتك يا جارتي
- لولا أبناء القحبات كيمش السبع فالسوق
- لولا ما أصبح كيعسلج

فصـــل

- ليلة بلا عشا ما تخلف أبداً
- ليلة هيت مع معربد اللحم اش فالسوق فدا الأحرش مني
- لقا ما يلقا فلو العطار إذا أهرق الربعا
- لسان العز فصيح
- لبد بحال شيخ على بليط للضراط مفاصل
- ليس البديل بيذق بفيل
- لطمة الجار مخلوف

حرف الميم

- من بغض الكسبور في شارب يكبر
- من بغض يد قطاع
- من يعمل ما يريد يلقى ما لا يريد

● من وفر الزز في رقابة تحصل

وهذا كقول زهير:

ومن لا يَذُدْ عن حوْضِهِ بسلاحه
يُهَدَّمْ ومن لا يظلِمِ الناسَ يُظلَمِ[١]

● من ملك مل وابزق في دل

وهذا كقول امرىء القيس:

وإن كنت قد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل[٢]

ومثله قول أبي فراس:

إذا الخلُّ لم يهجُرْكَ إلا قلالةً
فليس له إلا الفراقَ عتابُ[٣]

● من أراد كل فات جل

● من حب السقا يحمل قلال

وهذا كقول أبي فراس:

تهونُ علينا في المعالي نفوسُنا
ومن خَطَبَ الحسناءَ لم يُغْلِهِ المَهْرُ[٤]

● من لطم يد لخد إش ماع لمن يشتكي

● من وقع في البير يقلل بالدعا

---

(١) البيت من الطويل ـ من معلقة زهير ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ ص ٢٨٥

(٢) البيت من الطويل ـ من معلقة امريء القيس ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٦، وروايتها:

وإن تك قد ساءتك مني خليقة.

البيت من الطويل ـ لأبي فراس. ديوانه ص ٢٤

(٤) البيت من الطويل ـ لأبي فراس ـ ديوانه ص ١٦١، وروايته «لم يغلها».

- من حصل لا يطرب
- من خطبك أزواج
- من اتكل على أديم جارة تصبح قشيرة على الغطا
- من هددك ارقد في بيب دار
- من خرج عروف انتف ريش
- من خرج عزيز حان زز
- من جاء بوحده لا تلعبوه
- من ردت عليه بريش لا تعامل إلا بالنتف
- من زاد عليك بنهار زاد عليك بخبار
- من رفع من غديه لعشية لشي ينتقموه أعديه
- من عمل الخصلة قال ولد سهل قال سيف سدموم
- من عمل الذنب لا ينكر العقوبة
- من ضرا لعق العسل يمشي باصباع معوج
- من مات من شبعة لا أقام الله منها
- من لا ماع بالي اش مع من جديد

قال العرجي:

سميتَني خَلِقاً لِخُلَةَ قَدِمَتْ ولا جديدَ لشخصٍ ما له خَلَقُ[1]

- من دخل بين الظفر واللحم ينتن

(١) البيت من البسيط ـ العرجي.

- من صبر ظفر

قال الشاعر:

أخْـلِقْ بـذي الـصـبـر أن يـحـظى بـحـاجـتـه
ومُـدمـنِ الـقـرعِ لـلأبـواب أن يَـلِـجـا[١]

- من عام فلوق يفتي فيه
- من توضأ قبل الوقت يصلي فالوقت
- من عليك أن تفارق لا تخاسروا
- من ربا جرو نجر عراقب

وهذا كقول المتنبي:

ومن يجعلِ الضِّرْغامَ بـازاً لصيدِهِ   تصيَّدَهُ الضرغـامُ فيما تصيَّـدا[٢]

- من مدح العروس قال أمه وخالته
- من تزارع يقلاعه
- من لا ماع راح اش ماع تجارا
- من انتلفت انسيل تدلك أعميل
- من عطا ولم يأخذ طلب ولم يعط
- من كذب مرة لا تصدق أكثر

---

(١) البيت من البسيط ـ محمد بن يسير ـ الأغاني ـ جـ ١٤ ص ٤٢. والشعر والشعراء ص ٥٦١، والبيان والتبيين ـ جـ ٢ ص ٣٦٠، وهو من أبيات:

إن الأمـور إذا اسـتـدت مـسـالـكـهـا   فـالصبر يفتـح منهـا كـل مـا ارتـجـا
لا تـيـأسـن وإن طـالـت مـطـالـبـة   إذا استعنـت بـصبـرٍ أن تـرى فـرجـا
لا يـمـنـعـنـك يـأس مـن مـطـالـبـة   فضيق السبـل يـومـاً ربمـا انتهـجـا.

(٢) البيت من الطويل ـ المتنبي ـ ديوانه جـ ١ ص ٢٨٧

- من خيرك حيرك
- من باع خبيز يعطيه لش ياكل

وهذا كقول الشاعر:

والـنـاسُ مـن يـلْقَ خـيـراً قـائـلون لـه
مـا يـشـتـهـي ولأمُّ الـمـخـطـىء الـهَـبـلُ[1]

- من ماع مغرافة اش يحترق يد
- من ماع فالفرن راس ما يجيه نعاس
- من هو عبد الله في عباد الله
- من هو برناط في جنوا
- من أمنك لا تخونوا
- من اختلط مع النخال أكلوه الكلاب
- من رق أم في سوق النخاسين يسمع من نهاقه ومن ضراطه
- من لا يشكل قفيل يشكل جبيل
- من لا يسمع من كبير يرجع السلح تصير
- من هو نصيب جناح اش يخد صدره
- من صفت قطاع فشياع

(١) البيت من البسيط ـ القطامي، الشعر والشعراء ص ١٠٦، وبعده:

قـد يـدرك الـمتـأني بعض حـاجـتـه وقـد يكـون مـع المستعجـل الـزلـل.

وفي زهر الآداب المجلد ٢ ص ٦٤٦، وأشار الحصري وابن قتيبة إلى أنه منظور فيه إلى المرقش:

ومن يلق خيـراً يحـمـد الـنـاس أمـره ومـن يغـو لا يـعـدم على الـغي لائـمـا

وفي العقد جـ٣ ص ١٠٦

● من قدم زيب يصب قنديل

وهذا كقول الشاعر:

خَـدَمَ العُلى فخـدمْنَـهُ وهي التـي لا تخـدمُ الأقـوامَ مـا لم تُخـدمِ [١]

● من عرفت كسوته جاز عريه

● من لا أرى في دار أم حينه يتعجب في قبة الفرن

● من صبر على جوع بلاد ينال من رخاها

● من ماع ترقجه لينير يرفاعه

● من هو عيب في وجه كيف يخفى

● من اهترق زيت في دقيق يعمل كعك ويكل

● من دخل بلا نفقة خرج بلا أجرا

● من لا يقبل النصيحة أوغيه

● من لا ينفع ادفع

وهذا كقول حازم في مقصورته:

والبعـدُ مـمـا لا يفـيـد قـربُـه فـائـدةُ حقيقـةُ أن تُقتنـى [٢]

● من افتقر اتخلص

● من واصب الرحا يطحن

وهذا كقول الشاعر:

أخـلق بـذي الـصـبـر أن يـحـظى بـحـاجـتـه

ومـدمـن الـقـرع لـلأبـواب أن يـلجـا [٣]

---

(١) البيت من الكامل.

(٢) البيت من الرجز ـ من مقصورة حازم، وقد مر آنفاً.

(٣) مر البيت من قبل.

- من غاب عن العين غاب عن القلب
- من غاب خاب وأكل نصيب الأصحاب
- من اسطحى من بت عمه اش تنفس لو ولد
- من كثرة صناع قلت قطاع
- من لـش ينفعك حياة فموت عرس

وهذا كقول الشاعر:

والمرءُ ما لم تُفِدْ نَفْعاً إقامتُهُ
غيمٌ حمى الشمسَ لم يُمْطِرْ ولم يَسِرِ[١]

- من غر الرخيص وقع فالرخيص
- من بدل يخسر العريان
- من بدلّ لحيته بأخرى خسر الاثنين
- من عمل حزمة إن ثقيله لعنق بحماله
- من اشتغل بوتدي واحد يسع في سواه
- من قرا لـش يشقي
- من لو حاجه يغير الحجة
- من لا يبيت اش ينتظر
- من عمل بحمق يحمل لعنق
- من هو في سعنود النميلة تقود

(١) البيت من البسيط ـ المعري ـ سقط الزند ص ٢٠

- من كثر بنات كين الكلاب اختينوا
- من بنى في غير بلاد لا لو ولا لي
- من عاند حمار الوحش ينقطع في صفاق قلب

وهذا كقول الشاعر:

وفي تعبٍ من يحسدُ الشمس نورَها ويطمعُ أن يأتي بها بضريبِ [(١)]

فصل

- من طيور غافق يجي يسلح وينسى الطيران
- من بني اميه يرى النعمة ويضراط
- من إل فزع فيه وقع
- من أي ما يدور القمح لعين الرحا يرجع
- من طيب الجنة ومن رطوبة الكف
- من درج لمدرج حتى لقبة الفرن
- من بي لبو حتى لضراط من قنطار
- من اهنا لغداكم من أمر ينقضي

قال الشاعر:

ما بين غمضةِ عينٍ وانتباهتها
يُصرِّفُ الحال من حالٍ إلى حال [(٢)]

- من ذا العيب انباع ذا الدار

---

(١) البيت من الطويل ـ المتنبي ـ ديوانه ـ جـ ١ ص ٥٦ وروايته: ويجهد أن يأتي لها بضريب.

(٢) البيت من البسيط ـ وأخلت [س] بشطره الثاني.

- من كثرة المصائب رجع الأعدا حبايب

قال الشاعر:

يا وَيْحَ من يرثي له الشامِتُ[١]

- [من][٢] النقط تتلف الأودي

- من خلاع بجينه يدرس الزرجونة ويشكر

- من الله جيت ذا السفنجين

- من أين ندخلك يا نص خبزه

- من شيت تتنوع

فصل

- ما لا يقضى صعب

- ما أطيب العرس لولا النفاقة

- ما بعذ السماس صباغ

قال المتنبي:

والهجرُ أقتلُ لي من أن أراقِبَهُ
أنا الغريقُ فما خوْفي من البلَلِ[٣]

- ما بقى للسقا فالويد الكبير

- ما يغلط فالزق بقله

- ما كان أول شرط كان آخر سلامة

(١) شطر من السريع.
(٢) أخلت بها [س].
(٣) البيت من البسيط ـ المتنبي ـ ديوانه ـ جـ ٣ ص ٧٦.

● ما بعد العصر ما ينتظر

وهذا كقول الشاعر:

تمتــعْ من شميم عرارِ نجدٍ فما بعْدَ العشيـةِ من عـرارِ[١]

● ما أهين ما هو الحرب عند النظارا

● ما سوي ترس ولد مبارك

● ما يدري قيمة للشيء حتى يفقد

وهذا كقول مهيار:

ما كنتُ أعرفُ ما مقدارَ وصلكمُ
حتى هجرتمْ وبعضُ الهجرِ تأديبُ[٢]

فصل

● متى دخلت القصر قال أمس فالعصر

● متى يعمل أبو فسس عسل

● متى تريني وخرني نهار

● متى كان الباز نديم الرخام

فصل

● مع من تسكن بحال تكون

● مع كل ريح إقلاع

وهذا كقول الشاعر:

صعدةٌ نابتةٌ في حائرٍ أينما الريحُ تُمَيِّلْها تَمِلْ[٣]

(١) البيت من الوافر ـ ديوان حماسة أبي تمام. باب النسيب.

(٢) البيت من البسيط ـ مهيار الديلمي.

(٣) البيت من الرمل ـ كعب بن جعيل ـ وهو من شواهد النحو ـ شرح ابن عقيل ـ جـ ٢ ص ٣٦٧.

● مع ساعتك كن

وهذا كقول الشاعر:

مـا مـضى فـاتَ والـمُؤمَّـلُ غـيْبٌ   ولـك السـاعـةُ التي أنت فيهـا[١]

فصـل

● ميزت الكلب وما تميز وبر

وهذا كقول الشاعر:

متى كـان الـخيـامُ بـذي طُلوحٍ   سـقيتِ الغـيثَ أيتُهـا الـخيـامُ[٢]

● مدغ الزفت أسود على البطن

● مسروقة هي ذا الغنم

● منك فيك يؤتي عليك

قال أبو فراس:

فـأقصاهُـمُ أقصـاهمُ من إسـاءتي   وأقـربهمْ ممن كـرهتُ الأقـاربُ[٣]

● مشرب رحا تطحن قال للسعي جت

● مشغول هو الفول بنوار

● مر إلي مشت الحمار بأم عمرو ولا الحمار رجاعت ولا أم عمرو سمع له خبر

● مضى الحايل وبقي الفدين

● منت عيش بدشيشه البارد

● ماعك ما تاكل قال لا وما تغرم قال ندبر فيه

---

(١) البيت من الخفيف.

(٢) البيت من الوافر.

(٣) البيت من الطويل ـ أبو فراس. ديوانه ص ٢٣

- محمد بسراول ولد

- مت مع الناس ولا تمش وحدك

قال الشاعر:

ولـو أنـي حُـبـيـتُ الـخـلدَ فـردا   لمـا أحببتُ بـالـخلد انـفـرادا[١]

- ميت بلا نياح قال آخر الليل تسمع الصياح

- من ربح ومن بريح

- مدحنهم حتى سلحناهم

- من أمس في الرماد يقع است برغيفه

- محبة الرايس فالقلاع

- مسمعين إلي يا السلح أو أخوه

- متعلم قرين وقبح زبلح

- مسلم ضاع يهودي أحسن من

- مليح ويغني

- مشينا لمصر إن تعز صبنا الفقهاء ثم يزر

- منقر اللحم معوج هيت

حرف النون

- نفس في القارب قال من سرق القيدوم

---

(١) البيت من الوافر ـ المعري ـ سقط الزند ص ٦١

- نفس على الحاج صاحب المتاع

فصل

- نحن نقرو ولش نفلح إدعي إذا نفنوا
- نحنا نبخروها وهي تنتن
- نحن نتقارب على الميس واه فطلب عقيد

فصل

- نكونوا نفسي نسيروا صفي
- نمل الشجر يمشوا مع الملى ويجي مع الفروع
- نزل مع الجحترق الأخضر
- نصحنهم فما قبلوا
- نص غبار تكفي للأعمش
- نظر الله وم يعطي للمعز ذنب لش يغطي سوته

قال الشاعر:

فـلا حَسبٌ فخـرتَ بـه لِتَيْـمٍ ولا جـدٌّ إذا ازدحـم الـجـدودُ (١)

حرف الصاد

- صفا ما طبخ
- صفا عرس سليمان من لو يسعى سعى
- صفا حبي من عتاب

---

(١) البيت من الوافر.

فصل

- صاحب بخسار عدو أحسن من
- صاحب مدينة فتشني عندك أحد
- صاحب الدابة أولى بمقدمها
- صاحب الحاجة أعمى

قال الشاعر:

صاحبُ الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاها[1]

فصل

- صحبت الأسيود يشجعني برق عين وفزعني
- صاحب هو الأكل حتى يفتدي
- صدف خير من وعد
- صاحب العمش للمرى
- صار البير يعير للمهريز يقل مر يا محفور

قال المعري:

إذا وصَفَ الطائيَّ بالبخلِ مادرٌ
وعيَّر قُسّاً بالفهاهة باقلُ
وقال السُّها للشمس أنتِ خفيةٌ
وقال الدجا يا ليلُ صبحُك حائلُ[2]

حرف الضاد

- ضربيت الحبيب محبه ولو كينت بمرزبه

---

(١) البيت من مجزوء الرمل.

(٢) البيتان من الطويل ـ المعري ـ سقط الزند ـ ص ٥٧.

- ضربة في جنب غيرك أو في الحيط سوا
- ضربي هي الصخرا بالقطارا
- ضبة صالح إلى حمالة الناس فالسيل
- ضرطت لكم اغفروا لي

حرف العين

- عاد الفاخر لداخل
- عاد يجي من موس رجل
- على ساحل كيسك تمد رجليك
- على وجه البهيمة تميز زبدة
- على فرد است نبول
- عيشه اش معه ما تلعق على الجريز تصدق
- عيشه تعطي متاعه من يمناعه
- عينين ضراط في حميم
- عيني واش بكيكم
- عين إلا يرى قلب إن لا يوجع
- عنب السبيكة أسود وبارد
- عنب الغروس أبيض مسوس
- علش خطبوه قال هم يدروا
- عزك الرايس وعطاك دويرا فاحشا.

- عجيبة مرتين أخذ الجوع أكله
- عيبك أولا رد علي
- عش نهار تسمع خبار
- علة من الحنكة وأخرى من الجري

وهذا كقول الشاعر:

فيبكي إن نأوْا شوقاً إليهم ويبكي إن دنَوْا خوفَ الفراقِ[١]

- عريان يجري ورا مجرد
- عزة الزمار بمشوا ركبان يجوا على ساقيهم
- عنكبوت يلعب ركض
- عرضت الجوهر على البصالين قالوا عندنا ما هو أجل وأنتن
- عود البرقوق أسود معقد
- عند البطون تذهب العقول
- عد سبع أضالع وانحر
- عمد يالفقون من فوق تكون
- عند الحقيقة تنحل البنيقة
- عطى للبربري شبر طلب دراع
- عطيه ذراع طلب مرى فاش يتمتاع

وهذا كقول الشاعر:

وهبتَ على مقدار كفَّي زماننا ونفس على مقدار كفَّيْكَ تطلبُ[٢]

---

(١) البيت من الوافر ـ باب النسيب ـ ديوان حماسة أبي تمام.

(٢) البيت من الطويل.

حرف الغين

- غزر الشد حل
- غزر الذهب يحمق
- غزر الهم يضحك
- غزر الجفا يقطع أصول المحبة
- غزر الأيدي تخرق أست النفيسة
- غزر الجراد يرخص القمح
- غزر الصحبا تسوان

قال حبيب:

فــإني رأيتُ الشمس زيـدتْ محبــةً   إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ(١)

- غالي السوق خير من رخيص الدار

حرف الفاء

- في فم خالك ما تقبل وما يبقى لك
- في ساقي ولا في السباط
- في كل قرية بلية
- فأخر عقد يضواط النجار
- فالدنيا اش يندك في الآخرة نبلغ لك السليم

---

(١) البيت من الطويل - أبو تمام - الأغاني جـ ١٦ ص ٣٨٥. وقبله:

وطـول مقــام المــرء فـي الحـي مخـلق   لــديبــاجتيـه، فــاغتــرب تـتـجــدد.

- فالأواخر تكبر المفاخر
- فالوجه مملاسه فالقفا مكناسه
- فرخ القق واحدو مطيار
- فرخ الصقر مبروم محروم
- فرخ أبو جعران لورا لورا
- فضول فن أكره قال أناجيت باطل
- فضول في رحا عبدون
- فدين بشريك ما ياكل من فريك
- فاران قلوق ما يجي من طوبه
- فم نحنا اي كنا وكشف العورا زياد
- فول في قاع مطموره قفا فحر كلب أحسن من
- فالأموال ولا فالأبدان
- فارح بأحزان فالإشارة ما يغني عن السؤال

قال الشاعر: ـ

قد كان ما كان مما لستُ أذكرُه
فَظُنَّ خيراً ولا تسألْ عن الخَبرِ [1]

حرف القاف

- قم من المكين قد جي من هو أحسن منك

---

(١) البيت من البسيط.

- قم أجدتي أنت اخف مني

قال الشاعر:

قــومٌ إذا استنبــح الأضيــاف كلبهُمُ قــالـوا لأمهمْ بـولي على النــار(١)

- قيراط البخيل ألف مثقال هو
- قيراط للسوق وتزول شهوة الدنوق
- قربوا لي نعجن لكم
- قبل فم تنسى آخر
- قرد مهاود خير من غزال ان نفور
- قيحط لي نجبن لك
- قسمة حنش النصف لي والنصف بيني وبينك
- قشيرة بلوط من الله يعطيك تهيط
- قرفول من سعا
- قليل ويدوم خير من كثير وينقطع
- قفل على مقبض قل
- قل للحمار سير حتى تجوز الواد
- قلبي عليك ملى كلفتي وترى
- قرابة من شوق أهل

---

(١) البيت من البسيط. وجاء في هامش [د] بعده:

فتمسـك البـول بـخـلاً ان تجـود بـه ولا تـبـول لـهـم إلا بـمـقـدار

وهو للأخطل ـ الأغاني ـ جـ٨ ص ٣١٨.

● قلوق ما يطحن فارحا

● قصب الفول شط خاوى

● قبر يهودي شط ضيق

● قنديل الرحى لا يضيء ولا ينطفىء

حرف السين

● سود باخفاف من الخلاف
● سود زنت معز فست
● سلامة القدر شيء محمود

وهذا كقول الشاعر:

ومن تعرَّض للغربان يزجُرُه   على سلامته لا بدَّ مشئومُ (١)

● سلامة الفنقع لا تضر ولا تنفع
● سبع أخوا على شربيل مرتاين وقالوا أراه على الغربة
● سليخة ودم وزيل الهم
● سوم سوعداوا
● سارق ويبغض السراق

قال أبو الأسود الدوَلى:

لاتنْهَ عن خُلُقٍ وتأتي مثْلَهُ   عارٌ عليك إذا فعلْتَ عظيمُ (٢)

---

(١) البيت من البسيط.

(٢) البيت من الكامل ـ وهو من شواهد النحو ـ نسبة ياقوت وأبو الفرج للمتوكل الكناني، وهو منسوب أيضاً للدؤلي من قصيده له مشهورة ـ شرح ابن عقيل ـ جـ ٢ ص ٣٥٣.

- سعد يزوي حراك يزوى
- سلام عليك قال يجيك من خديك

- سفر فالشتا نقيمة الأعداء
- ساكن حلوى لين قطع

- سخر العاجز يرجع كاهن
- سيف ينير يبرق وش يقطع
- سِوه الم تضرا سراول يجيبها الحال صعب

وهذا كقول الشاعر:

ومـا كـنـتـمُ عـودتُـم الـصَّـبَّ جـفْـوةً
وصـعـبٌ عـلى الإنـسـان مـا لـم يُـعَـوَّدِ(١)

حرف الشين

- شيخ الخناقين أكبرهم أحمقهم
- شيوخ بجاية يحن ولاش يرحام
- شرى الجبن فالمراحل سعيه
- شرى فقيه طيب ورخيص وموصل للدار
- شغل العكرك لا يعجبك ولا يسرك
- شوكة مع عروجة يجي منها بطلان
- شمس الله أكثر من شقاق القصارين
- شقفه بلقفه

---

(١) البيت من الطويل.

- شوارد جيجة شقف وخرابة
- شرب الخل ولا العطاله
- شرب الدويب يعكر المي
- شرارا تحرق بلاد
- شحم قرد لا يكل ولا يدهن به
- شجرة ابلش كل من يجي يعلق مزيود

حرف الهاء

- هند غمار يعطي الجزى للرصاص
- هشوس ما يقضي حلفه
- هم الزاس أوكد من الأضراس
- هم الغدى والعشى ما يتم أبدى
- همك ثقب الطاجين
- همي وهم الناس متى نفلح
- هم البنات للممات
- هرب أخزاه الله أحسن من قتل رحمه الله
- هو يقل اش نبت شي وهو يجرد سراول
- هو ولا تخبْط
- هدرة حاوي لا تهولك
- هز المحسا في زر الخيل يقوم المدبر بالزوج

- هم عجنوها وهم يلطموها
- هرب إلى قاله
- هل أكسب مالا
- هل أموت غريباً

وهذا كقول امرىء القيس:

فقلتُ لـه لا تبـكِ عينـاك إنمـا   نحـاولُ مُلْكـاً أو نمـوتَ فنُعْـذَرا[١]

حرف الواو

- واحد مرق وآخر يسعى فيه

وهذا كقول الشاعر:

ولجُنـدبٍ سهْـلُ البـلاد وعَـذْبُهـا   وليَ المـلاحُ وحَـزْنَهُنَّ الْمُجْـدِبُ[٢]

- واحد سوط وآخر ارتعش
- واحد مرمي واتبع البقى
- واحد أمير وآخر يقود الحمير

قال الشاعر:

وإذا تـكـونُ كـريهـةٌ أُدعى لـهـا   وإذا يُحاسُ الحيسُ يُدعى جندبُ[٣]

- واحد بمصران على دراع
- وآخر يقل ارم طريف للقط

---

(١) البيت من الطويل ـ امرؤ القيس ـ الشعر والشعراء ص ٤٦ .
(٢) البيت من الكامل.
(٣) البيت من الكامل.

قال الشاعر:

كـعـصـفـورةٍ فـي كـفِّ طـفـلٍ يـسـومُـهـا
تـذوقُ حـيـاضَ الـمـوت والـطـفـلُ يـلعـبُ[1]

- واحد يقود وآخر يضرب بالعود
- واحد يقول وآخر يزكي
- وصل الحمار للماء اشرب أو فلا شرب
- وصل الكذاب لباب دار واطـليق
- وفى الأحمق خير من عطاه
- وجد المقالا فقالا
- وجه الا يرى ألف مثقال يسوى
- وقع الحك وأصاب غطاه

قال الشاعر:

وشـبـهُ الـشـيء مُـنـجـذبٌ إلـيـه وأشبهُـنـا بـدُنيـانـا الـطَّغـامُ[2]

- وبر من است الخنزير خير ان كثير
- ولدي وعبدي على قرض سعدي
- ولدي بلا لقم بحال جنز بلا رشم

حرف لام الألف

- لا تقل واحد حتى تحصل في العدل

---

(١) البيت من الطويل.
(٢) البيت من الوافر ـ المتنبي ـ ديوانه ـ جـ٤ ص ٧١.

- لا تلطم من دنا أجل
- لا من الكلاب ولا من الصياد
- لا مع الطيور ولا مع الوحوش
- لا ستي شيء ولا سيدي شيء
- لا ديري ولا حب الملوك
- لا است ولا طوير
- لا تكذب إلا على ميت

وهذا كقول الشاعر:

نـقـدْتَ على الـمبـرِّد ألـفَ بيتٍ　　كـذاك الحيُّ يـغلبُ ألْـفَ مَيْـتِ[١]

- لا بشطاط عزيز ولا بقصر ابنته
- لا قربة ان تهدي ولا زبد ان يجتمع
- لا صبي إن يحفظ ولا أديب ان يعذر
- لا مع أم ولا في العرس
- لا حاجة إن قضينا ولا وجه ان بقينا

وهذا كقول الشاعر:

إذا الـجـودُ لـم يُـرزقْ خـلاصـاً مـن الأذى
فـلا الـحـمـدُ مـكـسـوبـاً ولا الـمـالُ بـاقـيـا[٢]

- لا تلهم الدب لرمي الحجار

---

(١) البيت من الوافر.
(٢) البيت من الطويل ـ المتنبي ـ ديوانه ـ جـ٤ ص ٢٨٣

- لا ترى القرد في طلوع إلا في هبوط
- لا تلم العصير حتى تقلع النويله
- لا راحة مع عقاب
- لا يجاع الذيب ولا يظلم الراعي

حرف الياء

- يبيع النهار ويشتري الليل
- يطلب بجاجن في اسفنج
- يطلب الاسفنج فأطراف الذرو
- يعمل من الجريح قريح
- يا علي بياع الدقيق يعقل
- يدخول بين الظفر واللحم
- يفرق مال على متعلمين
- يدخل الجنة برحمه رب
- يزين الحبس حتى يتمنى فيه رقدا

وهذا كقول حبيب:

وتَكَفَّلَ الأيتامَ عن آبائهم حتى وددْنا أنَّنا أيْتامُ[1]

- يتكي على رزق بالوظف
- يعيش فالخنزرا باطل

---

(١) البيت من الكامل ـ أبو تمام.

- يا زابرين العصير أي كنتم وقت الزبير

وهذا كقول الشاعر:

أفـي الـولائـم أولادٌ لـواحـدةٍ وفـي الكـريـهـةِ أولادٌ لـعَـلَّاتِ(١)

- يخدم جهنم ويموت بالبرد

وهذا كقول الشاعر:

جُـلُّ حـظِّي مـنهـا إذا هـيَ دارتْ أن أراهـا وأن أشَـمَّ الـنـسـيـمـا(٢)

- يخلي الصيد ويتبع الأثر
- يضرب في حديد ان بارد
- يطلب الغنيمة فالهزيمة
- يبني قاصر يهدم مدينة
- يضرب الطبل تحت الكسا
- يوقف زول إن ناقص للحيط
- يسرق مع السارق وينوح مع صاحب الدار
- يرقي يد لعين الشمس
- يغسل البول بالسلح
- يقسم السلح بعظم الجيفة
- يميّم سهل يكل رزق بالسكوت يقل لك اش هنا شي

(١) البيت من البسيط، وجاء بيت المبنى (وشبه الشيء) موضعه في [د].
(٢) البيت من الخفيف.

قال الشاعر:

لا لا أبوحُ بحب بَثْنَةَ إنها أخذتْ عليَّ مواثقاً وعُهودا [١]

● يجعل الله لكل شيء سبب

قال الشاعر:

نَذُمُّ من جهلنا الدنيا وتعجبُنا وكلُّ شيءٍ إلى شيءٍ له سببُ [٢]

● يغطي عين الشمس بسلم

قال زهير المهلبي:

وإني لأُخْفِي منك ما ليس خافيا
وأكتمُ وجداً مثلَه ليس يُكْتَمُ [٣]

● يربى الحمار من النعايم الكبار

وهذا كقول الشاعر:

تعدُّون عقْر النِّيبِ أفضلَ مجدكمْ
بني ضَوْطَرى لولا الكمّي المقنَّعا [٤]

● يد إن لا تقطع قبال

● يخرج من الورد شوكه ومن الشوكة وردة

---

(١) البيت من الكامل - وينسب لجميل، وينسب أيضاً لكثير عزة، ويقول الشيخ محيي الدين عبد الحميد: إن ذكر بثينة فيه سهو - قطر الندى - لابن هشام ص ٤١٢ - وهو من شواهد النحو.

(٢) البيت من البسيط.

(٣) البيت من الطويل - زهير المهلبي.
وأخلت [د، س] بقوله «ما ليس».

(٤) البيت من الطويل - وهو من شواهد النحو، وهو لجرير - شرح ابن عقيل - جـ٢ ص ٣٩٦.
وانتهى الباب من [س] بعد هذا البيت.

الحديقة السادسة

في الحكايات الغريبة والأخبار العجيبة
وفيها ثلاثة أبواب:

الباب الأول

في الحكايات المستطرفة والأخبار المستظرفة

كان الحجاج قد استعمل مالك بن أسماء بن خارجة، على الجزيرة، وكانت أخته هند تحت الحجاج، فبلغه عنه شيء، فعزله، وبعث إلى أهل الجزيرة، وأمرهم أن يقولوا: ظلمنا، وأخذ أموالنا، فقال بعضهم لبعض: حتى الأمير يغضب عليه اليوم، ويرضى غداً، لا تتعرضوا لذلك، ولما دخلوا على الحجاح، قدموا شيخاً لهم، فسأله الحجاج عن سيرته فيهم، فأثنى عليه الشيخ خيراً، فأمر به الحجاج فضرب مائة سوط، فقال الباقون: كذب الشيخ، بل كان يظلمنا ويأخذ أموالنا فقال مالك: أيها الأمير، مثلي ومثلك، قال: قل، فقال: زعموا أنه كان أسد وذئب وثعلب، اشتركت مرة فيما تصيد، فصادت حمار وحش، وظبياً، وأرنباً، فقال الأسد للذئب: اقسم بيننا واعدل، فقال الذئب: لك الحمار، ولي الظبي، وللثعلب الأرنب، فضربه الأسد، وقطع رأسه، ووضعه بين يديه، وقال للثعلب: اقسم بيننا واعدل، فقال: الحمار لك تتغدى به، والظبي تتعشى به، والأرنب تتفكه بها فيما بين الغداء والعشاء، قال الأسد: ما أعدلك في القسمة، من علمك هذا؟ قال: الرأس الذي بين يديك، فضحك الحجاج، ورده إلى موضعه.

وصعد[1] خالد بن عبد الله القسري منبر مكة يوم الجمعة، وهو أمير الوليد بن عبد الملك، فأثنى على الحجاج خيراً، فلما كان في الجمعة الثانية، وقد مات الوليد، ورد عليه كتاب سليمان، فأمر بشتم الحجاج، وذكر عيوبه، وإظهار البراءة منه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن إبليس كان يظهر من طاعة

(١) وردت في زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٣٩٧ ـ ١٩٨، وفي [س] وهو أمير المؤمنين بدلاً من وهو أمير الوليد. و [س] خطأ بالطبع.

الله عز وجل، ما كانت الملائكة ترى به فضلاً، وكان الله قد علم من غشه، ما كانت الملائكة قد خفي عنها، فلما أراد الله فضيحته ابتلاه السجود لآدم، فظهر لهم ما كان يخفيه عنهم، فلعنوه، وإن الحجاج كان يظهر من طاعة أمير المؤمنين ما كنا نرى له به فضلاً، وكان الله قد أطلع أمير المؤمنين على غله وغشه، على خلاف ما أخفي عنا، فلما أراد الله فضيحته، أجرى الله ذلك على يدي أمير المؤمنين، فالعنوه، لعنه الله، ثم نزل.

ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر، بنهر أم عبد الله الذي يشق البصرة، فقال عبد الله: ما أصلح هذا النهر لأهل البصرة[1]، فقال غيلان: أجل، يا أمير المؤمنين[2]، يتعلم العوم فيه صبيانهم، ويكون لسقيهم[3]، ويأتيهم بميرهم، ثم عاد غيلان، فساير زياداً عليه، فقال زياد: ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر، فقال غيلان: أجل يا أمير المؤمنين، تتهدم به دورهم، وتغرق به صبيانهم، وتكثر لأجله بعوضهم.

ويحكى أن حاتماً نزل به أعرابي، فبات عنده جائعاً، فلما كان في السحر ركب وانصرف، فتقدمه حاتم، فلما خرج من بيت البيوت لقيه حاتم متنكراً، فقال له: أين كان بيتك البارحة؟ فقال: عند حاتم، فقال: فكيف كان؟ فقال: خير مبيت، نحر لي ناقة، فأطعمني اللحم، وسقاني الخمر، وعلف راحلتي، وسرت من عنده بخير حال، فقال له: أنا حاتم، والله، لا تبرح حتى ترى ما وصفت، فرده، وقال له: ما حملك على الكذب؟ فقال له الأعرابي: إن الناس كلهم يثنون عليك بالجود، فلو قلت شراً، لكذبوني، فرجعت مضطراً إلى قولهم؛ إبقاءً على نفسي، لا عليك.

وأمر الوليد بن يزيد بحمل ابن شراعة من الكوفة، فلما قدم عليه قال: يا ابن شراعة، والله، ما أرسلت من الكوفة إليك؛ لأسألك عن كتاب الله، وسنة نبيه، قال: يا أمير المؤمنين، لو سألتني عنهما لوجدتني حماراً، قال: أرسلت إليك؛

(١) في [د] لأهل هذا المصر.

(٢) تكررت «يا أمير المؤمنين» مرتين، والمخاطب ليس بأمير المؤمنين في كلتيهما.

(٣) في [س] ويكون لسقيهم، وسيل مياههم.

لأسألك عن الفتوة، قال: أنا دهقانها الحكيم، وطبيها العليم فسل عما بدا لك، قال: أخبرني عن الماء، قال: لا بد لي منه، والكلب والجمل[1] يشاركاني فيه، قال: فما تقول في اللبن؟ قال: ما رأيته إلا استحيت من أمي لطول ما أرضعتني إياه، قال: فالسويق؟ قال: شراب المحرور، والمسافر العجلان، قال: فنبيذ الزبيب؟ قال: مرعى، ولا كالسعدان، قال: فنبيذ التمر؟ قال: سريع الامتلاء، سريع الانفشاش، ضراط كله، قال: فما تقول في الخمر؟: قال: تلك صديقة روحي، جلت عن المثل، تلك التي تزيد الدم إشراقاً، قال: وأنت يا ابن شراعة صديقي، إجلس، أي الطعام أحب إليك؟ قال: يا أمير المؤمنين، ليس لصاحب الشراب على الطعام حكم، غير أن أنفعه أدسمه.

وكان أعرابي قد تعشق جارية، فقيل له: ما كنت صانعاً، لو ظفرت بها، ولا يرا كما غير الله؟ قال: إذن، والله، لا أجعله أهون الناظرين، لكني كنت أفعل بها ما كنت أفعله بحضرة أهلها، شكوى، وحديث عذب، وإعراض عما يسخط الرب، ويقطع وصل المحبوب، إذا سمح لمثال هذا، فعصيان النصيح واجب[2].

وحكي عن بشار الطفيلي أنه قال: رحلت إلى البصرة، فلما دخلتها، قيل لي: إن هنا عريفاً للطفيليين، يبرهم ويكسوهم، ويرشدهم إلى الأعمال، ويقاسمهم، فسرت إليه فبرني وكّساني، وأقمت معه ثلاثة أيام، وله خلق يأتونه بما يأخذون، فيأخذ النصف ويعطيهم النصف، فوجهني معهم في اليوم الرابع، فحصلت في وليمة، فأكلت وأخذت شيئاً كثيراً، فجئته به، فأخذ النصف وأعطاني النصف، فبعت ما وقع لي بدراهم، فلم أزل على هذا أياماً، ثم دخلت يوماً على عرس جليل، فأكلت، وخرجت بشيء كثير، فجئته به وأعطاني النصف، فلقيني إنسان، فاشتراه مني بدينار، فأخذته وكتمت أمره، وأخذ جماعة الطفيليين وقال: إن هذا الطفيلي البغدادي خان، وظن أني لا أعلم ما فعل، فاصفعوه وعرفوه ما كتمنا، فأجلسوني شئت أم أبيت، فما زالوا يصفعوني واحداً بعد واحد، يصفعني الأول

(١) في [د] والكلب والحمار يشاركاني فيه.

(٢) في [س] كان أعرابي قد طال تعشقه لجارية ـ ويقطع الحب، فإن تلق وصل المحبوب، إذا سمح مثل هذا، فعصيان النصيح واجب.

منهم ويشتم يدي ويقول: أكلت مصيرة، ويصفعني الآخر ويشم يدي ويقول: أكلت بقيلة، حتى ذكروا كل شيء أكلته، ما غلطوا بزيادة ولا بنقصان، ثم صفعني شيخ منهم صفعة عظيمة وقال: بعت ما أخذت بدينار، وصفعني آخر وقال: هات الدينار، فدفعته إليه، وجردوني الثياب التي أعطانيها، وقال: أخرج يا خائن في غير حفظ الله، فخرجت إلى بغداد، وحلفت ألا أقيم ببلد، طفيليوها يعلمون الغيب.

وكان إبراهيم بن المدبر عاملاً على البصرة، وكان له ندماء، لا يأنس بغيرهم، وكل واحد منهم منفرد بنوع من العلم، وكان طفيلي يعرف بابن الدراج، من أكمل الناس أدباً وأخفهم روحاً(١)، فاحتال ودخل في جملة الندماء، ودخل إبراهيم فرآه، فقال لحاجبه: قل لذلك الرجل: ألك حاجة؟ فسقط في يد الحاجب، وعلم أن الحيلة تمت عليه، وأنه لا يرضى ابن المدبر من عقوبته إلا بقتله، فمر يجرر رجليه، فقال له: يقول لك الأستاذ: ألك حاجة؟ فقال: قل له: لا، فأدخله عليهم، فقال له: أنت طفيلي؟ فقال: نعم، أصلحك الله، فقال: إن الطفيلي يحتمل في دخوله بخصال، منها أن يكون لاعباً بالشطرنج، أو بالنرد، أو ضارباً بالعود، أو بالطنبور، فقال: أيدك الله، أنا لما ذكرته في الطبقة العليا، فقال لبعض الندماء: لاعبه بالشطرنج، قال: أعزك الله فإن غلبت؟ قال: أخرجناك، قال: وإن غلبت؟ قال: أعطيناك ألف درهم قال: أحضرها؛ فإن في حضورها قوة للنفس، فلعبا، فغلب الطفيلي، ومد يده لأخذ الدراهم، فقال الحاجب: أعزك الله، ذكر أنه في الطبقة العليا، وإن غلامك فلاناً يغلبه، فحضر الغلام فغلبه، فقيل له: انصرف، فقال: أحضروا النرد، فلوعب به فغلب الطفيلي، فقال الحاجب: لكن فلاناً بوابنا يغلبه، فأحضر البواب فغلبه فقيل له: أخرج. فقال: علي بالعود، فأعطى عوداً، فضرب فأصاب، وغنى فأطرب، فقال الحاجب: يا سيدي، إن في جوارنا شيخاً يعلم القيان، هو أحسن منه، فأحضر، فكان أطيب منه، فقيل له: أخرج، فقال: فالطنبور، فأحضر، فضرب ضرباً لم ير أحسن منه، فقال الحاجب: إن فلاناً أطيب منه، فأحضر، فكان أحذق منه، فقال ابن المدبر: قد تقصينا لك بكل جهد، فأبت حرفتك إلا طرحك، قال: يا سيدي، بقيت معي فائدة حسنة،

(١) وأخفهم روحاً، زيادة من [ح].

قال: وما هي؟ قال: تأمر أن تحضر قوس بندق، مع خمسين بندقة من رصاص، ويقام هذا الحاجب، فأرميه في دبره، فإن أخطأته بواحدة، فاضرب عنقي، فضج الحاجب، ووجد ابن المدبر شفاء نفسه في عقوبته، فأمر بخشبتين، وشد الحاجب فوقهما، وأعطى الطفيلي القوس، فرماه بخمسين بندقة، فما أخطأ دبره بواحدة، وخلا الحاجب يتأوه لما به، فقال له الطفيلي: يا قرنان هل على باب الأستاذ من يحسن شيئاً من هذا؟ فقال له الحاجب: أما ما دام الغرض استي، فلا، وذهب الضحك بابن المدبر وأصحابه[1] كل مذهب، ثم أعطاه ألف درهم، وانصرف.

وصاحب طفيلي رجلاً في السفر، فلما نزلوا ببعض المنازل، قال له الرجل: خذ درهماً، وامض اشتر لنا لحماً، فقال الطفيلي: إني تعب، والله، ما أقدر، فمضى الرجل واشتراه، ثم قال للطفيلي: قم فاطبخه، قال: لا أحسن، فطبخ الرجل ثم قال له: قم فأثرد، فقال: أنا والله كسلان، فثرد الرجل، ثم قال له: قم الآن، فاغرفه، قال: أخشى أن ينقلب على ثيابي، فغرف الرجل حتى ارتوى الثريد، ثم قال له: قم الآن فكل، فقال: نعم، إلى متى هذا الخلاف، قد، والله، استحييت من كثرة خلافي عليك، وتقدم فأكل.

ووجه[2] المأمون في جماعة من زنادقة البصرة، فجمعوا، فرآهم طفيلي، فمضى معهم، فأدخلوا في سفينة، فمضى معهم، وجيء بالقيود فقيد معهم، فقال: هذا آخر تطفيلي وأقبل عليهم فقال: فديتكم، أي شيء أنتم؟ قالوا له: بل من أنت، وهل أنت من أصحابنا؟ قال: والله، ما أعرفكم، غير أني طفيلي، خرجت من منزلي، فرأيت منظراً جميلاً، ونعمة ظاهرة، فقلت: شيوخ وكهول وشبان، ما اجتمع هؤلاء إلا لصنيع، فدخلت وسطكم، كأني أحدكم إلى هذا الزورق، فرأيته قد فرش ومهد، ورأيت سفراً مملوءة، فقلت: نزهة إلى بعض البساتين، إن هذا اليوم يوم مبارك، فزدت ابتهاجاً، إلى أن جاء هذا الموكل بكم، فقيدكم فطار عقلي، فما الخبر؟ فضحكوا وفرحوا به، وقالوا له: قد حصلت في الإحصاء، ونحن مانية على مذهب ماني القائل بالنور والظلمة، نسير إلى المأمون، فيسألنا عن

(١) وأصحابه زيادة من [س].

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١، باختصار.

مذهبنا، ويدعونا إلى التوبة، ويظهر لنا صورة ماني، ويأمرنا أن نبصق عليها، ونتبرأ منها، فمن أجابه نجا، ومن لم يجبه قتل، فإذا دعيت فأخبره باعتقادك، وللطفيلي مداخلات وأخبار، فاقطع سفرنا بها، فكان كذلك، فلما دخلوا على المأمون دعاهم بأسمائهم وامتحنهم، فأمر عليهم بالسيف، وبقي الطفيلي، وقد استوعب العدة، فسأل الموكلين بهم، فقالوا: وجدناه معهم، فجئنا به، فقال له: ما خبرك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، امرأته طالق، إن كنت أعرف من أقوالهم شيئاً، وإنما أنا رجل طفيلي، ثم قص قصته معهم، فضحك المأمون كثيراً، ثم أظهر له الصورة فلعنها، وتبرأ منها، وقال: أعطوها لي؛ حتى أسلح عليها، والله، ما أدري ما ماني، أيهودي هو أم مسلم؟ فقال المأمون: يؤدب على فرط تطفيله، ومخاطرته بنفسه، فقال: يا أمير المؤمنين، بحياتك، إن كنت ولا بد عازماً، فاجعل السياط كلها على بطني، فهي التي حملتني على هذا الغرر[1]، فعاد إلى الضحك، وكان إبراهيم بن المدبر واقفاً على رأسه، فاستوهبه منه بحديث في تطفيله، يذكر في باب الحكايات ذوات الأشعار.

وحكى[2] المبرد قال: كان بالبصرة طفيلي مشهور، وكان ذا أدب، فمر على قوم عندهم وليمة، فاقتحم عليهم وأخذ مجلسه مع من دعي، فأنكره صاحب المنزل، فقالوا له: لو صبرت يا هذا حتى يؤذن لك، لكان أحسن لأدبك، وأجمل لمروءتك، فقال: إنما اتخذت البيوت ليدخل فيها، ووضعت الموائد ليؤكل عليها،

---

(١) الحكاية هذه في الحدائق تضم حكايتين من العقد الفريد ـ و الجامع بينهما هو الزندقة والتطفل، أنظر: جـ٣ ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٢) وردت في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢٣٩، وروايتهما هو احمد بن علي الحاسب، لا المبرد، وذكر اسم الشارع (سكة النخع) بالبصرة، وأنشد الطفيلي ـ كما في العقد ـ هذه الأبيات، والثالث منها مخَل الوزن، عدلناه ليستقيم، وهذه هي الأبيات:

كلَّ يومٍ أدورُ في عَرْصَةِ الدار، أشَمُّ القُتارَ شَمَّ الذبابِ
فإذا ما رأيتُ آثارَ عرسٍ أو دُخَانٍ أو دعوةَ الأصحاب
لم أعرِّجْ دون التقحُّم، لا أرهبُ طعْنا أو لَكْزَةَ البَوّاب
مُستهيناً بمن دخلتُ عليهم غيرَ مستأذنٍ ولا هيّاب
فتراني ألفُّ بالرغم منهم كلَّ ما قدَّموه، لَفَّ العُقاب.

والحشمة قطيعة، واطراحها صلة، وقد جاء في بعض الآثار: صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك.

وكان ملك من ملوك فارس، له وزير مجرب حازم، فكان يتعرف اليمن في مشورته، فهلك الملك، وأقام ابنه بعده، فلم يرفع له رأساً، فذكر له مكانته من أبيه، فقال: كان أبي يغلط فيه، وسأريكم ذلك، فأحضره، وقال له: أيهما أغلب، الأدب أو الطبيعة؟ فقال: الطبيعة؛ لأنها أصل، والأدب فرع، وكل فرع يرجع إلى أصله، فدعا الملك بسفرة، فوضعت، وأقبلت سنافير معلمة، بأيديها الشمع، فوقفت حول السفرة، فقال له: اعتبر خطأك، وضعف مذهبك، متى كان أبو هذه السنانير شماعاً؟ فقال له: أمهلني في الجواب إلى الليلة المقبلة، قال: ذلك لك، وخرج الوزير، وأمر غلامه أن يسوق له فأرة، فساقها له حية، فربطت بخيط، فلما راح إلى الملك وضعها في كمه ودخل، فأحضرت السفرة والسنانير بالشمع، فألقى لها الوزير الفأرة، فاستقبلت إليها، فتطايرت الشمع، حتى كاد البيت يضطرم عليهم ناراً، فقال للملك: كيف رأيت، غلبت الطبيعة الأدب؟ قال: صدقت، ورجع إلى ما كان عليه أبوه.

وخرج فتيان في صيد لهم، فأثاروا ضبعاً فنفرت ومرت، واتبعوها فلجأت إلى خباء لهم، فخرج لهم بالسيف منصلتا، فقالوا له: يا أبا عبد الله، لم تمنعنا من صيدنا؟ فقال: إنها استجارت بي، فخلوا بيني وبينها، فخلوا بينه وبينها، فنظر إليها مهزولة مضرورة، فجعل يسقيها اللبن صباحاً ومساءً، حتى سمنت وحسن حالها، فبينا هو ذات يوم متجرد، إذ عدت عليه فشقت بطنه وشربت دمه.

وحكى الفنجديهي بسنده إلى أبي محمد الحسن بن إسماعيل قال: كنت قاعداً أنسخ وبين يدي قدح فيه ماء، وطبق فيه كعك وزبيب ولوز، فجاءت فأرة، فأخذت لوزة ومضت، ثم عادت فأخذت أخرى، ففرغت الماء الذي في القدح، فعادت الفأرة فكببت القدح عليها، واشتغلت بشغلي ساعة، فإذا فأرة أخرى قد جاءت فدارت حول القدح، فشقشقت وبقيت ساعة على ذلك، والفأرة الأخرى تشقشق من داخل القدح، فلم تجد حيلة في خلاصها فمضت وأتت بدينار فوضعته ووقفت، ولم أرفع القدح عن الفأرة فمضت وأتت بدينار آخر ووقفت، فلم أرفع

القدح ففعلت ذلك إلى أن أتت بسبعة دنانير، ووقفت ساعة فلم أرفع القدح عن الفأرة فمضت، وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنها لم يبق عندها شيء، فخليت عن الفأرة.

ودخل أبو يوسف القاضي على الرشيد ومعه الكسائي، وهما في مذاكرة وممازحة، فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الكوفي قد غلب عليك، فقال: يا أبا يوسف، إنه ليأتيني بأشياء، يشتمل عليها قلبي، ويأخذ بمجامعه، فقال الكسائي: يا أبا يوسف هل لك في مسألة؟ فقال: في نحو أوفقه؟ فقال: بل في فقه، فضحك الرشيد، وقال: تلقي على أبي يوسف الفقه؟ قال: نعم، قال: يا أبا يوسف، ما تقول في رجل قال لزوجه: أنت طالق إن دخلت الدار؟ قال: إذا دخلت طلقت، قال: أخطأت يا أبا يوسف، فضحك الرشيد، ثم قال: كيف الصواب؟ فقال: إذا قال: أن وجب الفعل ووقع الطلاق، دخلت الدار بعد أو لم تدخل، وإن قال: إن بالكسر لم يجب ولم يقع الطلاق، حتى تدخل الدار.

وكان لرجل عند الحجاج حاجة، فوصف له بالجهل والحمق، فأراد أن يختبره، فقال له: أعصامي أنت أم عظامي؟ فقال له الرجل: عصامي عظامي، فظن الحجاج أنه يريد: أفتخر بنفسي بفضلي، وبآبائي لشرفهم، فقال: هذا من أفضل الناس وقضى حاجته، ثم جربه بعد ذلك، فوجده أجهل الناس وأحمقهم فقال له: اصدقني، وإلا قتلتك، كيف أجبتني لما سألتك بعصامي وعظامي؟ فقال له الرجل: لم أعلم معناهما، فخشيت أن أقول أحدهما، فأخطىء، فقلت في نفسي: أقول بهما معاً، فإن ضرني أحدهما، نفعني الآخر، فقال الحجاج: المنابر تصير الغبي خطيباً، فذهبت مثلاً. والعصامي هو الذي يسود بنفسه، والعظامي هو الذي يفتخر بآبائه الذين صاروا عظاماً.

ويحكى أن حامد بن العباس سأل علي بن عيسى في ديوان الوزارة عن دواء الثمل، فأعرض عن كلامه، فقال: ما لنا وهذه المسألة، فخجل حامد منه، ثم التفت إلى القاضي أبي عمرو، فسأله عن ذلك، فتنحنح القاضي لإصلاح صوت، ثم قال: قال سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ

فَٱنتَهُوا۟ ﴾(١)، وقال الرسول عليه السلام: «استعينوا في الصناعات بأهلها» والأعشى هو المشهور بالخمر في الجاهلية، وقد قال:

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ   وأُخرى تداويتُ منْها بها(٢)

ثم تلاه أبو نواس في الإسلام فقال:

دعْ عنك لومي؛ فإنَّ اللوْمَ إغراءُ
          وداوِني بالتي كانت هيَ الداءُ(٣)

فاسفر(٤) وجه حامد، وقال لعلي بن عيسى: ما ضرك يا بارد، أن تجيب ببعض ما أجاب به قاضي القضاة، وقد استظهر في المسألة بقول الله أولاً، ثم بقول الرسول ﷺ ثانياً، وبين الفتيا وأدى المعنى، فكان خجل علي بن عيسى من حامد بهذا الكلام أكثر من خجل حامد منه، لما ابتدأه بالمسألة.

ويحكى(٥) عن أمية بن أبي الصلت، أنه كان يشرب مع إخوان له في قصر غيلان بالطائف، إذ سقط غراب على شرفات القصر، فصاح صيحة، فقال له أمية: بغيك التراب، فقال له أصحابه: ما يقول؟ قال: يقول: إذا شربت الكأس التي بيدك مت، ثم صاح صيحة، فقال أمية مثل ذلك، فقالوا له: ما يقول؟ قال: زعم أن علامة ذلك أن يقع غراب على تلك المزبلة أسفل القصر، فيأخذ عظماً، فيجش به فيموت، فبينما هم يتكلمون إذ وقع الغراب على المزبلة ليلتقط، فأخذ عظماً، فأراد أن يبتلعه، فجشي به فمات، فانتكس أمية، ووضع الكأس من يده وتغير لونه، فجعلوا يغيرون عليه ويقولون: ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا، وكان باطلاً، فألحوا عليه حتى يشرب الكأس، فمال فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: لا بريء فأعتذر، ولا قوي فأنتصر، ثم فاضت نفسه.

---

(١) سورة الحشر ـ الآية ٧.

(٢) البيت من المتقارب ـ وهو للأعشى ـ الشعر والشعراء ص ١٢

(٣) البيت من البسيط ـ لأبي نواس ـ المصدر السابق، ويرد البيتان متعاقبين في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ١٠٦

(٤) فأسفر حينئذٍ وجه وحامد [د].

(٥) وردت في العقد الفريد ـ جـ

وحكى الأصمعي قال: وجه عبد الملك بن مروان الشعبي إلى بعض ملوك الروم في بعض الأمر، فاستكبر الشعبي، فقال له: من بيت عبد الملك أنت؟ قال: لا، فلما أراد الرجوع إلى عبد الملك حمله رقعة لطيفة، وقال له: إذا بلغت صاحبك جميع ما يحتاج إلى معرفته من ناحيتنا، فادفع له هذه الرقعة، فلما رجع إلى عبد الملك ذكر له ما احتاج إلى ذكره ونهض، فلما خرج ذكر الرقعة، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه حملني إليك رقعة أنسيتها فدفعها إليه ونهض، فقرأها عبد الملك وأمر برده، فقال له: أعلمت ما في الرقعة؟ قال: لا، قال: قد عجبت من العرب كيف لم تملك مثل هذا؟، أفتدري لم كتب إلي بمثل هذا؟ قال: لا، قال: حسدني فيك فأراد أن يغريني بقتلك، فقال: لو رآك يا أمير المؤمنين ما استكبرني، فبلغ ذلك ملك الروم وما قال عبد الملك، فقال: لله أبوه، والله، ما أردت إلا ذلك.

وقال الأصمعي: أتي عبد الملك بن مروان برجل، كان مع بعض من خرج عليه فقال: اضربوا عنقه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هذا جزائي منك، قال: وما جزاؤك؟ قال: والله، ما خرجت مع فلان إلا بالتطير لك، وذلك أني رجل مشئوم، ما كنت مع رجل قط إلا غلب وهزم، وقد بان لك صحة ما ادعيت، وكنت عليك خيراً من مائة ألف معك فضحك، وخلى سبيله.

وقال(١) دعبل: كنا يوماً عند سهل بن هارون وأطلنا الحديث، حتى أضر بنا الجوع، فدعا بغدائه، فإذا بصحفة فيها مرق ولحم ديك قد هرم، حتى ما يقطع فيه سكين ولا تؤثر فيه ضرس، فأخذ قطعة من خبز، وحرك المرق بها، ففقد الرأس، فبقي مطرقاً ساعة، ثم رفع رأسه إلى الغلام فقال: أين الرأس؟ قال: رميت به، قال: ولم؟ قال: ظننتك أنك لا تأكله، قال: ولم ظننت ذلك؟ فوالله إني لأمقت من يرمي برجله فضلاً عن رأسه، والرأس رئيس الأعضاء، وفيه الحواس الخمس، ومنه يصيح الديك، وفيه عيناه، وبهما يضرب المثل فيقال: شراب مثل عين الديك، ودماغه عجيب لوجع الكلية، فإن كان قد بلغ من جهلك أني لا آكله، فإن عندنا من يأكله، انظر: أين هو؟ قال: والله، ما أدري أين رميت به؟ قال: أنا والله، أدري، رميت به في بطنك.

---

(١) وردت في وفيات الأعيان ـ جـ٢ ص ٢٦٩

وروي[١] أن رجلاً كان جاراً لأبي دلف ببغداد، فأدركته حاجة وركبه دين حتى احتاج إلى بيع داره، فساموه فيها، فسألهم ألف دينار، فقالوا: إن دارك تساوي خمسمائة دينار، فقال: أبيع داري بخمسمائة دينار، وجوار أبي دلف بخمسمائة دينار، فبلغ أبا دلف الخبر، فأمر بقضاء دينه ووصله، وقال: لا تنتقل من جوارنا.

وكان[٢] الأعمش كثير الضجر والتبرم، فكثر عليه الشعر، فقال له تلامذته: لو أخذت من شعرك، فقال: لا نجد حجاماً يسكت، قالوا: نأتيك به، ونأخذ عليه أن يسكت حتى يفرغ، قال: افعلوا، فأتي بحجام، ووصي ألا يكلمه، فبدأ بحلقه فلما أمعن سأله عن مسألة، فنفض ثيابه، وقام بنصف رأسه محلوقاً حتى دخل بيته، فأخرج الحجام وأتي بغيره، فقال: والله، لا أخرج حتى تحلفوه، فحلف ألا يسأله، وحينئذ خرج.

وقال[٣] سهل بن سعد الساعدي: دخلت على جميل بمصر أعوده في مرضه الذي مات منه، فقال: يا ابن سعد، ما تقول في رجل لم يزن قط، ولم يشرب خمراً قط، ولم يقتل نفساً قط، يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؟ فقلت: أظنه قد نجا، فمن هذا الرجل؟ قال: إني أرجو أن أكونه، فتضاحكت وقلت: أبعد عشرين سنة تأتي بثينة وتقول فيها الأشعار؟ والله، ما سلمت من قول الناس، قال: إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، فلا نالتني شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة إن كنت حدثت نفسي بحرام قط، فضلاً عما وراء ذلك.

ويروى أن امرأة معن بن زائدة عاتبت معناً في يزيد بن مزيد، وقالت له: إنه لتقدمه وتؤخر بنيك، ولو رفعتهم لارتفعوا، فقال لها معن: لم تبعد رحمة ولي حكم الوالد، إذ كنت عمه، وبعد، فإنهم أعلق بقلبي وأدنى من نفسي، بقدر ما توجبه الولادة، ولكني لا أجد عندهم ما أجده عنده، يا غلام: ادع جساساً وعبد الله وزائدة، فلم يلبث أن جاءوا في القلائد والغلائل المطيبة والنعال السندية، بعد هدأه

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ١ ص ٦٨
(٢) وردت في المصدر السابق.
(٣) وردت في وفيات الأعيان ـ جـ١ ص ٣٧٠.

من الليل فسلموا وجلسوا[١]، وقال: يا غلام ادع يـزيد، وقـد أسبل ستـراً بينه وبين المرأة، وإذا بيزيد قد دخل عجلاً، عليه السلاح كله، ووضع رمحه بباب المجلس، ثم دخل يتبختر، فلما رآه معن قال: ما هذه الهيئة يا أبا الزبير؟ قال: جاءني رسول الأمير، فسبق لنفسي أنه يريدني لوجه، وقلت: إن كـان ذلك مضيت، ولم أعـرج، وإن كـان خلافـه فنزع هـذه الآلة أيسـر الخطب، قـال له معن: وريت بـك زندي، انصرف في حفظ الله، فقالت امرأة معن: قد بان لي اختيارك.

ولما بعث عبد الملك الحجاج والياً على العراق، أتى الكوفة، وصعد المنبر، وهو متلثم متنكب قوسـه، فقال: يـا غلام، اقـرأ عليهم كتاب أميـر المؤمنين، فقرأ: بسم الله الـرحمن الـرحيم، من عبـد الملك أميـر المؤمنين إلى من بـالكـوفـة من المسلمين، سلام عليكم، فلم يقل أحـد شيئاً، فقـال الحجاج: اسكت، يـا غلام، هذا أدب ابن بهية[٢]، والله لأؤدبنكم غيـر هذا الأدب، أو لتستقيمن، اقـرأ يا غـلام كتاب أمير المؤمنين، فلمـا بلغ إلى قولـه: سلام عليكم، لم يبق أحـد في المجلس إلا قال: وعلى أمير المؤمنين السلام، ثم نزل.

وقـال الشيباني: كـان رجل من أهـل الكـوفـة قـد بلغـه عن رجـل من عمـال السلطان أنه يعرض صنيعة له بواسط للبيع، في مغرم لزمه للخليفة، فحمل وكيلاً له على بغل، وأعطاه خرجاً بدنانير، وقال له: اذهب إلى واسط؛ فاشتـر هذه الصنيعـة المعـروضة، فلمـا خرج عن البيـوت لحق به أعـرابي، على حمار لـه، معـه قـوس وكنانة، فقال له: إلى أين تتـوجه؟ قـال: إلى واسط، قال: فهـل لك في الصحبـة؟ قـال: نعم، فسارا حتى رأوا ظبـاء عنت لهمـا، فقـال الأعـرابي: أي الـظبـاء أحب إليك، المتقدم منها أم المتأخر فأذكيه لك؟ قال: المتقدم، فـرماه بـالسهم فاقتصـه، فاشتويا وأكلا، واغتبط الـرجل بصحبتـه، ثم عرض لهمـا سرب قـطاة، فقال: أيهـا تريد؟ فأشار إلى واحـدة منها، فـرماهـا فلم يخطئها ثم اشتويـا وأكلا، فلمـا انقضى أكلهمـا، فجعل[٣] الأعـرابي سهماً على القـوس، ثم قال: أين تـريـد أن أصيبـك؟

(١) فسلموا «وجلسوا». الكلمة الثانية من [س].
(٢) ابن بهية من [د]، وهي في الآخريين: ابن بهيمة.
(٣) فوّق الأعرابي سهماً. [د]، [س].

قال: اتق الله، واحفظ ذمام الصحبة، قال: لا بد من ذلك، قال: اتق الله واستبقني، ودونك البغل والخرج فإنه مترع مالاً، قال: فاخلع ثيابك، فانسلخ من ثيابه ثوباً ثوباً، حتى بقي مجرداً فقال له: اخلع خفيك، قال له: اتق الله، ودع لي الخفين؛ فإن الرمضاء تحرق قدمي، قال: لا بد من ذلك، قال: فدونك الخف فاخلعه، فوضع القوس وتناول الخف، وذكر الرجل خنجراً كان معه في الخف الآخر، فاستخرجه، فضرب به صدره، فشقه إلى عانته وقال: الاستقصاء فرقة، فذهبت مثلاً.

ودخل[1] أبو دلامة على المهدي، فأنشده أبياتاً أعجب بها، فقال له: سلني أبا دلامة، واحتكم ما شئت، قال: كلب، يا أمير المؤمنين أصطاد به، قال: قد أمرنا لك بكلب، وها هنا بلغت همتك، وإلى ها هنا انتهت أمنيتك؟ قال: لا تعجل علي يا أمير المؤمنين، فإنه بقي علي، قال: وما بقي عليك؟ قال: فرس أركبه، قال: قد أمرنا لك بفرس تركبه، قال: وغلام يقود الكلب، قال: وغلام يقود الكلب، قال: وخادم يطبخ لنا الصيد، قال: وخادم يطبخ لك الصيد، قال: ودار نسكنها، قال: ودار تسكنها قال: وجارية آوي إليها، قال: وجارية تأوي إليها، قال: بقي الآن المعاش، قال: قد أقطعناك ألف جريب عامرة، وألف جريب غامرة، قال: وما الغامرة يا أمير المؤمنين: قال: التي لا تعمر، قال: أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد، قال: قد جعلناها لك عامرة كلها، قال: فيأذن لي أمير المؤمنين في تقبيل يده؟ قال: أما هذه فدعها، قال: ما نفعتني شيئاً أيسر على أم عيالي من هذا.

وحكي[2] أن سائلاً أتى عبد الله بن عباس، وهو لا يعرفه، فقال له: تصدق فإني نبئت أن عبد الله بن عباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه، فقال له: وأين أنا من عبد الله؟ قال له: أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال؟ قال: فيهما جميعاً، قال: أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله، وإذا شئت فعلت، وإذا فعلت

---

(١) وردت في الشعر والشعراء - ص ٤٨٧ - وفي وفيات الأعيان - جـ٢ ص ٣٢١ - وفي الأغاني - جـ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢) وردت في العقد الفريد - جـ١ ص ٧٩.

كنت حسيباً، فأعطاه ألفي درهم واعتذر له من ضيق نفقته، فقال له السائل: إن لم تكن عبد الله فأنت خير منه، وإن تكن إياه فأنت اليوم خير منك أمس، فأعطاه ألفاً آخر، فقال السائل هذه هزة حسب كريم.

وبعث ملك الهند إلى هارون الرشيد بسيوف قلعية وكلاب وثياب من ثياب الهند، فلما أتاه الرسل بالمدينة، أمر الأتراك فصفوا صفين، ولبسوا الحديد حتى لا يرى منهم إلا الحدق، وأذن للرسل فدخلوا عليه، فقال لهم: ما جئتم به؟ فقالوا له: هذه أشرف كسوة بلادنا، فأمر الرشيد أن يقطع منها أجلالاً[١] لخيله فصلب الرسل على وجوههم ونكسوا رءوسهم، ثم قال لهم: ما عندكم غير هذا؟ قالوا: هذه سيوف قلعية لا نظير لها، فدعا الرشيد أن يؤتى بالصمصامة سيف عمرو بن معدي كرب، فقطعت به السيوف بين يديه سيفاً سيفاً كما يقطع الفجل، ثم عرضت عليهم الصمصامة، فإذا هي لا فل فيها، فنكس القوم رءوسهم، ثم قال: ما عندكم؟ قالوا: هذه كلاب، لا يبقى لها سبع إلا عقرته، قال لهم الرشيد: إن عندي سبعاً، فإن عقرته، فهي كما ذكرتم، ثم أمر بالأسد فأخرج، فلما نظروا إليه هالهم، وقالوا: ليس عندنا مثل هذا السبع، قال: هذه سباع بلادنا، قالوا: فنرسلها عليه، وكانت الأكلب ثلاثة، فأرسلت عليه فمزقته، فأعجب الرشيد بها، وقال لهم: تمنوا في هذه الكلاب ما شئتم، قالوا: ما نتمنى إلا السيف الذي قطعت به سيوفنا، قال لهم: هذا ما لا يجوز في ديننا أن نهاديكم بالسلاح، ولولا ذلك ما بخلنا به عليكم، ثم أمر لهم بتحف كثيرة، وأحسن جائزتهم.

وقيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؛ قال: من قيس بن عاصم المنقري، رأيته قاعداً بفناء داره، محتبياً بحمائل سيفه يحدث قومه، حتى أتي برجل مكتوف ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابن أخيك قتل ابنك، قال: فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه[٢]، ثم التفت إلى ابن أخيه، فقال: يا ابن أخي، أثمت بربك، ورميت بسهمك، وقتلت ابن عمك، ثم قال لابن له آخر: قم يا بني، فوار أخاك، وحل كتاف ابن عمك، وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها؛ فإنها فينا غريبة.

---

(١) أجلالاً وبرافع لخيله [س].

(٢) أخلت [د،س] بقوله: فوالله ما حل إلى قوله: ابن أخيه.

وقال الشيباني[١]: خرج أمير المؤمنين أبو العباس متنزهاً، فأمعن في نزهته، وانتبذ من أصحابه، فوافى خباء لأعرابي، فقال له الأعرابي: ممن الرجل؟ قال: من كنانة، قال: من أي كنانة؟ قال: من أبغض كنانة إلى كنانة، قال: فأنت إذن من قريش، قال: نعم، قال: فمن أي قريش؟ قال: من أبغض قريش إلى قريش؟ قال: فأنت إذن من ولد عبد المطلب، قال: نعم، قال[٢]: فمن أي ولد عبد المطلب؟ قال: من أبغض ولد عبد المطلب إلى عبد المطلب، قال: فأنت إذن أمير المؤمنين، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فاستحسن ما رأى منه، وأمر له بجائزة عظيمة.

وكان ابن الرومي الشاعر كثير التطير، فقرع البحتري يوماً عليه الباب، فقال: من هذا؟ فقال البحتري: سخط الحي القيوم، والمهل والغسلين والزقوم، يأخذ جميع الردم، وكل بلاء كان أو يكون إلى يوم الدين، فأغلق ابن الرومي بابه ولزم داره، فسأل عنه الموفق، فقيل له: في سجن البحتري وحده القصة.

وقيل لأبي أيوب صاحب المنصور: إنا نراك إذا دعاك أمير المؤمنين يتغير وجهك، ويضطرب حالك، فقال: مثلي معكم كباز قال لديك: ما رأيت أشر منك، تكون عند قوم من صغرك إلى كبرك، يطعمونك ويسقونك. فإذا أرادوا في وقت من الأوقات ينتقلون من دار إلى دار، وطلبوا أن ينقلوك معهم لم تمكنهم من نفسك إلا بعد جهد شديد، وأنا يرسلونني في الصحارى التي فيها ربيت والمواضع التي فيها نشأت، فأرجع إليهم، وأصيد طعمهم ولا أحتاج إليهم، قال له الديك: أنت لم تَرَ قط بازاً في سفود، وأنا قد رأيت عشرين ديكاً في سفود مراراً كثيرة.

وحكى بعضهم قال: كانت أعرابية تحاجي الرجال، فلا يكاد أحد يغلبها، فأتاها جني في صورة إنسان، فقال لها: أحاجيك؟ قالت: قل، قال: كاد العروس أن يكون أميراً، قال: كاد، قالت: كاد المنتعل يكون راكباً، قال: كاد، قالت: كاد النعام يكون طائراً، قال: كاد، قالت[٣]: كاد الفقر يكون كفراً، قال: كاد، قالت:

---

(١) وردت في العقد الفريد ـ جـ٢ ص ٨٥.

(٢) أخلت [د] بقوله: فمن أي ولد عبد المطلب. إلى قوله: إلى عبد المطلب.

(٣) قالت: كاد الفقر يكون كفراً. قال: كاد. زيادة من [د].

كاد المريب يقول خذوني، ثم أمسك، فقالت له: جاوبتك، فأين جوابي؟ فقال لها: قولي، فقالت: عجبت، قال: عجبت للسبخة كيف لا يجف ثراها، ولا ينبت مرعاها، فقالت: عجبت، قال: عجبت للحصى، كيف لا يكبر صغيره، ولا يهرم كبيره، فقالت: عجبت، قال: عجبت لحفرة بين فخذيك، كيف لا يدرك قعرها، ولا يمل حفرها، قال: فخجلت من جوابه، ولم تعد إلى ما كانت عليه.

ودخل سارق دار تاجر، وكان التاجر غائباً، واستخفى، ثم دخل آخر واستخفى، ولا يعلم الأول بالثاني، فلما جن الليل خرج السارق الأول، فذبح الخادم، ودخل على المرأة، وقال لها: هات ما عندك، فأحضرت له جميع مالها وحليها وحلفت له أن ذلك جميع ما على ملكها، فأراد ذبحها، فقالت: ولأي شيء تفعل هذا؟ وقد أعطيتك جميع ما عندي، فقال لها: لا يؤكل مال حي، وعزم على قتلها فبكت وخضعت، فأشفق عليها السارق الثاني، وخرج عليه بسرعة، فقتله، فدهشت منه، فقال لها: لا خوف عليك، والله، لا آخذ لك شيئاً، فناوليني فأساً أو مسحاة، فناولته، فحفر في الدار، ودفن السارق والخادم، وأراد الخروج، فرغبت إليه في معرفة موضعه، فعرفها فلما جاء زوجها عرفته بما كان في غيبته، فمضى إليه وقاسمه ماله، وكان صديقه إلى الموت.

وحكى[1] الحسن بن خضر عن أبيه قال: لما أفضت الخلافة إلى بني

---

(١) هذه الحكاية لها صدى في الأدب الإسباني، ملموح في قصة قصيرة للكاتب الإسباني العبقري «تيرفانتس»، وعنوانها «ربح الأصدقاء»، مع خلاف يسير فبطل الحكاية العربية رجل معروف من بني أمية، وبطل قصة تيرفانتس سيدة، ومسرح أحداثها «لشبونة»، وقد درس هذه الحكاية الإسبانية مقارناً بينها وبين حكاية عربية أستاذنا الدكتور الطاهر مكي في كتابه «في الأدب المقارن» ص ٣١٧ ـ ٣٢٦، وأورد الحكاية العربية كما أملاها عليه وعلى أقرانه في الكتاب «سيدنا»، وقرت في ذاكرة الأستاذ، منذ ذلك الحين، وجرت أحداثها إبان فتح الأندلس، والمستجير كان قاتل ولد من أجاره دون أن يعلم كلاهما، وحين علم صاحب الدار، خشي على نفسه نكث العهد والإجارة، فرغب أن يذهب عنه المستجير ويرحل، وأعطاه بعض الدراهم، ولعل الحكاية التي في الحدائق قريب من قريب، فطرد الأمويين وتعقبهم، صاحبه فرار عبد الرحمن الداخل، إلى الأندلس، وكأنه فتح الأندلس من جديد، وكان عمله فتحاً بمعنى الكلمة، أما القصة الإسبانية فقد ترجمها ـ بأستاذية ـ الدكتور مكي، وفيها حوار أطول من القصة العربية، والمجيرة سيدة قتل المستجير ابنها، وعاذ بها دون أن =

العباس، اختفى رجل من بني أمية يقال له: إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك حتى أخذ له أمان من بني العباس، فقال له أبو العباس يوماً: حدثني عما مر بك في اختفائك، فقال: كنت يا أمير المؤمنين مختفياً بالحيرة في منزل على الصحراء، فبينا أنا ذات يوم على باب بيتي، إذ نظرت إلى أعلام سود، قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة، فوقع في نفسي أنها تريدني، فخرجت متنكراً، حتى دخلت الكوفة، ولا أعرف بها أحداً، فبقيت متحيراً، فإذا أنا بباب ورحبة واسعة، فدخلت الرحبة فجلست فيها فإذا رجل وسيم الوجه، حسن الهيئة على فرس، فدخل ومعه جماعة من أصحابه وأتباعه، فقال: من أنت وما حاجتك؟ فقلت: رجل يخاف على دمه، واستجار بمنزلك، قال: فصيرني في حجرة تلي حرمه، فمكثت عنده حولاً كاملاً في كل ما أحببت من مطعوم ومشروب وملبوس، لا يسائلني عن شيء من مال ويركب في كل يوم، فقلت له يوماً: أراك تدمن الركوب، ففيم ذلك؟ فقال: إن إبراهيم بن سليمان قتل أبي صبراً، وقد بلغني عنه أنه مختف، فأنا أطلبه، فقلت: يا هذا، قد وجب حقك علي، ومن حقك أن أقرب عليك الخطوة، قال: وما ذلك؟ قال: أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك، فخذ بثارك، فأطرق ملياً، ثم قال: أما أنت فستلقى أبي، فيأخذ بحقه منك، وأما أنا فغير مخفر ذمتي، فاخرج عني؛ فلست آمن نفسي عليك، فأعطاني ألف دينار، فلم أقبلها منه، وخرجت عنه، فهذا أكرم رجل رأيت.

وقال أبو الربيع البغدادي: كان في جوار أبي عمر القاضي رجل ظهر في يده مال جليل بعد فقر طويل، قال: فسألته عن أمره، فقال: ورثت مالاً جليلاً، فأسرعت في إتلافه، حتى أفضيت إلى بيع أثاث داري، ولم يبق لي حيلة، وبقيت

= يعرف كلاهما أيضاً، وفي القصة نفس مسيحي تمثل في السيدة وحين عرف المستجير ما حدث منه بالنسبة لمجيرته إعتراه الفزع، وعلمت السيدة أن ذلك الرجل هو قاتل ابنها، فطلبت منه أن يغطي وجهه لئلا تراه، وطلبت من خادمها أن تعطيه مائة درهم من الذهب، وقالت له: إحتفظ برباطة جأشك وأنت خارج لأن الإفراط في القلق يدل عادةً على المجرم، فخرج الرجل حتى صادف سفينة مبحرة نحو جزائر الهند الشرقية فأسلم نفسه إليها مبحراً، والدكتور مني ترجم أن تيرفانتس سمع هذه القصة العربية إبان إقامته في الجزائر، أو من أفواه عامة الإسبان وكلامه دقيق.

لا قوت عندي إلا من غزل أم أولادي، فتمنيت الموت، فرأيت ليلة من الليالي كأن قائلاً يقول لي: غناؤك بمصر فاخرج إليه، فبكرت إلى أبي عمر القاضي وتوسلت إليه بالجواب في كتب إلى مصر ففعل وخرجت، فلما وصلت مصر، ودفعت الكتب وسألت التعريف، فسد الله علي الوجوه، ونفدت نفقتي، وبقيت متحيراً، وتفكرت في أن أسأل الناس بين العشاءين، فخرجت أمشي في الطريق، ونفسي تأبى المسألة، إلى أن مضى من الليل كثير، فلقيني الطائف، فقبض علي، ووجدني غريباً، فأنكر حالي وسألني فقلت: رجل ضعيف، فلم يصدقني، وضربني بمقارع فصحت وقلت: أنا أصدقك، فقال: هات، فقصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها وحديث المنام، فقال لي: أنت أحمق، والله، لقد رأيت منذ كذا وكذا سنة في النوم قائلاً لي: ببغداد في الشارع الفلاني، في المحلة الفلانية مال، فذكر شارعي ومحلتي، ثم قال: دار يقال لها دار فلان، فذكر داري واسمي، وفيها بستان فيه سدرة، تحتها مدفون ثلاثون ألف دينار، فامض فخذها، فما فكرت في هذا الحديث ولا التفت إليه، قال: فقوي قلبي بذلك الحديث، فأطلق عني، فخرجت من مصر إلى بغداد، وقلعت السدرة، فوجدت تحتها[1] ثلاثين ألف دينار، فأنا أعيش فيها.

وقال أبو المثنى: كنت أمشي يوماً بين يدي رجل على رأسه قفص زجاج وهو مضطرب المشي، فما زلت أرتقب وقوعه، فزلق وتكسر القفص، وتلف جميع ما فيه، فبهت الرجل وأخذ يبكي، ويقول: هذا والله، جميع بضاعتي، ووالله، لقد أصابتني بمكة مصيبة أخرى، وما دخل على قلبي مثل هذا، فاجتمع حوله جماعة يرثون لحاله، فقالوا: ما الذي أصابك بمكة؟ قال: دخلت قبة زمزم، وتجردت للاغتسال، وكان في يدي دملج وزنه ثمانون مثقالاً، فخلعته واغتسلت، فخرجت ونسيته، فقال رجل من الجماعة: هذا دملجك له معي منذ سنتين.

وحكى بعضهم أن شيخاً أتى سعيد بن مسلم، فكلمه في حاجة، فوضع زج عصاه على إصبع سعيد، حتى أدماه، فما تأوه سعيد لذلك ولا نهاه، فلما فارقه قيل

(١) تحتها قمقماً فيه ثلاثون ألف من [د].

لسعيد: لم صبرت على هذا ولم تعلمه؟ قـال: خفت أن يعلم جنايتـه، فينقطع عن طلبه الذي جاء فيه.

وقـال آخر: صـاح رجل بيحيى بن خـالد: يـا أبا علي، متـوسـل بـالله إليـك أقعدني في دهليزك، وأجـر علي كل يـوم ألف درهم، فقال: نعم، فـأقعده وأجـرى عليه النفقة كما ذكر ثـلاثين يومـاً، ثم انصرف، فقيـل ليحيى: إنه انصـرف، فقال: بمن توسل به، لو أقام حتى يموت لكان له كل يوم ألف درهم.

ودخـل عمـارة بن حمـزة على المنصـور، فجلس في مجلســه فقـال رجــل للمنصور: مظلوم، يا أمير المؤمنين، قال: من ظلمك؟ قال: عمارة ظلمني، وأخـذ صنيعتي، فقال المنصور: قم يا عمارة؛ فاقعد مع خصمك، فقال عمارة: ما هو لي بخصم، قال: وكيف ذلك؟ قال عمارة: إن كـانت الصنيعة لـه فلست أنازعـه فيها، وإن كانت لي فقد وهبتها له، ولا أقوم من موضع شرفني به أمير المؤمنين.

وحكى أبو سهل الداري عمن حدثه عن الواقدي أنه قال: كان لي صـديقان، أحدهما هاشمي، فكنا كنفس واحدة، فنالتني ضيقة شديـدة، وحضر العيـد، فقالت لي امرأتي: أما نحن في أنفسنا؛ فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبيـاننا فـلا صبر لهم، فقال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي بما حضر، فوجـه لي كيساً مختومـاً، وذكر أن فيـه ألف درهم، فما استقـر قراره، حتى كتب لي صـديقي الآخر يشكو إليّ حاله فوجهت إليه الكيس بما فيه وخرجت إلى المسجد، فأقمت به الليل مختفياً من امرأتي، فبينا أنا كذلـك إذ وافاني صـديقي الهاشمي ومعـه الكيس كهيئته، وقال: أخبرني عما فعلته فيما وجهت إليك به، فعرفته الخبـر، فقال: إنـك وجهت إلي، وما أملك إلا ما بعثت إليـك، ثم كتبت إلى صديقي أسـأله المـواساة، فوجه إلي الكيس بخاتمي، قال: فاقتسمنا ألف درهم فيما بيننا ثلاثاً، فـوصل الخبـر إلى المأمون فدعاني، فشرحت له مـا كان فـأمر لنـا بسبعة آلاف دينـار، ألفين لكل واحد، وللمرأة ألف.

وكان رجل له مال كثير، وكان لا يقدر أحد على أن يأتي عليه في أمـر؛ لشدة

حزمه، وكان يقول لمن جرى عليه أمر: ضيعت الحزم، فاتفق جماعة[١] على أن يفعلوا معه أمراً يقولون له بسببه: ضيعت الحزم، فأتوا داره ليلاً، وأخذوا خادمه وربطوها، وقالوا لها: إن لم تصيحي على سيدك، وتقولي له: أصابني وجع، وأنا أجد الموت فاخرج لي، وإلا قتلناك، ففعلت الخادم وجعلت تصيح به، فقالت له زوجته: اخرج إليها، وانظر ما دهاها، فقال: لا أفعل، فقالت: دعني أنا أخرج إليها، قال: لا يفتح بابي بالليل، قالت: فدعني أناولها معجوناً من تحت الباب، قال: افعلي، فأخرجت يدها من تحت الباب بالمعجون، فقبضوا على يدها، وأوثقوها بشريط، فاستغاثت بزوجها، فقال لها: ألم أقل لك: ضيعت الحزم، فقالوا له: إن لم تعطنا كذا وكذا، وإلا قطعنا يدها، فقال لهم: إن أعطيتكم ما طلبتم وزيادة، والله أنكم تطلقونها؟ قالوا: نعم، قال: فاذهبوا إلى الموضع الفلاني فاحفروا، فذهب بعضهم وحفر، فوجد إناء فيها ألف دينار كما طبعت، فأخذوها، وأطلقوا يد المرأة، واقتسموا الدنانير وانصرفوا، وكان هو قد صنع تلك الدنانير مدلسة، وأعدها لمثل ما جرى له، فلما أصبح الصباح انتظروه يعلم الناس بما جرى له، فيقولون له: ضيعت الحزم، فلم يعلم أحد بذلك، ثم ذهبوا، وتصرفوا في تلك الدراهم، واشتروا بها أسباباً وحوائج، ووقع الناس على دلسها، فرفعوا إلى الحاكم، ودخلت ديارهم، فوجدوا باقي الدراهم بها، فضربوا وطوفوا فلقيهم، وقال لهم: ضيعتم الحزم، هلا حملتم الميلق معكم؟ فعلموا أنه لا يقدر عليه أحد؛ لشدة حزمه.

وكتب الاسكندر كتاباً إلى بعض ملوك الهند، يقول له فيه: أما بعد، إذا أتاك كتابي هذا، فإن كنت قائماً فلا تقعد، وإن كنت ماشياً فلا تلتفت، وإلا مزقت ملكك، وألحقتك بمن مضى من الملوك قبلك، فلما ورد الكتاب عليه أجاب بأحسن جواب، وخاطبه بملك الملوك، وأعلمه أنه اجتمع عنده أشياء، لم تجتمع عند غيره، فمن ذلك ابنة لم تطلع الشمس على أحسن منها، وفيلسوف يخبرك بمرادك، قبل أن تسأله؛ لحدة ذهنه وحسن قريحته، واعتدال مزاجه، واتساع علمه، وطبيب لا تخشى معه داء ولا شيئاً من العوارض، إلا ما يطرأ من الفناء والدثور،

---

(١) أخلت [س] بقوله: فاتفق جماعة ـ إلى قوله: ضيعت الحزم، فأتوا.

وقدح إذا ملىء بالماء شرب منه عسكر لـه بجمعه، ولا ينقص منـه شيء، وأنا منفـذ جميع ذلك إلى الملك، فلما قرأ الإسكندر الكتاب، ووقف على ما فيه، قال: كون هذه الأشياء عندي، ونجاة هـذا الملك الحكيم من صولتي أحب إلي من ألا تكـون عندي ويهلك، فأنفذ إليه الإسكندر جماعـة من حكماء اليـونانيين والـروم وعدة من الرجال، وقال لهم: إن كان صادقاً فيما كتب، فسوقـوا تلك الأشياء، ودعـوا الرجـل في مـوضعه، وإن تبين لكم أن الأمـر على خلاف ذلـك، فـأشخصـوه إلي، فمضى القوم حتى انتهوا إلى مملكـة ذلك الـرجل، فتلقـاهم بأحسن قبـول، وأنزلهم أحسن منزلة، فلما كان اليوم الثالث، جلس لهم مجلساً خاصـاً، للحكماء منهم، دون من كان معهم من المقاتلة، وتكلم معهم في أصول الفلسفة، ثم أخـرج الجاريـة، فلما ظهـرت لأبصـارهم، ورمقـوهـا بـأعينهم لم يقـع طـرف واحـد منهم على عضـو من أعضائها إلا وقف عنده، ولم يمكنه أن يتعدى إلى غيره، ثم أراهم بعد ذلك ما تقدم الوعد به وصرفهم، وصير الفيلسوف والـطبيب والجاريـة والقدح معهم، فلمـا وردوا على الإسكنـدر أمر بـإنزال الـطبيب والفيلسـوف، ونـظر إلى الجـاريـة، فحـار عنـد مشـاهدتهـا، وبهرت عقله، وأمر بقية جـواريه بـالقيام عليهـا، ثم صرف همتـه إلى الفيلسـوف، وإلى علم مـا عنـد الـطبيب، وقص عليـه الحكمـاء مـا جـرى لهم من المباحثة مع الملك الهندي فأعجبه ذلك، ثم أراد مباحثة الفيلسوف على ما خبر عنه فخلى بنفسه[1] وأجال فكره فيما يختبره به، فسنح له سـانح من الفكـر بإيقـاع شيء يختبره به، فدعا بقـدح، فملأه سمنـاً، وبعثه إليـه، فلما ورد الـرسول بـالقدح على الفيلسوف، نظر الفيلسـوف بصحة فهمـه، فقال: لأمـر ما بعث هـذا الملك الحكيم هذا السمن إلي، فأجال فكره فيه، حتى ميز المراد به فدعا بنحو من ألف إبرة فغـرز أطرافها في السمن ثم رد القدح إلى الإسكندر، فـأمر الإسكنـدر أن يعمل من الإبـر كرة مدورة، وأمر بردها إلى الفيلسوف، فلما وصلت إليه أمر ببسطها وأن يتخذ منهـا مرآة ترى صورة من قابلها من الأشخاص لصفائها، وأمر بردها إلى الإسكندر، فلمـا نظر إليها ورأى أحسن صـورته فيهـا، دعا بـطست، فحمل المـرآة فيه، وأمـر بإراقـة الماء عليها حتى ترسب وأمر بحملهـا إلى الفيلسوف، فلمـا نظر إليهـا أمر بـالمرآة،

---

(١) أخلت [ح] من قوله: الهندي إلى قوله: والزيادة من [د، س].

فصنع منها إناء، وجعله في الطست طافياً فوق الماء، وأمر برد ذلك إلى الإسكندر، فلما وصل إليه أمر أن يملأ ذلك الإناء من تراب ناعم، وأمر برده إلى الفيلسوف، فلما نظر الفيلسوف إلى ذلك تغير لونه، وجرت دموعه، وأمر برده إلى الإسكندر، من غير أن يحدث فيه شيئاً، فلما ورد الرسول على الإسكندر، وأخبر بفعله وحاله، تعجب منه، فلما كان في صبيحة تلك الليلة، جلس له الإسكندر جلوساً خاصاً، ودعا بالفيلسوف، ولم يكن رآه قبل ذلك، فلما أقبل، ونظر إليه الإسكندر، وتأمل قامته وصورته، رأى رجلاً معتدل البنية، حسن الخلقة، فقال في نفسه: إذا اجتمع حسن الصورة وحسن الفهم، كان صاحب ذلك واحد زمانه، ولست أشك أن هذا الفيلسوف قد اجتمع له الأمران، فإن كان هذا الفيلسوف علم كل ما راسلته به وأجابني عنه من غير مباحثة، فليس في زمانه أحد يدانيه في حكمته، وتأمل الفيلسوف الإسكندر عند دخوله عليه، والإسكندر ينظر إليه، فأدار الفيلسوف أصبعه السبابة حول وجهه ووضعها على طرف أنفه، وأسرع نحو الإسكندر وهو جالس على سرير ملكه، فحياه بتحية الملوك، فأشار إليه الإسكندر بالجلوس، فجلس حيث أمره، فقال له الإسكندر: ما بالك حين نظرت إلي أدرت أصبعك حول وجهك، ووضعتها على طرف أنفك؟ قال: تأملتك أيها الملك بنور عقلي، وصفاء مزاجي، فتبينت فكرك، وتأملك لحسن صورتي، فقلت في نفسي: إنه قد قال: إن هذه الصفة قل ما تجتمع مع الحكمة، فإذا كان هذا فصاحبها واحد زمانه، فأدرت أصبعي مصداقاً لما سفح لك، وأريتك مثالاً شاهداً، وجعلت وجهي بمنزلة الدنيا، فكما أنه ليس في الوجه إلا أنف واحد، فكذلك ليس في مملكة الهند غيري، قال له الإسكندر: ما أحسن ما تأتي لك، فما بالك حين أنفذت إليك قدحاً مملوءاً سمناً غزرت فيه إبراً ورددته إلي؟ فقال الفيلسوف: علمت أنك تقول: إن قلبي امتلأ علماً مثل هذا الإناء من السمن، فليس لأحد من الحكماء فيه مزيد، فأخبرت الملك أن علمي سيزيد فيه، ويدخل كما دخلت هذه الإبر في هذا السمن، قال: فأخبرني، ما بالك حين عملت من الإبر كرة، وبعثتها إليك صنعت منها مرآة صقيلة ورددت إلي؟ قال: علمت أنك تريد أن قلبك قد قسا من سفك الدماء، والشغل بسياسة الملك كقساوة هذه الكرة، فلا يقبل العلم، فأخبرتك بسبكي هذه الكرة، والحيلة في أمرها، حتى جعلت منها مرآة ترى الصور عند المقابلة، فكذلك أفعل بقلبك،

قال الإسكندر: صدقت، فأخبرني أيها الفيلسوف حين جعلت المرآة في الطست، وجعلت عليها الماء حتى رسبت، لم صنعت منها إناء يطفو فوق الماء ثم رددتها إلي؟ قال: علمت أنك تريد أن الأيام قد قصرت، والأجل قريب، ولا يدرك العلم الكثير في الأمد القليل، فأجبتك ممثلاً أني سأعمل الحيلة في إيراد العلم الكثير في الأمد القليل إلى قلبك، بتقريبه من فهمك، كاحتيالي للمرآة منْ بعد كونها راسبة في الماء، جعلت طافية عليه، قال الإسكندر: صدقت، فأخبرني، ما بالك حين ملأت لك الإناء تراباً رددته إلي، ولم تحدث فيه شيئاً كفعلك فيما سلف؟ قال الفيلسوف: علمت أنك تريد بالتراب الموت، وأنه لا بد منه، ومن لحوق هذه البنية بهذا العنصر البارد الذي هو الأرض، ومفارقة النفس الناطقة الشريفة لهذا الجسد، فأعلمتك حين لم أحدث فيه شيئاً ألا حيلة في ذلك ولا عمل، قال له الإسكندر: صدقت، ولأحسنن إلى الهند من أجلك، وأمر له بجوائز كثيرة، فقال له الفيلسوف، لست أحتاج شيئاً يلهيني عن عملي، ولا أدخل عليه ما ينافيه، وخيره الإسكندر بين الإقامة عنده، أو الرجوع إلى وطنه، فاختار الرجوع إلى وطنه، فخلى عنه، وأما القدح[1] فادهقه بالماء، ثم أورد عليه الناس، فلم ينقص منه شيء، وكان فيما يقال معمولاً بمضروب من خواص الهند، وقد قيل: إنه كان لآدم عليه السلام بأرض سرنديب من أرض الهند، مما نزل من الجنة، فورث عنه، وتوارثه الملوك إلى أن انتهى إلى هذا الملك من ملوك الهند، وأما الطبيب، فإنه كان له معه أخبار طويلة، ومناظرة عجيبة في صنعة الطب.

(١) يلمح القارىء هذا الأمر الأسطوري، مما اضطر القاص نفسه أن يبحث عن شيء يمكن تصديق الخبرية، فحاول التعليل لهذا القدح الغريب، ونسبه إلى الجنة وإلى آدم عليه السلام، وكأن القاص نفسه لا يصدق الرواية، فحاول أن يصدق نفسه أولاً، إراغة منه ليصدقه الآخرون، والخبر في النهاية أسطوري.

الباب الثاني

في الحكايات والأخبار ذوات الأشعار

كان أحمد بن المدبر، إذا مدحه أحد، ولم يرض بشعره، قال لغلامه: امض به إلى المسجد، ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة، ثم خله، فتحاماه الشعراء إلا الأفراد المجيدون، فجاءه الحسين بن عبد السلام الضرير المعروف بالجمل، فاستأذنه في الإنشاد فقال له: أعرفت الشرط؟ قال: نعم، وأنشد:

أردنا في أبي حسنٍ مديحا ... كما بالمدح تُنتجعُ الولاةُ
فَقُلْنا: أكرمُ الثَّقَلَيْن طُرّاً ... ومَنْ كفَّاهُ دِجلةُ والفُرات
فقالوا: يقبل المِدْحاتِ لكنْ ... جوائزُهُ عليهنَّ الصَّلاَةُ
فقلتُ لهم: وما تُغني صلاتي ... عِيالي، إنما الشأنُ الزكاة
فأمّا إذْ أبى إلا صلاتي ... وعاقتْنِي الهمومُ الشاغلات
فيأمرَ لي بكسْرِ الصَّادِ منْها ... لعلِّي أن تُنَشِّطَني الصِّلاتُ[1]

وحضر أبو نواس مجلس منصور بن عمار، فرآه الناس يبكي، فظنوا أنه تاب، وجعلوا يهنئونه ويقولون: نرجو لك الله، فقال: أنا أهون على الله من ذلك، وليس كما تظنون، ولكن أبكي لبكاء ذلك الغزال، ونظر إلى غلام بالمجلس يبكي من وعظ منصور، ثم قال:

(١) الأبيات من الوافر، وهي والحكاية في وفيات الأعيان ـ جـ١ ص ١٩ ـ وفي زهر الآداب ـ المجلد الأول ص ٥٣٧، وقال الشاعر: إني أخذت البيت الأخير من أبي تمام حيث يقول:

هن الحمام، فإن كسرت عيافة ... من حائهن، فإنهن حمام

وأبيات الجمل ليس فيها من الشعر كثير سوى النادرة اللغوية، ويستحق صاحبها أن يذهب به إلى المسجد، وبون بعيد بين الأخير منها وبين أبي تمام، وقد رسمنا «الصلات» بالتاء المفتوحة.

لم أبْكِ في مجلسِ منصورِ شوقاً إلى الجنة والحُورِ
لكنْ بكائي، لبُكا شادنٍ تقيه نفسي كلَّ مَحْذور
تنتسبُ الألسنُ في وصفه إلى مدى عجزٍ وتقصير(١)

وحضر مجلس بعض القصاص أيضاً، فقالوا له: لعل الله تعالى قد أقبل عليك، فقال: إنما حضرت لأجل هذا الغزال، ثم قال:

خَلِّياني والمعاصي ودَعا ذِكْرَ القِصاص
واسقِياني الخمر صِرْفا في أباريقِ الرَّصاص
وعلى وجهِ غزالٍ طائعٍ ليسَ بعاصي
بين فتيانٍ كرامٍ قد تواصَوْا بالمعاصي
إن لي رباً غفوراً وعَلَى الله خلاصي(٢)

ونظر يزيد بن مزيد الشيباني إلى رجل ذي لحية عظيمة، وقد تلففت على صدره وإذا هو خاضب، فقال: إنك من لحيتك في مئونة، فقال: أجل، ولذلك أقول:

لعمرُكَ لو يُعطي الأميرُ على اللُّحَى لأصبحتُ قدْ أيسرتُ منه زماني
لها درهمٌ للدهْنِ في كلِّ جُمعةٍ وآخرُ للحِنّاءِ، يَبْتَدِران
ولولا نوالٌ من يزيدَ بنِ مزْيدٍ لصَوَّتَ في حافاتِها الجَلَمانِ(٣)

فامر له بعشرة آلاف درهم.

وحكى أبو جعفر الشيباني قال: أتانا يوماً أبو شاش(٤) الشاعر، ونحن في جماعة فقال: ما أنتم فيه؟ فقالوا: نذكر الزمان وفساده، قال: كلا، الزمان وعاء وما أُلقِي فيه من خير أو شر كان على حاله، ثم أنشأ يقول:

(١) الأبيات من السريع، والبيت الأخير يقول في [د] تنتشب ـ بالشين المثلثة.
(٢) الأبيات من الرمل المجزوء، والبيت الأخير زيادة من [د،س].
(٣) الأبيات من الطويل
(٤) في العقد الفريد ـ أبو مياس الشاعر.

رأيتُ حلًى تُصانُ على أُناس وأخلاقاً تُزال، ولا تُصَانُ
يقولونَ الزمانُ به فسادٌ وهم فسدوا، وما فسدَ الزمانُ(١)

ودخل ابن عبدل على بشر بن مروان لما ولي الكوفة، فقال: أيها الأمير، إني رأيت رؤيا، فأذن لي أقصها، قال: قل، فقال:

أغفيْتُ قبلَ الصبح، نومَ مسهَّدِ
في ساعةٍ، ما كنتُ قبلُ أنامُها
فرأيتُ أنكَ رُعْتَني بوليدةٍ
ممشوقةٍ، حَسَنٌ عليَّ قيامُها
وببدرةٍ حُملتْ إلي، وبغلةٍ
شهباءَ ناجيةٍ، يَصِلُ لِجامُها(٢)

فقال: أبشر بكل شيء قلته أو سمعته عندي، إلا البغلة، فليس عندي إلا دهماء، قال: امرأته طالق ثلاثاً، إن كنت رأيتها إلا دهماء، لكني غلطت.

وقال بعض الشعراء، قدمت على علي بن يحيى، فكتبت له:

رأيتُ في النوم أنِّي راكبٌ فرساً
ولي وصيفٌ، وفي كفِّي دنانيرُ
فجئتُ مُستبشراً، مُستشعراً فَرَحاً
وعندَ مثلِكَ لي بالفِعل تَبْشيرُ(٣)

(١) البيتان من الوافر، وهما والحكاية في العقد الفريد - جـ١ ص ١٦٩.
(٢) الأبيات من الكامل، وهي وحكايتها من العقد الفريد - جـ٢ ص ١٦٤، وروايته أغفيت عند الصبح.
(٣) البيتان من البسيط، وهما والحكاية في العقد الفريد - جـ١ ص ٧٣، بزيادة بيتين بعد الأول وهما:

فقال قوم لهم خلق ومعرفة رأيت خيراً، وللأحلام تعبير
رؤياك فاسر غداً عند الأمير تجد تعبير ذاك وفي الفال التباشير

ومسألة الرؤيا المنامية واردة بكثرة عند الشعراء، وبعض الممدوحين أجاز والآخر منع، ومن ذلك رد المتنبي على شاعر رأى مثل هذا فقال:

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأجزناك بدرة في المنام

فـوقـع في آخـر كتـابي: ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴾[١] ثم أمر لي بكل ما رأيت في منامي.

ومن ملح الصاحب بن عباد، ما يحكى عنه أن بعض الشعراء كتب إليه:

أيـا مَـنْ عـطايـاهُ تُـدْنـي الـغـنـى
إلـى رَاحَـتَـيْ مَـنْ نـأى أو دنـا
كـسْـوتَ الـمقيمينَ والـزائـريـنَ
كُـسـاً، لـم يُـخَـلْ مِـثْـلُهـا مُـمْـكِـنـا
وحـاشـيـةُ الـدارِ يـمـشـون فـي
ثـيـابٍ مـن الـخـزِّ، إلا أنـا[٢]

فقال الصاحب: قرأت في أخبار معن بن زائدة، أن رجلاً قال له: احملني أيها الأمير، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية، ثم قال: لو علمت أن الله خلق مركوباً غير ما أمرت لك به لحملتك عليه، وقد أمرنا لك بجبة وقميص ودراعة، وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف، ورداء وكساء، وجورب وكيس، ولو علمت لباساً غير هذا لأعطيناك، ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة.

وقال المفضل: دخلت على الرشيد، وبين يديه جارية مليحة شاعرة وورد قد أهديت إليه، فقال: يا مفضل قل في هذا الورد شيئاً تشبهه به، فقلت:

كـأنـه خَـدُّ مـعـشـوقٍ يـقـبِّـلُهُ فَمُ الحبيبِ وقـدْ أبقى بـه خجـلا

فقالت الجارية:

كـأنـه لـونُ خـدِّي، حـيـن تـدفـعـنـي
كـفُّ الـرشـيـدِ، لأمْـرٍ يُـوجـب الـغُـسُـلا[٣]

---

(١) سورة يوسف ـ الآية ٤٤.

(٢) الأبيات من المتقارب، وهي لأبي القاسم الزعفراني، من ندماء الصاحب، والأبيات وحكايتها في وفيات الأعيان ـ جـ١ ص ٢٢٩، وروايتها فيها خلاف يسير تمثل في: (لم نخل)، صنوف من الخز، ونهاية الحكاية: ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة، لم ترد في الوفيات.

(٣) البيتـان من البسيط، والحكايـة معهما في العقـد الفريـد ـ جـ٣ ص ٣١٦، وهي منسوبـة إلى إسحاق الموصلي، مع بعض تغيير يسير.

فقال: قم يا مفضل؛ فإن هذه الماجنة قد هيجتنا، فقمت، وأرخيت الستور.

وقال بعض الرواة: دخلت على أبي العشائر، أعوده من علة، فقلت: ما يجد الأمير؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه، ثم أنشد:

أَسْقَمَ هذا الغلامُ جسمي ... بما بِعَيْنَيْهِ من سَقَامِ
فتورُ عينيْهِ من دلالٍ ... أهدى فُتوراً إلى عظامي
وامتزجتْ روحُهُ بروحي ... تَمازُجَ الماءِ بالمُدام[1]

وشرب المأمون وعبيد الله بن طاهر ويحيى بن أكثم القاضي، فتعامل المأمون وابن طاهر على سكر يحيى، فغمزا به الساقي فأسكره، وكان بين أيديهم ردم من ورد وريحان، فأمر المأمون فشق له قبر في الردم، وصيراه فيه كأنه ميت، وعمل بيتي شعر وقال لمغنية: غن بهما على رأسه، فجلست عند رأسه وغنت بهما:

ناديتُه وهْوَ حَيٌّ لا حَراكَ به
مُكَفَّنٌ في ثيابٍ من رياحينِ
فقلتُ: قمْ، قال: رِجْلي لا تُطاوعني
فقلت: خُذْ، قال: كَفِّي لا تُواتيني

فانتبه يحيى لرنة العود والجارية بالبيتين فقال:

يا سيِّدي، وأميرَ الناسِ كُلِّهِمُ
قد جارَ في حكمه مَنْ كان يَسْقيني
إني غفلتُ عن الساقي، فصيَّرني
كما تراني سليبَ العقلِ والدين
لا أستطيعُ نُهوضاً؛ قد ذوى بَدَني
ولا أُجيب لداعٍ حين يدعوني[2]

---

(١) الأبيات من مخلع البسيط.

(٢) الأبيات من البسيط، وهي وحكايتها في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢٩١، وفيها تغيير هنا عن =

وخرج الحسن بن هانىء، وهو أبو نواس، ومعه مطيط حاجبه، حتى أتيا دار خمار، فقال أبو نواس لمطيط: ادخل بنا نتماجن على هذا الخمار، فدخلا، فلما سلما رد عليهما السلام، فقال له الحسن: أعندك خمر عتيقة؟ قال: عندي منها أجناس، فأي جنس تريد؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

حُجِبَتْ حِقْبَةً وصِينتْ فجاءتْ   كجلاءِ العروسِ بعد الصِّيانِ
وكأنَّ الأكفُّ تُصبغُ من ضوء   سناها، بالوَرْسِ والزَّعْفَرانِ[1]

فملأ الخمار قدحاً من خمر صفراء، كأنها ذهب محلول، فشربه الحسن وقال: أريد أحسن من هذا، فقال الخمار: أي نوع تريد؟ فقال: التي يقول فيها الشاعر:

رَقَّقَتْها أيْدي الهواجرِ، حتى   صَيَّرتْ جِسْمَها كجِسْمِ الهواءِ
فَهْيَ كالنُّورِ في الإناءِ، وكالنارِ،   إذ ما تصيرُ في الأحشاءِ[2]

فملأ الخمار قدحاً من قهوة، كأنها العقيق، فشربه، وقال: أرفع من هذه أريد قال: أي جنس؟ قال: التي يقول فيها الشاعر:

فإذا حَسا منها الوضيعُ ثلاثةً   سمحَ الوضيعُ بفِعْلِ ذي القدْرِ
في لونِ ماءِ الغَيْثِ، إلا أنها   بين الضلوع، كواقِدِ الجَمْرِ[3]

فملأ له القدح من خمرة بيضاء، كأنها ماء المزن، فشربه الحسن، فقال للخمار: أتعرفني قال: إي والله، يا سيدي، أنا أعرف الناس بك، قال: فمن أنا؟ قال: أنت الذي سكر من غير ثمن فضحك، وقال لمطيط: ادفع له ما معك من النفقة، فأعطاه مائة درهم وانصرف.

= رواية العقد، ولها رابع فيه يقول:

فاختر لبغداد قاضٍ إنني رجل   الراح يقتلني والعود يحييني.

وهنا خطأ في «قاض» لأن حقها النصب.

(١) البيتان من الخفيف.

(٢) البيتان من الخفيف.

(٣) البيتان من الكامل.

وكان بالبصرة رجل ذو ضياع، فأنفق ماله في الشراب، فباع ضيعة يوماً، فلما وقع البيع، قال المشتري: تأتي بالعشيّ أدفع ذلك المال وأشاهدك، قال له: لو كنت ممن يظهر بالعشيّ، ما بعت الضيعة، ثم أنشأ يقول:

أتلفتُ مالي في العقار   وخرجت فيها عن عِقار
حتى إذا كُتبُ الكتابُ،   وجاءني رسُل التُّجار
قالوا: الشهادةُ بالعشيِّ،   ونحنُ في صدْر النهار
فأجبتهمْ؛ رُدّوا الكتابَ،   ولا تُعيروا بانتظاري[1]
لو كنت أُظْهرُ بالعشيِّ،   لما سمحتُ ببيعِ داري[2]

وحكى الأصبهاني أن موسى بن داود الهاشمي عزم على الحج وقال لأبي دلامة: احجج معي، ولك عشرة آلاف درهم، فقال: هاتها، فدفعها إليه، قال: فأخذها وهرب إلى السواد، فجعل ينفقها هنالك في شرب الخمر، فطلبه موسى فلم يقدر عليه، وخشي فوات الحج وخرج، فلما شارف القادسية إذا هو بأبي دلامة خارجاً من قرية إلى قرية أخرى، وهو سكران، فأمر بأخذه وتقييده، وطرح في محمل بين يديه، فلما سار غير بعيد، أقبل على موسى فناداه:

يا أيها الناسُ قولوا أجمعين معي
صلّى الإلَهُ على موسى بن داودِ
كأن ديباجَتَيْ خَدَّيْهِ من ذَهَبٍ
إذا بدا لك في أثوابه السود
إني أعوذُ بداودٍ، وأعْظِمُه
من ان أكلَّفَ حَجّاً يا ابن داود
خُبِّرْتُ ان طريقَ الحج معطشةٌ
من الشراب، وما شُربي بتَصْرِيد

---

(١) في [د] ولا تعنوا بانتظاري، وفي [س] ولا تعيوا بانتظاري.
(٢) الأبيات من مجزوء الكامل.

والله ما فـيَّ من أجـرٍ، فـتطلبَهُ
ولا الثناءُ ولا ديني بمحمود[١]

فقال موسى: ألقوه من المحمل، لعنه الله، فألقي فعاد إلى موضعه بالسواد، حتى أنفق المال.

وكان الحكم بن عبدل أعرج أحدب[٢]، هجاء خبيث الهجاء، وكان الشعراء يقفون بباب الملوك، فلا يؤذن لهم، وكان يكتب حاجته على عصاه ويدفعها، فلا تؤخر له حاجة، فقال يحيى بن نوفل:

عصا حَكَمٍ بالباب أولُ داخلٍ
ونحنُ على الأبواب نُقْصى ونُحجبُ
وكانت عصا موسى لفرعون آيةً
وهذي - لعمر الله - أدْهى وأعجبُ[٣]

وجلس المأمون يوماً للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه امرأة، وقد هم بالقيام، وعليه أهبة السفر، وثياب رثة، فوقفت بين يديه وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم القاضي، فقال يحيى: وعليك السلام يا أمة الله ورحمة الله وبركاته، تكلمي في حاجتك فقالت:

يا خيرَ منتصبٍ يُرجى له الرُّشَدُ
ويا إماماً به قد أشرقَ البَلَدُ
تشكو إليك - عميدَ الملك - أرملةٌ
عدا عليها، فلم يُترك لها لُبَدُ

---

(١) الأبيات من البسيط، ورواية المتن (أجمعون) وهي خطأ، ثم إن البيت الثالث فيه إيطاء، لتكرار كلمة «داود» بعد بيت واحد.

(٢) أعرج زيادة من [د،س] وهي في وفيات الأعيان هكذا، والحكاية والشعر في الوفيات - جـ٢ ص ٢٠١

(٣) البيتان من الطويل، وبعدهما ثالث:

تطاع فلا تعصى، ويحذر سخطها ... ويرغب في المرضاة منها ويرهب

والرواية تقول: إن ابن عبدل غضب من يحيى لسخره من عصاه، واجتنب الكتابة عليها، ركبت في الرقاع حوائجه.

وابـتـزَّ مـنـي ضـيـاعـاً بـعْـد مَـنْـعَـتِـهَـا
ظُـلْـمـاً وفُـرِّقَ مـنـي الأهْـلُ والـوَلَـدَ

فأطرق المأمون حيناً ثم رفع رأسه وقال:

فـي دون مـا قـلْتِ، زال الـصـبـرُ والـجـلَدُ
عـنـي وأُقْـرِحَ مـنـي الـقـلبُ والـكَـبِـدُ

هـذا أوانُ صـلاة الـعـصـر، فـانـصـرفـي
وأحْـضـرِي الْـخَـصْـمَ فـي الـيـوم الـذي أَعِـدُ

والـمـجـلسُ الـسـبـتُ إن يُـقض الـجـلوسُ لـنـا
نـنـصـفْـكِ مـنـهُ، وإلا الـمـجـلسُ الأحَـدُ[1]

فجلس يوم الأحد، فكانت أول من تقدم إليه، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال: وعليك السلام، أين الخصم؟ قالت: واقف على رأسك، وأشارت إلى ابنه العباس، فقال: يا أحمد بن أبي خالد، أجلسه معها للخصومة، فجعل كلامها يعلو كلامه فقال لها أحمد: يا أمة الله، أنت بين يدي أمير المؤمنين وتكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك، فقال المأمون: دعها يا أحمد؛ فالحق أنطقها، والباطل أخرسه، ثم قضى لها برد ضياعها، وأمر لها بنفقة، وكتاب إلى عامل بلدها؛ بحسن معاملتها.

وحكى الأصمعي قال: كان أعرابيان متآخيين بالبادية، ثم إن أحدهما استوطن الريف، واختلف إلى باب الحجاج، فولاه أصبهان، فسمع أخوه خبره، فسار إليه فأقام ببابه حيناً لا يصل إليه، ثم أذن له في الدخول، فأخذه الحاجب، فمشى به وهو يقول: سلم على الأمير، فلم يلتفت إليه، ثم أنشأ يقول:

فَلَسْتُ مُسلِّماً ما دمتُ حيّاً على زَيْدٍ بتسليم الأميرِ

فقال زيد: لا أبالي، فقال الأعرابي:

أتذكرُ إذ لِحافُكَ جِلْدُ شاةٍ وإذْ نَعْلاكَ من جِلْدِ البعيرِ

قال: نعم، فقال الأعرابي:

---

(١) هذه الأبيات والتي قبلها من بحر البسيط، وهي وحكايتها في العقد الفريد ـ جـ١ ص ٩.

فسبحانَ الذي أعطاك ملكاً وعلَّمَك القُعودَ على السَّريرِ[١]

وقدم أعرابي البصرة، فنزل على ابن عم له، فلما رأى البصري شعث الأعرابي، فأراد أن ينظفه، فقال: إن الناس يتطهرون للجمعة، وينتظفون، ويلبسون أحسن الثياب، فتعال: أدخلك الحمام؛ لتتنظف، وتتطهر للصلاة، فدخل معه الحمام، فلما وطىء الأعرابي فرش أول بيت في الحمام، ولم يحسن المشي عليه لشدة ملاسته فزلق وسقط على وجهه، فشج شجة منكرة، فخرج وهو ينشد:

وقالوا: تَطَهَّرْ؛ إنَّهُ يومُ جمْعَةٍ
فَأُبْتُ من الحمَّام غَيْر مُطَهَّرِ
تزوَّدْتُ منه شجَّةً فوق حاجبي
بغير جهادٍ، بئس ما كان مَتْجَري
وما تعرفُ الأعرابُ مَشْياً بأرضها
فكيف ببيْتٍ ذي رخامٍ ومَرْمَرِ[٢]

وقال محمد بن سكرة: دخلت حماماً، فخرجت وقد سرقت نعلي، فعدت إلى داري حافياً وأنا أقول:

إليك أَزُفُّ حَمَّامَ ابنِ موسى وإن فاق المنى طيباً وحرًّا
تكاثرتِ اللصوصُ عليه، حتى لَيَحْفى مَنْ يطيبُ به ويَعْرى
ولم أفقدْ به ثوباً، ولكنْ دخلتُ «محمداً»، وخرجت «بشرا»[٣]

يريد: بشر الحافي، وكان من كبار الزهاد، لزم المشي حافياً، فلقب: الحافي.

وقال بشار لراويته: أنشدني ما قال حماد فيّ، فقال:

دُعيتَ إلى بُرْدٍ، وأنتَ لغيْره
وهَبْكَ ابنَ بُردٍ - نكْتُ أمَّكَ - مَنْ بُرْدُ[٤]؟

---

(١) الأبيات الثلاثة من الوافر، وهي وحكايتها في البيان والتبيين جـ٤ ص ٥١، ويروى «على معن»، وبعد البيت الأول بيت يقول:

أمير يأكل الفالوذ سرا ويطعم ضيفه خبز الشعير

(٢) الأبيات من الطويل.

(٣) الأبيات من الوافر.

(٤) البيت من الطويل، وهو لحماد عجرد.

فقال بشار: أها هنا أحد؟ قال: لا، قال: أحسن، والله، ابن الزانية، ولقد تبين له علي في بيت واحد خمسة معانٍ من الهجو وهي: دعيت إلى بـرد معنى، وأنت لغيره. ثانٍ، وهبك ابن برد معنى ثالث، ونكت أمك، شتم واستخفاف مجرد وهو معنى رابع، ثم ختمها بقوله: من برد؟، فأتي بالطامة الكبرى.

وكان الحطيئة قبيح المنظر، كثير الشر، فالتمس يوماً إنساناً يهجوه، فلم يجده، فوقف على ماء، وجعل يقول:

أَبَتْ شفتايَ اليومَ إلا تَكَلُّما
بشرٍّ ولا أدري لمن أنا قائِلُهْ

ثم نظر إلى الماء، فرأى وجهه، فقال:

أرى ليَ وجْهاً قبَّحَ اللهُ خَلْقَهُ
فَقُبِّحَ مِنْ وجهٍ، وقُبِّحَ حامِلُهْ[1]

وقال أبو القاسم بن الأزرق: دخلت على الشافعي ـ رحمه الله ـ فقلت: يا أبا عبد الله، ما تنصفنا، لك هذا الفقه تفوز بفوائده. ولنا هذا الشعر، وقد جئت تداخلنا فيه، فإما أفردتنا بالشعر، أو أشركتنا في الفقه، وقد جئت بأبيات إن أجزتنا بمثلها تبت من الشعر، وإن أعجزت عنها تبت، فقال لي: إيه يا هذا، فأنشدته:

ما هِمَّتي إلا مقارعةُ العِدا
خَلِقَ الزمانُ، وهمتي لم تَخْلُقِ

والناسُ أعينُهم إلى سَلَبِ الفتى
لا يسألونَ عن الحِجَى والأوْلَقِ

لكنَّ من رُزِقَ الحجى حُرِمَ الغنى
ضدّان مفترقانِ، أيَّ تفرق

لو كان بالحيَلِ الغنى، لوجدْتَني
بنجومِ أقطارِ السماء تَعَلُّقي

فقال الشافعي: ألا قلت، كما أقول، ارتجالاً:

---

(١) البيتان من الطويل، وفي المتن: قبح الله وجهه، ولا معنى لها، وهما في الشعر والشعراء ص ١٨٢، وفي الأغاني ـ جـ٢ ص ١٦٣ ـ ١٦٤

إن الـذي رُزِقَ الـيـسـارَ، فـلـم يُـصِـبْ
حـمـداً ولا أجـراً، لَـغـيْـرُ مُـوَفَّـقِ
فـالْـجَـدُّ يُـدنـي كـلَّ شـيءٍ شـاسـعٍ
والـجـد يـفـتـحُ كـلَّ بـابٍ مُـغْـلـق
فـإذا سـمـعـتَ بـأن مـجـدوداً حـوى
عـوداً، فـأثـمـر فـي يـديْـهِ، فَـحَـقِّـق
وإذا سـمـعـت بـأن مـحـرومـاً أتـى
مـاءً لـيـشـربَـه، فـفـاضَ، فَـصَـدِّق
وأحـقُّ خـلْـقِ الله بـالـهـم امـرؤٌ
ذو هـمـة يُـبْـلَـى بـرزْقٍ ضَـيِّـق
ومـن الـدلـيـلِ عـلـى الـقـضـاء وكـونـه
بُـؤسُ الـلـبـيـب، وطـيـبُ عـيـش الأحـمـق
ولـربـمـا عـرضـتْ لـنفسيَ فـكـرةٌ
فـأودُّ مـنـهـا أنـنـي لـم أُخْـلـق[1]

فقلت: تالله، لا قلت شعراً بعدها.

وقيل للمنصور: إن أبا دلامة لا يحضر الصلاة، وأنه معتكف على الخمر، وقد أفسد فتيان العسكر، فلو أمرته بالصلاة معك لأصلحته وغيره، فلما دخل عليه قال أبو دلامة الماجن، قال: يا أمير المؤمنين، ما لنا والمجون؟ فقال: دعني من اشتكائك وتضرعك، وإياك أن تفوتك صلاة الظهر والعصر في مسجدي، فإن فاتتك لأحسنن أدبك، ولأطيلن حبسك، فوقع في أمر عظيم، فلزم المسجد أياماً، ثم كتب رقعة، ودفعها إلى المهدي، فأوصلها إلى أبيه، وفيها:

أَلَـمْ تَـعْـلـمـا أن الـخـلـيـفـة لَـزَّنـي
بـمـسـجـده والـقـصـرِ، ما لي ولـلـقـصْـرِ؟

---

(١) هذه الأبيات من الكامل، وهي في وفيات الأعيان جـ٤ ص ١٦٦، والأبيات السابقة من بحرها وقافيتها، وبيت الشافعي الأخير زيادة [ح].

أصلّي بها الأولى جميعاً وعصرَها
فويْلي من الأولى، وويلي من العصر
أُصليهما بالكُرْهِ في غير مسجدي
فما ليَ في الأولى، وفي العصر، مِنْ أجْر
يكلّفني من بعدِ ما شِبتُ توبةً
يُحطُّ بها عنّي الثقيلُ من الوِزْر
ووالله، ما لي نيةٌ في صلاتها
ولا البرُّ والإحسانُ والخير من أمري
لقد كان في قومي مساجدُ جمعةٍ
ولم ينشرحْ يوماً لغِشْيَانها صدري
وما ضَرُّهُ، والله يغفرُ ذنْبهُ
لَوَ انَّ ذُنوبَ العالمين على ظهري[1]

فقال: صدق، وما يضرني ذلك، والله، لا يصلح هذا أبداً، دعوه يفعل ما يشاء.

وحكى إسحاق الموصلي قال: دخلت على الرشيد، وهو مستلق على قفاه، وهو يقول: أحسن والله، فتى قريش وظريفها وشاعرها، قلت: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال في قوله:

لا أسألُ الله تغييراً لما فعلتْ
نامت، وقد أسْهَرَتْ عَيْنَيَّ عيناها
فالليل أطولُ شيء حين أفقدُها
والليل أقصرُ شيءٍ حين ألقاها[2]

ثم قال: أتعرفه؟ قلت بصوت ضعيف: لا، فقال: بحقي عليك؟ فقلت: نعم، هو الوليد بن يزيد، قال: استر ما سمعت مني، وإنه ليستحق أكثر مما وصفته به.

ولما بنى المأمون على بوران، وأراد غشيانها حاضت، فقالت: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ

---

(١) الأبيات من الطويل، وهي وحكايتها في: الأغاني جـ١٠ ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧، ووفيات الأعيان ـ جـ٢ ص ٣٢٢.
(٢) البيتان من البسيط.

اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾[١]، فنام في فراش آخر، فلما أصبح دخل عليه أفاضل ندمائه يهنئونه، ويدعون له، فأنشدهم بديهاً:

فارس في الحرب منغمس عارف بالطعن في الظلم
رام أن يدمي فريسته فاتقته من دم بدم[٢]

وجاء رجل إلى خياط؛ ليصنع له قميصاً، فقال: والله، لأفصلنه لك تفصيلاً لا يدرى أقميص هو أم قباء، ففعل ذلك، قال صاحب الثوب: أنا - والله، لأدعون لك دعاء لا يدرى أهو لك أم عليك، وكان الخياط أعور يسمي بشراً فقال:

خاط لي بشرٌ قباءً ليتَ عينيْهِ سواءْ[٣]

وروي أن المنصور أنشده أبو دلامة ما أعجب به، فكساه طيلساناً، وأمر له بمال، وعاهده ألا يشرب الخمر، فحلف له، وخرج إلى بني داود بن علي، فضحكوا به، وقص عليهم الخبر، فسقوه حتى أسكروه وأخرجوه، فأعلم المنصور الخبر، فأرسل فيه، وأمر المنصور بسجنه، وتمزيق ساجه، وألّا يمكن من قرطاس ولا مداد، ففعل به الرسول ذلك، فانتبه في جوف الليل، فنادى جاريته، فقال له السجان: أطعنه في كبدك؟ فقال له: ويلك، من أنت؟ وأين أنا؟، فقال: سل نفسك، أين كنت عشاء أمس؟ فاستحلفه من أنت؟ فقال: أنا السجان، بعث بك أمير المؤمنين، وأنت سكران، فأمرني أن أحبسك مع الدجاج، فقال له: أحب أن تسرج لي سراجاً، وتأتيني بدواة وقرطاس، ولك عندي صلة، فقال له: أما السراج فنعم، وأما القرطاس والدواة فما أمرت أن أمكنك منهما، فلما أتاه بالسراج وجد ساجه ممزقاً، متلطخاً بأزبال الدجاج، ورأى نفسه جالساً بينهما، فقال له: ادع لي ابني دلامة، فدعاه، فأمره أن يجيد حلق رأسه، وأن يأتيه بفحمة، فكتب على رأس ابنه:

أَمِنْ صَهْبَاءِ صافيةِ المِزاجِ كأنَّ شعاعَها لَهَبُ السِّراجِ
تَهَشُّ لها القلوبُ، وتشتهيها إذا بَرزتْ تَرَقْرَقُ في الزجاجِ

---

(١) سورة النحل - الآية الأولى.

(٢) البيتان من مجزوء المديد.

(٣) البيت من مجزوء الرمل، وهو وحكايته في العقد الفريد - جـ٣ ص ١٢٠

أقــادُ إلى السجــون بغيــر جُــرْمٍ　　كــأنّي بـعضُ عُـمّــالِ الـخَــراجِ
ولــو معهمْ حُبستُ، لـكــان خيــراً　　ولـكنـي حُـبسـت مــع الــدجــاج
أميــرَ المؤمنين، فــدتْــكَ نـفسـي　　ففيـم حَبَسْتَنِي وَخَــرَقْـتَ ســاجي
عــلى أنّـي، وإن لاقــيــتُ شــرا،　　لـخيــركِ بـعــد ذاك الـشــرُّ راج[1]

ثم قال: يا أمير المؤمنين، هذه أمانة، فإذا قرأت، فمزق الرقعة، ثـم أمر دلامـة أن يدخل على أمير المؤمنين، ويقرئه ما في رأسـه، فأتى البـاب وصاح: دعـوة مظلوم، فأعلم المنصور بذلك، فأقر بـإدخالـه، فكشف رأسه وقـال: إن ظلامتي مكتـوبة في رأسي، فـأدنى منه حتى قـرأها، فـاشتد ضحكـه، وعجب من حيلته وأمر بإخـراجه وقال: ما أحوج هذه الرقعة أن تمزق، ثم وصله بصلة، ونهاه أن يوجد وهو سكران.

وضلت ناقة لأعرابي في ليلة مظلمـة، فأكثر طلبها، فلم يجـدها، فلمـا طلع القمر وانبسط نوره وجدها إلى جانبه ببعض الأودية، وكان قد اجتاز بموضعها مراراً، فلم يرها؛ لشدة الظلام، فرفع رأسه إلى القمر وقال:

مــاذا أقــولُ، وقــولـي فــيـك حَـصَـرٌ　　وقــد كَـفَـيْـتَـنِـيَ الـتـفـصـيـلَ والـجُـمَـلا
إن قُــلتُ: لا زلــتَ مــرفــوعــاً، فــأنــت كــذا　　أو قُــلتُ: زانَــك ربّــي، فَــهْــوَ قــد فــعــلا[2]

وكان أبو هرمة أبخل الناس على ادعائه الكرم في شعره، فأتاه يـوماً جمـاعة، فقال: ما جاء بكم؟ فقالوا: شعرك، حيث تقول:

أُغشَى الـطريـقَ بِقُبَّتِي وَرِواقِـهـا　　وأحـلُّ فـي قُلَلِ الـرُّبـى، وأُقـيـمُ
إن امــرَءاً جعـلَ الـطريقَ لبيتـه　　طُنُبـاً، وأنْـكَـرَ حقَّـه لَـلئيـمُ[3]

فنظر إلينا، وقال: ما على الأرض عصبـة أسخف منكم عقولاً، أمـا سمعتم قول الله سبحـانه: ﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[4] في الشعراء؟ والله، إني

(١) الأبيات من الـوافـر، وهي والحكـايـة في: الأغـاني جـ١٠ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢، وفي العقـد الفريد ـ جـ١ ص ٦٩، وفي [د] طعنت في كبدك، ولعلها الأصوب.
(٢) البيتان من البسيط.
(٣) البيتان من الكامل.
(٤) سورة الشعراء ـ الآية ٢٢٦.

لأقول ما لا أفعل، وأنتم تريدون أن أفعل ما أقول، والله، لا عصيت ربي في رضاكم.

وكان عبد الصمد مؤدب الوليد لوطياً زنديقاً، وكان سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت جميل الوجه شاعراً، فدخل على عبد الصمد، فأراده في نفسه، فسبه وخرج مغضباً، فدخل على هشام بن عبد الملك وهو يقول:

إنَّهُ والله، لولا أنت، لم يَنْجُ مني سالمَاً عبد الصمدْ

قال هشام: ولم؟ قال:

إنه قد رام مني خُطَّةً لم يَرُمْهَا قَبْله منِّي أحَدْ

قال: وما هي؟ قال:

رام جَهْلاً بي، وجهلاً بأبي يُدخل الأفْعى إلى غِيلِ الأسَدْ[1]

فضحك هشام، وقال: لو فعلت به شيئاً لم أنكر عليك، وهذا من أبدع الكناية، وقد أحسن التعبير حيث رقق هذا المنكر الأكبر، وعبر عنه بلفظ يليق أن يقابل به خليفة.

وقال أبو بكر الصولي: اجتمعت الشعراء بباب المعتصم، فبعث إليهم محمد بن عبد الملك الزيات، وقال لهم: أمير المؤمنين يقرئكم السلام، ويقول لكم: من كان يحسن أن يقول مثل قول النمري في الرشيد فليدخل، وأنشد له:

إن المكارمَ والمعروفَ أوديةٌ أحلَّك الله منها حيث تجتمعُ
من لم يكنْ بك، يا هارونُ معتصما فليس بالصلوات الخمسِ ينتفع[2]

فقال ابن وهب الحميري: فينا من يقول مثله، وأحسن منه، وأنشد له:

ثلاثةٌ تُشرقُ الدنيا ببهجتهمْ شمسُ الضحى وأبو إسحاقَ والقمرُ
تحكي أنامِلَهُ في كلِّ نائبةٍ الغيثُ والصَّمْصَامةُ الذَّكَرُ[3]

وقال الزبير بن بكار: ذكر عبد الله بن مالك الخزاعي قال: كنا بالرقة مع

(١) الأبيات الثلاثة من الرمل.
(٢) البيتان من البسيط.
(٣) البيتان من البسيط.

هارون الرشيد، فأتى موت الكسائي وإبراهيم الموصلي والعباس بن الأحنف في وقت واحد، فقال لابنه المأمون: أخرج فصل عليهم، فخرج في وجوه قواده وخاصته، وقد ذهبوا له، فقالوا له: من تقدم منهم؟ فقال: الذي يقول:

يا بعيدَ الدارِ منْ وَطَنِهْ ... مُفْرَداً يبكي على شجَنِهْ
كلما هاجتْ صبابتُهُ ... زادتِ الأسقامُ في بدنه
ولقد زادَ الفؤاد شجاً ... هاتفٌ يبكي على فَنَنِه
شفَّه ما شفَّني، فبكى ... كلُّنا يبكي على شجنه[١]

فقالوا: هذا، وأشاروا إلى نعش العباس بن الأحنف، فقدمه عليهم.

وقال أيضاً الزبير بن بكار: أنشد منشد أبا العباس المخزومي:

بَيْنَاهُمُ سَكَنٌ بجيرتهم ... ذكروا الفراقَ، فأصبحوا سفرا[٢]

فبكى أبو السائب وقال: ويحهم، أما علقوا سفره، أو أوكوا قربة، أو ودعوا صديقاً؟

قال الزبير: رحم الله أبا السائب، كيف لو سمع قول العباس بن الأحنف:

سألونا عنْ حالنا: كيفَ أنتمْ ... وقَرَنَّا ودَاعهمْ بالسؤالِ
ما نَزَلْنَا حتى رحلنا، فما نَفْرِقُ ... بين النزول والتَّرحال[٣]

وقال أحمد بن إبراهيم: وقع بين أحمد بن حامد وامرأته شر، كادا يخرجان معه إلى القطيعة، وكان يحبها، فلقيته يوماً، فسألته عن حاله. فأومأ أنه استراح، إذ هجرها، فقالت له: ذهب عنك قول العباس بن الأحنف:

---

(١) الأبيات من المديد المجزوء، وهي وحكايتها في العقد الفريد ـ جـ١ ص ١١٧، وهي في وفيات الأعيان ـ جـ٣ ص ٢٦ وتقول حكايتها إنه أنشدها وهو يحتضر، والبيت الأول: «يا غريب» وفي الصفحة السابقة من الوفيات تقول الحكاية مع أبيات أخرى دالية، وتشكك الرواية في الحكايةُ كلها لعدم اتفاق تاريخ الوفاة للثلاثة، ويبدو أنها جاءت لتقدمة العباس حياً وميتاً، وعارض هذه الأبيات علي الجارم دون التزامه هاء الوصل حين قال:

طائر يشدو على فنن ... جدّد الذرى لذي شجن.

وأخلت [د، س] بالبيت الأخير.

(٢) البيت من الكامل الأخير.

(٣) البيتان من الخفيف.

تَـعَـبٌ يـكـون بـه الـرجـاءُ مـع الـهـوى
خـيـرٌ لـه مـن راحـةٍ فـي الـيـاس
لـولا كـرامـتـكـم لـمـا عـاتـبـتـكـم
ولـكـنـتـم عـنـدي كـبـعـض الـنـاس[١]

ثم غنت فيه لحناً، وغنته إياه، واصطلحا.

وعن إسحاق الموصلي قال: غضب الفضل بن الربيع على جارية لـه، كانت أحب الناس إليه، وتـأخرت عن استرضائـه، فوجـه إلي يعلمني بذلـك، ويشكوهـا إلي، فكتبت إليـه: لك العز والشرف، ولأعـدائـك الـذل والتلف، استعمـل قـول العباس بن الأحنف:

تَـحَـمَّـلْ عَظِيمَ الـذنـب مـمَّـنْ تُـحـبـه
وإن كـنْـتَ مظلومـاً فَـقُـلْ: أنـا ظـالـمُ
فـإنـك إن لـم تـغـفـر الـذنـب فـي الـهـوى
تـفـارقُ مَـنْ تـهـوى، وأنـفُـك راغـم[٢]

ففعل ذلك فاصطلحا، ووصلني بجائزة.

وغضب الرشيد مرة على زبيدة أم جعفـر وترضـاها، فـأبت أن ترضى، وأرق ليلة وقال: افرشوا لي على دجلة ففعلوا، وقعد ينظر إلى الماء، فسمع غناء في هذا الشعر:

جَـرى الـسيْـلُ، فـاستبكـانِيَ الـسيـلُ إذْ جـرى
وفـاضـتْ لـه مـن مُـقْـلَـتَـيَّ غُـرُوبُ
ومـا ذاكَ إلا أنْ تَـيَـقَّـنْـتُ أنَّـهُ
يـمـرُّ بـوادٍ أنـتَ مـنـه قـريـبُ
يـكـون أُجـاجـاً دونـكـم، فـإذا انـتـهـى
إلـيـكـم، تَـلَقَّـى طـيـبـكـمْ فـيـطـيـبُ

---

(١) البيتان من الكامل، .وهذه من [د،س] واخلت بـ [ح].

(٢) البيتـان من الـطويـل ـ الأغـاني ـ جـ٨ ص ٣٦٨، والـروايـة كلهـا أخلت بهـا [ح] وهي في [د،س].

فيا ساكني أكنافَ دجلةَ، كُلكمْ
إلى القلب من أجل الحبيب حبيب[١]

فسأل عن الناحية التي فيها الغناء وعن المغني، فإذا هو الزبير بن دحمان، فسأله عن الشعر، فقال: هو للعباس بن الأحنف يا أمير المؤمنين، فأمر بإحضاره، واستنشده، وجعل الزبير يغنيه، والعباس ينشده حتى أصبح، ودخل إلى أم جعفر، فسألت عن دخوله إليها فعرفت، فوجهت إلى العباس بألف دينار، وإلى الزبير بخمسمائة دينار.

وكان لمخارق من الكلف بجارية أم جعفر بهار ما لا غاية بعده، وعلمت بذلك أم جعفر، فشق على مخارق علم أم جعفر بحبه، فاستعمل الجفاء بينه وبينها؛ إجلالاً لأم جعفر، وطمعاً للسلو عنها، فبينما هو منصرف ليلة من الليالي من دار المأمون، وأم جعفر مشرفة على دجلة، فلما حاذى دارها رفع عقيرته، فتغنى بشعر العباس بن الأحنف:

إنْ تَمْنَعوني مَمَرّي قُرْبَ داركُمُ
فسوفَ أنظرُ من بُعْدٍ إلى الدار

لا يقدرون على مَنْعي وإن جَهِدوا
إذا مَرَرْتُ فَتَسْليمي بإضْماري

سِيَما الهوى عُرِفَتْ، حتى شُهِرْتُ بها
إني مُحِبٌّ، وما بالحُبِّ من عار[٢]

فسمعته أم جعفر، وأمرت خدمها، وصاحوا بالملاح: قدم، فقدم الزورق حتى حاذى باب الدار، ونزل مخارق، وطلع إلى أم جعفر، ودعت له بكرسي، وكأس فيه نبيذ، فشرب وخلعت عليه وأجازته، وقالت لجواريها: اضربن عليه، فكان أول ما غنى به قول العباس بن الأحنف:

أغيبُ عنكِ بِوُدٍّ، لا يُغَيِّرُهُ
نَأْيُ المَحَلِّ، ولا صرفٌ من الزَّمَنِ

---

(١) الأبيات من الطويل، وأخلت [س] بالشطر الثاني من البيت الثاني، والبيت الثالث كله. وهي لابن الدمينة ـ العقد الفريد جـ٣ ص ١٩٠

(٢) الأبيات من البسيط.

فإن أعِش، فلعلَّ الدهرَ يجمعُنا
وإن أمُتْ، فقتيلُ الهمِّ والحَزَن
قد حَسَّنَ الله في عينيَّ ما صنعتْ
حتى أرى حسناً، ما ليس بالحسن

فاندفعت بهار تغني جواب ما غنى به مخارق فقالت:

تَعْتَلُّ بالشغْل عنا ما تكلِّمُنا
والشغلُ للقلب ليس الشغل للبدن[1]

فضحكت أم جعفر وقالت: ما سمعت بألطف من مخاطبتكما، خذها مخارق، وقد وهبتها لك فحملها مخارق من وقته إلى داره.

ويروى أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين الخليع، وصريع الغواني خرجوا إلى متنزه لهم، ومعهم رجل يقال له: يحيى بن المعلي، فحضرت الصلاة فقدموه يصلي بهم، فنسي: ﴿ ٱلْحَمْدُ ﴾[2]، وقرأ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾[3] وأرتج عليه في نصفها فقال أبو نواس:

أكثر يحيى غلطاً في قُلْ هو الله أحدْ

وقال العباس بن الأحنف:

وَنَسِيَ الحمْدَ، وما مَرَّتْ له على خَلَدْ

وقال صريع الغواني:

قام طويلاً راكعاً حتى إذا أعْيا سجد

وقال الحسين الخليع:

كأنما لسانُهُ شُدَّ بحبْلٍ من مَسَدْ[4]

---

(١) الأبيات الأربعة للعباس بن الأحنف لا كما يوهم الفصل بينها، وهي من البسيط، ووردت في وفيات الأعيان ـ جـ٣ ص ٢٣، ويعلق فيها الزبير بكار بقوله عليها: لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرها وشرها إلا وهو يصلح أن يتمثل فيه بنصف هذا البيت الأخير، يقصد: الشطر الثاني منه، تذييل جار مجرى المثل.

(٢) أول سورة الفاتحة.

(٣) سورة الإخلاص ـ الآية الأولى.

(٤) الأبيات كلها من مجزوء الرجز، وأخلت [س] من قوله: وارتج عليه إلى آخر بيت أبي نواس، ثم أخلت من قوله: وقال الحسين إلى آخر بيته.

وقال أبو العتاهية: سبقني أبو نواس إلى ثلاثة أبيات، وددت أني سبقته إليها بكل ما قلت من الشعر، منها قوله:

إذا امْتَحَنَ الدُّنْيا لبيبٌ تكشَّفَتْ
له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ[١]

وقوله:

فإن يكُ باقٍ إفكُ فرعونَ فيكمُ
فإنّ عصا موسى بكفِّ خَصيبِ[٢]

وقوله:

يا كثيرَ الذَّنْب عفوُ الله من ذنبك أكبر[٣]

ولله دره، ما أكثر إنصافه.

وقال أبو عمر الشيباني: دخلت على المأمون، فقال لي: يا أبا عمر، من أشعر الناس؟ قلت: يا أمير المؤمنين، اختلف العلماء في ذلك، وهم القدوة، ونحن المقتدون، وقد قالوا: أشعر الناس امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب، قال المأمون: من الذي يقول:

إذا ما أتتْ دون اللَّهَاةِ من الفتى
دعا هَمّه من صدره برحيلِ[٤]

---

(١) البيت من الطويل، الشعر والشعراء ص ٥١٧، وزهر الآداب المجلد الأول - ص ٩٤، ووفيات الأعيان جـ٢ ص ٩٧.

(٢) البيت من الطويل، من قصيدة ذائعة في مدح الخصيب والي مصر، ويروى في روايات أخرى: «فإن يك باق سحر فرعون». الشعر والشعراء ص ٥١١، ووفيات الأعيان - جـ٢ ص ٩٧.

(٣) البيت من مجزوء الرمل، وورد في الوفيات جـ٢ ص ١٠٢، وفي البيان والتبيين جـ٣ ص ١٩٩ - ٢٠٠ من مجلة أبيات تقول:

يا نواس تفكر وتعز وتصبر
ساءك الدهر بشيء ولما سرك أكثر
يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء في أصغر عفو الله يصغر.

ورواية: يا كبير الذنب أدق للسياق، ولعلها هي الصحيحة.

(٤) البيت من الطويل - العقد الفريد - جـ٣ ص ٢٩٩

قلت: أبو نواس: قال: فمن الذي يقول:

فتمشَّتْ في مفاصلهمْ كتمشّي البرءِ في السَّقَمِ[١]

قلت: أبو نواس، قال: فمن الذي يقول:

هي الخمرُ لا زالتْ تُذيعُ فضائحي
وتفعلُ ما شاءت بيَ الخمرُ من أمْرِ
متى أكتسبْ مالاً، فللخمر شطرُه
ويحكم ربُّ الخرُدِ العِينِ في الشَّطْرِ[٢]

قلت: هذا من ديباج قول أبي نواس، قال: فمن الذي يقول:

أقَلُّ ما فيه من فضائله أمْنُكَ من طَمْثِهِ وَمِنْ حَبلَهْ[٣]

قلت: هو أبو نواس، قال: هو أشعر الأولين والآخرين من الإنس والجن، قال: فعجبت من المأمون، وعنايته بأبي نواس، وحفظه لشعره.

وقال الأصمعي: قلت يوماً لبشار: رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك التي في المشورة، وهي قولك:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ، فاستعنْ
بقولِ نصيحٍ، أو مشورةِ حازِمِ
ولا تجعلِ الشّورى عليك غَضاضةً
فإن الخَوافي عدة للقَوادم
وخلِّ الهُوَيْنى للضعيف، ولا تكنْ
نئوماً؛ فإن الحزمَ ليس بنائم
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغلُّ أختَها
وما خيرُ سيفٍ لم يُقَيَّدْ بقائم[٤]

(١) البيت من مجزوء المديد.

(٢) البيتان من الطويل.

(٣) البيت من المنشرح.

(٤) الأبيات من الطويل، الأغاني جـ٣ ص ٢١٤، وفيات الأعيان جـ١ ص ٧٢، زهر الآداب ـ المجلد الثاني ص ٨٨١، وفي الروايات بعض خلاف، وكذلك في البيان والتبيين جـ٤ ص ٤٩.

فقال بشار: أما علمت أن المشاورة على إحدى الحسنيين، صواب يفوز به، وبثمرته، أو خطأ يشارك في مكروهه، قال الأصمعي: أنت، والله، في قولك أشعر منك في شعرك.

ودخل على الحجاج سليك بن سلكة فقال: أصلح الله الأمير، أعرني سمعك واغضض عني بصرك، واكفف عني عزك، فإن سمعت خطأ أو زللاً فدونك والعقوبة، قال: قل، قال: عصى عاصٍ من العشيرة، فخلق على اسمي، وحرمت عطائي، وهدم منزلي، فقال الحجاج: هيهات، أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يَجْني عليك، وربما ... تُفْدِي الصِّحاحَ مَبارِكُ الْجُرْبِ
ولَرُبَّ مأخوذٍ بذنبِ عشيرةٍ ... ونجا المقاربُ صاحبُ الذنب[1]

قال: أصلح الله الأمير: إني سمعت الله يقول غير هذا، قال: وما ذاك؟ قال الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ ﴾[2] قال الحجاج: علي بيزيد بن مسلم، فوقف بين يديه، فقال: افكك لهذا عن اسمه، واصكك له بعطائه، وابن له منزله، ومر منادياً ينادي في الناس: صدق الله، وكذب الشاعر.

ولما هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر بالشعر الذي يقول فيه:

دَعِ المكارمَ، لا ترحلْ لبُغْيَتِها ... واقعدْ، فإنك أنت الطاعمُ الكاسي[3]

استعدى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنشده البيت، فقال: ما أرى به بأساً، قال الزبرقان: والله، يا أمير المؤمنين، ما هجيت ببيت قط أشد علي منه، فبعث إلى حسان بن ثابت فقال: انظر إن كان هجاه، فقال: ما هجاه ولكن سلح عليه، ولم يكن عمر رضي الله عنه يجهل موضع الهجاء، ولكن كره أن يتعرض

---

(١) البيتان من الكامل، وهما والحكاية في العقد الفريد جـ٣ ص٦
واخلت [س] بقوله: ولرب مأخوذ - إلى أصلح الله الأمير.
(٢) سورة الكهف - الآية ٧٨ - ٧٩.
(٣) البيت من البسيط، الشعر والشعراء ص ١٨٦، وطبقات فحول الشعراء - السفر الأول ص ١١٦ والأغاني جـ٢ ص ١٨٥

لشأنه، فبعث إلى شاعر مثله، وأمر بالحطيئة إلى السجن، وقال: يا خبيث، لأشغلنك عن أعراض المسلمين، فكتب إليه من السجن:

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرخٍ
حُمْرِ الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيْتَ كاسبهُمْ في قَعْرِ مُظْلمةٍ
فاغفرْ عليك سلام الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذي من بَعْدِ صاحبه
ألْقتْ إليك مقاليدَ النهى البشرُ
ما آثروك بها، إذ قدَّموك لها
لكنْ لأنفسهم كانت بها الأُثرُ[١]

ولما هجا النجاشي رهط تميم بن مقبل، استعدوا عليه عمر بن الخطاب، وقالوا: يا أمير المؤمنين، إنه هجانا، قال: فما قال فيكم؟ قالوا: إنه قال:

إذا الله عادى أهْلَ لؤمٍ وذلةٍ
فَعادى بني العجلان رهطَ ابْنِ مُقْبِلِ

فقال عمر: رجل دعا، فإن كان مظلوماً استجيب له، وإن لم يكن مظلوماً لم يستجب له، قالوا: فقد قال بعد هذا:

قبيلتهمْ لا يخْفِرون بذمَّةٍ ولا يظلمون الناسَ حَبَّةَ خَرْدَل

فقال عمر رضي الله عنه: ليت آل بني الخطاب مثل هؤلاء، قالوا: فإنه يقول بعد هذا:

ولا يَرِدون الماءَ إلا عَشِيَّةً
إذا صَدَرَ الوُرَّاد عن كل مَنْهَل

فقال عمر: ذلك أجم لهم وأمكن قالوا: فإنه يقول بعد هذا:

وما سُمِّيَ العجلانُ إلا لقولِهِ
خذِ الْقَعْبَ واحلُبْ أيها العبدُ واعجل[٢]

---

(١) الأبيات من البسيط - العقد الفريد - جـ٣ ص ٩١ - ٩٢، وطبقات فحول الشعراء - السفر الأول - ص ١١٦ - ١١٧، والأغاني جـ٢ ص ١٨٨

(٢) الأبيات من الطويل - الشعر والشعراء ص ١٨٧ - ١٩٠، والعقد الفريد جـ٣ ص ٩٩ - ١٠٠، وزهر الآداب - المجلد الأول - ص ٥٤ - ٥٥. والبيان والتبيين جـ٤ ص ٣٧.

فقال عمر: سيد القوم خادمهم، فما أرى بهـذا بأساً، ولم يكن عمر رضي الله عنـه ينكر أن ذلك هجو، ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات.

وكـان بنو عبـد المدان الحـارثيون يفخـرون بطول أجسامهم، حتى قال فيهم حسان بن ثابت:

لا بـأس بـالـقـوم مـن طـولٍ ومـن غِـلَظٍ
جـسْـمُ الـبـغـالِ وأحـلامُ الـعـصـافـيـر[1]

فقالوا له: يا أبا الوليد، والله، لقد تـركتنا ونحن نستحي من ذكـر أجسامنـا، بعد أن كنا نفخر بذلك.

وكان بنو نمير أشراف قيس وذؤابتها، وكان الرجل منهم يفخـر بذلـك ويقول: النميري، ويمد صوته حتى قال جرير:

فَـغُضَّ الـطرْفَ إنـك مـن نـميْـرٍ فـلا كـعْبـاً بلغْتَ ولا كـلابـا[2]

فانكسرت شوكتهم من يومئذ، ولم تعرف لهم علامة بعد ذلك.

وكان بنو أنف الناقة يسمون بهذا الاسم، يسأل الرجل منهم عن نسبه فيخفيه، ولا ينتسب لأنف الناقة، حتى قال فيهم الحطيئة:

قـومٌ همُ الأنفُ والأذنـابُ غيـرهُمُ ومنْ يُسَـوِّي بأنْفِ النـاقـةِ الـذَّنَبا[3]

وجاء أعرابي إلى أبي داود بن المهلب فقـال له: إني مـدحتك فـاسمع مني، قـال: قف قليـلاً، ثم دخـل بيتـه وتقلد سيفـه، وخـرج فقـال: قـل، فـإن أحسنت حكمناك، وإن لم تحسن قتلناك، فقال:

أمِـنْـتُ بـداودٍ وجـودِ يـمـيـنـه
مـن الـمُـحْـدَثِ الـمـخْـشِـيِّ والبـؤْسِ والـفـقْـرِ

(١) البيت من البسيط ـ ديوان حسان، ص ٢٧٠، وروايته (ومن عظم).

(٢) البيت من الوافر ـ وهو وحكايته في زهر الآداب ـ المجلد الأول، ص ٥٥ ـ ٥٦. وهـذه النادرة من [د، س]. وأخلت بها [ح].

(٣) البيت من البسيط.
وهذه النادرة أخلت بها [ح، د].

فـأصـبـحـتُ لا أخـشـى بـداودَ نَـبْـوَةً
من الـحَـدَثـانِ، إذْ شَـدَدْتُ بـه أزْري
لـه حِـلْـمُ لـقـمـانٍ، وصـورةِ يـوسـفٍ
وحـكـمُ سـلـيـمـانٍ، وعـدلُ أبـي بـكـر
فـتـى تَـفْـرَقُ الأمـوالُ مـن جـود كـفِّـهِ
كـمـا يَـفْـرَقُ الـشـيـطانُ مـن لـيـلة الـقـدر(١)

فقال له: قل، فقد حكمناك، فإن شئت على قدرنا، وإن شئت على قدرك، قال: بل على قدري، فأعطاه خمسين ألفاً، فقال له جلساؤه: هلا احتكمت على قدر الأمير؟ قال: لم يكن في ماله ما يفي بقدره، فقال له داود: أنت في هذا أشعر منك في شعرك، وأمر له بمثل ما أعطاه.

وقال الأصمعي: كنت عند الرشيد، إذ دخل عليه إبراهيم الموصلي فأنشده:

وآمـرةٍ بـالـبـخـلِ قـلـتُ لـهـا: اقْـصِـري
فـلـيس إلـى مـا تـأمـريـنَ سـبـيـلُ
فَـعـالِـي فَـعـالُ الـمُـكْـثِـريـنَ تَـجَـمُّـلاً
ومـالـي كـمـا تَـعْـلَـمـيـنَ قـلـيـلُ
وكـيـف أخـافُ الـفـقْـرَ، أو أُحْـرَمُ الـغـنـى
ورأيُ أمـيـرِ الـمـؤمـنـيـن جـمـيـلُ(٢)

فقال له الرشيد: لله أبيات، تأتينا بها، ما أحسن أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها، يا غلام: أعطه عشرين ألفاً، قال: والله، لا أخذت منها درهماً، قال: ولم؟ قال: لأن كلامك، والله، يا أمير المؤمنين، خير من شعري، قال: أعطوه أربعين ألفاً، قال الأصمعي: فعرفت أنه أصيد لدراهم الملوك مني.

وقال الشيباني: ولد لأبي دلامة ابنة ليلاً، فأوقد السراج، وجعل يخيط خريطة

---

(١) الأبيات من الطويل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص ٦٨

(٢) الأبيات من الطويل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص ٦٨، ووفيات الأعيان ـ جـ١ ص ٢٠٣، وزهر الآداب ـ المجلد الثاني ص ١٠٨٥

شقق، فلما أصبح طواها بين أصابعه، وغدا بها إلى المهدي فاستأذن عليه، فأذن له، وكان لا يحجب عنه، فأنشده:

لو كان يقعدُ فوق الشمسِ من كَرَمٍ
قومٌ، لقيل: اقعدوا يا آل عباسِ
ثم ارتَقُوا من شعاعِ الشمس في دَرَجٍ
إلى السماءِ، فأنتمْ أكرمُ الناس[١]

فقال المهدي: أحسنت، والله، يا أبا دلامة، فما الذي غدا بك إلينا؟ فقال: ولدت لي جارية، يا أمير المؤمنين، قال: فهل قلت فيها شعراً؟ قال: قلت:

بَلَلْتِ عليَّ ـ لا حُييتِ ـ ثوْبي ... فبالَ عليكِ شيطانٌ رجيمُ
فما ولدتْكِ مريمُ أمُّ عيسى ... ولم يكفُلْكِ لقمانُ الحكيم
ولكنْ قدْ تضمُّكِ أمُّ سوءٍ ... إلى لَبَّاتِها، وأبٌ لئيم[٢]

قال: فضحك المهدي وقال: فيم تريد أن أعينك في ترتبيتها؟ قال: تملأ لي هذه يا أمير المؤمنين، وأشار إليه بالخريطة بين أصابعه، قال له المهدي: وما عسى أن تحمل هذه؟ قال: من لم يقنع بالقليل، لم يقنع بالكثير، فأمر أن تملأ له، فلما نشرت بلغت صحن الدار، فدخل فيها أربعة آلاف درهم.

وكتب أبو دلامة إلى عيسى بن موسى، وهو والي الكوفة رقعة فيها هذه الأبيات:

إذا جئْتَ الأميرَ فَقُلْ سلامٌ ... عليك ورحمةُ الربِّ الرحيمِ
فأما بعد ذاك فلي غريمٌ ... من الأنصار قُبِّحَ مِنْ غريم
لَزُومٌ ما عَلِمْتُ لبابِ داري ... لُزومَ الكلْبِ أصحابَ الرَّقيم
له مائةٌ عليَّ ونصفُ أخرى ... ونصفُ النصف من صَكٍّ قديم
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكنْ ... حبوتُ بها شيوخَ بني تميم[٣]

فبعث إليه[٤] بمائة ألف.

(١) البيتان من البسيط ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص ٦٩
(٢) الأبيات من الوافر ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص ٦٩
(٣) الأبيات من الوافر ـ المرجع السابق ـ ص ٧٠ وجـ٣ ص ٣٩١.
(٤) فبعث إليه بمائتي درهم (د).

ولقي أبو دلامة أبا دلف في صيد له، وهو والي العراق، فأخذ بعنان فرسه، وأنشد:

إني حلفتُ لئنْ رأيتُك سالماً بقرى العراقِ، وأنت ذو وفْرِ
لتصلِّيَنَّ على النبيِّ محمدٍ ولتملأنَّ دراهماً حِجْري[١]

فقال: أما الصلاة على النبي ﷺ فنعم، وأما الدراهم، فلما نرجع إن شاء الله، فقال: جعلت فداك، لا تفرق بينهما، فاستسلفها له، وصبت في حجره، حتى أثقلته.

ودخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده:

سألْتُ الندى: هل أنتَ حرٌّ؟ فقال: لا
ولكنني عبدٌ ليحيى بنِ خالدِ
فقلت: شراءً؟ قال: لا، بل وراثةً
توارثني عن والدٍ بعد والد[٢]

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

وصنع بعض الناس وليمة، وكان فيها المبرد، وكانوا يسمعون غناء مغنية من وراء ستر، فاندفعت تغني:

وقالوا لها: هذا حبيبُكِ مُعْرِضٌ فقلت لهم: إعراضُه أيْسَرُ الخَطْبِ
وما هيَ إلا نظرةٌ ثم حَسرةٌ فتصطكُّ رِجْلاهُ، ويسقطُ للْجَنْبِ[٣]

فطرب كل من حضر طرباً شديداً، إلا المبرد، فأخذ صاحب الوليمة يعاتبه على عدم طربه، فقالت له المغنية: دعه يا سيدي، فلعله توهم أني لحنت في قولي: هذا حبيبك معرض، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخٌ ﴾[٤]، فبلغ الطرب بالمبرد أن شد في ثيابه، وهذا من أحسن ما يوجد من طرب النساء وكمالهن.

---

(١) البيتان من الكامل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص ٢٧٠ والأغاني جـ١٠ ص ٣٥٣ وروايتها: إني نذرت، ووفيات الأعيان جـ٢ ص ٣٢٥.
(٢) البيتان من الطويل ـ العقد الفريد ـ جـ١ ص ٧١.
(٣) البيتان من الطويل ـ وفيات الأعيان ـ جـ٤ ص ٣١٧.
(٤) سورة هود ـ الآية ٧٢.

وأهدى رجل من الثقلاء إلى رجل من الظرفاء جملاً، ثم نزل عليه حتى أبرمه، فقال فيه:

يا مُبْرِماً أهدى جَمَلْ ... خذْ وارتحلْ الفيْ جَمَلْ
قال: وما أوقِرُها ... قلت: زبيبٌ وعَسل
قال: ومن يقودها ... قلت له: ألفا بطل
قال: وما لباسُهُمْ ... قلتُ: حليٌ وحُلَلْ
قال: وما سلاحهمْ ... قلت: سيوفٌ وأسَل
قال: عبيدٌ لي إذن ... قلت: نعم، ثم خَوَل
قال: وقد أضجرتكمْ ... قلت: أجل، ثم أجل
قال: وقد أبرمتكم ... قلت له: الأمرُ جَلَل
قال: وقد أثقلتكم ... قلت له: فوق الثقل
قال: فإني راحلٌ ... قلت: العَجَلْ، ثم العجل
يا جبلاً من جبلٍ ... في جبل فوق الجبل[1]

وبينما خالد بن الله القسري جالس في مظلة، إذ نظر إلى أعرابي يخب إليه بعيره، مقبلاً نحوه، فقال لحاجبه: إذا قدم فلا تحجبه، فلما دخل عليه سلم وقال:

أصْلَحكَ اللهُ، قَلَّ ما بيدي ... فما أطيقُ العيالَ إذ كَثُروا
أناخَ دهرٌ، ألقى بكلْكَله ... فأرسلوني إليك وانتظروا[2]

فقال خالد: أرسلوكِ وانتظروا، والله لا تنزل حتى تنصرف إليهم بما يسرهم، وأمر له بجائزة عظيمة، وكسوة شريفة.

ووقف رجل من الشعراء إلى عبد الله بن طاهر، فأنشده:

إذا قيل: أيّ فتّى تعلمونَ ... أهشُ إلى الباسِ والنائلِ؟
وأضربَ للهام يوم الوغى ... وأطعمَ في الزمن الماحل؟
أشار إليك جميع الأنام ... إشارةَ غرْقى إلى ساحل[3]

---

(١) الأبيات من الرجز، والبيت الثامن من [د، س].

(٢) البيتان من المنسرح ـ العقد الفريد جـ١ ص ٨٣، ووفيات الأعيان جـ٥ ص ٢٤٨، وتنسب الحكاية إلى معن.

(٣) الأبيات من المتقارب.

فأمر له بخمسين ألف درهم.

وقال أحمد بن مطير: أنشدت عبد الله بن طاهر أبياتاً، كنت مدحت بها بعض الولاة، وهي:

له يومُ بؤسٍ فيه للناس أَبْؤُسٌ ... ويوم نعيمٍ، فيه للناس أنعُمُ

فيقطرُ يومَ الجود من كفِّه الندى ... ويقطرُ يوم البؤس من كفه الدَّمُ

فلو أن يوم البؤس خلَّى عقابه ... على الناس لم يصبح على الأرض مجرم

ولو أن يوم الجود خلَّى نواله ... على الأرض لم يصبح على الأرض مُعْدِم[1]

فقال: كم أعطاك عليها؟ قلت: خمسة آلاف، قال: فقبلتها؟ قلت: نعم، قال: أخطأت، ما ثمن هذه إلا مائة ألف.

وحدث أحمد بن زهير قال: كان أحمد بن زيدان الكاتب قاعداً بين يدي يحيى بن أكثم يكتب، وكان شاباً جميلاً، فقرص يحيى خده، فاستحى ابن زيدان، واحمر وجهه، ورمى القلم من يده، فقال له: خذ القلم واكتب، فأخذ القلم وكتب:

أيا قَمَراً جَمَّشْتُهُ فَتَغَضَّبا ... وأصبح من تيهٍ به متجنبا

إذا كُنت للتخميش والقرصِ كارهاً ... فكنْ أبداً يا مُنْيتي مُتَنَقِّبا

ولا تُظهِرِ الأصداغَ للناس فتنةً ... وتجعَلَها من فوق خَدِّكَ عَقْربا

فتقتلَ مشتاقاً، وتَفْتِنَ ناسكا ... وتتركَ قاضي المسلمين مُعَذَّبا[2]

---

(١) الأبيات من الطويل، وهي للحسين بن مطير الأسدي في مدح المهدي، أنظر زهر الآداب المجلد الثاني ص ١٠٥١، وتوكأنا عليه في رواية البيتين الأخيرين، إذ أخلت بالرابع [ح] وهو مضطرب في [د،س] والثالث مضطرب في [ح]، وفي العقد الفريد منسوبة لأحمد بن مطير مما يؤكد اعتماد الحدائق عليه، أنظر جـ١ ص ٨٥.

(٢) الأبيات من الطويل، والبيت الأول أخلت به [ح].

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري، فرأى عنده شعراء وهم ينشدونه فسكت الأعرابي يسمع المدائح، وينظر إلى الجوائز تفرق، فقام ثم قال: جعلت فداك، يا أمير المؤمنين، ما يمنعني من إنشادي إلا قلة ما معي مما قلته فيك من الشعر، فأمر أن يكتب ما معه فكتب:

تَبَرَّعْتَ لي بالجود، حتى مَلَكْتَنِي
واعطيتَنِي حتى حسبتُكَ تَلْعَبُ
فأنت الندى وابن الندى وأبو الندى
وحِلْفُ الندى، ما للندى عنك مَذْهَبُ(١)

قال: ما حاجتك؟ قال: علي دين، قال: كم؟ قال: خمسون ألف درهم، فقضاها عنه، وأمر له بمثلها.

وزار إسماعيل بن خارجة صديق له، فلما كان بباب الدار وثب كلب فانصرف، وكتب إليه:

لو كنتُ أحملُ خمراً حين زُرْتكمُ
لم ينكرِ الكلبُ أنّي صاحبُ الدّار
لكنْ أتيتُ، وريحُ المسك يَقْدُمُني
وعَنْبَرُ الهند مَضْبوبٌ على السّاري
فأنكر الكلبُ ريحي حين أبصرني
وكان يعرفُ ريح الزِّقِّ والنار(٢)

وكان جد خارجة خماراً.

ودخل أعرابي مسجد رسول الله ﷺ، وسأل عن الفقهاء، فدل على ابن أبي ذيب، فأتى حلقته، فقال: أيكم الذيب؟ فقال: ما تريد؟ قال: أنت هو؟ قال: نعم، فسأله عن مسألة في الطلاق، فقال: ما أراك حانثاً، فولى الأعرابي وهو يقول:

أتيتُ ابن ذيبٍ، أطلبُ الفقْهَ عنده
فطلّقَ ليلى البتَّ، بُتَّتْ أنامِلُهْ

---

(١) البيتان من الطويل، ورواية [س] تسرعت، وفي الأبيات تكرار معيب في الندى، مثل تكرار النوى الذي عابه الأصمعي، وتمنى أن تأكله شاة.

(٢) الأبيات من البسيط، وفي [س] منصوب على الساري، وفي [د، س] جد خارجة.

أَتَتْرُكُ فِي فِقْهِ ابْنِ ذِيبٍ حَلِيلَتي
وعِنْدَ ابْنِ ذِيبٍ أَهْلُه، وحَلائِلُهْ[١]؟

وقدم عمر بن أبي ربيعة، فأقبل إليه الأحوص ونصيب، فجعلوا يتحدثون، ثم سألهما عن كثير عزة، فقال له نصيب: هو ها هنا قريب، فلو أرسلنا إليه، قال: هو أشد بأساً من ذلك، قال: فاذهب بنا إليه، فألفوه في خيمة له، فوالله ما قام للقرش، ولا وسع له، فجلسوا إليه وتحدثوا ساعة، فالتفت كثير إلى عمر بن أبي ربيعة فقال له: إنك لشاعر، لولا أنك تشبب بالمرأة وتدعها، وتشبب بنفسك، أخبرني عن قولك:

ثم اسْبَطَرَّتْ تَشْتَدُّ في أَثَري   تسألُ أَهْلَ الطَّوافِ عن عُمَرِ[٢]

والله، لو وصفت بهذا هرة أهلك لكان كثيراً، ألا قلت كما قال هذا، يعني الأحوص:

أدورُ، ولولا أن أرى أمَّ جعفر
بأبياتكمْ، ما دُرتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زوّاراً، ولكنَّ ذا الهوى
إذا لم يُزَرْ، لا بد أن سيزور[٣]

قال: فانكسر عمر بن أبي ربيعة،.ودخلت الأحوص زهوة، ثم التفت إلى الأحوص وقال له: أخبرني عن قولك:

فإنْ تَصِلي أَصِلْكِ، وإن تَبيني   بهجرٍ بَعْدَ وصلك ما أُبالي[٤]

والله، لو كنت حراً لباليت، ولو كسر أنفك، ألا قلت كما قال هذا الأسود وأشار إلى نصيب:

بزينبَ أَلْمِمْ قبلَ أن ينزلَ الرَّكْبُ
وقُلْ: إنْ تَمَلِّينا، فما مَلَّكِ القَلْبُ[٥]

(١) البيتان من الطويل.
(٢) البيت من المنسرح، والحكاية في العقد الفريد جـ٣ ص ١١٥.
(٣) البيتان من الطويل.
(٤) البيت من الوافر، وصوبناه من العقد ـ معنى ـ، وهو مختل الوزن في [س].
(٥) البيت من الطويل. وورد في العقد جـ٣ ص ١٧٧

فانكسر الأحوص، ودخلت نصيباً زهوة، ثم التفت إلى نصيب، فقال: أخبرني عن قولك:

أهيمُ بدعْدٍ ما حييتُ، فإن أمُتْ
فواكبدي مَنْ ذا يهيمُ بها بَعْدي[١]

أهمك ويحك، من يفعل بها بعدك؟ فقال القوم: الله أكبر، استوت الفرق، قوموا بنا من عند هذا.

ودخل كثير على سكينة بنت الحسين فقالت له: يا ابن أبي جمعة، أخبرني عن قولك في عزة:

وما روضةٌ بالحَزْنِ طيبةُ الثَّرى يَمُجُّ الندى جَثْجَاثُها وعِرَارُها
بأطْيَبَ من أرْدانِ عَزَّةَ مَوْهِناً وقد اوقدتْ بالمَنْدلِ الرَّطْبِ نَارُها[٢]

ويحك، وهل في الأرض زنجية منتنة الإبطين، توقد بالمندل الرطب نارها، إلا طاب ريحها؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤ القيس؟:

أَلَمْ تَرَيانِي كلَّما جئتُ طارقاً
وجدتُ بها طيباً؛ وإن لم تَطَيَّبِ[٣]

وسهر عبد الملك بن مروان ذات ليلة، وعنده كثير عزة، فقال له: أنشدني بعض ما قلت في عزة، فأنشده حتى انتهى إلى هذا البيت:

هَمَمْتُ وهَمَّتْ، ثمَّ هابتْ وهِبْتُها حياءً، ومثلي بالحياءِ خليقُ[٤]

فقال له عبد الملك: أما والله، لولا بيت أنشدتنيه قبل هذا لحرمتك جائزتك قال: ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: لأنك أشركتها في الهيبة ثم استأثرت بالحياء دونها، قال: فأي بيت عفوت به عني يا أمير المؤمنين؟ قال: قولك:

---

(١) البيت من الطويل، وينسب إلى النمر بن تولب عن الأصمعي، وينسب أيضاً إلى نصيب، ورواية النمر «وأوصى بدعد من يهيم بها بعدي» انظر في الروايتين: الشعر والشعراء ص ١٧٤، ٢٤٣

(٢) البيتان من الطويل، وعدلنا الأول منهما من العقد جـ٣ ص ١١٥، ومن وفيات الأعيان ـ جـ٤ ص ١١٠

(٣) البيت من الطويل.

(٤) البيت من الطويل، وهو وحكايته في العقد جـ٣ ص ١١٥

دعــوني هــائمــاً، فـيمـنْ يهـيمُ   دعــوني، لا أريــد بهــا ســواهــا[١]

ودعا الأعور بن سنان التغلبي الأخطل الشاعر إلى منزله، فـأدخله بيتاً قـد فرش بالفرش الشريفة، والوطاء العجيبة، وله امرأة تسمى برة، في غاية الحسن والجمال، فقال له: يا أبا مالك، إنـك تدخـل على الملوك في مجالسهم، فهـل ترى في بيتي عيباً؟ قال: ما أرى في بيتك عيباً غيرك، قال: إنما ألوم نفسي؛ إذ كنت أدخل مثلك بيتي، اخرج عليك لعنة الله، فخرج الأخطل، وهو يقول:

وكيفَ يُـداويني الطبيبُ من الجـوى   وَبَـرَّةُ عنـد الأعـورِ بـنِ سِـنَـانِ

ويُلْصِقُ بـطناً مُنتنَ الـريحِ دائمـاً   إلى بــطنِ خـوْدٍ دائمِ الخَفَقـان[٢]

ودخل الشعبي على بشر بن مـروان، وهو والي العـراق لأخيه عبـد الملك بن مروان وعنده جارية، في حجرها عود، فلما دخل الشعبي، أمرها فوضعت العود، فقـال له الشعبي: لا ينبغي لـلأمير أن يستحي من عبـده، قال: صـدقت، ثم قال للجـارية: هات ما عندك، فأخذت عودها وغنت:

ومِـمَّـا شـجـانـي أنـهـا يـوْم ودعـتْ

تـولـتْ، ومـاءُ الـعـيـن فـي الـجـفـن حـائـرُ

فـلـمـا أعـادتْ مـن بـعـيـدٍ بـنـظرةٍ

إلـيَّ الـتـفـاتـاً، أسْـلَمَـتْـهُ الـمَـحـاجِـرُ[٣]

فقال الشعبي الصغير أكيسهما يريد الزيـر، ثم قال لهـا: يا هـذه، أرخي من فمك، واشـددي في زيرك، قـال له بشـر: وما علمـك؟ قـال: أظن العمـل فيهمـا، قـال: صدقت، ومن لم ينفعه ظنه لم ينفعه يقينه.

وقال الأصمعي: قدم أعرابي بعدل من خمـر العراق إلى المـدينة، فبـاعها إلا السود، فشكى ذلك إلى الدارمي، وكان قـد تنسك، وتـرك الشعر، ولـزم المسجد، فقال له: ما تجعل لي على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعهـا كلها؟ قـال: حكمك،

---

(١) البيت من الوافر.

(٢): البيتان من الطويل، وهما والحكاية في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ١٢٠

(٣) البيتان من الطويل، وهما والحكاية في العقد جـ٣ ص ١٦٣

فعمد الدارمي إلى ثياب نسكه فألقاها عنه، وعاد إلى مثل شأنه الأول، وقال شعراً ودفعه إلى صديق له من المغنين، وقال له: تغن بهذا الشعر:

قُلْ للمليحة في الخمار الأسود ماذا أردتِ بزاهدٍ متعبدِ
قد كان شمَّر للصلاة رداءَه حتى وقفْتِ له بباب المسجد
رُدِّي عليه صلاتَه وصيامَه لا تفتنيه بحقِّ دينِ محمدِ(١)

فشاع هذا الغناء بالمدينة، وقالوا: قد رجع الدارمي، وتعشق صاحبة الخمار الأسود، فلم تبق مليحة بالمدينة إلا اشترت خماراً أسود، وباع التاجر ما كان معه، فكان إخوان الدارمي من النساك يلقون الدارمي فيقولون له: ما صنعت؟ فيقول: ستعلمون نبأه بعد حين، فلما أنفذ العراقي ما كان معه، رجع الدارمي إلى نسكه وثيابه فلبسها.

وقال الأحوص يوماً لمعبد: أمض بنا لى عقيلة نتحدث معها، ونستمع من غنائها، وغناء جواريها، فمضيا، فألفيا على بابها معاذ الأنصاري وابن صياد، فاستأذنوا عليها، فأذنت لهم إلا الأحوص، فقالت: نحن على الأحوص غضاب فانصرف الأحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم بها، وقال:

ضنَّتْ عقيلةُ عنكَ اليوم بالزّاد وآثرتْ حاجةَ الثاوي على الغادي
قولا لمنزلها: حُيِّتَ منْ طلَلٍ وللعقيقِ، ألا حُييت من وادي
إني وهبتُ نصيبي من مودتها لمعبدٍ ومعاذٍ، وابن صياد(٢)

(١) الأبيات من الكامل، وهي وحكايتها في العقد جـ٣ ص ١٦٤، وقد صوبنا بعض كلماتها اعتماداً عليه وعلى السياق، ووردت في وفيات الأعيان جـ٤ ص ١٦١، وقبلها أبيات للقاضي التنوخي تشبهها، تقول:

قل للمليحة في الخمار المذهب أفسدت نسك أخي التقي المترهب
نور الخمار ونور خدك تحته عجباً لوجهك، كيف لم يتلهب
وجمعت بين المذهبين، فلم يكن للحسن عن ذهبيهما من مذهب
وإذا أتت عين لتسرق نظرة قال الشعاع لها: إذهبي ثم إذهبي.

وأبيات مسكين أطبع، وثمة بيتان للنابغة ربما كانا أمام مسكين:

لو أنها عرضت لأشمط راهب عبد الإله ضرورة متعبد
لرنا لبهجتها وحسن حديثها ولخاله رشداً وإن لم يرشد

الشعر والشعراء ص ٧٣.

(٢) الأبيات من البسيط.

وخرج أبو السائب مع عمر بن أبي ربيعة متنزهاً إلى بعض نواحي مكة، فذهب أبو السائب ليبول، وعليه طويلة، فرجع دونها، فقال له ابن أبي عتيق؛ ما فعلت طويلتك؟ قال: ذكرت قول كثير عزة:

أرَى الإزارَ على لُبنى فأحسدُه إن الإزارَ على ما ضمَّ محسودُ[١]

فتصدقت بها على الشيطان الذي أجرى هذا البيت على لساني، فأخذ ابن أبي عتيق طويلته، ورمى بها وقال: إلى من تقدمته أنت إلى بر الشيطان.

وقال الأصمعي: كان أبو الطمحان شاعراً مجيداً، وكان يطلب الإذن على يزيد بن عبد الملك، فلم يصل إليه، فقال لبعض المغنين: ألا أعطيك بيتين من الشعر تغني بهما أمير المؤمنين، فإن سألك من قالهما، فأخبره أني بالباب، فما رزقني الله منه فهو بيني وبينك، قال: هات، فأعطاه هذين البيتين:

يكادُ الغمامُ الحر يُرعدُ أن رأى مُحَيا ابنِ مروانٍ، ويَنْهَلُّ بارِقُهْ

يظلُّ فتيتُ المسك في رونق الضحى تسيلُ به أصداغُهُ ومفارقه[٢]

قال: فغناه بهما في وقت أريحيته، وطرب لهما طرباً شديداً وقال: لله قائلهما، من هو؟ قال: أبو الطمحان، وهو بالباب يا أمير المؤمنين، قال: ما أعرفه، فقال بعض جلسائه: هو صاحب الدير يا أمير المؤمنين، قال: وما قصة الدير؟ قال: قيل لأبي الطمحان: ما أيسر ذنوبك؟ قال: ليلة الدير قيل له: وما ليلة الدير؟ قال: نزلت ليلة دير نصرانية[٣]، فأكلت عندها طفيشلا بلحم خنزير، وشربت من خمرها، وسرقت كساءها ومضيت، فضحك يزيد، وأمر له بألفي درهم، وقال: لا يدخل علينا، فأخذ أبو الطمحان الألفين، وانسل بهما وخيب المغني.

وقال إبراهيم الموصلي: دخلت على هارون الرشيد، فلما رأيته قد أخذ في حديث الجواري وغلبتهن على الرجال، غنيته بأبياته التي يقول فيها:

---

(١) البيت من البسيط، وهو وحكايته في العقد الفريد جـ٣ ص ١٦٧، مع زيادة في الحدائق.

(٢) البيتان من الطويل. وهما والحكاية في العقد الفريد ـ جـ٣ ص ١٧٢ ـ ١٧٣

(٣) في الأصل: بدير ابنتي، ولا معنى لها، بل هي غلط، ونقلنا: بدير نصرانية من العقد.

مَلَكَ الثلاثُ الآنساتُ عِناني وحَلَلْنَ من قلبي بكلِّ مكانِ
ما لي تُطاوعني البريةُ كلُّها وأطيعهنَّ وهُنَّ في عصياني
ما ذاك إلا أن سلطانَ الهوى - وبه قَوِينَ - أعزُّ من سلطاني[1]

فارتاح وطرب، وأمر لي بعشرة آلاف درهم.

وقال أبو العباس: حدثت أن أبا العباس عمر الوادي قال: أقبلت من مكة أريد المدينة، فسمعت غناء من القرى لم أر مثله، فقلت: والله لأتوصلن إليه، فإذا هو عبد أسود، فقلت: أعد علي ما سمعت، فقال: والله، لو كان عندي قرى أقريكه لفعلت[2]، ولكني أجعله قراك، فإني، والله، ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع، وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط، وربما غنيته وأنا عطشان فأروى، ثم اندفع يغني:

وكنتُ إذا ما زُرتُ سُعدى بأرضها
أرى الأرض تُطوى لي وَيَدْنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البيضِ، وَدَّ جليسُها
إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدها[3]

قال عمر: فحفظته عنه، ثم تغنيت به على الحالات التي وصف، فهو كما ذكر.

وحكى الشيباني قال: كان بالعراق قينة، وكان أبو نواس يختلف إليها، فكانت تظهر له أنها لا تحب غيره، وكان كلما جاءها وجد عندها فتى يجلس إليها ويتحدث معها، فقال فيها:

ومُظهرةٍ لخلق الله وُدّاً وتُلقى بالتحية والسلام
أتيتُ فؤادَها أشكو إليها فلم أَخْلُصْ إليه من الزحام
فيا مَنْ ليس يكفيه خليلٌ ولا خمسون ألفاً كلَّ عام
أراكَ بقيةً من قومِ موسى فهمْ لا يَصْبرون على طعام[4]

---

(١) الأبيات من الكامل، وهي وحكايتها في العقد جـ٣ ص ١٧٦

(٢) في الأصل: ما فعلت، وهي خطأ.

(٣) البيتان من الطويل.

(٤) الأبيات من الوافر.

وأبخل البخلاء حميد الأرقط الذي يقال له: هجاء الأضياف، وهو القائل في ضيف له:

تُجَهِّزُ كفَّاه، ويحدِرُ حَلْقُهُ
إلى الزَّوْرِ، ما ضُمَّتْ عليه الأنامل
أتانا، وما ساواه سحبانُ وائلٍ
بياناً وعلماً، ما الذي هو قائل
فما زال عنه اللُّقْمُ، حتى كأنه
من العيِّ، لما أن تكلَّمَ باقل[1]

وحكى ابن عدي قال: نزل على أبي حفصة الشاعر رجل باليمامة، فأخلى له المنزل، ثم هرب؛ مخافة أن يلزمه قراه تلك الليلة، فخرج الضيف، فاشترى ما احتاج إليه، ثم رجع وكتب إليه:

يا أيها الخارجُ من بيْتِهِ ... وهارباً من شدَّةِ الخوْفِ
ضيفُكَ قد جاءَ بزادٍ لَهُ ... فَارْجِعْ وكُنْ ضيفاً على الضيف[2]

وصلى الوليد بن عقبة بأهل الكوفة الصبح ثلاث ركعات، وهو سكران، ثم التفت إليهم وقال: وإن شئتم زدتكم، فشهدوا عليه وجلده علي بن أبي طالب بين يدي عثمان رضي الله عنهما، وهو أخو عثمان لأمه، فقال فيه الحطيئة، وكان نديمه:

شهدَ الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أن الوليدَ أحقُّ بالعذْرِ
نادى، وقد تمَّتْ صلاتُهُمُ ... لِيَزِيدَهُمْ خيْراً على خير
ليزيدهم خيراً، ولو قَبِلُوا ... لَقَرَنْتَ بين الشَّفْعِ والوَتْرِ
كَبَحُوا عِنَانَكَ إذْ جَرَيْتَ، ولوْ ... تركوا عنانَك لم تكنْ تجري[3]

وكان بعض الظرفاء ينادم رجلاً من الرؤساء، فكان يكسوه إذا سكر قميصاً، فإذا صحا نزعه عنه، فقال في ذلك:

---

(١) الأبيات من الطويل، وهي وحكايتها في العقد الفريد جـ٣ ص ٢٣٢

(٢) البيتان من السريع، وهما والحكاية في العقد ـ جـ٣ ص ٢٣٢

(٣) الأبيات من الكامل.

كساني قميصاً مرتين، إذا انتشى
وينزعُهُ مني إذا كان صاحيا
فلي فَرْحَةٌ في سُكْرِهِ بقميصِهِ
وفي الصحْوِ رَوْعَاتٌ تُشيبُ النّواصيا
فيا ليتَ حظّي من سروري وَتَرْحَتي
بِكُسْوَتِهِ أنْ لا عَلَيَّ ولا ليا[1]

وحدث أبو جعفر قال: بينما الأمين في قصر له، إذ مر بجارية سكرى، وعليها كساء خز، تسحب أذياله، فراودها عن نفسها، فقالت: يا أمير المؤمنين، أنا على ما ترى، ولكن إذا كان في غد إن شاء الله، فلما كان من الغد، سار إليها، فقال لها: الميعاد، فقالت: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن كلام الليل يمحوه النهار، فضحك، وخرج من مجلسه وقال: من بالباب من الشعراء؟ فقيل له: مصعب والبرقاش وأبو نواس، فأمر فأدخلوا عليه، فلما جلسوا بين يديه قال: ليقل كل واحد منكم شعراً، يكون آخره: كلام الليل يمحوه النهار: فقال الرقاشي:

متى تصحُو، وقلبُكَ مُسْتطارُ ... وقد مُنِعَ القرارُ، فلا قَرَارُ
وقد تركتْكَ صَبّاً مُسْتهاما ... فتاةٌ، لا تزور ولا تُزار
إذا استنجزْتَ منها الوعدَ، قالت: ... كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال مصعب:

أتعزِلُني، وقلبي مُستطار ... كئيبٌ، لا يَقَرُّ به قرار
بحبِّ مليحةٍ صادتْ فؤادي ... بالحاظٍ، يخالطُها احْورار
ولما أنْ مَدَدْتُ يدي إليها ... لألْمَسَها بَدا منها نِفار
ولما جئتُ مُقتَضياً، أجابت ... كلامُ الليل يمحوه النهار

وقال أبو نواس:

وليلَى أقبلتْ في القصر سكْرى ... ولكنْ زيَّنَ السُّكْر الوقار
وهزَّ الريحُ أردافاً ثِقالا ... وغُصناً، فيه رمانٌ صغار

(١) الأبيات من الطويل ـ العقد الفريد ـ جـ٣ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠.

وقد سقطَ الرِّدا عن مَنْكِبَيْها من التَّكْريه، وانحلَّ الإزار
فقلت: الوعدُ سيدتي، فقالتْ: كلامُ الليل يمحوه النهار[١]

فقال: أخزاك الله، يا حسن، أكنت معنا، أم مطلعاً علينا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، عرفت ما في نفسك، فأعربت عما في ضميرك، فأمر له بأربعة آلاف درهم، ولصاحبيه بمثلها.

وحدث حماد بن إسحاق الموصلي قال: حدثني أبي قال: غدوت يوماً وأنا ضجر من ملازمة دار الخلافة، فركبت عازماً على أن أطوف في الصحراء وقلت لغلماني: إن جاء رسول الخليفة، فعرفوه أني ركبت في مهم لي، ومضيت وطفت ما بدا لي، وعدت وقد حمي النهار، فوقفت في ظل شارع لأستريح فلم ألبث أن جاء خادم يقود حماراً فارهاً، عليه جارية، عليها لباس فاخر، فرأيت لها شمائل ظريفة، وطرفاً فاتراً، فحدست أنها مغنية، فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها، فعلقها قلبي، ولم أستطع براحاً، وأقبل رجلان يتماشيان، لهما هيئة تدل على قدرهما، وهما راكبان، فحملني حب الجارية، وحسن حالهما أن توسلت بهما، فدخلت معهما، فظنا أن صاحب الدار دعاني، وظن هو أني معهما، فجلسنا ودعا بالطعام فأكلنا وجيء بالشراب، فخرجت الجارية، وفي يدها عود، فرأيت جارية حسناء، فغنت غناءً صالحاً، فتمكنت من قلبي وشربنا، ثم قمت للبول، فسألهما صاحب الدار عني، فأنكراني، فقال: هذا طفيلي، ولكن ظريف، فأجملوا عشرته، فجئت وجلست، فغنت في لحن لي:

ذكرتُكِ، أمْ مرَّتْ بنا أمُّ شادنٍ
أمام المطايا تستريبُ وتَسْنَحُ
من المُؤْلِفاتِ الرَّمْلِ، إذ ماءُ خدِّها
شعاعُ الضحى في لونِهِ يَتَوَضَّحُ[٢]

فأدته صالحاً، ثم غنت من صنعتي في شعري:

قُلْ لمن صَدَّ عاتبا ونأى عنك جانبا

---

(١) الأبيات كلها من الوافر، وهي وحكايتها في العقد جـ٣ ص ٣١٩.
(٢) البيتان من الطويل.

قد بلغتَ الذي أردْتَ، وإن كُنْتَ لاعبا
واعترفْنا بما ادَّعَيْتَ، وإن كُنتَ كاذبا[1]

فغنته أصلح من الأول، فاستعدته منها، فأقبل عليّ أحد الرجلين وقال: ما رأيت طفيلياً أصفق وجهاً منك، لم ترض التطفيل حتى اقترحت؟ وهذا تصديق المثل: طفيلي ويقترح، فلم أجبه، وكفه عني صاحبه، فلم ينكف، ثم قالوا: للصلاة، فأخذت عود الجارية وأصلحته إصلاحاً محكماً، وعدت إلى موضعي فصليت، ثم عادوا، فعاد ذلك الرجل في عربدته علي، وأنا صامت، فأخذت الجارية عودها وجسته وقالت: من مس عودي؟ فقالوا: ما مسه أحد، فقالت: والله، لقد مسه حاذق ومتقدم، وشد طبقته، فقلت لها: أنا أصلحته، فقالت: بالله عليك خذه واضرب به، فأخذته منها وضربت، فبدأ ظريفاً عجيباً[2]، فيه نقرات محكمات، فما بقي منهم أحد إلا وثب فجلس بين يدي وقالوا: بالله، يا سيدنا، أتغني؟ قلت: نعم، وأعرفكم بنفسي، أنا إسحاق الموصلي والله، إن لأتيه على الخليفة، وأنتم تشتمونني اليوم؛ لأني تملحت معكم بسبب[3] هذه الجارية، والله، إني لانطقت بحرف، ولاجلست معكم حتى تخرجوا هذا المعربد، ونهضت لأخرج، فتعلقوا بي، وتعلقت الجارية، فقلت: والله، لا أجلس إلا أن يخرج، فقال له صاحبه: من شبه هذا حذرت عليك، فأخرجوه، فغنيت الأصوات التي غنتها الجارية من صنعتي، فطرب رب الدار طرباً شديداً وقال لي: هل لك في أمر أعرضه عليك؟ قلت: ما هو؟ قال: تقيم عندي شهراً، والحمار والجارية مع ما عليها لك، قلت: أفعل، فأقمت عنده ثلاثين يوماً لا يعرف أحد أين أنا، والمأمون يطلبني، فجئت بذلك منزلي بعد شهر، وركبت إلى المأمون، فقال لي: إسحاق، ويحك، أين كنت؟ فعرفته الخبر، فقال: علي بالرجل الساعة، فعرفتهم موضعه، فأحضر، وقال له: أنت رجل ذو مروءة، وسبيلك أن تعاون عليها، ثم أمر له بمائة ألف درهم،

---

(١) الأبيات من مجزوء الخفيف، وهي في الأغاني جـ١٠ ص ١١٠، ويقول الأصفهاني: لم أجده - أي الصوت - في مجموع شعره.

(٢) سقط من [د] جملة أوراق من بعد قول: عجيباً - إلى قوله: ثم دعوت الثالثة. الواردة في حديث أنس من الباب الثالث.

(٣) أخلت [س] من قوله: بسبب - إلى قوله: المعربد.

ونهاه أن يعاشر ذلك المعربد الرذيل، وأمر لي بخمسين ألفاً، وقال: أحضروا الجارية فأحضرت فغنته، فقال: قد جعلت لها نوبة في كل يوم ثلاثاء، تغني مع الجواري، وأمر لها بخمسين ألفاً.

وتشبه هذه الحكاية حكاية إبراهيم بن المهدي، إذ تشفع إلى المأمون من طفيلي، قدمنا ذكره في الباب قبل هذا، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، هب لي ذنبه، وأحدثك بحديث في التطفيل عن نفسي، قال: قل، قال: خرجت يوماً، فمررت في سكك بغداد، فشممت رائحة أبزار وقذور قد فاحت[1]، فسألت خياطاً عن رب الدار، فقال: هو رجل من التجار اسمه فلان، وخرج من شباك في أعلى الدار كف ومعصم، ما رأيت مثلهما قط، فذهب عقلي وبهت، فإذا رجلان مقبلان، فقال لي الخياط: هذان نديماه، وهما فلان وفلان، فحركت دابتي، ودخلت بينهما وقلت: قد استبطأكما أبو فلان، فأتينا الباب ودخلنا، فلم يشك صاحب الدار أني منهما، فرحب بي، وأجلسني في أجل موضع، فأتينا بالألوان، فكان طعمها أطيب من رائحتها، فقلت في نفسي: أكلت الألوان، وبقي الكف والمعصم، ثم سرنا إلى مجلس المنادمة، فإذا هو أنبل مجلس، وصاحب الدار يقبل باللطف والحديث علي؛ لما ظن أني منهما، فخرجت جارية تتثنى، كأنها خوط بان، فسلمت وجلست وأخذت عوداً وجسته، فتبينت الحذق في جسها، وغنت بهذا الصوت:

أشَرْتُ إليها: هل حَفِظْتِ مودَّتي ... فردَّتْ بطرفِ العيْنِ: إنِّي على العهدِ

فَحِدْتُ عن الإظهارِ عمداً لِسِرِّها ... وحادتْ عن الإظهار أيضاً على العمد[2]

فجاءني ما لم أملك معه نفسي، وقلت: السلام، ثم غنت:

ألَيْسَ عجيباً أن بيْتاً يضمُّنا ... وإيّاكِ، لا نخلُو، ولا نتكلَّمُ؟

سوى أعين تشكو الهوى بجفونها ... وترجعُ أحشاءُ على النار تُضْرم

إشارةُ أفواهٍ، وغمزُ حواجب ... وتكسيرُ أجفانٍ، وقلبٌ متيم[3]

(١) في [س] قد فاحت منْ دار.

(٢) البيتان من الطويل.

(٣) الأبيات من الطويل.

فحسدتها على حذقها وقلت: يـا جاريـة، بقي عليك شيء، فغضبت ورمت بـالعود وقالت: متى كنتم تحضرون البغضاء في مجالسكم مثل هذا؟ فنـدمت، ورأيت تغير القوم، فدعوت بالعود وغنيت:

مـا للمنـازلِ لا يُجِبْنَ حـزينـا أَصَمَمْنَ أمْ بَعُـدَ المـدى فَبَلينـا

راحـوا العشيَّـةَ رَوْحـةً مـذكـورةً إن مِتْنَ مِتْنـا، أو حَيِينَ حيينـا[1]

فـأكبت على رجلي تقبلها وتقـول: المعذرة يـا سيدي، مـا سمعت من يغنيه مثلك، وقام مولاها وصاحباه فصنعوا مثلها، وشربوا بالطاسات طرباً، ثم غنيت:

غـداً مُحِبُّكِ مَـطْوِيّـاً على كَمَـدِهْ صَبُّ مـدامعُـه تجْـري على جسـدهْ

لـه يـدٌ تسـأل الـرحمـن راحَتَـهُ ممَّـا بِهِ، ويـدٌ أخرى على كبـده

يـا من رأى كَلِفـاً مستهـدَفـاً أبـداً كـانت منيتُـه في طـرْفِه ويـده[2]

فصاحت الجارية: السلام، هذا، والله، الغناء يـا مولاي، وسكـروا، وأمر صـاحب الـدار غلمانـه بحفظهم إلى منـازلهم، وبقيت أشرب معـه، وكان جيـد[3] الشراب، وقال لي: يا سيـدي، ذهب، والله، ما خـلا من أيامي بـاطلاً، إذ كنت لا أعـرفك، فمن أنت؟ فأخبرته، فقبل رأسي، وقال لي: أنا أعجب من هذا الأدب، وسألني عن قصتي، فأخبرته خبر الطعام والمعصم، فأحضر جواريه فلم أره: فقال: ما بقي غيـر أمي وأختي، ولأنـزلنهما إليـك، فعجبت من كـرمـه وسعـه صـدره، وقلت: ابـدأ بالأخت، فلما رأيت معصمها قلت: هي هي، فأرسـل إلي عشرة مشـايخ، وأحضـر بـدرتين وقال: أشهـدكم أني زوجت أختي فلانـة من سيدي إبـراهيم بن المهـدي، وأمهرتها عنه عشرة آلاف درهم، فدفعت إليه بـدرة، وفرقت الأخـرى على المشايخ فانصرفوا، وقال لي: يـا سيدي، أمهـد لك بعض البيـوت، فاحشمني، فقلت: بـل أحملهـا إلى منزلي في عمـارية، فـو حقـك يـا أميـر المؤمنين، لقـد جمـل إلي من جهازها ما ضاق عنه بعض دوري، فتعجب المأمون من كرمه، وأمر بإحضاره فصـار من خواصه؛ لأجل كرمه.

---

(١) البيتان من الكامل.

(٢) الأبيات من البسيط، وأخلت [س] بقوله: صب مدامعه.

(٣) «كـان جيد الشـراب» عبارة يقصـد الـظرف والأدب على الشـراب، وثمـة عبـارة مشـابهـة في الإسبانية تقول: Sabe Llevar Una Copa. وترجمتها الحرفية يعرف كيف يمسك بالكأس.

الباب الثالث

في حكايات الأولياء والعباد والصلحاء والزهاد، وما يرجع الى ذلك

حدث محمد بن مسلم الرجل الصالح قال: رأيت يحيى بن أكثم في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال لي: يا شيخ السوء، لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه، فلما أفقت، قالها ثانياً وثالثاً، فقلت: يا رب، ما هكذا حدثت عنك، فقال تعالى: وما حدثت عني؛ قلت: حدثني عبد الرزاق قال: حدثني معمر بن راشد عن الزهري عن أنس بن مالك عن نبيك ﷺ عن جبريل، عنك يا عظيم أنك قلت: «ما شاب لي عبد في الإسلام شيبة إلا استحييت أن أعذبه بالنار»[1]، فقال الله تعالى: صدق عبد الرزاق وصدق معمر، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبيي، وصدق جبريل، أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنة.

وجاء في حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يتجر من بلاد الشام إلى المدينة ولا يصحب القافلة توكلاً على الله، فبينما هو جاء من الشام إذ عرض له لص على فرس، فصاح بالتاجر: قف، فوقف التاجر وقال له: شأنك ومالي؟ فقال له اللص: المال مالي، وإنما أردت نفسك، فقال له: أنظرني حتى أصلي، فقال: افعل ما بدا لك، فصلى أربع ركعات، ورفع رأسه إلى السماء وجعل يقول: يا ودود، يا ودود، يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعالاً لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، لا إله إلا أنت، يا مغيث أغثني، ثلاث

(١) مسند أحمد بن حنبل جـ٢ ص ٢٠٧

مرات، وإذا بفارس بيده حربة، فلما نظر إليه اللص ترك التاجر ومضى نحوه، فلما دنا منه طعنه الفارس فأداره عن فرسه وقتله، وقال للتاجر: اعلم أني ملك من السماء الثالثة، دعوت الأولى فسمعنا لأبواب السماء قعقعة، فقلنا: أمر حدث، ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر، ثم دعوت الثالثة[1]، فهبط جبريل ينادي: من لهذا المكروب؟ فدعوت الله أن يوليني قتله، واعلم يا عبد الله أنه من دعا بدعائك هذا في كل شدة أغاثه وفرج عنه، ثم جاء التاجر إلى النبي ﷺ فقال له: لقد لقنك الله أسماء الله الحسنى التي إذا دعي بها أجاب، وإذا سئل بها أعطى.

ووجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد إلى العراق، فأطلق أهل سجون الحجاج، وضايق على يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج، فظفر به بعد ذلك يزيد، لما ولي أفريقية فجعل محمد يقول: اللهم احفظ لي إطلاق الأسرى، وإعطاء الفقراء، فلما دنا يزيد منه، وفي يده عنقود قال: يا محمد، ما زلت أسأل الله أن يظفرن بك، فقال له محمد: وما زلت أستجير الله منك، قال: فوالله، ما أجارك ولا أعاذك مني، ووالله، لأقتلنك قبل أن آكل هذه الحبة من العنب، ووالله لو رأيت ملكاً يريد قبض روحك لسبقته إليها، وأقيمت الصلاة، ووضعت حبة العنب بين يديه، وتقدم فصلى بهم، وكان أهل أفريقية قد اجتمعوا على قتل يزيد، فلما ركع ضربه رجل بعمود فقتله، وقيل لمحمد: اذهب حيث شئت.

وقال أبو علي الدارني: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً ولا مبتسماً إلا يوم مات ابنه، فقلت له في ذلك، فقال: إن الله تعالى أحب أمراً فأحببته، والفضيل هذا من رجال رسالة القشيري، مشهور بزهد وصلاح، وكان يقول: إذا رأيت الليل مقبلاً فرحت، وقلت: أخلو لربي، وإذا أبصرت الصبح استرجعت؛ كراهة أن يجيء من يشغلني، وكان في أول أمره شاطراً يقطع الطريق، وسبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو ذات ليلة، يرتقب الجواز إليها، إذ سمع تالياً يتلو: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾[2]، فقال: يا رب، قد آن، فرجع إلى خربة، فإذا فيها قافلة، فقال

---

(١) انتهى السقط من [د].

(٢) سورة الحديد ـ الآية ١٦

بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى يصبح؛ فإن الفضيل على الطريق يقطع علينا، فأمنهم وجاور الحرم.

وقال محمد بن المبارك: كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان، فصلينا ركعات، فسمعت صوتاً من أصل الرمانة يقول: يا أبا إسحاق، أكرمنا بأن تأكل منا، فطأطأ رأسه قال ذلك ثلاث مرات، ثم قال: يا محمد، كن شفيعنا إليه، ليتناول منا شيئاً، فقلت: يا أبا إسحاق، لقد سمعت، فقام فأخذ رمانتين، فأكل الواحدة وناولني الأخرى، فأكلتها، وهي حامضة، وكانت قصيرة، فلما رجعنا مررنا بها، وهي شجرة عالية، ورمانها حلو، وهي تثمر في كل عام مرتين، وسموها رمانة العابدين، وإبراهيم هذا من كبار شيوخ الصوفية وهو من رجال رسالة القشيري.

وركب في مركب فهاجت ريح شديدة، فلف رأسه، وطرح نفسه مع الناس، فسمعوا من البحر صوت يقول: لا تخافوا؛ ففيكم إبراهيم بن أدهم، وصاح الناس في المركب: أين إبراهيم بن أدهم، ثم سكنت الريح، فخرجوا وما عرفوه.

وتوفي رجل على عهد رسول الله ﷺ، وكان مسرفاً على نفسه، وحين حضرته الوفاة رفع رأسه، فإذا أبواه يبكيان عليه، فقال: ما يبكيكما فقالا: نبكي؛ لإسرافك على نفسك، فقال: لا تبكيا؛ فوالله ما سرني أن الذي بيد الله من أمري بأيديكما، فأتى جبريل إلى النبي ﷺ، فأخبره أن فتى توفي اليوم، فأشهده بأنه من أهل الجنة، فاستكشف رسول الله ﷺ أبويه عن عمله، فقالا: ما علمنا عنده شيئاً من خير إلا أنه قال عند الموت: كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ من ها هنا، إن حسن الظن بالله من أفضل العمل عنده»[١].

وكان محمد بن نافع الناسك صديقاً لأبي نواس، قال: لما بلغني موته أشفقت عليه، فرأيته في المنام، فقلت: أبو نواس فقال: لات حين كنية، قلت: الحسن؟ قال: نعم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: بأي شيء؟ قال: بتوبة تبتها قبل موتي بأبيات شعر قلتها، قلت: وما هي؟ قال: هي عند أهلي،

---

(١) مسند أحمد بن حنبل جـ٢ ص ٣٠٤ مع خلاف.

فسرت إلى أمه، فلما رأتني أخذت في البكاء، فأخبرتها بما رأيت، وبما قال، فسكتت، وأخرجت إلي كتباً منظمة[1]، فوجدت بخطه كأنه قريب:

يا ربُّ إن عَظُمَتْ ذُنوبي كَثْرةً فلقدْ علمتُ بأن عفْوَكَ أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا مُحْسِنٌ فَمَنِ الذي يَرْجو المسيءُ المجرمُ
أدعوك ربُّ، كما أَمَرْتَ تَضَرُّعاً فإذا رَدَدْتَ يدِي، فَمَنْ ذا يرحمُ؟
ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرَّجا وجميلُ ظنِّي، ثم إني مُسْلمُ[2]

وقال سفيان الثوري لرابعة العدوية: ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوف النار، ولا رجاء الجنة، فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حباً فيه وشوقاً إليه، وقالت في معنى ذلك:

احبُّكَ حبَّيْنِ، حبَّ الهوى وحبًّا لأنك أهلٌ لذاكا
فأمّا الذي هو حبُّ الهوى فَشُغْلِي بذكْرِكَ عَمَّنْ سِواكا
وأما الذي أنت أهلٌ له فكَشْفُكَ لِي الْحُجْبَ حتى أراكا
فلا الحمدُ في ذا ولا ذاك لي ولكنْ لك الحمدُ في ذا وذاكا[3]

واحتاجت إلى شيء، فقيل لها: لو بعثت إلى فلان، فقالت: والله، لا أطلب الدنيا ممن يملكها، فكيف من لا يملكها.

وزارها أصحابها، فذكروا الدنيا، وأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا من ذمها؛ فلولا موضعها من قلوبكم، ما أكثرتم من ذكرها، ألا من أحب شيئاً أكثر من ذكره.

وقال عبد الواحد بن زيد: رأيت ليلة مات الحسن البصري في النوم أبواب السماء، كأنها منفتحة، وكأن الملائكة صفوف، فقلت: إن هذا لأمر عظيم، فقال لي قائل: الحسن البصري قدم على الله، وهو عنه راضٍ.

وكان للمأمون غلام، فبينما هو يصب الماء على يده، إذ سقط الإناء، فغضب

---

(١) في [د] كتباً مقطعة.

(٢) الأبيات من الكامل. وردت هي وحكايتها في وفيات الأعيان جـ٢ ص ١٠٢ ـ ١٠٣، مع إضافات، فيها بعض خلاف في التفاصيل.

(٣) الأبيات من المتقارب.

المأمون، فقال له الخادم: يا أمير المؤمنين، إن الله عز وجل يقول: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ ﴾، قال: قد كظمت غيظي، قال: ﴿ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ﴾، قال: قد عفوت عنك، قال: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[1] قال: اذهب، فأنت حر.

وقال بكر بن سليمان الصواف: دخلنا على مالك بن أنس رضي الله عنه في العشية التي قبض فيها، فقلنا: يا عبد الله، كيف تجدك؟ فقال: لا أدري ما أقول لكم، ستعاينون من عفو الله تعالى ما لم يكن في حسابكم، ثم ما خرجنا حتى غمضنا عينيه.

وقيل: إن ثلاثة نفر من العابدين اجتمعوا في الموقف، فقالوا: تعالوا، حتى نعرض أنفسنا على مولانا، ونصف حالتنا، فتقدم أحدهم ورمى بثوبه عن عاتقه، وبقي في المتزر، ثم قال: نفسي معيوب[2]، وكلامي معيوب، والكل مني معيوب، فإن كنت تقبل معيوباً، فلبيك اللهم لبيك، قال: فنودي في سره: عبدي، لم تعيب نفساً أنا خلقتها وبلطفي رزقتها، ولولا أني غفرت لها لما أدنيتها، وتقدم الثاني فقال: نفسي مطلوب، وعقلي مغلوب، ولساني مقر بالذنوب، فما حيلتي يا علام الغيوب؟ فنودي في سره: عبدي، لم تقبح نفسك ولم أجعل بيني وبينك ثالثاً، عصيتني سراً، وغفرت لك سراً، وتقدم الثالث فقال: مولاي، ما لي لسان أناديك، ولا سر أناجيك، ولا يد أرفعها لك، فارحم تضرعي وتذللي بين يديك، فنودي في سره: عبدي حجك مبرور، وسعيك مشكور، وذنبك مغفور، وقد وهبنا لك أهل الموقف، فمن جاءنا، بالذلة والافتقار، استقبلناه بالعز والافتخار، ومن جاءنا بالذلة والخضوع استقبلناه بحسن الرجوع.

وسئل سهل بن عبدالله التستري عن أصل عبادته فقال: اعلموا، رحمكم الله، أني كنت ألفت حوضاً من الجامع أصلي فيه، فلما كان في بعض الايام، وكان يوم جمعة،

---

(١) سورة آل عمران ـ الآية ١٣٤

(٢) إستعمل هنا الصيغة المرجوحة في اسم المفعول من الأجوف.

توضأت واسرعت إلى المسجد، فوجدته قد غص بالناس، فبقيت متحيراً، فأسأت الأدب، وتخطيت رقاب الناس، حتى وصلت إلى ذلك الحوض، فركعت وجلست، فإذا عن يميني شاب حسن الصورة، وعليه ثياب صوف بيض، وعلى كتفيه طيلسان أبيض، فنظر الي وقال: كيف تجدك يا سهل؟ فقلت: بخير، أصلحك الله، وبقيت مفكراً في معرفته لي، وأنا لم أعرفه، فبينما أنا كذلك إذ أخذتني حرقة بول، فأكربتني، وبقيت على وجل حياء من الناس أن اسيء أدبي واتخطاهم ثانية، وإن جلست لم يكن لي صلاة، فبينما أنا كذلك، إذ التفت الي الشاب وقال: يا سهل، هل اخذتك حرقة البول.؟ فقلت: أجل، فنزع طيلسانه من منكبيه، وغشاني به، ثم قال لي: يا سهل اقضي حاجتك، وأسرع تلحق الصلاة، قال: فأغمي علي ثم فتحت عيني، فإذا انا بباب مفتوح، وسمعت قائلاً يقول: لج، يرحمك الله فولجت الباب، فإذا قصر على البنيان شامخ الأركان، وإذا في وسطه نخلة قائمة، وإذا جانبها مطهرة مملوءة ماء، ونظرت إلى موضع إراقة الماء، وإذا منشفة معلقة وسواك، فحللت سراويلي وبلت واغتسلت، وتوضأت وضوءاً كاملاً، وتنشفت، فسمعته يقول: قد قضيت أربك؟ قلت: نعم، فوضع الطيلسان، فإذا أنا جالس في مكاني، لم يشعر بي أحد، فبقيت منحيراً، لا ادري ما حل بي، وأنا مكذب لروحي فيما جرى، وقامت الصلاة، فلم أدر ما صليت، ولم يكن همي غير الفتى، فلما خرج تتبعت أثره، فإذا به قد دخل إلى درب عظيم وأنا خلفه، فالتفت إلى ورائه، فلما رآني قال: يا سهل، كأنك ما أيقنت؟ فقلت: كلا، فقال: لج الباب يرحمك الله، فنظرت إلى الباب بعينه، فولجت القصر، فرأيت النخلة والمطهر والحال بعينه، والمنشفة مبلولة بحالها، فقلت: آمنت بالله تعالى فقال: يا سهل، من أطاع الله أطاعه كل شيء، يا سهل، اطلبه تجده، فتغرغرت عيناي بالدموع، فلما مسحتهما فتحتهما، فلم ار الفتى ولا القصر، فبقيت متحيراً على ما فاتني منه متأسفاً، فاجتهدت عند ذلك في الخدمة، واستعنت بالله تعالى فأعانني.

وقيل: ان سهلاً هذا صام من يوم خروجه من بطن أمه إلى دخوله إلى القبر، لم يفطر في عمره إلا أيام العيدين، وذلك أن أمه كانت تعرض عليه ثديها بالنهار فلا يرضعه [(١)]

---

(١) في [ح] فلا يأكله فإذا كان المغرب أكله.

فإذا كان المغرب رضعه، فلم يزل كذلك إلى أن بلغ سبع سنين، فأخذ في الصيام والعبادة، حتى لقي الله عز وجل.

وقيل: لما كان يوم وفاته، خرج الناس بنعشه في يوم حر وشمس، فإذا بيهودي يصيح: معشر الناس، هل ترون ما أرى؟ فنظروا، فإذا بنسور قد سدّت الأفق، ونشرت أجنحتها؛ تستر الناس من الشمس، فقال اليهودي عند ذلك: أشهد أن لا إلـه إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله حقاً حقاً، ثم قضى نحبه من ساعته، فأخذوا في غسله وتكفينه، وصلي عليهما جميعاً، ودفن إلى جانب قبر سهل

وقال ابن شريح في مرضه الذي مات فيه: رأيت البارحة في المنام كأن قائلاً يقول: هذا ربك يخاطبك، فسمعت: «وماذا أجبتم المرسلين» (١) فوقع في قلبي أنه يراد مني زيادة في الجواب، فقلت؛ بالإيمان والتصديق، غير أنا قد اصبنا من هذه الذنوب، فقال: أما أني سأغفرها لكم.

وكان رجل شريف جمع قوماً من ندمائه ودفع إلى غلام له أربعة دراهم ليشتري بها فواكه للمجلس، فمر الغلام بمجلس منصور بن عمار الواعظ، وهو يسأل لفقير شيئاً، ويقول: من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربـع دعوات، فـدفع لـه الغلام الـدراهم، فقال له منصور: ماالذي تريد أن أدعو لك به؟ فقال: أن يعتقني الله من العبودية، فدعا منصور، وأمن الناس على دعائه، قال: والثانية يا غلام؟، فقال أن يخلف الله على الدراهم فدعا له وأمن الناس، ثم قال له والثالثة يا غلام؟ فقال: أن يتوب الله على مولاي، فدعا وأمن الناس، ثم قال: والرابعة يا غلام؟ قال: أن يغفر الله لي ولمولاي ولك يا منصور وللحاضرين، فدعا منصور، وأمن الناس على دعائه، فرجع الغلام فقال له مولاه: لم أبطأت.؟ فقصّ عليه القصة، قال: وبم دعا؟ قـال: سألت لنفسي العتق، قال: اذهب، فأنت حر، قال: والثانية؟ قال: أن يخلف الله على الدراهم، قال: لك أربعة آلاف درهم، قال: والثالثة؟ قال: أن يتوب الله عليك، قال: تبت إلى الله عز وجل، قال: والرابعة:؟ قال: أن يغفر الله لي ولك وله وللحاضرين، قال: هذه واحدة

---

(١) سورة القصص ـ الآية ٦٥

ليست الي، فلما بات رأى في المنام كأن قائلاً قال له: أنت فعلت ما كان إليك، أتراني لا أفعل ما كان الي؟ قد غفرت لك وللغلام ولمنصور وللحاضرين أجمعين.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً،

ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم،

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها
سورة الشعراء:	
— ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾	٨٤
— ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾	٢٢٦
سورة القصص:	
— ﴿فوكزه موسى فقضى عليه﴾	١٥
— ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس﴾.	١٩
— ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾	٢٦
— ﴿ماذا أجبتم المرسلين﴾	٦٥
سورة الروم:	
— ﴿ومن كفر فعليه كفره﴾	٤٤
سورة لقمان:	
— ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه﴾	١٣
— ﴿إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾	١٩
سورة الأحزاب:	
— ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم﴾	٤٨
— ﴿فإذا اطعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث﴾	٥٣
— ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾	٦٧
— ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات﴾ إلى قوله: ظلوماً جهولاً﴾	٧٢
سورة سبأ:	
— ﴿ربنا باعد بين أسفارنا﴾	١٩
— ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾	٣٩

فهرس الأشعار

هذه هي رموز البحور على ترتيبها من علم العروض: «ط» الطويل، «م» المديد، «ب» البسيط، «ل» مخلع البسيط، «و» الوافر، «ك» الكامل، «هـ» الهزج، «ر» الرمل، «س» السريع، «ح» المنسرح، «خ» الخفيف، «ع» المضارع، «ض» المقتضب، «ث» المجتث، «ق» المتقارب، وقد أفدت من طريقة أستاذنا أبي فهر محمود شاكر من طبقات فحول الشعراء، في هذا الفهرس وفي كثير مما أدين له به.

«الـراء»

«السـين»

و نفسي
ك الأنفاس
الياس
س: غرسِه
ر العروسْ

«الصاد»
ط قميصُ
ر القصاص

«الضاد»
ل انقباضِ
المراضِ

«العين»
ط صانعُ
مصارع
ربيع
مجاشعِ
طبائعهُ
اصبعا
تقنعا
المقنعا
ب: فيتسعُ
تجتمعُ
والطمعِ
ق البرقعِ

«الفاء»
ط وقّفُوا
ملتفُّ
صرفُ
ب: السرفُ
ك كافي
س: يوصفُ
الخوف
خ الأطراف
منافِ

«القاف»
ط مطلقُ
خليق
بارقةُ
أحمقا
تسولقا
لم تطلقِ
صديق
ب: خلقُ
و خلقا
تلاقِ
بباقِ
الفراق
ك مشتاقِ
لم تخلقِ
موفقِ

«الكاف»
ق لذاكا

«اللام»
ط أهلُ
فضل
المؤمل
أتنصل
بغل
الشغلُ
سبيل
باقل
جاهل
الأنامل
أنامله
قائله
خلاخله
المغفلا
سبيلِ
مقبلِ
منزل
عجل
برحيل
تنسلِ
ب: الهبلُ
مشغول
موصول
الجملا
خجلا
البللِ
حالِ
الطولِ
و اكتهلا
أبالي
ك نهشلِ
أواهلُ
بخيلا
الأولِ
مجزلِ
لم نقللِ
جملْ
ر تملْ
س: الخيالْ
محالْ
ح حصلا
حيلهْ
خ النزولا
بالسؤال
رجلي
ق العاجلِ
النائلِ

«الميم»
ط نتكلمُ
جسم
ظالم
لا تعلم

فهرس الأرجاز

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الموضوعات

الفهارس العامة

كتب للمحقق

كتب مطبوعة :

١ ـ الخوف من المطر ـ شعر ـ ١٩٧٥
٢ ـ لزوميات وقصائد أخرى ـ شعر ـ ١٩٨٥
٣ ـ هدير الصمت ـ شعر ـ ١٩٨٧
٤ ـ مقام المنسرح ـ شعر ـ ١٩٨٩
٥ ـ المازني شاعراً ـ ١٩٨٥
٦ ـ خاتمان من أجل سيدة ـ مسرحية مترجمة ـ ١٩٨٤ ـ الكويت ـ حازت جائزة الدولة في الترجمة ـ مصر ـ ١٩٨٧
٧ ـ خمس مسرحيات أندلسية ـ مترجم ـ ١٩٨٦
٨ ـ مقامات ورسائل أندلسية ـ نصوص ودراسات ـ الطبعة الثالثة ١٩٩٠
٩ ـ تأثيرات عربية في حكايات إسبانية ـ دراسات من الأدب المقارن ١٩٨٦
١٠ ـ قصائد من إسبانيا وأميركا اللاتينية ـ مختارات ودراسة ١٩٨٧
١١ ـ فصول من الأندلس في الأدب والنقد والتاريخ ١٩٨٨
١٢ ـ شعراء ما بعد الديوان ـ الجزء الأول ١٩٨٧
١٣ ـ شعراء ما بعد الديوان ـ الجزء الثاني ١٩٨٩
١٤ ـ أدب ونقد ١٩٨٨
١٥ ـ في الشعر العماني المعاصر ١٩٨٩
١٦ ـ حدائق الأزاهر لابن عاصم ـ تحقيق ودراسة ١٩٩١

كتب تحت الطبع :

١ ـ الأثر العربي في القصص الإسبانية ـ مثل من القونت لوقانور.
٢ ـ صور مصرية وأندلسية ـ شعر.
٣ ـ الفصوص لصاعد الأندلسي ـ تحقيق ودراسة .
٤ ـ شعراء ما بعد الديوان حـ٣